١

المستشرقون المعاصرون

فيليب حتي

عصر النبوة والخلافة الراشدة

دراسة نقدية

تأليف

فاضل محمد عواد الكبيسي

دار الفرقان للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الذين آمنوا

إن تطيعوا فريقا من أهل الكتاب يردوكم

بعد إيمانكم كافرين

صدق الله العظيم

[آل عمران ١٠٠]

الطبعة الأولى

١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٥م

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية ٢٠٠٤/٩/٢٢٢٢م

٢٨٢،٣
الكبيسي ، فاضل محمد عواد
المستشرقون المعاصرون ، فليب حتي : دراسة نقدية / فاضل محمد عواد الكبيسي . ـ عمان : دار الفرقان للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٥.
(٣٧٥)ص .
ر.إ (٢٠٠٤/٩/٢٢٢٢)
الواصفات : / الاستشراق والمستشرقون // الاسلام // الحضارة الاسلامية /

* ـ تم اعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

المطابع التعاونية
هاتف ٢ / ٤٦٣٧٧٧١ فاكس ٤٦٣٧٧٧٣
ص.ب ٨٥٧ عمان ١١١١٨ الأردن

دار الفرقان للنشر والتوزيع
العبدلي - عمارة جوهرة القدس
هاتف ٤٦٤٠٩٣٧ ٦ ٩٦٢+ ، ٤٦٤٥٩٣٧ ٦ ٩٦٢+
فاكس ٤٦٢٨٣٦٢ ٦ ٩٦٢+
ص.ب ٩٢١٥٢٦ عمان ١١١٩٩ الأردن
ص.ب ٩٢٧٦٢١ عمان ١١١٩٠ الأردن
إربد - مقابل جامعة اليرموك - تلفاكس ٧٢٧٦٥٠٦ ٢ ٩٦٢+
URL: www.daralforqan.com
E-mail: dar_forqan@yahoo.com

(١)

المستشرقون المعاصرون

فيليب حتي

عصر النبوة والخلافة الراشدة

دراسة نقدية

تأليف

فاضل محمد عواد الكبيسي

بسم الله الرحمن الرحيم

الاهداء

إلى اساتذة الجهاد

اطفال الحجارة

شكر وتقدير

نتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان إلى كل من

سعادة المستشار الشيخ عبد الله العقيل

والمهندس محمد عليان

لجهودهما الموصولة في خدمة العلم والعلماء

وعلى مساهمتهما في طباعة هذا الكتاب

سائلين المولى عز وجل أن يجعل هذا العمل

صدقة جارية في ميزان حسناتهما

وجزاهم الله عنا خير الجزاء

الناشر **المؤلف**

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الانبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين

وبعد :

فـــان الصلات بين الشرق والغرب بانواعها، ليست بجديدة، كما انها على العموم ليست بحميدة.واذا كان الشرق واضحاً فيما يسر ويعلن، فان الغرب بخلافه فيمـــا يظهـــر ويبطن. وحين يدعو الشرق غيره ان: ((تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبيـــنكم)) ســـورة آل عمـــران ٦٤ ؛ يجيـــب الغرب ان: ((دمروا الاسلام، ابيدوا اهله))[1].. وهكذا بدأ السجال إن في الكلام، او في الحسام.

ثم ان قوى الغرب – في معاركها ضد الشرق الاسلامي– بدأت تتعرف الى حقيقـــة القـــوة الكامـــنة في الاسلام، فادركت عندها ان الاسلام لا تقهره مواجهة عسكرية، او سياسية مباشرة.فكان لابد من ان يلجأوا ال سلاح آخر بديل هو سلاح الفكـــر يهاجموا به الاسلام، في معركة دائم اوارها، ورد التنزيل الالهي باخبارها، فقال تعالى: ((ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا)) [سورة البقرة، ٢١٧].

إن علاقـــة الغـــرب بالعرب منذ ظهور الاسلام وحتى هذا اليوم تعد مثالاً تقليديا عن مدى تأثير المشاعر والاهواء في كتابة التاريخ. وقد نشأ هذا الوضع في عصر عُدَّ فيه تأثير معتنقي دين آخر امراً غير مرغوب فيه لخطره الوهمي، وهذه نظـــرة ســـادت القرون الوسطى وما زالت باقية لم تمت بعد سواءً كانت بوعي ام بغير وعي.

---

[1] عنوان كتاب لجلال العالم ،دار صادر (بيروت ، ١٩٧٦ م) .

ومــن هــنا كان الاستشراق ولا يزال، جزءاً لا يتجزأ في قضية الصراع الحضاري بين عالمين : العالم الاسلامي في دينه وقيمه وحضارته، والعالم الغربي فــي علمانيــته وماديــته ومدنيــته.وفــي ضوء التأثير الكبير للاستشراق صيغت التصورات الاوربية عن الاسلام، وتشكلت مواقف الغرب ازاء الاسلام. كما يرجع الى تاثيــره ايضــاً، ظهــور طــبقة من المؤرخين ذات مكر ودهاء، تحركها ذات الوســائل والاهــداف التي يتوخاها المستشرقون، من الاساءة الى الاسلام وتشويه تاريخه وحضارته.

ولابــد –لكي تتحقق هذه الاهداف، من ان تاخذ طريقة كتابة هؤلاء الاتباع واسلوب بحثهم، الطابع الذي يميز طريقة كتابة العلماء، فلا يتمكن معها من معرفة تفســيراتهم المضــللة وشــبهاتهم المستترة الا من كان على صفة معينة من العلم والنباهة.

وتلك هي القضية..وهي قضية خطيرة سواء من الناحية العلمية البحتة، او من ناحية تاثيرها في النفوس.فلا بد والحالة هذه من ان ندرك ابعاد ما تواجهه امتنا مــن محــاولات تهدف الى تشكيكها في النهج الذي ارتضاه الله سبحانه لها، وتروم صــرفها عنه، وهي محاولات قديمة ومتواصلة، استخدمت فيها كل وسائل التاثير والــتزوير لكــي تفقد الامة شخصيتها وتضعف ثقتها باصالتها، وتتخلى عن حمل امانــتها، والنهوض بعبئها في قيادة الامم، كما بوأها الله سبحانه تلك المنزلة بقوله تعالى: ((وكذلك جعلناكم امة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس)) سورة البقرة ١٤٣.

وفي سبيل تنبيه الامة الى مايكتنفها من مخاطر على صعيد الفكر والعقيدة، وكشــف مــا يحــاك ضدها من شرور، والرد على مايقال عن دينها وتاريخها من مفــتريات ؛جــاءت هذه الدراسة مع اخواتها، وفق خطوة جريئة وخطة هادفة من معهــد الــتاريخ العــربي للدراســات العليا، وبتوجيه الاستاذ الدكتور محمد جاسم المشــهداني أميــن عام اتحاد المؤرخين العرب، لتتناول الثلاثي الماكر :((جرجي

زيـدان، وكـارل بروكـلمان، وفيـليب حتي).وكان الاخير مناط اطروحتي هذه وباشراف من الاستاذ المشهداني نفسه.

وقد تركزت هذه الدراسة على العهدين: النبوي والخلافة الراشدة، حيث كان الاسـلام فـي اوج قوته وعظمته الدينية والدنيوية.ثم انهما العهدان اللذان انصبت عليها الحملات المعادية.وقد جاءت هذه الدراسة في ثلاثة ابواب وخاتمة، وكالآتي:

البـاب الاول : الاستشـراق دوافعه، تاريخه، منهجيته ويشتمل على تمهيد وثلاثة فصول هي:

الفصل الاول : الاستشراق تعريفه ودوافعه

الفصل الثاني : مراحل الاستشراق ومنهجيته

الفصل الثالث : المستشرق (فيليب حتي) : حياته، مؤلفاته و منهجيته

البـاب الثاني : افتراءات فيليب حتي على الرسول ﷺ في نبوته ورسالته واشتمل على اربعة فصول هي :

الفصل الاول : افتراءات فيليب حتي على شخصية الرسول

الفصل الثاني : افتراءات فيليب حتي على القرآن

الفصل الثالث : افتراءات فيليب حتي على الشريعة الاسلامية

الفصل الرابع : افتراءات فيليب حتي على العقيدة الاسلامية والعبادات

الباب الثالث : عصر الخلافة والفتوحات واشتمل على ثلاثة فصول هي :

الفصل الاول : خلافة ابي بكر الصديق ﷺ

الفصل الثاني : الفتوحات ومفتريات (حتي)

الفصل الثالث : الحضارة العربية الاسلامية

خاتمة فيها النتائج والمقترحات

واعقبتها **بملحق** يعرف بالاعلام الواردة

وانهيتها بذكر **المصادر والمراجع**

واما منهج البحث الذي سلكته فهو يقوم عند تناول مسألة ما ان اقدم لها بتمهيد مناسب واتحدث عنها في ضوء المصادر الاصلية الموثوقة، وبعد ان يستقر في الذهن بيانها الصحيح، اورد الشبهة المفتراة حول تلك المسألة، ثم اسوق الادلة على تفنيدها.وهذا حسب اجتهادي اصوب من ايراد الشبهة ابتداءً ثم القيام بالرد عليها ثانياً، اذ ربما تعلق الشبهة في ذهنٍ خالٍ يصعب من بعدها اخراج ما وقر فيه منها.

وقد رجعت في ذلك الى كتاب الله اولاً فهو الفصل في كل نزاع، ثم الى كتب الحديث النبوي الشريف مثل الجامع الصحيح للامام محمد بن اسماعيل البخاري (ت، ٢٥٦هـ/٨٧٠م) وصحيح الامام مسلم (ت، ٢٦١هـ/٨٧٨م) وغيرهما، والى مصادر السيرة النبوية مثل كتاب ((المغازي)) لمحمد بن عمر الواقدي (ت ٢٠٧هـ/٨٢٣م) و ((السيرة النبوية)) لعبد الملك بن هشام (ت، ٢١٨ هـ/٨٣٣م) الذي يعد اكمل واول مؤلف عن السيرة وصلنا حتى اليوم.

و((الطبقات الكبرى)) لمحمد بن سعد (ت، ٢٣٠هـ/٨٤٤م) وغير ذلك وكذلك ((فتوح البلدان)) لاحمد بن يحي البلاذري (ت، ٢٧٩هـ/٨٩٢م) فهو من اهم المصادر فيما يتعلق بالفتوحات العربية الاسلامية وما يلحق بها من خراج وجزية وغير ذلك، ولكنه لا يعرض التاريخ بصورة مترابطة ومسلسلة. ثم ((تاريخ

الرسل والملوك)) لابي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت، ٣١٠هـ/٩٢٣م) امام علم التاريخ، اذ جمع في كتابه الروايات باسانيدها، سواءً اكانت روايات مسندة صحيحة، ام روايات غير صحيحة، وترك للباحث متابعة ذلك صحة وضعفاً واعلمه انه ((انما ادينا ذلك على نحو ما ادي الينا)) [1]. كما استعنت بكتب الفقه حين التعرض للاحكام الشرعية مثل كتاب ((المغني)) لابن قدامة المقدسي (ت، ٦٢٠ هـ/١٢٢٣م) ومن المعاصرين ((فقه السنة)) لسيد سابق وغيره.وعرجت على كتب اللغة ومعاجمها مثل ((لسان العرب)) لابن منظور (ت، ٧١١هـ/١٣١١م) و ((القاموس المحيط)) للفيروزآبادي (ت، ٨١٧هـ/ ١٤١٤م) وغيرها.

واما المراجع الحديثة فقد رجعت إلى الكثير منها والتي تناولت الاستشراق بصورة عامة او اختصت بجانب منه.وقد اقدم عند الرد على الافتراءات قول المستشرق على غيره، لان ما يثبته بعض المستشرقين بنفيه البعض الآخر، ويكون كلام بعضهم في بعضهم حجة.وأشير إلى مراجع كل قول نقلته، والحق كل قول بقائله، أحيانا اعبر عن فكرة ما وهي مستقاة من مرجع فاشير الى ذلك في الهامش بقولي ((انظر)).

وإذا كان من السنن المتبعة في كتابة الموجز لأية رسالة او اطروحة ان يتحدث فيها الباحث عن المصاعب التي واجهته اثناء البحث، فان مصاعب هذه الدراسة انحصرت في ندرة المراجع المتعلقة بموضوعها، ليس من جهة عموم الموضوع وهو الاستشراق، ولكن من ناحية التنصيص على المستشرق نفسه وهو (فيليب حتي) في منهجه ونقد تأليفه.وفي سبيل تذليل هذه العقبة، راسلت جامعة (برنستون) في الولايات المتحدة حيث كان (حتي) فيها أستاذا، ولكني لم اظفر بجواب. ثم راسلت الجامعة الامريكية ببيروت فزودتني ببحث بسيط لا يسدّ حاجة ولا يروي ظمأً.

---

[1] تاريخ الرسل والملوك ،تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ،ط٤ ،دار المعارف (مصر ،)

وشـــاء الله تعالى ان التقي ببغداد احد اساتذة الجامعة اللبنانية وهو الدكتور ابـــراهيم مهدي استاذ التاريخ الاسلامي في كلية الاداب بالجامعة المذكورة فاهداني مشـــكوراً بعض مؤلفات (حتي) زيادة على بعض الابحاث والردود.على ان الفضل في تيسير هذا اللقاء النافع يرجع بعد توفيق الله سبحانه الى استاذي الفاضل الدكتور المشهداني وهكذا ترى شأن الفضلاء .

وبعد

فأنـــني لا ادعـــي الكمـــال فيما جئت به، ولا التمام فيما بحثت فيه، ولكنها محاولة عبد كتب الله سبحانه الخطأ على بني جنسه، حيث جاء في الحديث النبوي الشريف ((كل ابن آدم خطاء))[1] غير ان مما يجدر بالمسلم الا يقف عند اخطائه بل عـــليه ان يقبل كل نصح مصحوب بالدليل فيصحح الاخطاء ويقلع عن الخطايا، لذا جاءت خاتمة الحديث النبوي السالف تقول ((وخير الخطائين التوابون))

فاللهم ما كان من صواب فالحمد فيه لك وحدك لا شريك لك، وما كان من زلـــل فمن نفسي ومن الشيطان وانا مستغفرك منه وتائب اليك منه، وصل يا رب وسلم على خيرتك من خلقك سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

[1] الترمذي ، الجامع الصحيح ، ٤/٥٦٨، حديث رقم ٢٤٩٩

الباب الاول

الاستشراق

الفصل الاول

الاستشراق

تعريفه ودوافعه

تمهيد

منذ وجد الانسان احب ان يكون له تاريخ، فكانت الصور والرموز ومن ثم الاحـــرف وسائل الكتابة التي ببداياتها بدأ التاريخ. والتاريخ على مستوى الفرد او الامة هو مستودع الاحداث السابقة والتجارب الماضية، والتي يمكن في ضوء فهمها ومقارنـــتها مـــع الحاضر، ان يتم الترقي الانساني ويشترط للتاريخ الذي هو ذاكرة الامـــة ان يبـــنى على اساس سليم، اذ ما لا اساس له فمهدوم ويشترط له ايضا ان يحـــرس من التزوير وسوء التفسير فان من لا حارس له فضائع. والاصل في كل امـــة ان يحمـــل ابناؤها البارون مسؤولية كتابة تاريخها والتعريف بحضارتها وفق الفهـــم الدقيـــق والســـند الوثيـــق. واذا كان هذا حاصلا للامم الاخرى حيث كتبت تواريخهـــا باقلام ابنائها فإن هذا الامر – وللاسف الشديد – لم يحصل لتاريخ امتنا العـــربية الاســـلامية في العصر الحديث والمعاصر فلقد عبثت بتاريخنا ايد خبيثة وســـطت على ذخائره ايد غير حريصة، وسطرته اخرى ليست امينة، ولا يراد من ذلك إلا تشويه حقيقة تاريخ هذه الامة، وتشكيكها في عقيدتها، والحيلولة دون تأديتها لرسالتها التي كلفت بامانة تبليغها للناس كافة.

وقد قام على هذا العمل مستشرقون ومبشرون وكتاب غربيون، ثم نشأ جيل مـــن الذيـــن يكتبون بالعربية، ممن تربوا في تلك المعاهد الغربية الخاصة ليكونوا اوليـــاء للـــثقافات الغـــربية وتوجيهاتهـــا في بلادهم ولم تقتصر اهتمامات هؤلاء المستشـــرقين وتلامذتهم على دراسة التاريخ الاسلامي وتشويهه بل تعدى ذلك إلى كل ما يتصل بالعرب كأمة وبالاسلام كدين وحضارة. ومن هنا تشتد خطورة هدف الاستشراق ويعظم اذى عمل المستشرقين.

فما هو الاستشراق ؟ ومن هم المستشرقون ؟

المبحث الاول

تعريف الاستشراق والمستشرقين

الاستشراق لغة :

الاستشــراق مــأخوذة من الشرق، والشرق والمشرق جهة شروق الشمس والسين في الكلمة تعني الطلب، فاستشرق تعني طلب ما في الشرق [1]

لفظــة (استشــرق) -ومشــتقاتها- مولدة، استعملها المحدثون من ترجمة (Orientalism)، ثــم اســتعملوا من الاسم فعلاً فقالوا استشرق.وليس في اللغات الاجنبية فعل مرادف للفعل العربي [2]

الاستشراق اصطلاحاً

الاستشــراق ظاهــرة تاريخيــة وثقافية معقدة ومركبة، لذا تباينت -بعض الشيء معاني الاستشراق في الاصطلاح، ومن ثم فقد عرف بتعاريف متعددة، فهو:

اولاً : علم يدرس لغات الشرق وتراثه وحضارته ومجتمعاته وماضيه وحاضره [3].

ووصــف الاستشــراق بانه (علم) قد لايصدق عليه في جميع مراحله وخاصة

---

[1] ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي المصري (ت،٧١١هـ) لسان العرب ، دار صادر، ج١٠ (بيروت، بلا) ص١٧٣ مادة (شرق)

[2] الحسيني ،اسحق موسى ،الاستشراق نشأته وتطوره واهدافه ،مطبعة الازهر (القاهرة ١٣٨٧هـ /١٩٦٧م) ص١

[3] رودي بارت ،الدراسات العربية الاسلامية في الجامعات الالمانية ،ترجمة مصطفى ماهر ، دار الكتاب العربي (القاهرة ، بلا) ص١٣ .

الاولى منها حيث كان لايعدو كونه اساطير وخرافات، و (العلم) ما كان مبنياً على الحقائق المجردة والمدركات اليقينية [1].

ثانيـاً : الاستشـراق هـو دراسات المستشرقين لحضارات الشرق واديانه ولغاته وتاريخـه وعلومه واتجاهاته النفسية، واحواله الاجتماعية [2].والغرض من ذلك انشاء خزانة معرفية واسعة هادفة عن الشرق عامة والعالم العربي والاسلامي خاصة [3].

ثالـثاً : الاستشراق اسلوب غربي للسيطرة على الشرق، واستبنائه وامتلاك السيادة عـليه ؛فهـو اسلوب من الفكر قائم على تمييز وجودي ومعرفي بين الشرق والغرب[4].

رابعـاً : الاستشـراق واقـع معرفي مارسته اوربا على الشرق، وقد تراكمت هذه المعـرفة وترسـخت في تقليد، وانتظمت في نسق له مقدمات ونتائج، ويعمل بتقنيات ومناهج مخصوصة [5].

خامساً : ويعرف اخيراً وليس آخرًا- بعبارة بليغة لجاك بيرك المستشرق الغربي - ان الاستشراق هو الجناح الفكري لتجارة المجالات او للتوسع السياسي [6].

---

[1] العيسـاوي ،د.محمود خلف جراد ،افتراءات بروكلمان على التاريخ العربي الاسلامي ،رسالة دكتوراه غير منشورة ،معهد التاريخ العربي بغداد (١٤١٨هـ/١٩٩٧م) ص٩ .

[2] عبد الحميد ،د.عرفان ،دراسات في الفكر العربي الاسلامي المعاصر ،ط١ دار عمار (عمان ١٤١٢هـ/١٩٩١م) ص ١٠٧ .

[3] الاعسـم ،د.عبد الامير ،الاستشراق من منظور فلسفي عربي معاصر ،مجلة آفاق عربية ،كتاب الاستشراق (بغداد ، ١٩٨٧م)

[4] سـعيد ،د. ادوارد ،الاستشـراق :المعرفة ،السلطة ،الانشاء ،ترجمة كمال ابو ديب ،ط١ ،مؤسسة الابحاث العربية (بيروت ، ١٩٨١م) ص٣٨-٣٩ .

[5] حميش ، سالم ،الاستشراق في افق انسداده ،ط١ منشورات المجلس القومي للثقافة العربية (الرباط، ١٩٩١م) ص٧ .

[6] م . ن ، ص١١٧ .

المستشرقون

امـــا المستشـــرقون -وقد يسمون علماء المشرقيات- فتطلق على دارسي الشرق كله، اقصاه ووسطه وادناه، وعلى دارسي لغاته وآدابه وحضارته واديانه[1]. وعرفهم آخرون فقالوا ((يراد بكلمة المستشرقين كل من تجرد من اهل الغرب في دراسة بعض اللغات الشرقية وتقصي آدابها طلباً لتعرف شأن امة من الامم الشرقية مـــن حيـــث اخلاقهـــا وعاداتهـــا وتاريخهـــا ودياناتها، او علومها وآدابها، وغير ذلك.والاصل في كلمة (استشراق) انه صار شرقياً كما يقال ((استعرب)) انه صار عربيا))[2].

ويـــرى المستشـــرق الالماني ((البرت ديتريش)) ان المستشرق ((هو ذلك الباحث الذي يحاول دراسة الشرق وتفهمه))[3].

ويعـــرفه ادوارد سعيد بانه كل من يقوم بتدريس الشرق، او الكتابة عنه او بحثه- سواء كان المرء مختصاً بعلم الانسان (انثروبولوجي)، او بعلم الاجتماع او مؤرخاً، او فقيه لغة (فيلولوجياً) -في جوانبه المحددة والعامة على حد سواء.[4]

---

[1] اسحق موسى الحسيني ،المصدر السابق ، ص١ .

[2] علي ، د.جواد ،المفصل في تاريخ الادب العربي ،ط ١٩٣٦ ،ج٢ ، ص٤٠٨ ، وانظر ايضاً : جمال الدين ،د.محسن ،المستشرقون والاماكن المقدسة ،ط٢ دار الثقافة الاسلامية (بغداد ١٣٨٦هـــ/١٩٦٧م) ص١٢ .

[3] الدراسات العربية في المانيا ،تطورها التاريخي ووضعها الحالي (جوتنجن ١٩٦٢م) ص٧ .

[4] أ . سعيد ،المصدر السابق ص٣٨ .

المبحث الثاني

اهداف الاستشراق

لقد هدف الغرب الى اشغال المسلمين في خلافات فكرية مضت، وبعث الصراع الذي حصل بسببها من الماضي الى الحاضر لصرف المسلمين عن مواجهة الواقع الذي يعيشونه والحيلولة دون اتحادهم.وعمد ايضاً الى احياء الدعوات القومية الضيقة -كالآشورية والفينيقية والفرعونية، لتمزيق شمل العرب. وفي ذلك تقول السيدة (ماجالي مورس) استاذة الحضارة الاسلامية في السوربون بباريس ((في رأيي ان فكر الاستشراق كان سبباً اساسياً في منع الوحدة بين البلاد العربية وقد استنتجت من دراساتي ان الروابط العربية قوية وراسخة.وان الوحدة العربية ممكنة وهي موجودة الان على مستوى الدين واللغة والثقافة، ويمكن تعميقها))[1].

وعن طريق الاستشراق عمل الاستعمار على تفتيت وحدة العرب والمسلمين بالدعوة الى نبذ الفصحى والاستعاضة بالعامية بدلاً عنها، فظهرت حركة وعلى رأسها (ماسينيون) تدعو الى كتابة العربية بالعامية وبالحرف اللاتيني[2]، في محاولة لقطع الصلة مع التراث العربي الاسلامي وتحويله الى شيء تاريخي

---

[1] الصقار ،د.سامي ،الجوانب الايجابية من نشاط المستشرقين البريطانيين ،بحث في مجلة كلية الآداب ،جامعة الملك سعود م٢ ، ١٩٨٢م ، ص١٦٩ .ويقول (لورنس براون) ((اذا اتحد المسلمون في امبراطورية عربية ، امكن لهم ان يصبحوا لعنة على العالم)) انظر الخالدي، مصطفى وعمر فروخ ،التبشير والاستعمار في البلاد العربية،ط٤، المكتبة العصرية(بيروت ١٣٩٠هـ/١٩٧٠هـ)،٣٧.

[2] خالدي وفروخ ،مصدر سابق ،٢٢٤ ؛ ومن الاوائل الذين حملوا هذه الدعوة ، المستشرق (ولهم سبيتا) في كتابه ((قواعد اللغة العامية في مصر)) وظهر سنة ١٨٨٠م ؛ومنهم ((كارل فولرس)) في كتابه ((العربية المحكية في مصر)) عام ١٩٠١م . انظر : الشاوي ، عبد الباسط عبد الصمد احمد ، الغزو الاوروبي للفكر العربي الاسلامي، رسالة ماجستير، كلية الشريعة (بغداد ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) ،هامش ص١٢٨ وهي غير منشورة.

لايتمكن من دراسته الا المتخصصون ولا يمكن الوصول اليه الا بواسطة قواميس ومترجمات))[1].

كما ركز المستشرقون على تشويه مبدأ الجهاد الاسلامي، وان الاسلام لم ينتشر الا بالسيف ولم تكن الفتوحات الاسلامية الا لدوافع اقتصادية او توسعية استعمارية.وتكاد هذه الفرية - لذيوعها في الدراسات الاستشراقية - ان تكون مسلمة لدى الذهنية الغربية، شأنها شأن الفرية الاخرى التي تقول ان القرآن من تاليف محمد استقاه من مصادر توراتية، وليس محمد بنبي ولا رسول من عند الله بل هو من فصيلة المتهوسين [2].

ان هذه الشبهات التي تمس عقائد الاسلام وشريعته، والصورة المشوهة التي تظهر قادة المسلمين وفتوحاتهم، والنظريات العرقية الاستعلائية التي تزدري العرب بأنهم (ساميين)، واثارة النعرات العرقية المندثرة، والدعوة الى هجر اللغة العربية المقدسة والتخلي عنها لصالح اللهجات العامية..وغير ذلك من كل ما هو سلبي مستقر في اذهان الاوربيين.انما يبقى محدود الاثر، ضعيف الخطر، لو لم تكن وراءه قوى تملك سلطة القرار وتنفيذه في آن واحد وفق التصورات والاهداف المرسومة.

فالغرب -في تصوره- انما جاء الى الشرق ليتحمل مسؤوليته، لان الشرقيين كما يصفهم (كارل ماركس) ((عاجزون عن تمثيل انفسهم، ينبغي ان يُمثلوا)) او كما يقول (دزراثيلي) ((الشرق صنعة)) [3].

---

[1] الخالدي ،محمود ،الاصول الفكرية للثقافة الاسلامية ،ط١ ، دار الفكر ،ج١ (عمان ١٩٨٣) ، ص٤٧٣ و ٤٧٩ .

[2] يقول (سيل) في مقدمته الانكليزية لمعاني القرآن ((اما ان محمداً كان في الحقيقة مؤلف القرآن ... فامر لايقبل الجدل ..)) ويقول (مرجليوث ، ت ١٩٤٠) ان مصدر القرآن انما ماخوذ من الروايات المسيحية واليهودية..)) ويقول مونتجمري وات ان محمداً ((عزا ذلك -اي الوحي- الى عامل علوي))، الشاوي، الغزو الاوروبي للفكر العربي الاسلامي، ١٠٥-١٠٧ .

[3] أ . سعيد ، الاستشراق ، ٣٥ .

المبحث الثالث

دوافع الاستشراق

لاشـــك ان هـــناك احـــوال وظروف داخلية وخارجية كان يعيشها الغرب، ضغطت عليه باتجاه اهتمامه بالآخر، وبالامكان ذكر ذلك بشيء من التفصيل :

الاول : دافع علمي حضاري

ان ما حققه المسلمون من فتوحات في العلوم والفنون والاداب، بهرت العالم المسيحي، فعكف على دراستها والافادة منها.

وكانت هذه الدراسة مقدمة لعصر النهضة في اوربا [١].ومن الجدير بالذكر، ان بعـــثات ووفـــود اوربيـــة كانت تصل الاندلس الاسلامية للحصول على معرفة موضوعية في مجال العلوم العربية كالطب والفلسفة والعلوم الطبيعية.وبدءاً من عام ١١٣٠م كـــان العلماء النصارى في اوربا يعملون جاهدين على ترجمة كتب العلوم الى اللاتيـــنية فـــي حركة تشبه تلك الحركة التي قامت في عصر المامون العباسي (ت، ٢١٨هــــ/٨٣٣م) ومـــن سبقه لترجمة علوم اليونان الى العربية [٢]. مع فارق جوهري ان الترجمة في العصر العباسي كانت حرة مطلقة غايتها العلم وحده، ولم تكـــن كذلك ترجمة الاوربيين للعلوم العربية، اذ كانت تتم من قبل رجال اللاهوت وتحـــت اشرافهم مما يمكن تسميته بالموضوعية الموجهة.لذا اقتصرت الترجمة في عمومهـــا عـــلى العلوم الطبيعية دون الدينية العقائدية ؛ لتحمي الكنيسة اتباعها من التأثر بالاسلام.

---

[١] الحسيني ،الاستشراق نشأته وتطوره ، ٤

[٢] زقـــزوق ، د. محمـــود حمـــدي، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، طبعة رئاسة المحاكم الشرعية (قطر ١٤٠٤هــ/١٩٨٤م) ص ٢٤.

وبين حين واخر كان يظهر من يتبنى ازاء الاسلام موقفاً اقرب الى الاعتدال؛ ومن بينهم حاكم صقلية (فردريك الثاني ١٢٥٠م) الذي كان يعرف العربية ويتشبه بالعرب ويتحمس لعلومهم التي كانت تدرس في قصره في (بالرمو)؛ واسس عام ١٢٢٤م جامعة نابولي وجعل+ منها اكاديمية لنقل العلوم العربية الى العالم الغربي، وكان نصيبه ان طرده البابا من الكنيسة عام ١٢٣٩م بتهم منها مودته تجاه الاسلام [١].

تم توجه الاوربيون نحو جمع المخطوطات العربية والاستيلاء عليها بشتى الطرق ؛ وكان من بين الذين قاموا بهذه المهمة (جيوم بوستل ت، ١٥٨١م) الذي شغل اول كرسي للغة العربية في (الكوليج دي فرانس) بباريس عام ١٥٣٩م، وقد سار على نهجه تلميذه (جوزيف اسكاليجر (ت، ١٦٠٩م)).واستمر جمع المخطوطات -علاوة على ما ذكر- خلال القرن السابع عشر. وفي عام ١٥٨٦م اصبح من السهل طباعة الكتب العربية في اوربا عن طريق المطابع، وتمت في حينه طباعة مؤلفات ابن سينا في الطب والفلسفة اضافة الى غيرها [٢].

الثاني : دافع ديني داخلي

على اثر حركة الاصلاح الديني Reformation شعر الاوربيون بحاجة الى اعادة النظر في شروح كتبهم الدينية، فاتجهوا الى الدراسات العبرية، وهذه ادت بهم الى الدراسات العربية الاسلامية [٣].

وقد رجع العديد من اللاهوتيين الى الكنائس والمدارس الدينية الشرقية بحثاً عن مصادر نقية للدين غير المشوه ببدع وضلالات مفروضة من بعض رجال

---

[١] زقزوق ، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ٢٦-٢٧ .

[٢] م . ن ، ٢٩-٣٠

[٣] البهي ، محمد ،الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ،ط٤ ،مكتبة وهبة (القاهرة ١٩٦٤) ص٥٣٢ .

الكنيســة ؛وبرزت الدعوة للحفاظ على المسيحية النقية الاولى كما هي في منابعها، وكان الشرق وكنائس عريقة مثل كنيسة الاسكندرية مصادر لذلك.

وطوال عصر النهضة في اوربا (القرن السادس عشر)، في الوقت الذي تلا انشــقاق الكنيســة الرومانية بعد جهود مارتن لوثر وجون كالفن، وما تبع ذلك من تصــعيد للصــراعات الطائفيــة والجدال الفقهي بين الكنائس المختلفة، تم استخدام الاســلام فيها على نحو سلبي.فالكاثوليك – الرومان كانوا يتهمون لوثر بانه ((يريد ان يقيــم ممــلكة محمد في اوربا بدلاً من مملكة المسيح، وان قساوسته واتباعه قد تنافسوا بالفعل فيما بينهم على الارتداد الى دين محمد.ولوثر من جانبه لم يأل جهداً في الانتقاد والتشنيع على البابا بان اعتقاده لا يقل شراً عن اعتقاد المسلمين وقولته المشهورة التي اصبحت مثلاً يدور على الالسنة في تفضيل احد الشرين على الآخر "Liever Turks dan paaps" –ومعناها :اولى ان نكون تحت حكم الاتراك من ان نكــون تحــت حكــم الــبابوات– نبعت من اعتقاده بان البابوية هي اسوأ عدو للمســيحية بل هي اسوأ من الاتراك المسلمين.وذهب لوثر الى ابعد من ذلك فقال : ان المســيح الدجــال الحقيقي في الواقع ليس محمداً بل البابا في روما، وان كنيسة روما هي كنيسة الشيطان)) [1].

((ان ظهور (لوثر) بالبروتستانتية، يرجع في واحد من اهم اسبابه الى تفشي نزعة التحرر العقلي الذي احدثته فلسفة ابن رشد (ت، ٥٩٥هـ/١١٩٨م) في الفكر الديــني الاوربــي. مــنذ ان بدأت ترجمات ميخائيل سكوت (١٢٣٦م) في الذيوع

[1] السامرائي ، د. قاسم ، الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية (جدة، بلا) ، ٢٥ ، ناقلاً عن
Addison , J .T ., A Christian Approach to the Muslem (N.Y. 1942) P.67; Cohn , . the parsuit of the Millennium , London etc ., 1978 , P . 80 .

والانتشــار [١]، ممــا احدث رد فعل كنسي بدأ باتهام من يتمرد على سلطة الكنيسة بالزندقة ثم الابادة كما حدث لمدينة (تور) الفرنسية، وكما تولته محاكم التفتيش فيما بعــد.ويذهــب (رينان) الفرنسي إلى القول بانه ((لابد انه كان لابن رشد دور في ظهور الفرق الملحدة في النصرانية، والتي هزت مدرسة باريس في السنين الاخيرة من القرن الثاني عشر والسنين الاولى من القرن الثالث عشر)) [٢]

((ومــع اخــتلاف المنافذ التي دخلت منها فلسفة ابن رشد الى الغرب، فان الــثابت تاريخيــاً فــي الاقل انها انتشرت انتشاراً عجيباً فاثرت على عقول علماء النصــرانية وتلاميذهــم الى حد لم يصل اليه مؤلف غيره، ولقد بقيت فلسفته بكل حسناتها وبكل ما اضيف اليها من اخطاء عاملاً حياً في الفكر الاوربي حتى ولادة العلم التجريبي الحديث، بل ان فلسفة ابن رشد العقلية اصبحت جزءاً لا ينفصل من الفكر الاوربي اليوم)) [٣].

الثالث : الدافع التجاري

اخــذت العلاقات التجارية تنمو بين البلاد الاسلامية والبلاد المسيحية وآلت بدورهــا الى العــناية بــدرس احــوال المســلمين السياسية والاجتماعية والدينية والاقتصادية [٤] وفي نهاية العصر الوسيط كانت الصلات السياسية والدبلوماسية مع

---

[١] انشــأ (فــردريك) ملك صقلية مركزاً للترجمة وعهد به الى (مايكل سكوت) وغيره فتمت ترجمة الكثير من الكتب العــربية الى اللاتينية ،ومنها شروح ابن رشد على مقولات ارسطو – وابن رشد كان يسمى ((الشارح الاكبر)) وقيل فيــه: الطــبيعة تفســر بارسطو ،وارسطو يفسر بابن رشد –ثم ان (فردريك) ارسل نسخاً من كل هذه الترجمات مع (ميخائيل سكوت) الى مراكز الثقافة في ايطاليا وباريس واكسفورد فتفشت فلسفة ابن رشد فيها ،انظر السامرائي ، ٣٩ و ٤٦ بتصرف .

[٢] نقلاً عن السامرائي ، ٤٤ .

[٣] م . ن ، ٤٧ .

[٤] الحسيني ، الاستشراق نشأته وتطوره ، ص٤ .

الـدول العـثمانية، وكذلك الروابط الاقتصادية لكل من اسبانيا وايطاليا مع كل من تـركية وسـورية ومصر، حافزاً للاهتمام بدراسة الاخر.وقد انفردت ايطاليا عن الصـليبيين وقامت بتحسين علاقاتها مع الشرق، فاصبحت (البندقية) حلقة الوصل بين الشرق والغرب، وتكلم اهلها العربية حتى سقوط القسطنطينية عام (١٤٥٣م)[١].

وقـد سـبق ذلـك كله، اهتمام الغربيين بدراسة احوال الجزيرة العربية او الشـرق – حسب آراء المؤرخين، فقد عثر على كتاب لمؤلف غربي مجهول اسمه (الطـواف حـول البحر الارتيري) يعود حسب رأي الدكتور جواد علي الى نهاية القـرن الاول الميـلادي.كمـا ظهـرت معلومات مفصلة عن الخليج العربي عند (فلافيـوس اريـان) اليونـاني فـي مؤلفاته عن حملات الاسكندر الكبير او قائده (نيرخوس) في الخليج العربي.كما ان المؤرخ (سترابو) عام ٢٥ للميلاد تحدث في مؤلف له عن العرب واحوالهم الاجتماعية والتجارية والاقتصادية[٢].

كما لا يخفى ان من بين اهداف الحملات الصليبية على الشرق هو السيطرة على عقد الوصل الحيوية لخط التجارة الرئيس بين اسيا واوربا.وفي القرن الخامس عشـر / التاسع للهجرة بدأت البرتغال بتجارة الرقيق الاسود للعمل في مستعمراتها فـي القارة الامريكية وتبعتها اسبانيا.وما بدأ القرن السادس عشر / العاشر الهجري الا واصـبحت تجارة الرقيق مربحة لملوك اوربا وخاصة (اليزابيث الاولى) ملكة انكلـترا الـتي كانت لها اليد المحركة في انشاء شركة الهند الشرقية عام (١٦٠٠/ ١٠٠٩هـ) فصارت تصدر الافيون الى الصين من مزارعها في البنغال ولما منعت الصين ذلك، شعلت بريطانيا معها حرب (الافيون)[٣].

---

[١] زقزوق ،الخلفية الفكرية ، ٢٨ ؛ وايضاً :الشاوي ،الغزو الفكري الاوربي ، ٩٠ .

[٢] نـاجي ، د.عـبد الجـبار ،تطور الاستشراق في دراسة التراث العربي ،دار الجاحظ (بغداد ؛ ١٩٨١م) ص١١-١٣ بتصرف .

[٣] السامرائي ، الاستشراق ، ٣١ .

الرابع : الصراع الداخلي

فقد كان الصراع على اشده فيما بين امراء وملوك اوربا وما بين بابا روما علـــى السـلطة، ممـــا ادى الى ان تســـود فكرة استثمار الشرق متنفساً وفراغ قوة لامتصـــاص فـــائض الطاقات التمردية في اوربا، تلك القوى التي هددت الاستقرار السياسي والاداري ؛ وقد وصف جند الصليبيين بانهم كانوا ((جهلة فاسقين ودنيويين يغـــلب عـــليهم الـــتطرف الوحشي)) وقد ظهرت مخاطر داخلية متاتية من بعض القوميات الاوربية المنذرة بخطر الانتشار والغزو، كالنورمان، لذا بدأت الحكومات تفتش عن مخارج لامتصاصها وتوجيهها في قنوات تؤول إلى خارج اوربا [1]

الخامس : الدافع الديني خارجي

لقـــد تعرض الدين الاسلامي، والرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، فضـــلا عـــن العـــرب -حملة رسالة الاسلام- الى حملات التشويه والتضليل، منذ ظهـــور الاسلام وبدايات امتداده في فتوح العراق والشام ومصر، اذ واجه الاسلام حين ظهوره اصحاب الديانات التي سبقته -اليهودية والنصرانية- ولم يكن موقفها -في الغالب- ودياً فاليهود اعتقدوا بان النبوة والرسالة حكراً عليهم لايشاركهم فيها احـــد ؛فهـــم -باعتقادهم- الشعب المختار وغيرهم من الامم (أميون) سامعون لهم ومطيعون.وفي القرآن الكريم حاكياً عنهم ((وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحـــباؤه، قـــل فلم يعذبكم بذنوبكم، بل انتم بشر ممن خلق)) المائدة، ١٨. ويحكى عـــنهم ايضـــاً نظرتهم الاستعلائية: ((ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الاميين سبيل ويقولـــون على الله الكذب وهم يعلمون)) آل عمران، ٧٥. ويلخص القرآن الكريم

---

[1] الدعمي ، د. محمد حسين ، المتغير الغربي، ط١، دار الشؤون الثقافية (بغداد،)، ص ٨ ، ٣٦ بتصرف .

موقف الملتين السابقتين مخاطباً الرسول صلى الله عليه وسلم ((ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم، قل ان هدى الله هو الهدى)) البقرة، ١٢٠.

وقاد اليهود اولاً حملات التشكيك ضد نبي الاسلام صلى الله عليه وسلم فكانوا يلقنون المشركين من العرب ممن لهم بهم نوع صلة، الاسئلة الحرجة – في نظرهم– ليسألوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قص القرآن تلك الاسئلة: فقد سألوا عن اصحاب الكهف وكم كان عددهم ؛وسألوا عن ذي القرنين ما خبره؛ وسألوا عن الروح ما هي ؟

فذكر القرآن جواب اول سؤال فقال ((نحن نقص عليك نبأهم بالحق انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى)) الكهف ١٣، وعن ذي القرنين قال تعالى ((ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكراً)) الكهف ٨٣ وعن الروح ((ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلاً)) الاسراء ٨٥ ولما لم تنفع الحملات اليهودية الاعلامية، انتقلوا الى التحريض الحربي، فكانت معارك احد (٣ هـ)، وبني قينقاع (٣هـ)، وبني النضير (٤ هـ)، والخندق وبني قريظة (٥ هـ) وخيبر(٧ هـ) وقد افاضت كتب المغازي والسيرة بتفصيل هذه الوقائع ودوافعها[١].

اما النصارى في الجزيرة العربية فلم يتصدروا محاربة الدين الجديد وذلك ربما اكتفاءاً بما يقوم به اليهود، او لقلة اعدادهم مقارنة بيهود في المدينة المنورة قاعدة الدولة الاسلامية، وبسبب ديني ذكره القرآن الكريم ((لتجدن اشد الناس عداوة

---

[١] انظر على سبيل المثال: الواقدي ، محمد بن عمر (ت ، ٢٠٧ هـ) مغازي رسول الله، ط١، مطبعة السعادة (القاهرة ، ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م) .

للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا، ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بان منهم قسيسين ورهباناً وانهم لايستكبرون)) [1] المائدة ٨٢.

ثم جاء عهد الفتح الاسلامي فامتد الاسلام في فتوحه الى العراق والشام ومصر وافريقيا، فلم تهدأ المجابهة الفكرية مع اصحاب الديانات الاخرى وان كانت المجابهة العسكرية قد حسمت في اليرموك (١٤ هـ) والقادسية (١٥ هـ)، وفتح مصر (٢١ هـ). [2]

دخل البعض في الاسلام ظاهرياً ولم يخلصوا للعقيدة الجديدة، فكان كعب الاحبار ووهب بن منبه ممن أدخلوا في الاسلام عقائد واحاديث باطلة واشاعوا القصص الاسرائيلي مما قصد به صرف الناس عن القرآن الكريم والسنة الصحيحة.وكان لعبد الله بن سبأ دور خطير اذ تولى –الى جانب بث الاباطيل– تأليب الناس الدهماء على الخلافة الراشدة في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه وقد ادى ذلك الى مقتل عثمان في فتنة عظيمة عام (٣٦ هـ).

---

[1] تذكر كتب السيرة المواقف الايجابية تجاه الاسلام التي وقفها علماء اهل الكتاب الذين عاصروا النبي صلى الله عليه وسلم ،منهم ورقة بن نوفل الذي بشر النبي بالرسالة ،وعبد الله بن سلام الذي اسلم ،وموقف الساسة ايضاً كالنجاشي ملك الحبشة وقد اسلم ،وموقف هرقل ملك الروم في الشام اذ صدق بما جاء به النبي واعتقد انه رسول من الله لكنه لم يسلم، وموقف المقوقس عظيم القبط بمصر اذ اجاب على الرسالة الموجهة اليه من رسول الله بان ارسل هدية.
انظر : ابن هشام ،عبد الملك بن محمد (ت ، ٢١٨هـ) السيرة النبوية ،تحقيق ، محمد محيي الدين عبد الحميد ،دار الفكر العربي (القاهرة ، بلا) .

[2] كانت اول مجاهة عسكرية خارج الجزيرة العربية على عهد النبي صلى الله عليه وسلم هي غزوة مؤتة (٨ هـ) ثم تبوك (٩ هـ) التي لم يحصل فيها قتال .

وفي الشام قام يوحنا الدمشقي (ق ٧-٨م) بوضع مؤلفات القصد منها القاء الشبهات حول الدين الاسلامي، منها كتاب ((محاورة مع مسلم)) و ((ارشادات النصارى في جدل المسلمين)) [١].

فمنذ البداية، كان الاسلام يشكل تهديداً حقيقياً لاوربا بصورة لم تظهر من قبل في أي جزء من اجزاء ((الشرق))، على الرغم من ان بدايات الفتوحات العربية الاسلامية نحو العراق وبلاد الشام ومصر كانت حوادث بعيدة نسبياً لاوربا في ذلك العصر، اذ ان انتصار الاسلام في اليرموك (١٤ هـ) لم ينتقص شيئاً من اراضٍ اوربية.لكن من الطبيعي ان يسترعي الاسلام نظر رجال الدين المسيحي منذ ظهر وانتشر في المشرق والمغرب بسرعة مدهشة، فيذكر ((الكاردينال كوينج)) رئيس اساقفة النمسا، ان ((الصلات بين الاسلام والمسيحية قديمة. ولابد ان نعترف انها لم تكن دائماً صلات ودية. ثم التقى الاسلام بالمسيحية في الاندلس، واقبل المسيحيون على دراسته ودراسة العربية وادابها بحماسة استرعت نظر رجال الدين المسيحي، حتى شكا الاسقف ((الفارو)) بحرارة في احدى مواعظه عن معاصريه فقال : ان كثيراً من المسيحيين يقرأون الشعر العربي والقصص العربية ويدرسون فلسفة المسلمين وفقههم لا لدحضها بل لاتقان العربية والتعبير بها ببلاغة وعذوبة، ولكنك لا تكاد تجد من يقرأ باللغة اللاتينية الكتب المقدسة او من يدرس الانجيل والانبياء والرسل. ياويل !

ان الشباب المسيحيين الاذكياء لا يعرفون سوى اللغة العربية وآدابها، ويقولون بملء اصواتهم على مسمع من الكل ان هذه الآداب تستحق الاعجاب.يا

---

[١] يوحنا الدمشقي (٦٧٦-٧٤٩م) هو حفيد منصور بن سرجون وزير معاوية بن ابي سفيان (رض) ،نبغ في علم اللاهوت والفلسفة والخطابة والتاريخ والشعر ، واثبت حرية الانسان ضد من انكرها .انظر : العقيقي ،نجيب ، المستشرقون ،ط٣، دار المعارف (القاهرة ١٩٦٤) ص٧٨ وايضاً الحسيني ،الاستشراق نشأته وتطوره ، ٣ .

لـلعجب لقد نسي المسيحيون حتى لغتهم، ولا يكاد يوجد واحد من الالف يمكنه ان يـتقن كـتابة رسالة باللغة اللاتينية لصديقه، بينما ترى بالعكس العدد العديد منهم يتقـنون اللغة العربية كل الاتقان، وينظمون بها الاشعار بحذق وبلاغة واناقة اكثر مـن العـرب انفسـهم [1]. وكـرد فعل عكسي، ادى ذلك الى قيام رجال اللاهوت المسيحي في اوربا بدراسة الاسلام للوقوف في وجهه وحماية المسيحيين الاوربيين مـنه.واتـبعوا فـي ذلك تشويه حقائق الاسلام، وصوروه حركة منشقة، واصبح ((تهمة)) تستخدم ضد المتخاصمين في نقاش فكري او جدال ديني، فقد وصف احد الاساقفة مفكراً يختلف معه في الآراء بانه ((مسيحي محمدي)) [2] وقد وصفوا النبي محمـداً صـلى الله عليه وسلم بانه ((اله وثني)) ومسيحي ((منشق)) وتعدّ انشودة (رولانـد) المشـهورة مثالاً على هذا الاتجاه، حيث يوصف المسلمون بانهم عباد اصنام ولهم ثلاثة الهة هي ((تيرفاجان)) و ((محمد)) و (ابولو)) [3].

ومما زاد في تعقيد صورة الاسلام في الذهنية الغربية، ما حصل من تماس خطيـر عسـكري الطـبيعة، حوالـي عـام ١٠٩٥م الذي يؤشر البداية لحملات

---

[1] كراتشوفسـكي ،اغناطيوس ،دراسات في تاريخ الادب العربي ،موسكو ١٩٦٥ ص٥٩ ،نقلاً عن :الحسيني ،اسحاق موسى ،الاستشراق نشاته وتطوره، ص٣ .

[2] خلال القرون الوسطى -الحملات الصليبية ، ردت الكنيسة بحملة قاسية لتثبيت الايمان المسيحي من خلال تحقير منظم لصـورة العربي لدى الاوربي الذي بدأ يعيد النظر فيما يصور له من احوال الشرق ،اذ سرى ((الاندهاش امام الاسلام وقادته)) في اوساط المثقفين والعامة ، ومنه اعجاب واسع بشخصية صلاح الدين الايوبي ،حتى جعلوه في الاساطير بطلاً غربياً هرب نحو الشرق .انظر :الدعمي ، ٣٨ ؛وايضاً : سلامة ، غسان ، عصب الاستشراق ،مقال له ،مجلة المستقبل العربي العدد (٢٣ مجلد ٣ لسنة ١٩٨١ ص٤-٢٢).

[3] زقزوق ،الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ، ص٢٢ ،وانشودة رولان (chanson de Roland) هـي اكـثر الملاحم شهرة وتقص حدثاً حقيقياً :كمين وقع فيه ظهر جيش (شارلمان) الذي كان يقوده (رولان) بممر (رنسـفو) في ١٥ اغسطس عام ٧٧٨م ،وتصف الرواية المعركة بانها حرب مقدسة قام بها شارلمان ليؤمن حدوده ضد تسـلل الشعوب المجاورة .انظر : بوكاي ،موريس ،القرآن والتوراة والانجيل والعلم، اصدار جمعية الدعوة الاسلامية في ليبيا (طرابلس، بلا) ص٢٢ .

الصـــليب.فقد وضعت الكنيسة كامل ثقلها في نشر جو شعبي صليبي معاد، وتعبئة نفســية مناهضـــة للاسلام حيث بدا الانخراط في هذه الحملات واجباً مقدساً [1].وقد دامــت هذه الحملات قرنين كاملين (١٠٩٥-١٢٩١م) وقد ولدت اضغاناً من شأنها ان تشوه الصورة وتنأى بها عن الحقيقة !

وزاد اقبال رجال الدين المسيحي على دراسة الاسلام بعد الحروب الصليبية ورأوا ان الصراع العسكري مع الاسلام لايكفي لاسقاطه، فلا بد من فهم مضموناته ومحاولـــة نقضها.فكانت الغاية من الدراسة ضرب ارادة المقاومة عند الخصم عن طـــريق تشكيكه بصحة عقيدته ؛حتى ان (بطرس المبجل ت ١١٥٦م) الذي اعتبر مسؤولاً عن اول ترجمة للقرآن الكريم الى اللاتينية، رأى في الاسلام منبعاً لجميع الهـــرطقات الـــتي كانت تغزو المسيحية آنذاك، وكان هدفه من ترجمة القرآن هو التعرف على الاسلام للتمكن من مكافحته.ودعا روجر بيكون في القرن الثالث عشر الميلادي الى نشر المسيحية سلماً عن طريق الفلسفة، رغم اعتقاده ان المسلمين هم اصحاب الفلسفة التي وصلت -عن طريقهم- الى الاوربيين [2].

ومـــع منتصـــف القـــرن الخامس عشر اصبح واضحاً للمفكرين الغربيين الجادين ان عليهم ان يفعلوا شيئاً ما حول الاسلام، الذي كان قد قلب الموقف بعض

---

[1] الدعمي ، المتغير الغربي ، ٣٦ .

[2] حســـن ، محمد ابراهيم ،الاستشراق واثره على الثقافة العربية ،مقال في مجلة رسالة الخليج العربي ،العدد ٢٦ ،السنة الثامنة ،الرياض ١٤٠٨هــ/١٩٨٨م ،ص٤٠-٤١ ؛ ويعتبر ام ١٢٢٩م اول عهد للاوربيين بالتبشير ،كما يعد ((ريمون لول)) الاسباني الاصل اول من تولى التبشير بعد فشل الحروب الصليبية ،وقد امضى عشر سنوات في اعداد اعوانه الذين اوفدهم الى شمال افريقيا للتبشير بالمسيحية الكاثوليكية بين المسلمين ،كما طالب روما بفتح مدارس تبشيرية لهذا الغرض .انظر : الشاوي ، عبد الباسط عبد الصمد ،الغزو الاوربي للفكر العربي الاسلامي ،رسالة ماجستير غير منشورة ،جامعة بغداد - كلية الشريعة (١٤٠٧هــ/١٩٨٧م) ص٣٢ .

الشـــيء بوصوله عسكرياً الى اوربا الشرقية [1]. وحاول اربعة رجال بضمنهم البابا (بولـــس الـــثاني) ان يعـــالجوا الموقف من خلال مؤتمر يحاول فيه المسيحيون ان يحملوا المسلمين على اعتناق المسيحية بالجملة، ويوضحوا من خلاله ان الاسلام لم يكـــن اكثر من صورة معدولة ضالة للمسيحية [2] وحتى اواخر القرن السابع عشر، نجـــد الخـــوف، العـــدا، الجهل، عوامل يسهل تسجيلها في الكتابات الاوربية عن الاسلام. فهذا الشاعر الايطالي -دانتي- كشاهد مبكر في الزمن يضع النبي محمداً صـــلى الله عـــليه وســـلم في ادنى مقاعد الجحيم.. في المكان المخصص للملحدين والمنشـــقين الذين خرجوا عن صفوف المؤمنين ! وهناك (ديربيلو) العالم الفرنسي الـــذي وضـــع احد المراجع المبكرة عن (الشرق) اسماه (المكتبة الشرقية) طبع في ١٦٩٧م وبقي المرجع الرئيس السائد في اوربا حتى اوائل القرن التاسع عشر، وفيه قســـم الـــتاريخ الى نوعين : مقدس ومدنس، وكان اليهود والمسيحيون في الاول، والمســـلمون في الثاني ؛ثم وصف النبي محمداً صلى الله عليه وسلم بانه ((منتحل مزيف..انزل مذهبه الشاذ)) اضراراً بالغة بالمسيحية [3].

وفـــي خطاب مؤرخ في ٩ مايو ١٦٣٦م الى مؤسسي كرسي اللغة العربية بجامعـــة كمـــبردج، يذكر المسؤولون عن الجامعة سبب انشائه ((ونحن ندرك اننا لانهدف من هذا العمل الاقتراب من الادب الجيد..ولكننا نهدف ايضاً ال تقديم خدمة نافعـــة الى الملك والدولة عن طريق تجاراتنا مع الاقطار الشرقية، والى تمجيد الله

---

[1] وذلـــك بظهـــور العثمانيين واندفاعهم في قلب اوربا واسقاط ممالكها تباعاً حتى حاصروا فيينا عام (١٥٢٩م) ولولا تحرشات الصفويين ودخولهم بغداد عام (١٥١٧م) لامكن للعثمانيين تغيير موازين القوى العالمية آنذاك .

[2] أ. سعيد ،الاستشراق ، ٩١ .

[3] م.ن ، ٩٣-٩٤ .

بتوسيع حدود الكنيسة، والدعوة الى الديانة المسيحية بين هؤلاء الذين يعيشون الان في الظلمات [1].

وفي واقع الحال، ان هذه العاصفة العاتية للطعن في الاسلام ونبيه وعقيدته، لـم تهـدأ -الا نسبياً- خلال القرن الثامن عشر المسمى عصر الاستنارة وعصر الرومانسية.لكن ما ان دخل القرن التاسع عشر -قرن الانداياح الاستعماري- حتى تناست اوربا الامبريالية ما انتجه فلاسفتها العقلانيون في القرن الذي سبق، فعادت فعلياً الى تبسيطات وتعميمات القرون الوسطى، محافظة على ما تحمله من الازدراء والكراهية ومطورة بعضاً من جوانبها الاكثر سخفاً [2].

والخلاصة، ان الاستشراق بدأ تبشيرياً محضاً، وان العصب الديني هو العصب الحساس لهذه الحركة، والهدف الديني الذي تبناه رجال اللاهوت المسيحي كان يسير منذ البداية في اتجاهات ثلاثة متوازية، تعمل جنباً الى جنب، تتمثل في [3].

١- محاربة الاسلام والبحث عن نقاط الضعف فيه، والزعم انه ماخوذ عن النصرانية واليهودية والانتقاص من قيمه والحط من قدر نبيه محمد صلى الله عليه وسلم.

٢- حماية النصارى من التاثر بالعقيدة الاسلامية، والخوف من نبذهم العقيدة المسيحية.

---

[1] نقلاً عن الطيباوي ،عبد اللطيف ،المستشرقون الناطقون بالانجليزية ،دراسة نشرت بعدد يوليو سنة ١٩٦٣ م بمجلة THE MUSLIM WORLD ،ترجمة فتحي عثمان؛ وقد الحقها الدكتور محمد البهي بكتابه: الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي .

[2] رودنسون ،مكسيم ،جاذبية الاسلام ،ترجمة الياس مرقص، ط١، دار التنوير (بيروت، ١٩٨٢م) ص٥٥

[3] زقزوق ، الاستشراق والخلفية الفكرية ، ٧٢ .

٣- التبشـــير وتنصير المسلمين ما امكن ذلك، والا فاضعاف الاسلام في نفوسهم، وتركهم بلا دين.

ان هذه الاتجاهات مازالت موجودة تعمل من وراء ستار بوعي او بغير وعي.فمن الصـــعب عـــلى المستشـــرقين النصـــارى -المشتغلين بدراسة الاسلام- واكثرهم متديـــنون، ان ينسوا انهم يدرسون ديناً ينكر اهم عقائدهم في التثليث والفداء، او ان ينســـوا ان الديـــن الاسلامي قد ازاح النصرانية في كثير من بلاد الشرق ؛كما وان التنافس اليوم على اشده في ربوع قارة افريقيا بين دعاة الاسلام ومبشري النصرانية مـــن اجـــل كســـب الوثـــنيين، وان كـــانت الوسائل والامكانيات متباينة جداً بين المتنافسين[١].

السادس : الدافع الاستعماري

كـــان انطلاق حركة (الاستكشافات) الجغرافية [٢]، التي توافقت مع اكتشاف الـــبارود وبروز الكيانات القومية الجديدة في اوربا، وخروج المسلمين الدامي من

---

[١] نشير الى ان الرئيس الامريكي السابق جيمي كارتر يعمل اليوم مبشراً في قارة افريقيا ،ويتوسط لدى المسؤولين فيها في كل ما من شأنه تسهيل مهمة المبشرين ،وكذلك ارسلت -تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا سابقاً- احد اولادها الى افريقيا في مهمة تبشيرية ،وكان ان سقطت به الطائرة فلقي حتفه ،فكان رد فعل الام الها قالت :احشى ان يكون المسيح غاضباً عليه فلم يوفق في عمله! .

[٢] عـــرف العرب اوربا-عدا اطرافها الشمالية- وعرفوا النصف الجنوبي والشرقي من اسيا وافريقيا الشمالية وسواحلها الشرقية ، ووصفوا المناطق التي اكتشفوها بدقة ..وظلت هذه المعلومات التي قدمها العرب مصدراً مهماً للغرب افاد منه (الرحالة والرواد) الاوربيون في عصر النهضة امثال (ماركو بولو) الذي استقى معلوماته من رسوم المسلمين البحرية في ســـيلان ،ومحـــاولات (بارثولمي دياز) البرتغالي للوصول الى الهند عن طريق افريقيا عام ١٤٨٧م ، ورحلة (فاسكودي كامـــا) الى الهـــند عام ١٤٩٨م حيث استعان هذا (الرحالة) بالربان العربي (ابن ماجد) الذي قدم له معلومات ملاحية دقيقـــة عن رحلته اضافة الى الاجهزة الملاحية التي اهداها له .فالاوربيون اسموها (استكشافات جغرافية) كالها لم تكن مكتشفة من قبل ،وذلك لاسباغ فضل ذلك السبق العلمي على الاوربيين دون غيرهم ؛وللتضليل عن الغايات غير المعلنة لهـــذه الحـــركة ،والتي اهمها تطويق للعالم الاسلامي تمهيداً للسيطرة عليه ثم التمهيد للتبشير بالمسيحية ،وفي ذلك يقول الـــرحالة البريطاني (ولفنجستون، ١٨١٣-١٨٧٣م): ((ان نهاية الاكتشاف الجغرافي هي بداية العمل التبشيري ،وهذه

الاندلس، وراء الاهتمام المتزايد بالشرق، وتكريس هذه الحركة لاغراض الاستعمار واستثمار خزائن الشرق الطبيعية.ففي المرحلة الاولى لهذه الحركة، تم تقسيم الشرق بين اسبانيا والبرتغال وفق معاهدة ١٤٩٤م التي باركها البابا الكسندر السادس [١].

وقد ادى اكتشاف (فاسكودي كاما) لرأس الرجاء الصالح سنة ١٤٩٨م الى اسـوأ الاثر على اقتصاديات البلاد العربية والاسلامية.وفي ذلك يقول (البوكويرك) امبراطور البرتغال ((انه من المؤكد اننا اذا انتزعنا تجارة ((ملقا)) من العرب، فان القاهـرة ومكة ستتدمران تماماً)) [٢] بل ان (دي كاما) نفسه افصح عن غرض ابعد مـن ذلـك عندما اكمل رحلته إلى جزر الهند الشرقية (اندونيسيا) قال عند وصوله اليها : ((الآن طوقنا رقبة الاسلام ولم يبق إلا جذب الحبل فيختنق ويموت)) [٣]

ثـم دخلت اوربا عصر الصناعة والانتاج الواسع (Mass production) بعـد ان سـاد المبدأ الاقتصادي ((دعه يعمل دعه يمر)) يقصد به الحرية المطلقة لرأس المال، ثم مبدأ تقسيم العمل واستخدام الآلة باكتشاف قوة البخار.عندها وجدت القـوة السياسـية الحاكمة نفسها في مركز القوة بعد ان شملت تطويرات الصناعة الماكنة العسكرية ووسائط النقل والتجهيز، دون ان يؤدي الا الى تجنب الاحتكاك - ما امكن- مع المجاورين الاوربيين الاقوياء.

تبايـنت آراء الفرقاء الاقوياء في مسألة تصريف فائض القوة، فالمانيا بعد الوحـدة كان يسودها رأي بسمارك بالابتعاد عن مشاكل التدخل الخارجي، والاتجاه

حقيقة كلية . اذ ان من المحال ان تكتشف اراضي جديدة بدون ان ينبه ذلك فينا شوق دعوة اهلها إلى الانجيل)) انظر: مجموعة مؤلفين، اثر العرب والاسلام في النهضة الاوربية ،اليونسكو (الهيئة المصرية للتأليف والنشر ،(القاهرة ، ١٩٧٠م) ص١٦٧ ؛وايضاً :الشاوي ، الغزو الفكري الاوروبي ٣٤-٣٥ .

[١] الدعمي ، المتغير الغربي ، ٩-١٠ .

[٢] م . ن ، ١٠ .

[٣] قطب، محمد،كيف نكتب التاريخ الاسلامي،ط١، دار الكتاب الاسلامي(طهران ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م) ص١٧٢.

بــدلاً عــن ذلــك الى ترصين الوحدة القومية وتطوير الاقتصاد ومواجهة المشاكل الداخــلية.فــي حيــن نرى بريطانيا تندفع خارجياً وفقاً لريادتها الصناعية المبكرة ولضرورات محدودياتها الجغرافية، وللمحافظة على تاج مستعمراتها أي الهند. ولم تكن فرنسا اقل طموحاً من بريطانيا في تطلعاتها الاستعمارية.وصادف ذلك كله تولد فــراغ قــوة في اسيا وافريقيا، بعد تدهور الدولة العثمانية وضعفها العسكري بنحو خــاص ؛ممــا دفع الاقوياء في الاندفاع لملء اكبر مجال في فضاء ((فراغ القوة)) الاسيوي الافريقي.[1]

ففي مثل هذه الظروف ياتي دور الاستشراق يسبق الجيوش ويعبد طرائقها ويملأ خزائنها البيانية مكوناً بذلك جهازاً علمياً ذكياً استخبارياً. حتى ان المؤسسات السياســية والاستعمارية استغلت رغبات الاستكشاف والترحال، ووظفت الافتتانات الرومانسية والروحية السابقة وحولتها باتجاهات مصلحية، ودعمتها مالياً وقانونياً [2] ؛ولــم يعد المستشرق هاوياً موهوباً مليئاً بالحماسة، ولم يعد ((الشرق صنعة)) ولم تعــد الكــتابة عــن مصر مثلاً او سورية او تركية تماماً كان يسافر فيها، بل هي تطــواف في عالم الارادة السياسية، وتدريب في الممارسة الماكرة للادارة السياسية لقــوى فعــلية في اقاليم جغرافية فعلية.وبحلول ١٨٥٠م كان قد اصبح لكل جامعة رئيسية في اوربا منهج متكامل في احد فروع الدراسات الشرقية [3].

---

[1] لقد تسارع الاهتمام الذي اولته القوى العظمى –الامبراطوريات الاوربية– للشرق ولشرقي المتوسط خاصة .انه ومنذ وقعــت معــاهدة شنك عام ١٨٠٦م بين الامبراطورية العثمانية وبريطانيا العظمى ،فقد كانت المسألة الشرقية تحوم في الافق الاوربي المتوسطي بصورة بارزة وكانت مصالح بريطانيا في الشرق اضخم من مصالح فرنسا ؛ولا ننسى تحركات روســيا الى الشــرق فقد احتلت سمرقند وبخارى عام ١٨٦٨م ،وكان الخط الحديدي عابر الخزر يزداد امتداداً بانتظام ..انظر : أ . سعيد ،الاستشراق ، ٢٠٣ ؛الدعمي ،المتغير الغربي ، ٨٩

[2] الدعمي ، المصدر السابق ، ٢٦ .

[3] أ . سعيد ،المصدر السابق ، ١٨٤ ، ٢٠٣ .

لقد ساهم الاستشراق في تشكيل طبيعة التفكير الغربي بالشرق، وعلى نحو ما ادى الى توجيه السلوك الغربي نحوه :في سياساته الخارجية، في اعلامه ووسائل اتصالاته، وفي تناوله الخاص في عالم مليء بالمتغيرات ومزدحم بالصراعات والحوارات وكان الاستشراق مؤثراً لانه تناسب تماماً مع نمط عصر الثورة الصناعية، وقدم للغرب اكثر الاجابات اهمية وفائدة لمتطلبات عصر الماكنة والانتاج الواسع والتسابق نحو الاستعمار والنفوذ والمصالح، وقد ذهب المستشرقون الى فكرة ابقاء الشرق تابعاً وفضاءً خالياً يمتص المنتجات المصنعة ويذعن للسلطوية الغربية [1].

وتواكبت مرحلة التقدم الضخم في مؤسسات الاستشراق، وفي مضمونه مع رحلة التوسع الاوربي في الشرق [2].ونشأت رابطة وثيقة بين الاستشراق والاستعمار، فظهرت طائفة من المستشرقين لخدمة الاستعمار واغراضه.والامثلة كثيرة : ففي فرنسا عمل عدد من المستشرقين مستشارين لوزارة المستعمرات الفرنسية في شؤون شمال افريقيا ؛ منهم المستشرق الكبير ((دي ساسي)) الذي شغل منصب المستشرق المقيم في الخارجية الفرنسية.وعندما غزا الفرنسيون الجزائر عام ١٨٣٠م كان هو الذي ترجم البيان الموجه للجزائريين، وكان يستشار من قبل وزير الخارجية ومن قبل وزير الحربية ايضاً.والى عهد قريب كان ((ماسينيون)) مستشاراً للادارة الاستعمارية الفرنسية في الشؤون الاسلامية.وفي المانيا قام (كارل هينريش بيكرت ١٩٣٣م) مؤسس (مجلة الاسلام) ١٩١٠م بدراسات تخدم الرايخ الالماني في المستعمرات الافريقية التي حصل عليها في ١٨٨٥-١٨٨٦م وتضم مناطق ربع سكانها من المسلمين وبقيت تحت سيادة المانيا

---

[1] الدعمي ،المصدر السابق ، ٢١-٢٢ ، ١٤ .

[2] شاخت ، وبوزورث ،تراث الاسلام ،ترجمة حسين مؤنس والعمد ،سلسلة عالم المعرفة ج١ (الكويت ، ١٩٧٨م) ص ٨٣ .

حـــتى عـــام ١٩١٨م. ومن اجل ذلك تأسس معهد اللغات الشرقية في برلين عـــام ١٨٨٧م.

اما (بارتولد، ت ١٩٣٠م) مؤسس مجلة (عالم الاسلام) الروسية، فقد كلفته روسيا ببحوث تخدم مصالح استعمارها لاسيا الوسطى الاسلامية [١].

وفـــي ســـبيل استعداده للخدمة الاستعمارية، توجه الهولندي الشهير (سنوك هورجـــرونيه، ت ١٩٣٦م) الى مكة عام ١٨٨٥م بعد ان انتحل اسماً اسلامياً هو (عـــبد الغفار)، واقام هناك ما يقرب من نصف عام وهو يجيد العربية كاحد ابنائها وقـــد لعـــب دوراً مهماً في السياسة الثقافية الاستعمارية تجاه مستعمرات هولندا في الهند الشرقية، وكان يشغل مناصب قيادية لدى السلطة الهولندية في اندونيسيا [٢].

وفـــي بـــريطانيا، كـــان اللورد (كيرزون) في اوائل القرن الحالي من اشد المتحمســـين في انكلترا لفكرة انشاء مدرسة للدراسات الشرقية تحولت فيما بعد الى مدرســـة جامعة لندن للدراسات الشرقية والافريقية.ويكفي ان نذكر ما قاله الدكتور ابـــراهيم اللبان لبيان ارتباط المستشرقين بدوائر الاستعمار، يقول رحمه الله :((وقد ســـمعت احـــد كبار المستشرقين يتحدث امامي فيذكر ان مستر (ايدن) كان قبل ان يضـــع قـــراراً سياسياً في شؤون الشرق الاوسط، يجمع المستشرقين المستعمرين، ويستمع الى آرائهم، ثم يقرر ما يقرر في ضوء ما يسمعه منهم، هذا الى ان بعضهم كـــان يؤســـس صـــلات صداقة بالبارزين من رجال الامة العربية، ويتخذ من هذه الصلات ستاراً يقوم من ورائه باعمال التجسس في اثناء الحرب)) [٣].

---

[١] زقزوق ،الاستشراق والخلفية الفكرية ،٤٣-٤٥ .

[٢] زقزوق ،الاستشراق والخلفية الفكرية ، ٤٥-٤٦ .

[٣] المستشـــرقون والاسلام ،ملحق بمجلة الازهر ،صفر ١٣٩٠هــ/نيسان ١٩٧٠م ص١٨ . ويبين أ . سعيد ان تأسيس مدرســـة الدراســـات الشرقية تعد بنظر كيرزون (التزاماً امبراطورياً عظيماً ..هو جزء ضروري من تاثيث الامبراطورية

وهكـــذا اتجـــه الاستشراق الى خدمة دوائر الهيمنة الاستعمارية سواءً في المجالات العسكرية او السياسية او في ميادين الدراسات الانسانية والنفسية للشعوب المغـــلوبة لمعـــرفة سبل اضعاف المقاومة الروحية والمعنوية لدى هذه الشعوب لا ســـيما المســـلمة ليـــتم فـــي النهاية خضوعها الكامل وسباتها العميق امام الغرب المستعمر.

..وان اولـــئك الذيـــن يشـــاركون ..عـــن طريق الدعم المالي او أي شكل اخر من العون .. يؤدون واجباً وطنياً تجاه الامبراطورية ..انظر : الاستشراق ٢٢٤ .

الفصل الثاني

مراحل الاستشراق ومنهجيته

المبحث الاول

مراحل الاستشراق

تمهيد

مـــر مفهـــوم الاستشـــراق بمراحل مختلفة تأثر خلالها بعوامل شتى، ومن العسير تحديد الاستشراق بسنة معينة كبداية لتاريخه. انما يمكن القول ان الكتابة عن الشـــرق والاســـلام فـــي اوربا بدأت بشكل بسيط وغير منظم منذ ان بدأ الاسلام بالانتشار في المشرق والمغرب بسرعة مذهلة مما استرعى اهتمام رجال المسيحية آنذاك فكان ما يمكن ان نسميه :

المرحلة الاولى : وهي المبكرة وتمتد حتى عصر النهضة الاوربية

ومـــن الباحـــثين من يراها تمتد حتى القرن الثامن عشر الميلادي [1]. كانت الكتابة في بداية امرها محاولة انفعالية لتصوير الاسلام بصورة مشوهة لاتقوم على اســـاس دراسة صحيحة، وكان للفتوح الاسلامية الاولى الاثر الاكبر في رسم هذه الصـــورة، التي يصفها رودنسون ((شكل المسلمون بالنسبة للغرب المسيحي لفترة طويلة جداً خطراً قبل ان يصبحوا معضلة. كان قد جرى انتقال للسلطة في مناطق الشـــرق الـــنائية وكان شعب صاخب وناهب وغير مسيحي اجتاح اقطاراً شاسعة منـــتزعاً اياهـــا مـــن ملك المسيحية وارتكب الساراسين اعمال تخريب مرعبة بعد اســـتيلائهم عـــلى اورشليم واجتاحوا مصر ونهبوا الاسكندرية وفتكوا بافريقيا ... وفتكت جائحة مرعبة ببلاد الغول واحدثت فيها مجزرة محزنة (؟!) لكنهم بعد قليل

---

[1] عبد الجبار ناجي، تطور الاستشراق، ٩٠

نـــالوا في هذه البلاد العقاب الذي يوجبه فسقهم)) [1] هذا هو الاصل الاول للصورة السيئة وهي بنت خيال المهزوم.

ويرى البعض ان هذه المرحلة بدأت بجهود فردية، يذكر منها جهود (يوحنا الدمشـــقي) الـــذي ســـبقت الاشارة اليه، وعنه يقول ابو العلا عفيفي :((انه وتلميذه تيـــودوروس أباكـــاره)) وضـــعا رسائل في الجدل والمناظرة على طريقة السؤال والجواب : اذا سالك المسلم كيت وكيت فقل له كذا وكذا. .)) [2] ثم ان مؤلفاً يدعي انـــه كان مسلماً وارتد عن الاسلام وآمن بالمسيحية، اسمه عبد المسيح بن اسحاق، نشـــر رسالة منتحلة بمثل ماورد عن (يوحنا الدمشقي)، وقد اعاد نشرها المبشرون في القرن التاسع عشر بلندن. [3]

وهـــناك مـــن يجعل بداية الاستشراق -كحركة منظمة- ترجع الى القرن العاشر الميلادي، اذ قصد بعض الرهبان الغربيين الاندلس ابان مجدها، وتثقفوا في مدارســـها وتتلمذوا على علماء المسلمين واول من اشتهر منهم (جربرت) الفرنسي الذي اصبح بعد عودته حبراً اعظم لكنيسة روما عام (٩٩٩-١٠٠٣م) باسم سلفستر الثاني، وقد امر بانشاء مدرستين عربيتين، الاولى في ايطاليا -مقر خلافته، والثانية في (ريمس) من اعمال فرنسا [4].

وفي عام (١٠٨٥م) استولى (الفونسو السادس) على طليطلة التي كانت من اكـــبر حواضر العلم الاسلامي في الاندلس، والى ديرها (دير كلوني) سارع طلاب

---

[1] رودنسون، جاذبية الاسلام، ص ١٥-١٦ والغول او الغال هي فرنسا والعقاب يقصد به معركة بلاط الشهداء (بواتيه) (١١٤هـــ/٧٣٢م) التي انكسر فيها المسلمون.

[2] انظر : التأويل العقلية والصوفية في الاسلام، بحث منشور من كتاب ((الاسلام الصراط المستقيم)) باشراف كينث و مورغان، ط٢، مؤسسة فرانكلين، ج١ (١٩٦٦) ص٢٣٠.

[3] عبد الحميد، عرفان، المستشرقون والاسلام، (بغداد، ١٩٦٩) ص٩-١٠.

[4] العقيقي، المستشرقون، ١/١٢٠ ؛ عبد الجبار ناجي، تطور الاستشراق، ٨٧.

العلم والمترجمون وصار (الدير) مركزاً لنشر الثقافة الاسلامية تحت توجيه رجال اللاهــوت ورهبان النصرانية الاسبانية [1]. ويذهب الاستاذ سالم البيض الى مثل هذا الرأي اذ يقول : ((فالاستشراق اذاً يرجع الى القرنين العاشر والحادي عشر، وهي الفــترة الــتي بدأت تنظم خلالها الدراسات العربية في اوربا، وتوسعت فيها حركة الــترجمة مــن العربية الى اللاتينية وبذلك استفاد العقل الاوربي من المخطوطات العربية، وبخاصة في ميداني الطب والفلسفة، وقد احصيت التراجم من العربية الى اللاتينية بحوالي (٣٠٠) مخطوط في العلوم. . .))[2].

وفي حوالي منتصف القرن الثاني عشر، ظهرت لاول مرة (ترجمة) للقرآن الكــريم باللاتيــنية بايعاز من رئيس (دير كلوني) بجنوب فرنسا الراهب ((بطرس المجــل)) وكــان ذلــك سنة (١١٤٣م) ولكن خشيت منها الدوائر الدينية المسيحية فمنعــتها مــن الظهور خوفاً من ان تسهل التعريف بالاسلام وانتشاره، وبالفعل فقد ظلت الترجمة المذكورة ضمن محفوظات الدير ولم تصدر الا في سنة ١٥٤٣م، ثم بعــد طــبعها امر البابا (بولس الثالث) باتلافها، ولم تسمح الكنيسة بطبع (ترجمة القرآن باللاتينية الا في عهد البابا (الكسندر السابع) ١٥٥٥-١٥٦٧م [3].

ان هذه الترجمة -اول ظهورها- اضافة الى صدور اول قاموس لاتيني - عــربي، جعــل (رودي بارت) يؤرخ هذا القرن -الثاني عشر- بداية الاستشراق المنظم [4].

---

[1] الشاوي، الغزو الفكري الاوربي، ٨٨.

[2] من الاستشراق الى نهاية التاريخ :الفكر الغربي والاخر، مقال في مجلة المستقبل العربي، العدد ٩ لسنة ١٩٩٦م ص١٩.

[3] البنداق، محمد صالح، المستشرقون وترجمة القرآن الكريم، ط١، دار الافاق الجديدة (بيروت، ١٤٠٠ هــ/١٩٨٠م) ص٩٥-٩٦.

[4] الدراسات العربية والاسلامية، ٩.

وقـد ساهمت الحروب الصليبية (١٠٩٦-١٢٩١م) الى حد بعيد في تنشيط حـركة الاستشـراق، ومـن ثم في تشويه الاسلام في العقل الاوربي، وكما يقول الاسـتاذ محمـد اسـد :((الا ان الشر الذي بعثه الصليبيون لم يقتصر على صليل السـلاح ولكـن كـان قبل كل شيء شراً ثقافياً))[١] واعقب ذلك ((-في عام ١٣١٢م تحديـداً- ان اتخذ مجمع فيينا الكنسي قراراً بتأسيس عدد من كراسي الاستاذية في العـربية واليونانيـة والعـبرية والسريانية في خمس جامعات اوربية، واعتبر هذا التاريخ بداية لوجود الاستشراق الرسمي، كما يذهب لذلك الدكتور ادوارد سعيد))[٢].

وكان لظهور الدولة العثمانية في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي كقوة اسـلامية فـتية هددت باكتساح المسيحية وقلب اوضاع اوربا، اثر كبير في تكوين نظـرة عدائيـة حساسة ملؤها الضغينة والتوجس من الاسلام [٣]. وذلك باكتساحها اوربا الشرقية حتى حاصرت فيينا عاصمة النمسا عام (١٥٢٩م).

وفـي عهد ما يسمى بـ (الاصلاح الديني)، شعر المسيحيون بحاجة ماسة الى تـرجمة كتبهم الدينية، فاتجهوا للدراسات العبرية، ومن ثم الاسلامية، فكان ان شـجعت البابوية الرومانية دراسة لغات الشرق، فتم في عام (١٥٣٩م) انشاء اول كرسـي للغة العربية في (الكوليج دي فرانس) في باريس، وشغله ((جيوم بوستل))

---

[١] الاسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ، دار العلم للملايين (بيروت، ١٩٤٦م) ص٥٨.

[٢] الاستشراق، ٨٠.

[٣] لم يكن لاوربا من ناحية الشمال حدود سوى فضاء هائل من المجاهل والمحيط المائي والغابات، وذلك قبل اكتشاف راس الرجاء الصالح والامريكيتين ؛فلم تتجه اوربا الا الى الجنوب الذي يحدها من جهته البحر الابيض المتوسط الذي يتمركز العرب المسلمون في سواحله الجنوبية والشرقية، وعليها توالت دولهم واسسوا حضارتهم حتى سقوط غرناطة عام ١٤٩٢م. ثم ظهر العثمانيون وكان إلى الشرق من اوربا، عند تخوم روسيا الشرقية، كانت تسكن مجاميع من القبائل المرتحلة تدين بالاسلام في الغالب. وهكذا وجدت اوربا نفسها محاطة -فيما يشبه الطوق- بالعرب والمسلمين. انظر : الدعمي، المتغير الغربي، ٣٥

الــذي اســهم كــثيراً في اثراء الدراسات الشرقية في اوربا، وجمع مجموعة من المخطوطــات العــربية النادرة. ونشطت حركة الاستشراق نشاطاً كبيراً في القرن السابع عشر، وظهر عدد من المستشرقين، منهم (الهولندي (اربانيوس ت ١٦٢٤) الــذي انشــأ اول مطبعة في هولندا –مطبعة ليدن– التي قامت بطبع العشرات من امهــات الكتب العربية واول كتاب في قواعد اللغة العربية. ولاريب ان هذه الفترة هي المرحلة التي يكاد يتفق الجميع على انها استشراق بالمعنى العلمي الذي إصطلح عليه في تحرير الدراسات الشرقية [1].

لقد شهدت هذه المرحلة المبكرة – والممتدة الى نهاية القرن السابع عشر– اتجاهين مختلفين :

الاتجــاه الاول : –وهــو الغالب – نظر الى الاسلام من خلال الخرافات والاســاطير التي نشرها رجال اللاهوت في اوربا، واطلق (سذرن) عليها (عصر الجهالــة). واستمر هذا الاتجاه حياً وبشكل كثيف حتى نهاية هذه المرحلة، بل نكاد نجــزم ان هذه الصورة مازالت قائمة الى اليوم –في كثير من جوانبها– في الذهنية الغربية الشعبية والرسمية على حد سواء.

الاتجاه الثاني – وهو اضعف من الاول واقل انتشاراً –يرى الشرق العرب الاســلامي مهــداً للعلوم والفلسفة، وعنه نقلوا علومهم التي مهدت لعصر النهضة الاوربيــة. ولكن لا هذا الاتجاه ولاسابقه استطاعا ان يتخلصا من التعصب الذميم ازاء الاســلام ونبيه، وذلك لان الامر كما توضحه مقولة الدكتورة بنت الشاطيء– رحمهــا الله– ((فحيــن نســأل التاريخ عن حركة الاستشراق كيف نشأت ؟ يلقانا جوابه المريح بأنها اول ما قامت في رعاية الكنيسة الكاثوليكية، وخضعت لاشراف مباشــر مــن كــبار احبارها))[2] وهكذا استقرت في اذهان النصارى في العصور

---

[1] الشاوي، الغزو الفكري الاوربي، ٩٥-٩٦.

[2] تراثنا بين ماضٍ وحاضر، معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٦٨م، ص٥٢.

الوسيطة هذه الصورة التي كان دافعها اما الخوف من الاسلام او الحقد عليه والعمل عـــلى محاصرته واحتجازه، والاساءة الى نبيه صلى الله عليه وسلم واتباعه بشتى الوسائل [1].

المرحلة الثانية – القرن الثامن عشر

ظهــر فـــي هـــذه المرحلة عاملان اثرا في دراسة الاسلام. الاول :حركة الاستنارة tenhtenmgEnli، والثاني الحركة الرومانسية ismcRomanti .

والاستنارة كانت تعتمد على التحرر من الماضي والثقة بان العقل قادر على حل المشكلات بدلاً من السلطة والتقاليد، ونتج عن هذه الحركة تسامح وحرية فكرية وميل الى المسيحية العقلانية. واما الرومانسية فاعتمدت الفردية في التفكير والتعبير بدلاً من اعتماد الشكلية في الكلاسيكية ؛ ونتج عنها روح الفروسية وحب المخاطرة والجرأة في التعبير [2].

ولقد ظهرت دراسات لعدد من الاكاديميين كانت الخطوة الاولى نحو ماطرأ لاحقـــاً على صورة الشرق العربي – الاسلامي في اذهان الغرب، الامر الذي ادى الى تطويـــر الاستشراق وجعله موضوعاً خاضعاً للبحث العلمي –الى حد ما– بدلاً مـــن التعصـــب والخـــرافة، وبدأ على اثر ذلك تيار فكري بطيء حاول النظر الى الاســـلام نظرة حيادية، مما ساهم باتجاه رفع بعض الغمامات المشوهة التي غلفت فكـــرة العروبة والاسلام في اوربا. وبدأت تظهر بعض الجمل الخالية من الاباطيل في الاداب الغربية، واعتبر الاسلام ديناً سماوياً الى جانب اليهودية والمسيحية، ولم تعـــد دراسته من المحرمات او الخطايا التي لاتغتفر [3]. ومن المؤلفات التي اتسمت

---

[1] العيساوي، افتراءات بروكلمان، ص٦٢.

[2] الحسيني، الاستشراق نشأته وتطوره، ٦–٧.

[3] الدعمي، المتغير الغربي،

بالـــروح العـــلمية في هذا القرن، كتاب ((الديانة المحمدية)) لمؤلفه الهولندي (هادر يـــانوس ريلانـــدوس، ت ١٧١٨م) الـــذي يعد اول دراسة علمية صحيحة للاسلام استقيت من مصادر عربية اصلية، وفيه يقول ((ينبغي على المرء. . ان يتعلم اللغة العربية وان يسمع محمداً نفسه وهو يتحدث في لغته كما ينبغي على المرء ان يقتني الكـــتب العربية وان يرى بعينيه هو وليس بعيون الآخرين، وحينئذ سيتضح له ان المسلمين ليسوا مجانين كما نظن. فقد اعطى الله العقل لكل الناس وقد كان في رأيي دائماً ان ذلك الدين. . . ليس ديناً ماجناً او سخيفاً كما يتخيل كثير من المسيحيين))[1]

وممـــن يمثل هذا الاتجاه ايضاً، شاعر المانيا (يوهان فون جوته، ١٧٤٩-١٨٣٢م) الـــذي فتنـــته شخصـــية الرسول محمد صلى الله عليه وسلم حتى مدحه بقصيدة من روائع شعره، وقرأ القرآن الكريم، ونظم في الاسلام ابياتاً هي :

اذا كان الاسلام معناه التسليم

فاننا لا محالة جميعاً

نحيا ونموت مسلمين [2] .

وثمت نموذج اخر شاهد على هذا الاتجاه العقلاني، ذلك هو (يوهان رايسكه ١٧١٦-١٧٧٤م) الـــذي كـــان واحداً من عباقرة علماء العربية في عصره، وجعل

---

[1] زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية، ٣٣-٣٤، ويذكر ايضاً ان الكتاب ادى الى اتهام المؤلف بانه يريد القيام بعمل دعائي للاسلام، ثم ان الكنيسة الكاثوليكية حرمت تداول الكتاب ؛وعلى الرغم من ذلك فقد ترجم الى الانكليزية والفرنسية والالمانية والهولندية والاسبانية. وكان قد صدر اصلاً باللغة اللاتينية.

[2] الحسيني، الاستشراق، ٧.

للدراســات العربية في المانيا مكاناً بارزاً، فقد امتدح الاسلام ورفض وصف النبي صلى الله عليه وسلم بالكذب ورفض تقسيم (ديربيلو) لتاريخ العالم، وقد جر عليه ذلــك ويلات كثيرة وحاربه رحال اللاهوت، وعاش معدماً ومات مسلولاً وهو في الثامنة والخمسين من عمره [1].

ومــن الامثلة ايضاً (ريتشارد سيمون)في كتابه (التاريخ النقدي لعقائد وامم الشــرق) -١٦٨٤م وكــان الفيلسوف (بيير بايل) من المعجبين بالتسامح الاسلامي وذلــك فــي قاموسه التاريخي النقدي الذي طبع في روتردام عام ١٦٩٧م ؛وكذلك (ســيمون اوكلي ت، ١٧٢٠م) الذي مجد الشرق الاسلامي ورفعه فوق الغرب في كتابه (تاريخ السراسنة) -اي العرب المسلمين [2].

وبصورة عامة، ان هذه المحاولات الجادة -غير المتحيزة نسبياً- لم تستطع ان ترسخ تياراً عاماً لدى الاوربيين في ازالة الصورة المشوهة للاسلام في اذهانهم ؛ بــل كانت محدودة الاثر، ولم تكن منصفة للحقيقة التاريخية بشكل تام، رغم انها نقــلت تقييمات الشرق في الكتابات الغربية الى حقل محدود اكثر تحرراً -الى حد ما- من نير التعصب الذي ساد العصور السابقة في اوربا، وذلك ان عدد الباحثين المنصفين كان قليلاً امام جم غفير ظل يكتب بروح القرون الوسطى.

---

[1] زقزوق، المصدر السابق، ٣٥ ؛ وينظر : ص٢٢ من هذا البحث.

[2] زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية، ٣٢، ولابد ان نبين ان (اوكلي) لم يكن منصفاً تجاه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ يصفه باوصاف بذيئة. انظر : شاخت، تراث الاسلام ١/٦٤-٦٧.

المرحلة الثالثة : مرحلة ازدهار الاستشراق وتطوره

يعـد القرنان التاسع عشر والعشرون عصر نهضة استشراقية، حدثت بفعل حملة نابليون على مصر عام (١٧٩٨م) التي ادت الى تحريك عمليات بين الشرق والغـرب، ومـا تزال -برأي ا. سعيد- تسيطر على منظوراتنا الثقافية والسياسية المعاصرة [1].

وقد تواكبت هذه المرحلة مع المد الاستعماري الاوربي والرغبة في توسيع التجارة والبحث عن الاسواق في المنطقة العربية والاسلامية.

وتميـزت بواكيـر هـذه الفـترة، بانشـاء الجمعيات [2] واصدار المجلات المتخصصة [3]، وعقد المؤتمرات لزيادة التنسيق وتوثيق الاواصر بين المستشرقين، وتجـنب ازدواج العمـل حرصـاً على الجهود ان تتبدد في اعمال مكررة. وكان

---

[1] الاستشراق، ٧٣ ؛وجاء في كتاب ((رحلات الى مصر وسورية)) للكونت دي فولني، والذي ظهر سنة ١٧٨٧م ((ان نابليون قال :ان اية قوة عسكرية فرنسية يجب ان تواجه حروباً ثلاثة، اولها :ضد انكلترا، والثانية ضد السلطان العثماني، والثالثة :وهي اصعبها، الحروب ضد الاسلام)) نقلاً عن : السامرائي، مصدر سابق، ٥٢.

[2] انشئت الجمعية الاسيوية في باريس عام ١٨٢٢م، والملكية الاسيوية في بريطانيا وايرلندا عام ١٨٢٣ م، والجمعية الشرقية الامريكية عام ١٨٤٢، والجمعية الشرقية الالمانية عام ١٨٤٥م. انظر قزوق، ٤١.

[3] في فيينا صدرت اول مجلة استشراقية في اوربا بعنوان (ينابيع الشرق) وكان ذلك عام ١٨٠٩ حتى عام ١٨١٨م ثم مجلة الاسلام في باريس عام ١٨٩٥م وقد خلفتها في عام ١٩٠٦م مجلة العالم الاسلامي صدرت عن البعثة الفرنسية في المغرب، وتحولت بعد ذلك الى مجلة الدراسات الاسلامية ؛وفي عام ١٩١٠م ظهرت مجلة الاسلام الالمانية، وفي روسيا ظهرت مجلة عالم الاسلام عام ١٩١٢م ولم تعمر، وفي بريطانيا ظهرت مجلة العالم الاسلامي عام ١٩١١م يراسها (صموئيل زويمرت ١٩٥٢م) رئيس المبشرين في الشرق الاوسط. وللمستشرقين اليوم اكثر من ٣٠٠ مجلة اوردها العقيقي في كتابه ٣/ ١١٤٧، انظر ايضاً: زقزوق، ٤١-٤٢.

يحضـــر هـــذه المؤتمـــرات المـــئات من المستشرقين وذوي العلاقة وكمثال على ضـــخامتها، اشـــترك في مؤتمر اكسفورد عام ١٩٢٨م حوالي ٩٠٠ عالم من ٢٥ دولـــة، و٨٥ جامعة و ٦٩ جمعية علمية [1]. ونشطت حركة التاليف بصورة واسعة حـــتى كـــتب مابين سنة ١٨٠٠م وسنة ١٩٥٠م حوالي (٦٠. ٠٠٠) كتاب تتعلق بالشـــرق، فـــي الوقـــت الذي لم يكتب فيه بهذا العدد او اقل منه عن الغرب. كما ازدادت اعـــداد الغربيين الداخلين الى الشرق بالقياس الى اعداد الشرقيين الذاهبين الى الغرب، مع ملاحظة ان غرض اهل الشرق كان طلب العلم ليس غير، في حين ان اغراض المسافرين الغربيين كانت من طبيعة اخرى [2]

والـــتقت فـــي هذه المرحلة اجنحة المكر الثلاث-اي التبشير والاستشراق والاســـتعمار- فـــي تنســـيق مكـــثف مـــن اجل ضمان مصالحهم وتحقيق اهدافهم المشـــتركة. فالمبشرون اولاً اقنعوا زعماء الاستعمار بان ((المسيحية ستكون قاعدة الاســـتعمار الغـــربي في الشرق))[3]، وقد اعلن (بول هاريسون) انه ((ما لم يحصل المبشرون على حماية الحكومات الغربية بقوتها الحربية فانهم لن يتمكنوا من اعلان رســـالتهم المسيحية)) ؛ ويعترف رئيس المبشرين (زويمر) بهذه الحقيقة حيث يقول ((الابـــواب المفتوحة التي تؤدي إلى الاسلام انما هي المستعمرات التي يعيش فيها المســـلمون تحـــت حكـــم مسيحي))، ومن اجل تسهيل مهام المبشرين كانت تبرم معاهدات واتفاقات دولية تتضمن عدم خضوع الارساليات التبشيرية لتدابير تضيق

---

[1] كان اول مؤتمر للمستشرقين في باريس عام ١٨٧٣م، ومازالت تعقد الى اليوم.

[2] كاظم، سلامة حسين، التبشير في العراق وسائله واهدافه، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الشريعة بجامعة بغداد ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص٧٩-٨٠، والرسالة غير منشورة.

[3] محمد البهي، الفكر الاسلامي المعاصر، ٥٢٢.

مجال عملها.[1] وبالمقابل كان المبشرون يرحبون بالقيام باية مهمة تطلب اليهم من قبل دوائر الاستعمار ولا يعدون ذلك متعارضاً مع واجبهم الديني. ففي مقابلة مع السيدة ر. نايكرك تعترف بذلك اذ تقول ((اننا احياناً يكون لنا نشاط سياسي–لقد حاولنا ان نكون مواطنين صالحين وسفراء لبلادنا الى جانب قيامنا بخدمة الله باخلاص))[2].

والى جانب التبشير، نهض الاستشراق في خدمة الاستعمار. وتمثلت تلك الخدمة في اتجاهين :

الاول فكري يضطلع بالاستنتاجات العلمية الموجهة لخدمة الحضارة الغربية، يقوم عليه متخصصون في علوم الانسان واللغات والاجتماع والتاريخ والاقتصاد وغيرها ؛والاتجاه الثاني يمثل فيه الاستشراق جهازاً جامعاً وراصداً للبيانات والاخبار، يقوم عمله على جمع المعلومات وتقديمها لسجلات ومحفوظات العاملين في الفريق الاول، ويتكون الفريق الثاني من الموظفين والدبلوماسيين والاستخباريين وممثلي المؤسسات التجارية واحياناً الجمعيات العلمية الصرفة كبعثات التنقيب الاثرية، وكذلك الرحالون[3]. ومن هنا، كان كثير من اعضاء

---

[1] نذكر على سبيل المثال :المعاهدة التي وقعت في الرابع من نيسان ١٩٢٤م فيما بين الولايات المتحدة وفرنسا المنتدبة على سوريا ولبنان ؛وايضاً المعاهدة التي عقدت بين بريطانيا والعراق التي نصت المادة (١٢) منها على ان ((لاتتخذ وسيلة ما في العراق لمنع اعمال التبشير او للمداخلة فيها. .)).
انظر :الخالدي، مصطفى ؛وفروخ ؛عمر، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، ص٥٦ ؛ الحسني، عبد الرزاق، تاريخ الوزارات العراقية ط٤ دار الكتب، ج٣ (بيروت ١٩٧٤م) ص١٣٨ ؛سلامة حسين كاظم، التبشير، ٨١-٨٤ بتصرف.

[2] سلامة حسين، المصدر السابق، ٨٣.

[3] الدعمي، المتغير الغربي، ١٣١ ؛ سلامة حسين، المصدر السابق ص٧٥ وفيه ان (لوفتوس W. G. Loftus) من الاثريين الانجليز اشرف على كشف موقع نينوى وعثر على بقايا قصر اشور، وبعدها انتخب عضواً في مجلس العموم البريطاني وعين وكيلاً لوزارة الخارجية. والمنقب البريطاني (لايارد

البعـــثات الدبلوماســـية من العاملين في حقل الاستشراق، وكتبوا عن العرب الشيء الكـــثير. فقناصـــل فرنســـا –عـــلى سبيل المثال– في حلب (بوكون)، وفي القدس (كـــلرمهون) وفـــي المغرب الاقصى(بوتي)وفي دمشق (كاتافاكو) كانوا جميعاً من المستشـــرقين[1]. وفـــي هـــذا يقول د. أدوارد سعيد ((ان خبرة المستشرق الخاصة وضـــعت في خدمة الاستعمار، لان في اللحظة الحرجة حين يجب على المستشرق ان يقـــرر بين ولائه وميوله للشرق وبين ولائه للمستعمر الغربي فانه دائماً يختار الاخير على الاول منذ عصر نابليون الى الان لم يتغير))[2] ثم جات ثالثة الاثافي – وهـــو الاســـتعمار، فـــبدأ باحتلال الجزائر (١٨٣٠م) من قبل الفرنسيين، واحتلت بـــريطانيا عدن سنة ١٨٣٩م، واستولت ايضاً على الهند سنة ١٨٥٧م، كما احتلت هولـــندا قبل ذلك – في بداية القرن السابع عشر – جزر الهند الشرقية (اندونيسيا)، وفـــي عام ١٨٨١م تم احتلال مصر وتونس، ولم تنته الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٨م الا واصبح العالم الاسلامي كله تقريباً خاضعاً لنفوذ الاستعمار الغربي[3].

لقد شهدت هذه المرحلة عدة تطورات في مفهوم الاستشراق وحركته، فعاد طـــابع العداء ليغلب على نظرة الغرب للشرق ؛وبعد ان كانت النظرة الاوربية في عصـــر التـــنوير تحترم غير الاوربيين وثقافتهم، اصبحت نظرة الغربي لغيره في القـــرن التاسع عشر نظرة متغطرسة متعالية. وقد ظهرت نظرية (الرجل الابيض) و(حقوقه) وهي نظرية عنصرية نادى بها الفرنسي (رينان) في كتابه (تاريخ اللغات

Layiard) امضى فترة في التنقيب عن الاثار وفي الوقت نفسه كان يوافي حكومة بريطانيا بمعلومات مبالغ فيها عن العلاقات التي كانت متوترة ما بين الاثوريين والاكراد في العراق آنذاك مما دعا الحكومة البريطانية الى التدخل في شؤون العراق الداخلية بحجة حماية الآثوريين.

[1] د. عبد الجبار ناجي، مصدر سابق، ١٥ ؛وانظر ايضاً :السامروك، د. سعدون، والعاني، د. عبد القهار، مناهج المستشرقين، طبعة دار الحكمة، (بغداد، ١٩٨٩) ص٢٢-٢٣.

[2] الاستشراق،

[3] رودنسون، جاذبية الاسلام، ٥٣-٥٤ ؛وايضاً :زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية، ٤٤.

السامية) تقوم على تقسيم الشعوب إلى ساميين وآريين، وان العقل السامي لا قدرة له على التفكير الفلسفي وتناول الامور المجردة، وبعكسه العقل الآري. وان الساميين وحدانيون متعجلون لم ينتجوا تراثاً اسطورياً، او فناً، او تجارة، او حضارة ؛ووعيهم ضيق وحاد الصلابة ؛وبشكل عام، فانهم يمثلون ((تركيباً دونياً للطبيعة الانسانية)) [1] وبناء على ذلك فان ما لدى العرب من فلسفة او حضارة ما هو الا اقتباس وتقليد. فالتصوف في الاسلام اصله بوذي وهندي، وعلم الكلام اصله يوناني، والقانون الاسلامي ليس سوى قانون (جستنيان) في لباس عربي.

كما تركزت الجهود الاستشراقية نحو اضعاف وتوهين العقيدة الاسلامية في نفوس المسلمين، وتشويه التاريخ الاسلامي والحط من شأن رجاله العظماء، والهجوم على اللغة العربية ؛ وفي مقابل ذلك كان الاستشراق يمجد القيم الغربية – حضارة ولغة وتاريخاً. والهدف من ذلك هو خلق تخاذل روحي ومعنوي في نفوس المسلمين والشرقيين عامة، من اجل تمكين المستعمرين والقبول بولايتهم وتوجيهاتهم. ولذلك انطلق المستشرقون إلى دراسة المجتمع الاسلامي ومقوماته وطبيعة العلاقات الاجتماعية فيما بين المسلمين. ولم تكن الدراسة بريئة او موضوعية، عندما عمدت إلى اثارة الخلافات العرقية والنعرات الطائفية بين المسلمين والعرب خاصة كي لا تتم وحدتهم فكرياً وسياسياً [2]. وقد ندرك ابعاد التخطيط الغربي من التقرير الذي قدم من قبل لجنة مكونة من بعض علماء التاريخ ورجال القانون والسياسة بطلب من رئيس وزراء بريطانيا سنة ١٩٠٧م اللورد كامبل بنرمان حيث وجه خطابا إلى تك اللجنة حدد فيه مهمتها بقوله : ((ان

---

[1] ا. سعيد، الاستشراق، ١٦١، وقد رد على هذه المفتريات الاستاذ جمال الدين الافغاني في العروة الوثقى.

انظر: الكبيسي، اسماعيل محمد عواد، العقل في الفكر الاسلامي، رسالة ماجستير، جامعة صدام للعلوم الاسلامية، (١٤١٦هـ/١٩٩٦م) ص ؛ وهي غير منشورة.

[2] محمد البهي، الفكر الاسلامي المعاصر، ٥٢ ؛ الساموك، مناهج المستشرقين، ٢٠ و ٢٩.

الامـــبراطوريات تتكون وتتسع وتقوى ثم تستقر إلى حد ما ثم تنحل رويداً رويداً، وتزول، والتاريخ مليء بمثل هذه الامثلة وهي لا تتغير بالنسبة إلى اية امبراطورية او ام فهناك امبراطوريات روما واثينا والهند والصين وقبلها بابل وآشور والفراعنة وغيـــرها. فهل يمكن الحصول على اسباب تحول دون سقوط الاستعمار الاوروبي وانهياره او تؤخر مصيره المظلم بعد ان بلغ الذروة، وبعد ان اصبحت اوروبا قارة قديمة استنفذت مواردها وشاخت معالمها بينما العالم الآخر لا يزال في شبابه يتطلع إلى مزيد من العلم والتنظيم والرفاهية ؟ ؟)).

وقد ظل هؤلاء العلماء يبحثون طيلة سبعة شهور ثم قدموا نتيجة ابحاثهم في تقريـــر سري إلى الخارجية البريطانية، وفيه: ((ان الخطر ضد الاستعمار في اسيا وفـــي افـــريقيا ضـــئيل، ولكن الخطر الضخم يكمن في البحر المتوسط. . ويمكن معالجة الموقف على النحو التالي :

١- عـــلى الـــدول ذات المصالح المشتركة ان تعمل على استمرار تقسيم هذه المنطقة وتأخرها.

٢- ضـــرورة العمل على فصل الجزء الافريقي في هذه المنطقة عن الجزء الاسيوي. وتقترح اللجنة اقامة حاجز بشري، قوي وغريب يحتل الجسر الـــبري الـــذي يـــربط آســـيا بافريقيا بحث يشكل وعلى مقربة من قناة السويس قوة صديقة للاستعمار وعدوة لسكان المنطقة.

٣- اثـــارة النعرات الطائفية والعرقية من اجل تفتيت المنطقة والقضاء على وحدتها.[1]

شلبي، احمد، الحروب الصليبية، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة، بلا) ص ١٥٤-١٥٦؛ وايضاً : محمد قطب، كيف نكتب التاريخ الاسلامي، ص. وهذا التقرير محفوظ في ملفات الجامعة العربية.

المبحث الثاني

منهجية المستشرقين

هـــنالك جمـــلة حقـــائق يجـــب الا تغيب عن ملاحظة المؤرخ الباحث في موضـــوعية منهج المستشرقين في الدراسات العربية الاسلامية. وللباحث ان يتبين فيمـــا اذا كـــانت هذه الدراسات الاستشراقية قد كتبت بروح علمية نزيهة، ام كان ينقصـــها الحياد الموضوعي المفترض في ابحاث تسبق دعايتها صدورها، ويخدع الابصار بريقها.

ومن تلك الحقائق :

اولاً : ان الفكـــر الغربي عموماً شديد التمركز على الذات الاوربية، قوامه ((الأنا)) ونفـــي ((الآخـــر)) فالمجتمع والحضارة الاوربيتان يوضعان كنموذج او نمط صـــالح كونيـــاً. ومـــنذ القرن الثامن عشر الميلادي، احتفظ الغربيون بمفهوم الحضـــارات الكلاسيكية المتفوقة على الحضارات الاخر، ومازال الارتباط مع هذا المفهوم قائماً. فيفترضون ان الحضارة الغربية مزودة بجوهر سرمدي. . وهـــذا الجوهـــر كـــانوا يميـــلون الى البحث عنه في الدين، بحيث ان الرؤية الجوهـــرية كانت ايضاً رؤية لاهوتية التمركز. حتى ان البعض من الغربيين انفسهم عد هذه النظرة الاستعلائية من عيوب هذا العصر، فقال : ((من الممكن ان نصـــنف بين عيوب العصر الارتباط مع الافكار العامة للقرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، مايلي : اولية وتفوق النموذج الاوربي، مذهب جوهرية عرقية في احيان كثيرة، مذهب مثالية دينية في احيان كثيرة.. الى ان يقول: اذاً

فكـــثير من اعمال ذلك العصر مرذولة بواقع انها غير مؤطرة بمسأليات علمية صالحة)) [1].

ان مؤرخي الفكر الغربي المعاصر يؤكدون على ((وحدة واطراد الحضارة والـــثقافة الغـــربية ويؤكـــدون محورية الفكر الغربي الذي جاء ثمرة عناصر ذاتية ثلاثية، هي : الفلسفة اليونانية وابداعاتها في العلم والفن والاداب، والتقاليد الرومانية فـــي الادارة ونظـــام الحكم، والمسيحية التي هيأت الفكر الغربي دوافعه وامكاناته الروحية)) [2].

ثانياً : ((ان في العقل الاوربي على العموم –لسبب ما- ميلاً على الاسلام، بما هو دين، وبما هو ثقافة. ان سبباً واحداً لذلك، يمكن ان يعزى الى الارث الذي قسم العـــالم يومذاك الى ((اوربيين)) و ((برابرة)). واما السبب الاخر –وهو اشد صلة بالاسلام، فيمكننا ان نتتبعه اذا ولينا ابصارنا شطر الماضي، وخصوصاً الى تـــاريخ العصور الوسطى. ان الحروب الصليبية هي التي عينت في المقام الاول والاهم موقف اوربا من الاسلام لبضعة قرون تتلو. ولقد كانت الحروب الصـــليبية في ذلك حاسمة، لانها حدثت في اثناء طفولة اوربا –في العهد الذي كانت فيه الخصائص الثقافية الخاصة اخذت تفرض نفسها، وكانت لاتزال في طور تشكلها. والشعوب كالافراد، اذا اعتبرنا ان المؤثرات العنيفة التي تحدث فـــي اوائل الطفولة، تظل مستمرة ظاهراً او باطناً مدى الحياة التالية. . وهكذا كان شأن الحروب الصليبية. . ولقد اتفق لاوربا وللمرة الاولى في التاريخ، ان ترى نفسها موحدة –ولكنها وحدة في وجه العالم الاسلامي. ان اوربا ولدت من

[1] رودنسون، مكسيم، جاذبية الاسلام، ص٧٤-٧٥.

[2] عرفان عبد الحميد، المستشرقون والاسلام، ١٢٤.

روح الحروب الصليبية، وفي اثنائها ولدت فكرة ((المدنية الغربية)) واصبحت هدفاً واحداً تسعى اليه جميع الشعوب الاوربية ضد عدوها الاسلام)) [1] .

ومهمـــا قيـــل عن اثر الفلاسفة العقلانيين على العقل الغربي في النظر الى الاديـــان كافة نظرة سلبية الا ان ذلك لم يخفف كثيراً مما يحمله تجاه الاسلام. فاننا ((لانجد الموقف الاوربي تجاه الاسلام موقف كره في غير مبالاة فحسب – كما هي الحـــال فـــي موقفه من سائر الاديان والثقافات، بل هو كره عميق الجذور يقوم في الاكـــثر عـــلى صـــدود من التعصب الشديد. وهذا الكره ليس عقلياً فحسب، ولكنه يصـــطبغ ايضـــاً بصـــبغة عاطفية قوية. قد لاتتقبل اوربا تعاليم الفلسفة البوذية او الهندوكية، ولكنها تحتفظ دائماً فيما يتعلق بهذين المذهبين بموقف عقلي متزن ومبني عـــلى التفكير. الا انها حالما تتجه الى الاسلام يختل التوازن وياخذ الميل العاطفي بالتسرب)) [2] .

ثالثاً : هناك فكرة شائعة في دراسات المستشرقين عن الاسلام، وهي ان الاسلام في نظرهم يمثل افرازاً لحضارات ليست اسلامية، فهو مجرد عن صفتي الاصالة او الابـــداع اللـــتين هما حكر على الحضارات القديمة كاليونانية والاغريقية، وعـــلى الحضـــارة الغـــربية المعاصرة. وعلى وجه العموم، نجد ان دراسات الغربيين، تبدأ في كثير من الاحيان بالافتراض التقليدي :ان الاسلام يتكون من الـــوان مختلفة من التاثيرات الاجنبية بل ((صور الاسلام بمثابة كرة من الثلج تـــنحدر عبر العصور، فتزداد بالتدرج نمواً وحجما كلما زاد ما يعلق بها من

---

[1] اسد، محمد، الاسلام على مفترق الطرق، ترجمة، د. عمر فروخ، ط١، دار العلم للملايين (بيروت، ١٩٤٦م) ص٥٣-٥٤.

[2] محمد اسد، الاسلام على مفترق الطرق، ٥٠-٥١.

التيارات الفكرية الخارجية التي تقابلها في مختلف ارجاء الامبراطورية الاسلامية)) [1].

رابعاً :وثمة نقطة جوهرية اخرى تمثل العقبة الكبرى امام امكانية وجود فهم صحيح للاسلام في كتابات المستشرقين –تلك هي دراسة القرآن والنبوة. ((فقد اعتاد المسيحيون ان ينظروا الى كتابهم المقدس (الانجيل) كوثيقة انسانية الى حد ما، يمكن بحثها بنفس الطرق التي تبحث بها أي وثيقة تاريخية، وبالرغم من انهم يدركون قيمته كتنزيل الهي في امور دينية بحت، فانهم في كل الاعتبارات الاخرى يعتبرونه نتاجاً خاصاً بوقته فقط، وانه متاثر ببعض نواحي النقص البشري. . كما انه محتو على اخطاء علمية وتاريخية. اذن فانه من الطبيعي بالنسبة لهم ان يعاملوا القرآن طبقاً لمباديء مشابهة، كما انه طبيعي جداً بالنسبة لكل مسلم ان ينكر شرعية هذه النظرة)) [2].

اما النظر الى النبوة، ((فالمسيح –في نظر النصارى – هو اساس العقيدة، ولهذا تنسب النصرانية اليه. وقد طبق المستشرقون ذلك على الاسلام واعتبروا ان محمداً صلى الله عليه وسلم يعني بالنسبة للمسلمين مايعنيه المسيح بالنسبة للنصرانية، ولهذا اطلقوا على الاسلام اسم ((المذهب المحمدي)) واطلقوا على المسلمين وصف ((المحمديين)). كما ان هناك سبباً اخر لاستخدام هذا الوصف لدى الكثيرين منهم، وهو اعطاء الانطباع بان الاسلام دين بشري من صنع محمد وليس

[1] بن عبود، د. محمد، منهجية الاستشراق في دراسة التاريخ الاسلامي، بحث له ضمن كتاب ((مناهج المستشرقين)) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ج١ (تونس، ١٩٨٥م) ص٣٥٤.

[2] رنكرن، هلمر، الاسلام في منهج البحث الغربي، مقال في مجلة (المسلمون) لسنة ١٣٨١هـ/١٩٦٢م، العدد الخامس، ص٤٦-٤٩.

مـــن عـــند الله. امـــا نســـبة النصرانية الى المسيح فلا تعطي هذا الانطباع لديهم لاعتقادهم بان المسيح ابن الله)) [1] .

فـــاذا مـــا اضيف الى ذلك، قصور المستشرقين عموماً عن الاحاطة باللغة العـــربية واسرارها -وهي ركيزة اساسية، ادركنا عند ذلك عمق الهوة التي لم يعقد فوقهـــا جســـر، وظل الاسلام محكوماً عليه وفق نظرة لاهوتية جامدة تحول دون انصافه او فهمه -عقيدة ونظاماً- فهماً حقيقياً كما انزله الله سبحانه وتعالى.

فالى أي مدى -والحالة هذه- يمكن ان يعول على دراسات المستشرقين في اعطاء الصورة الصادقة للاسلام وتاريخه ؟

السمات العامة لمنهجية المستشرقين

ان الدراســـات الاستشراقية في معظمها تظهر كما لو ان الاسلام وتاريخه لايمكن ان يعالج على انه موضوع بحث في البحث العلمي، بل على انه متهم يقف امـــام قضاته. ان بعض المستشرقين يمثلون دور المدعي العام الذي يحاول اثبات الجـــريمة، وبعضهم يقوم مقام المحامي في الدفاع، فهو مع اقتناعه شخصياً باجرام موكلـــه، لايســـتطيع اكـــثر من ان يطلب له مع شيء من الفتور ((اعتبار الاسباب المخففـــة)) وعـــلى العمـــوم فـــان طـــريقة الاستقراء والاستنتاج التي يتبعها اكثر المستشرقين، لم يتفق لها ابداً ان نظرت في القرائن التاريخية بتجرد، ولكنها كانت في كل دعوى تبدأ باستنتاج متفق عليه من قبل [2]

ويمكننا تحديد السمات العامة لمنهجية المستشرقين في دراساتهم الاسلامية، فهي :

[1] زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية، ١١٩.

[2] محمد اسد، الاسلام على مفترق الطرق، ٥١.

اولاً : المبالغة في الشك والافتراض ،والنفي الكيفي ،واعتماد الضعيف الشاذ:[1]

تكاد تكون هذه السمة الاساسية في مناهج المستشرقين قاسماً مشتركاً بينهم جميعاً انهم يمضون مع شكوكهم الى المدى، فكل ثوابت الاسلام ويقينياته، تخضع قسراً للتشكيك الاستشراقي، وكذلك احداث السيرة النبوية الشريفة، وعصر الخلافة وجميع ادوار التاريخ الاسلامي، فيفترضون احتمالات، وينفون روايات، بسبب او بغيره، بينما نجدهم يتشبثون -بكل ماهو ضعيف وشاذ لايصمد امام النقد. يفعلون ذلك كله في سبيل اثبات ماينوون اثباته، فيطرح على الناس ماراد المستشرقون طرحه، بالاسلوب الذي صنعوه وللغاية التي قصدوها. وقد يعمدون – من اجل ذلك– الى اقتطاع اجزاء من النص، او تحريفه، لكي يصلوا الى مبتغاهم.

فكم من شك اثاروه حول القرآن وثبوت نصه، وحول النبي الكريم صلى الله عليه وسلم في سيرته وشخصه وحتى اسمه ؛وغير ذلك الكثير الكثير.

ونستطيع كذلك ان نذكر شواهد كثيرة على النفي الكيفي الذي مارسه المستشرقون، فـ(بروكلمان) -مثلاً – لا يشير الى دور اليهود في تأليب الاحزاب على المدينة، ولا الى نقض بني قريظة عهدها مع الرسول صلى الله عليه وسلم. ويتغاضى (اسرائيل ولفنسون) عن دور نعيم بن مسعود في معركة الخندق [2] كسبب في انعدام الثقة بين المشركين واليهود، ولعله يريد ان يوحي بذلك ان اليهود لايمكن ان يخدعوا.

---

[1] خليل، د. عماد الدين، المستشرقون والسيرة النبوية -مونتغمري وات، بحث ضمن كتاب ((مناهج المستشرقين ١/١٣٠-١٣٢.

[2] عماد الدين خليل، المستشرقون والسيرة النبوية، ١٣٢/١.

ويعمد (جولد زيهر) الى تحريف قول الامام الزهري (ت، ١٢٤هـ) ☹(ان هـؤلاء الامراء اكرهونا على كتابة الاحاديث. .)) فينقله زيهر إلى ☹(ان هؤلاء الامـراء اكـرهونا على كتابة احاديث)) ليفهم ان المحدثين كانوا على استعداد لان يكسو رغبات الحكومة [1].

ثانيـاً : اسقاط الرؤية الوضعية العلمانية ،والتاثيرات البيئية المعاصرة على الوقائع التاريخية . [2]

بمـا ان الباحث عموماً يصعب عليه الانفصال عن تأثيرات بيئته، والتجرد عن عاطفته والانفكاك عن نوازعه، فلذا سيكون تحليل الحقائق بموضوعية وحياد، يتوقف على مقدار صدق الباحث في تجرده وامانته في نقله، ودقة ملاحظته، فضلاً عـن عمق تجربته وسعة اطلاعه. واذا كنا نعترف للمستشرقين -وهذا حق- بسعة اطـلاع وعمـق تجربة ودقة ملاحظة، فانا لانقر لهم - وهذا حق ايضاً- بالتجرد والامانـة. اذ ليـس من السهل على العقل الاستشراقي ان يتحرر من قيود المادية والـرؤية الوضعية والمقولات المسبقة. ومن هنا تتعدد صورة الاسلام الذي تتحدث عـنه الدراسـات الاستشراقية، فتارة نجد (اسلاماً) ماركسياً او رأسمالياً وذلك من خـلال نظـرة المستشرق الى الاسلام في جانبه الاقتصادي ؛وتارة نقرأ (اسلاماً) ديمقـراطياً او دكـتاتورياً من منظور المستشرق الى الاسلام في جانبه السياسي. وهكـذا تتـلون الصـورة حتى تكاد تنمحي حقيقتها الاصلية من شدة الانعكاسات المسقطة.

---

[1] السباعي، د. مصطفى، السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي، الدار القومية للطباعة (مصر، بلا) ص ٣٢٧.

[2] عماد الدين خليل، المستشرقون والسيرة النبوية، ١/١٣٣-١٣٤.

((وفضــلاً عــن هذا نجد ان الطابع العلماني الوضعي، والرؤية المحدودة للمــناهج الغربية في تعاملها مع تاريخنا، اوقع عدداً من المستشرقين في خطأ آخر مفاده ان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن يخطو خطوة واحدة وهو يعلم مسبقاً ما الذي يليها. اي ان نشاطه كانت توحي به (الظروف الراهنة) وابرز مثل في هذا المجــال ماذكــره (فلها وزن) وعدد من رفاقه حول اقليمية الحركة الاسلامية في عصرها المكي، وانها لم تنتقل الى العالمية -في العصر المدني- الا بعد ان اتاحت لها الظروف ذلك، ولم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم ليفكر في ذلك من قبل. . ويــرفض (سير توماس ارنولد) في كتابه (الدعوة الى الاسلام) هذه الرؤية الخاطئة فيقــول ((من الغريب ان ينكر بعض المؤرخين ان الاسلام قد قصد به مؤسسه في باديء الامر ان يكون ديناً عالمياً برغم هذه الآيات البينات. .)) [1].

((ان الظــروف الراهنة ليست هي الحتمية المؤقتة التي تحدد مسار الاسلام وخطى رسوله عليه الصلاة والسلام. انما هناك (الهدف) الذي يفرض احياناً (وقفة) ضد الاعراف والظروف (وتمرداً) عليها و (انقلاباً) شاملاً على مواضعاتها. وهذا مــا يبدو واضحاً منذ اول لحظة في الشعار الحاسم الذي طرحه الرسول صلى الله عــليه وســلم بوجه الجاهلية (لااله الا الله) فاي ظرف راهن، موقوت، اوحى بهذا الشــعار الانقلابــي الشامل الذي جاء يدمر على الوجود الجاهلي جل قيمه واهدافه ومعالمه ومفاهيمه وعاداته؟)) [2].

---

[1] عماد الدين خليل، المستشرقون والسيرة النبوية، ١/١٣٤ ؛ قلت :ان القرآن الكريم منذ بدايات نزوله يؤكد عالمية الدعوة الاسلامية، قال تعالى ((وما هو الا ذكر للعالمين)) القلم، ٥٢. وهي سورة مكية.

[2] م. ن. ، ١/١٣٥.

ثالثاً : الغرور والجهل

ان المستشـــرق يـــرى نفسه عالماً معلماً يعمل على انقاذ التراث الشرقي، ودراســـته وتفســـيره، وتقديمـــه من ثم الى اصحابه ليتعلموه ويفقهوه. وقد ساهمت المفاهيم الاستعلائية والتطور المادي والعلمي للغرب من جهة، وحالة التخلف التي يعيشـــها الشـــرق مـــن جهـــة اخرى، على ادخال قدر كبير من الغرور في نفوس الباحـــثين الغـــربيين. والغرور قرين الجهل اذ يحجب صاحبه عن طلب المزيد من العـــلم والفقـــه ؛وفـــي هـــذا يقول الدكتور الطيباوي رحمه الله ((لقد عرفت بعض المستشرقين الذين يتعاملون مع الدارسين المسلمين في استعلاء وتعاظم وكان هؤلاء المستشـــرقون اذا ما تساءلوا عن مسألة اسلامية، فكانما يعلنون ضمناً انهم يعلمون كل شيء عنها سلفاً، في حين انهم ياخذون بوجهة نظر اخرى مع قليل من التبصر الحقيقـــي والـــنفاذ الى الاعماق))[1]. ويعترف المستشرق (اربري) في حديثه مع المـــرحوم الدكتور السباعي بقوله ((اننا – نحن المستشرقين- نقع في اخطاء كثيرة فـــي بحوثـــنا عـــن الاســـلام، ومن الواجب الا نخوض في هذا الميدان لانكم-انتم المسلمون العرب- اقدر منا على الخوض في هذه الابحاث))[2].

ومما ذكره السباعي ايضاً قوله ((كان اول من اجتمعت بهم هو البروفسور ((اندرســـون)) وهو متخرج في كلية اللاهوت (كمبردج) ومن اركان حرب الجيش البريطاني في مصر خلال الحرب العالمية الثانية -كما حدثني هو بذلك عن نفسه- تعـــلم العربية من دروس كان يلقيها بعض علماء الازهر في الجامعة الاميركية في القاهـــرة ساعة في كل اسبوع لمدة سنة واحدة، وتعلم العامية المصرية، وتخصص فـــي دراسة الاسلام من المحاضرات العامة التي كان يلقيها ((احمد امين)) و ((طه

---

[1] المستشرقون الناطقون بالانجليزية، طبع ضمن كتاب الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي للدكتور محمد البهي، ط٥، دار الفكر (بيروت، ١٩٧٠م) ص٦١٠.

[2] السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي، طبعة الدار القومية، (مصر، بلا) ص٢٢-٢٣.

حسين)) والشيخ ((احمد ابراهيم)). . وبهذه الدراسات العميقة ! في اللغة والاسلام، استحق لقب ((بروفسور))وانتقل من الخدمة العسكرية بعد الحرب الى رئاسة قسم الاحوال الشخصية في معهد الدراسات الشرقية في جامعة لندن. ويضيف السباعي : وفي جامعة اكسفورد وجدنا رئيس قسم الدراسات الاسلامية العربية فيها يهودياً يتكلم العربية ببطء وصعوبة، وكان ايضاً يعمل في دائرة الاستخبارات البريطانية في ليبيا خلال الحرب العالمية الثانية، وهناك تعلم العربية العامية، وتلك هي مؤهلاته التي بوأته هذا القسم، ومن عجيب اني رايت في منهاج دراساته التي يلقيها على طلاب الاستشراق :تفسير آيات من القرآن الكريم من الكشاف للزمخشري – اي والله وهو لايحسن فهم عبارة بسيطة في جريدة عادية– ودراسة احاديث من البخاري ومسلم، وابواب من الفقه في امهات كتب الحنفية والحنابلة. .))[1]

وهكذا يتبين لنا بوضوح بان الاستشراق –في دراسته للاسلام– ليس علماً باي مقياس علمي، وانما هو عبارة عن ايدلوجية خاصة يراد منها ترويج تصورات معينة عن الاسلام، بصرف النظر عما اذا كانت هذه التصورات قائمة على حقائق او مرتكزة على اوهام وافتراءات. [2]

---

[1] السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي، ٢١-٢٢.

[2] زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية، ١٢٠.

الفصل الثالث

فيليب حتي

(٢٢/٦/١٨٨٦-٢٨/١٢/١٩٧٨)

المبحث الاول

التعريف به وبمجمل حياته

١- حياته :

ولــد فيــليب خليل حتي في بلدة شملان من قضاء عالية في محافظة جبل لبــنان. تلقى علومه الابتدائية في مدرسة القرية، وعلومه الثانوية في مدرسةِ شوق الغرب التي علم فيها، ثلاث سنوات، بعد تخرجه منها.

انــتقل بعدهــا الى الجامعة الامريكية في بيروت، حيث حصل على شهادة بكالوريوس في العلوم سنة ١٩٠٨، ثم درس في الجامعة، المذكورة، ثلاث سنوات، سافر بعدها الى الولايات المتحدة الاميركية، حيث تابع تحصيله الجامعي العالي في جامعــة كولومــبيا التي تحصل منها على شهادة الدكتوراه عام ١٩١٥، في اللغات الشرقية وآدابها، وعين بعد تخرجه استاذاً فيها [١].

وعــندما انتهت الحرب العالمية الاولى، عاد الدكتور فيليب حتي الى وطنه لبــنان، بطــلب من الجامعة الاميركية، للتدريس فيها، فعين استاذاً لتاريخ العرب، وتخرج على يده عدد من الاساتذة :جبرائيل جبور ونبيل فارس وقسطنطين زريق وانيس فريحة وشارل مالك وفؤاد صروف وانيس ومحيي الدين النصولي وادوارد جرجي [٢].

---

[١] راجــع تــرجمة المؤلف في كتابه : لبنان في التاريخ :منذ اقدم العصور التاريخية الى عصرنا الحاضر، ترجمه الى العربية الدكتور انيس فريحة وراجعه الدكتور نقولا زيادة، نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين، بيروت - نيويورك، دار الثقافة بيروت ١٩٥٩، ص م .

راجــع ايضــاً، داغــر، يوسف اسعد، مصادر الدراسة الادبية، ج٤، اعلام النهضة :القرنان التاسع عشر والعشرون، منشــورات الجامعــة اللبنانية، بيروت، ١٩٨٣، ص٢٠٥-٢١١، القطار، د. الياس، بحث فيليب حتي، ضمن كتاب ((مؤرخون الاعلام من لبنان)) باشراف د. مسعود ظاهر، دار النفل (بيروت، ١٩٩٧م) ص ٢٩١-٣١٢.

[٢] مقدمة الطبعة العربية، ص م، وداغر، م. ن. ، ص٢٠٦ .

فـــي عام ١٩٢٦ التحق فيليب حتي بجامعة برنستون، استاذاً لتاريخ العرب اولاً، ورئيساً لقسم الدراسات الشرقية فيها. وظل في هذا المنصب حتى سنة ١٩٥٤ ، حتى احيل على التقاعد. ولكنه لم ينقطع عن العمل، فعين استاذاً زائراً في جامعة هارفـــرد، وعضواً في مجلس امناء الجامعة الاميركية في بيروت، الذي شغل فيه رئاسة لجنة التربية، وبقي مستمراً في نشر ابحاثه الى تاريخ وفاته. [١]

وكـــان لفيليب حتي اثر كبير في الجامعات الاميركية، في خلق مراكز فيها تـــدرس الـــتاريخ والحضارة العربية. فقبله، كان هذا الاختصاص ملحقاً بالدراسات الشـــرقية، او الســـامية، فبادر الدكتور حتي الى خلق مركز للدراسات العربية في جامعة برنستون، وبفضله نشأت دائرة المحفوظات الاسلامية في مكتبة الكونغرس الاميركي، كما نشأت مكتبة عربية اسلامية في جامعة برنستون، تجمع المخطوطات والوثـــائق العربية والاسلامية وتعنى بطباعتها ونشرها. ونتيجة لذلك اقبل الطلاب مـــن اميـــركيين وعـــرب، عـــلى جامعة برنستون، يتخرجون منها، في الدراسات الاسلامية والعربية [٢].

وكان الدكتور حتي متزوجاً من اميركية تدعى (ماري جورج)، رزق منها ابـــنة اســـمها (فيولا) اقترنت بالسيد (بابلي ويندر)، احد المستشرقين والاساتذة في جامعـــة برنستون. وقد توفي فيليب حتي في ١٩٧٨/١٢/٢٨ بعد ان ترك عشرات المؤلفات باللغتين العربية والانكليزية ومنها هذه المؤلفات :

---

[١] حتي، لبنان في التاريخ، ص (م) من المقدمة

[٢] الداغر، مصادر الدراسات الادبية، ٢٠٦/٤ .

المبحث الثاني

مؤلفاته

أ- في اللغة العربية

١- مهاجرة السوريين واستعمارهم بين العهد الفينيقي والعهد المعاصر، نيويورك المطبعة السورية -الاميركية، ١٩١٩، ٣٢ص

٢- اللغات السامية المحكية في سوريا ولبنان، بيروت، المطبعة الادبية، ١٩٢٢، ٤٦ص.

٣- مختصر كتاب الفرق بين الفرق، لابي منصور البغدادي، اختصار عبد الرزاق الرسعني، القاهرة، مطبعة الهلال، ١٩٢٤، ٢٠١ص.

٤- سوريا والسوريون من نافذة التاريخ، نيويورك، المطبعة السورية الاميركية، ١٩٢٦، ١٠٧ص.

٥- تراجم مشاهير القرن التاسع للهجرة في مصر وسوريا والعالم الاسلامي، نيويورك، المطبعة السورية -الاميركية، ١٩٢٧، ٧٩ص.

٦- ابن منقذ ابو المظفر اسامة بن رشد ١٠٩٥-١١٨٨، كتاب الاعتبار، برنستون، مطبعة جامعة برنستون، ١٩٣٠، ٢٤٠ص.

٧- تاريخ التجارة السورية في المهاجر الاميركية، نيويورك، المطبعة السورية الاميركية، ١٩٣٩.

٨- تاريخ العرب (المطول)، ترجمة ادوارد جرجي وجبرائيل جبور، جزءان، دار الكشاف، الطبعة الاولى ١٩٤٦، الطبعة الثانية، ١٩٥٢، الطبعة الثالثة، ١٩٦٢، الطبعة الرابعة، ١٩٦٥، ٩٦٥ص.

٩- الاسـلام في نظر العرب، نقله الى العربية موسى الحسيني وآخرون، بيروت، دار بيروت، ١٩٥٣، ١٥٤ص.

١٠- تـاريخ سـوريا ولبـنان وفلسطين، ترجمة جورج حداد وعبد الكريم رافق، اشرف على مراجعته جبرائيل جبور، جزءان، بيروت، دار الثقافة، ١٩٥٨.

١١- لبـنان في التاريخ :من اقدم العصور التاريخية الى عصرنا الحاضر، ترجمة انيس فريحة، مراجعة نقولا زيادة، بيروت، دار الثقافة، ١٩٥٩، ٦٩٨ص.

١٢- صـانعو التاريخ العربي، ترجمة انيس فريحة، بيروت، دار الثقافة، ١٩٦٩، ٣٨٠ص .

١٣- تـاريخ الشـرق الادنى، موجز ، ترجمة انيس فريحة، بيروت، دار الثقافة، ١٩٧١، ٣٩٨ص.

١٤- الاسلام منهج حياة، ترجمة عمر فروخ، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٢، ٣٣ص.

ب- الانكليزية

1. The Kita Futuh al-ulda Lil-aladhri, New York, Columbia Univ. , 1916, 26P.

2. Education guide for Syria students I the U. S. , New York, Syria-Ara press, 1921, 67p.

3. The Syria in America, New York, Dora, 1924, 139P.

4. The Origin of the druzes, People and Religion, with Extracts from their Sacred Writings, New York, A.

M. s. press, 1960 (1982), Columbia University, Oriental Studies, Vol. 28, 80P.

5. Ibn Munquidh abu al-Muzaffar Usamah Ibn Munshid, 1026-1188. An Arab-Syrian Gentleman and Warrior in the period of the Crusades, New York, Columbia University press, 1929, 265p.

6. Kufi Inscriptions, Princeton University press, 1932.

7. History of The Arabs from Earliest times to The Present, London, MacMillan, 1937, 9th Edition, London, 1968. 822p.

8. Descriptive cataloy of The Garrett Vollection University press, 1938, 747p.

9. The Arabs, A short History, Princeton University press, 1943, 224.

10. History of Syria Including Lebanon and Palestine, London, MacMillan, 1951, 745 p.

11. The Impact of The West on Syria and Lebanon in the 19th Century, In Cahiers de I`Histories Mondiale,Vol. 2. No. 2, Paris 1955, pp608-633.

12. Lebanon in History: From Earliest Time to the Preset, London, MacMillan, 1957, 548P.

13. Syria, a Short history, Being a Condensation of the Author's history of Syria, 1959.

14. The Near East in History. A 5000 years History, Princeton, N. j. , Va Nostrad, 1961, 574p.

15. Islam In The West, A Historical cultural Survey, Princeton, New Jersey, Va Nostrand, 1962.

16. Makers of Arab History, New York, st. Martin`s press, 1968, 268p.

17. Islam, a Way of Life, University of Minnesota press, 1970, 198p.

وتدور كتب الدكتور حتي حول المحاور الاتية :

١- تحقيق بعض المصادر الاسلامية - العربية.
٢- تاريخ سوريا والشرق الاوسط.
٣- تاريخ العرب
٤- تاريخ لبنان.

تحقيق المخطوطات العربية

التاريخ السوري والشرق الادنى

في تاريخه لسوريا والشرق الاوسط، يركز عل بلاد الشام عامة في سوريا وفلسطين ولبنان. فمرة يكتب عن سوريا، على اساس ما تعارف عليه البعض من المؤرخين، على انها تشمل سوريا الطبيعية، ومرة اخرى يستعمل المصطلح السياسي الرائج أي الشرق الاوسط او الشرق الادنى للدلالة على البلدان العربية المشرقية، ولذلك وضع عنواناً لاحد كتبه : "سوريا وفلسطين ولبنان"، والآخر "تاريخ الشرق الادنى".

وقد اثار هذا التباين تساؤلات كثيرة ونسبت اليه مواقف سياسية متباينة. ويبدو انه عندما كتب عن سوريا، لم يكن ملتزماً بخط سياسي، بل بتقليد درج عليه بعض الكتاب، خاصة الذين عاشوا في الولايات المتحدة الاميركية. وفي الوقت نفسه، كتب عن الشرق الاوسط كمصطلح جيو - سياسي، او عن بعض بلدانه او

كـــلها مجتمعة. فهو يدرس تاريخ السكان السياسي والحضاري في هذه النقطة من العالم منذ خمسة الاف سنة، لابراز مساهمتها في الحضارة الانسانية.[1]

٥- تاريخ العرب

وكمـــا كتب عن سوريا، والشرق الاوسط في التاريخ، افرد للتاريخ العربي كتباً هي من اهم ما كتب عنه. سواء كان ذلك كتابه :((تاريخ العرب)) (المطول)، او ((المختصر))، او في ((صانعو التاريخ العربي)).

ونـــتوقف عـــند ((تـــاريخ العرب)) المطول [2] الذي لاقى رواجاً كبيراً منذ صدوره باللغة العربية لاول مرة سنة ١٩٤١م. ولا يزال، حتى الان، مرجعاً لكثير من الباحثين وقد ترجم إلى كثير من اللغات.

صدر الكتاب في جزءين وهو يضم ستة اقسام :

القســـم الاول هـــو عصــــر ما قبل الاسلام وفيه دراسة عن رواد الجزيرة العـــربية فـــي العصــــر الحديـــث، ودراســـة للعنصر العربي ولجغرافية الجزيرة. ومجـــتمعها وتاريخ شعوبها القديمة وممالكهم ودولهم. كما يدرس الكتاب ما يعرف بالجاهـــلية فـــي الحجاز عشية ظهور الاسلام مركزاً على النواحي الادبية والدينية والسياسية [3].

---

[1] القطار، مؤرخون من لبنان، ٢٩٨-٢٩٩

[2] فيـــليب حتي، تاريخ العرب (مطول)، ترجمه الى العربية الدكتور ادوارد جرجي، وساهم في مراجعة النسخة الخطية، انيس الخوري المقدسي، واعاد تحريره في اللغة العربية الدكتور جبرائيل جبور، فساهم في نشره ومراجعته وتنقيحه واعاد ترجمة بعضه ووقف على طبعه . ط٤، دار الكشاف (بيروت، ١٩٦٥) .

[3] م. ن. ، ص ١-١٥٢ .

القســم الــثاني، يــبحث في ظهور الاسلام، ودولة الخلافة، فيعالج ظهور الاســلام وعقــائده، والفتوح في بلاد الشام والعراق وفارس ومصر وليبيا، وكيفية ادارة البلاد الجديدة [1].

القســم الثالث، يدرس الدولتين الاموية والعباسية. فبالنسبة للامويين يتوقف عــند تأسيس الخلافة الاموية وعند الصراع بين العرب والروم ووصول الإمويين الى اوج الفــتوحات، كمــا يتوقف عند الاوضاع السياسية والاجتماعية والعمرانية والفكرية التي كانت سائدة في عهدهم.

ثــم ينتقل الكاتب الى عهد العباسيين فيشرح لماذا وصل العرب والمسلمون معهــم الى عهدهم الذهبي. فيدرس تنظيم الدولة والحياة الاجتماعية ويسلط الضوء على الرخاء المادي الذي كان سائداً وعلى التقدم العلمي والادبي والتربوي والثقافي والفني. كما يبحث في عوامل تجزئة الدويلات وقيامها [2].

القســم الــرابع، يخصصـــه للعرب ولحضارتهم في الاندلس وصقلية، وما ابدعوه ولا سيما في اسبانيا [3].

القســم الخــامس، يكرسه الدكتور حتي لآخر الدول الاسلامية في العصور الاسلامية، من فاطميين وسلاجقة وزنكيين وايوبيين ومماليك وحروب صليبية. وهو يولي كعادته الناحية الحضارية اهتماماً خاصاً [4].

القسم السادس والاخير، هو لدراسة الحكم العثماني وما رافقه من احداث في افريقيا الشمالية وفي مصر وسوريا وفلسطين ولبنان والعراق والجزيرة العربية .

---

[1] م. ن. ، ص١٥٥-٢٤٧ .

[2] فيليب حتي، تاريخ العرب (مطول)، ص ٢٥١-٥٨٥ .

[3] م. ن. ، ص ٥٨٩-٧٢٨ .

[4] م. ن. ، ص ٧٣١-٨٣٢ .

يعد ((تاريخ العرب)) في نظر بعض الباحثين [٢] مرجعاً كلاسيكياً لاي باحث يؤســس لدراسة في التاريخ العربي. فعلى صعيد المضمون، احاط بعصور ودول التاريخ العربي، سواء كان ذلك على الصعيد السياسي، والعسكري، او على الصعيد الاجــتماعي، والاقتصـــادي، والـــثقافي، والعمراني. فهو لم يترك باباً في التاريخ العربي الا وطرقه، وان يكن بايجاز يقتضيه البحث في تاريخ مديد يمتد من عصر ما قبل الاسلام الى تاريخ صدور الكتاب.

وقــد جــاءت اقسام الكتاب مشبعة بالمعلومات الا في القسم السادس الذي يعالج التاريخ العثماني. فهذا القسم لم يكن قائماً في الطبعات الانكليزية، وظهر لاول مرة مع الطبعة العربية [٣]. فقد افرد له المؤلف ٥٦ صفحة، وهو عدد قليل بالقياس عــلى الاقسام الاخرى. ولئن احاط ببعض جوانب الموضوع، فقد كان الطابع العام لهذا القسم، الايجاز والسرعة وعدم التعمق، بحيث لم يف الموضوع حقه كما يجب.

٦- لبنان في التاريخ [٤]

وفيــه يقول : ((لهذا البلد تاريخ مديد يشمل مدة خمسة آلاف سنة ويساوي ثلاثين ضعفاً من تاريخ الولايات المتحدة الامريكية ... ولبنان من ناحية الجغرافية بــلد (مايكروســكوبي) ولكــنه من حيث التأثير بلد كوني))[٥] وقد اثار هذا الكتاب عاصفة من الاعتراضات لأنه عد تكريسا للكيان اللبناني. [٦]

---

[١] م. ن. ، ص ٨٣٦-٨٩١ .

[٢] انظر : القطار، مؤرخون من لبنان، ٢٩٩.

[٣] راجع مقدمة الطبعة الاولى باللغة العربية، دار الكشاف (بيروت، ١٩٤١م)

[٤] فيــليب حــتي لبنان في التاريخ :منذ اقدم العصور التاريخية الى عصرنا الحاضر . ترجمة الدكتور انيس فريحة، مراجعة الدكـــتور نقـــولا زيـــادة، الطـــبعة الانكليزية صادرة عن دار ماكميلان، لندن ١٩٥٧، الطبعة العربية عن دار الثقافة بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين، بيروت -نيويورك، ١٩٥٩ .

[٥] م. ن. ، ص ٤-٥.

[٦] القطار، مؤرخون من لبنان، ٣٠١-٣٠٢

المبحث الثالث

منهجية فيليب حتي

لقد كتب فيليب حتي باللغة الانكليزية، قدم من خلالها معلومات واسعة عن الاحـــداث السياسية في التاريخ العربي عامة، وفي بلاد الشام بصورة خاصة ؛كما قـــدم ايضـــاً الخطوط العريضة لنواحي الحضارة العربية الاسلامية عبر العصور، فضـــلاً عـــن تـــناول بعـــض الشخصيات ذات الشان والتأثير في مجريات احداث عصـــرهم. ورجـــع في كتاباته الى دراسات المستشرقين، كما استند الى المصادر الاوليـــة. وفـــي الغالب، يتبنى (حتي) آراء بعض المستشرقين ويلخصها دون ذكر اصـــحابها، كما نرى احياناً آراء ترد بشكل نهائي وكأنها غير قابلة للنقاش، او هي من قبيل مالا اعتراض عليه !

ويمكن ان نوضح منهجيته على شكل نقاط، هي :

١- سعة الاطلاع مع الاسلوب الميسر فضلاً عن الايجاز غير المخل، فقد استطاع مـــثلاً ان يقـــدم تاريخ العرب في مجلد واحد، التزم فيه التقسيم المألوف (قبل الاســـلام، الرســـالة، الراشـــدون، الخلافة الاموية. . الخ)، ويحاول ان يعطي صورة شاملة لكل عصر، مؤكداً على التاريخ الحضاري اكثر من غيره.

٢- لم ينفرد (حتي) بما قاله من مطاعن وبما اثاره من افتراءات، بل كان في الاعم الاغلب مردداً لما قال وافترى من سبقه من مبشرين ومستشرقين، مثل :توماس ارنولد، وهنري لامانس، وسيديو، وجرجي زيدان، وغيرهم [1].

٣- يعطـــي مســـاحة اوسع في الحديث والكتابة لموضوعات اقل شأناً واهمية من اخرى هي اعظم شأناً منها واهمية ولكنها لم تنل حظها من البحث والافاضة. فقـــد تكلم عن تاريخ الجزيرة العربية قبل الاسلام [2] في مائة واثنتين وخمسين صفحة، بينما تحدث عن الاسلام ودعوته حتى منتهى الخلافة الراشدة، مع كل الـــتحولات التي جاء بها الاسلام في المجتمع والدولة والفتوحات، كل ذلك في ثـــلاث وتسعين صفحة لاغير ! وتحدث عن وثنية (البدو) في عشر صفحات، في حين تحدث عن القرآن الكريم في سبع صفحات !.

٤- اضطراب قلق في تفسيرات (حتي) لاحداث التاريخ، وقد وقع في التناقض ازاء اكثر من مسألة. من ذلك تفسيره لسرعة الفتوحات العربية الاسلامية، وسرعة انهيار فارس والروم امام الفاتحين العرب. فتارة يذكر ان دولتي فارس والروم قد وهنتا بسبب حروبهم الدائمة، وتارة لان الفاتحين اجادوا فنوناً حربية عكس مـــا كان عليه حال اعدائهم. في حين يذكر في مواطن اخرى ((ان هذه الفنون الحـــربية تسربت من فارس الى العرب عن طريق اليمن ! وان فارس قاومت بسبب جنسها الآري، وهرقل كان قد تمرس على الحروب)) [3] .

[1] ان الـــتطابق في آرائهـــم ظاهر خاصة فيما يتعلق :بالوحي، ومصدر القرآن، والاخبار التاريخية الواردة فيه، والخلافة الراشـــدة، ودوافع الفتوحات . انظر : عبد الهادي، د. جمال و وفاء محمد رفعت، منهج كتابة التاريخ الاسلامي لماذا ؟ وكيف، ط١، دار الوفاء (المنصورة، ١٤٠٦هـــ/١٩٨٦م) ص ٤٠-٤٦ .

[2] في كتابه ((تاريخ العرب -مطول)) .

[3] انظر :الدوري، د. عبد العزيز، مقال في مجلة الابحاث، بيروت ١٩٦٠م، م١٣، ص٤٧٤-٤٨١ .

ومــثل آخــر على خطته القلقة :هو تفسيره للفتوحات العربية التي توسع في الحديــث عــنها. فهو يتابع بحوث (كايتاني-بكر) في توضيحها -وهي انما كانت بســبب الناحية الاقتصادية التي كانت تعيشها الجزيرة العربية ولكنه يعود ثانية الى تفســيرها بســبب الروح الحربية العربية التي كان لابد لها من ميدان جديد. ومرة اخــرى يفســرها ان ((العرب كانوا شعباً ممتلئاً حمية ونشاطاً، وقد الهبتهم حماسة قومية جديدة وتمكنت من نفوسهم ارادة الفتح والظفر)) [1].

٥- والتحيز سمة ظاهرة في منهجية (حتي)، فهو ما يفتأ ينوه بدور المسيحيين في التاريخ العربي دون ان نلمس مثل هذا التنويه بغيرهم، وبالرغم من انه يكتب فــي تاريخ العرب، الا انه -من ناحية اخرى- يؤكد الاشارة الى دور غيرهم مــن الاقوام ومساهمتهم الكبيرة في الحضارة العربية الاسلامية، بحيث ينطبع في ذهن القاريء ان العرب المسلمين لم يؤسسوا حضارة، وان العقل الاسلامي ليس الا صدى لافكار الامم الاخرى وان المسلمين ليسوا اكثر من نقلة لتراث الآخــرين، وانــه اذا كــانت هناك ثمة مدنية للعرب تؤثر عنهم، فهي مدنية الشعوب المغلوبة في البلدان المفتوحة.

٦- واسلوب التمريض والارتياب، معتمد لدى (حتي) في كتاباته وبحوثه. في حين ان المنهج العلمي في دراسة التاريخ يعتمد التمحيص والتثبت والامانة، وهذا ما غفــل عــنه المؤلــف المذكور. فما كان ثابتاً من الروايات التاريخية، يصدره (حتي) بصيغ الشك والتضعيف مثل : يقال، ينسب، يحكى. . الخ، والتالف من الــروايات يصدره -عكس ذلك- بألفاظ : الروايات المشهورة [2]، واخطر من ذلك، اسلوبه في تناول الحقائق الاسلامية الكبرى، فحين يقدمها للقاريء فكأنما يوعــز اليه ان هذه النقول هي نوع من وجهة نظر اسلامية خاصة، قد لاتمت

---

[1] تاريخ العرب مطول، ١٩٧/١ .

[2] ومن ذلك وصفه لحادثة (بحيرا الراهب) بانها رواية مشهورة !

الى الحقيقـــة العامة بصلة ؛ ومن ذلك مثلاً قوله ((والقرآن عند المسلمين كلمة الله التي املاها جبريل. .))

فضلاً عن ذكره معلومات يتعذر اسنادها الى مصادرها الاولية، بل يعمد احياناً الى بتر النصوص التاريخية لمأرب مقصود [1].

٧- اعتماد (حتي) في كتابة التاريخ على المصادر الادبية، منها :

أ- كـــتاب (الـــف ليلة وليلة) : وهو مجموعة منوعة من القصص الشعبي، يتخللها اشعار مصنوعة ركيكة، وهي مترجمة عن اصل فارسي اسمه (الهزار افسان) أي الف خرافة. ويرى بعض الباحثين [2] انها نقلت الى العربية في القرن الثالث الهجـــري مع انها اوردت اسم (هارون الرشيد) في بعض قصصها، مع انه لم يسمع بها، وتدل قصصها على انها مؤلفة من قبل عديدين اضافوا عليها حتى العصر المملوكي، وغايتها جمع الاسمار وقصص الظرفاء والندماء. فاذا كانت الفكاهـــة غاية هذه المؤلفات، فكيف يجرؤ باحث ومؤرخ على اتخاذها مصدراً لـــتراجم العظمـــاء او لرســـم صورة للحياة الاجتماعية للامم خاصة منها امة الرسالة ؟!

وقـــد اعتمد (حتي) على (الف ليلة) تسع مرات في (تاريخ العرب) وليست تلك الليالي الا هندية ومصرية !

ب- كتاب (الاغاني)لابي فرج الاصفهاني (ت، ٣٥٦هـــ)، ومعلوم انه كتاب ادب وليس بكتاب تاريخ. ولا يعني هذا بالضرورة ان كل كتاب ادب لا يستعان به ولا يؤخذ برواياته. بل يعتمد ان كان صاحبه ثقة عند علماء الجرح والتعديل. وليس ابو الفرج صاحب الاغاني بثقة عند اهل هذا الشأن. فالخطيب البغدادي

[1] انظر كتابه : تاريخ العرب -مطول، ١/١١٥ و ١٩٦ ؛وانظر :الدوري، المقال السابق، ٤٨١ .

[2] شوقي ابو خليل، موضوعية فيليب حتي، ١٨٦ .

(ت، ٤٦٣هـ) ينقل بسنده ان ابا الفرج الاصفهاني كان اكذب الناس، كان يدخل سوق الوراقين وهي عامرة والدكاكين مملوءة بالكتب، فيشتري شيئاً كثيراً من الصحف ويحملها الى بيته، ثم تكون رواياته كلها منها [1]. وقال ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) [2] عنه :((ومثله لا يوثق بروايته)) وقال الذهبي [3] (ت، ٧٤٨ هـ) :((كان ياتي باعاجيب بحدثنا واخبرنا))

((وعلى كل حال، فان كتاب الاغاني، قد كتب في عهد آل بويه، وتناول الغناء وما يتعلق به مع اخبار شائنة منذ الجاهلية الى عهد الخليفة المعتضد بالله المتوفى سنة ٢٨٩ هجرية، وسكت عما بعد ذلك. لئلا يضطر الى ذكر اشياء قبيحة (عن العهد البويهي)، لذلك نال رضا آل بويه، واتفق مع رغباتهم وهواهم في تشويه تاريخنا، والدس والكذب والافتراء على آل البيت النبوي الشريف، وعلى الامويين وعلى اعلام امتنا. ولذلك كان عضد الدولة البويهي، لا يفارق كتاب الاغاني. .))[4].

ويقول الدكتور زكي مبارك [5] ((اريد هنا ان انص على ناحيتين. . الاولى خاصة بالاصبهاني هي خلقه الشخصي فقد كان مسرفاً اشنع الاسراف في اللذات والشهوات، وقد كان لهذا الجانب من تكوينه الخلقي اثر ظاهر في كتابه. . والناحية الثانية خاصة بكتاب الاغاني. . ففي مقدمته عبارات صريحة في الدلالة على ان مؤلفه قصر اهتمامه او كاد على امتاع النفوس والقلوب والاذواق)) وقد تتبع الدكتور مزاحم علي اعشيش البعاج [6] روايات الاصبهاني في الاغاني (٤٠٠٤)

---

[1] تاريخ بغداد، دار الكتاب العربي، ج١١ (بيروت، بلا) ص٣٩٩ .

[2] المنتظم في تاريخ الملوك والامم، الدار الوطنية، ج٧ (بغداد، ١٩٩٠م) ص٤٠

[3] ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق علي محمد البجاري ، ١٢٣/٣-١٢٤ .

[4] الاعظمي، وليد، السيف اليماني في نحر الاصفهاني، ط١، دار الوفاء (المنصورة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م) ص ٧٠ .

[5] نقلاً عن :الاصمعي، محمد عبد الجواد، ابو الفرج الاصبهاني وكتابه الاغاني، دار المعارف (مصر، بلا) ص١٩٧ .

[6] كتاب الاغاني لابي الفرج الاصبهاني، دراسة تحليلية نقدية للمرويات التاريخية، اطروحة دكتوراه، معهد التاريخ العربي للدراسات العليا، ج١(بغداد١٤١٦ هـ/١٩٩٥م)وهي غيرمنشورة

رواية تاريخية فاوضح ان السلبية منها تشكل (٦٢%) والتي لا قيمة تاريخية لها (١٣%) وان ابا الفرج يروي عن شيوخ مجهولين شكلوا نسبة (٢٨. ٥%) شيخاً من مجموع الشيوخ وان كانوا هم ايضاً لا يسلمون من جهالة او نكارة. ومن عجب ان حتي جعل هذه ((الاغاني)) مصدراً يستقي منه معلوماته التاريخية خمسين مرة في كتاب واحد [١].

ج- ومن المصادر التي اعتمدها بشكل ملحوظ في كتابة تاريخه، هو كتاب ((مختصر تاريخ الدول)) لابن العبري (ت، ١٢٨٦م) واصول هذا الكتاب قد كتبت بالسريانية، ثم ترجم الى العربية بعد ان حذف منه الروايات والافكار التي هاجم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم والاسلام ؛ وقد اظهر ابن العبري الخلفاء والولاة المسلمين بانهم يميلون إلى البطش والتخريب، وكتب الجوانب السلبية مجسمة، واغفل الجوانب الايجابية ولم يذكر منها الا النادر [٢]. وقد اعتمده (حتي) ثمانية عشر مرة في (المطول) فقط.

د- ويدخل في هذا الباب، ذكره لاحاديث موضوعة وينسبها الى النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وهي مما لا يجوز روايته، فمن ذلك احاديث (فضل الورد) كقوله: وقد حدثوا عن النبي انه قال: ((فضل دهن البنفسج على سائر الادهان كفضلي على سائر الخلق)) و ((وقد روي عن النبي انه قال ((الورد الابيض خلق من عرقي ليلة المعراج وخلق الورد الاحمر من عرق جبريل وخلق الورد الاخضر من عرق البراق)). [٣] وغير هذا كثير سنتعرف عليه لاحقاً عند الحديث عن مفترياته والردود عليها.

---

[١] انظر كتابه العرب – مطول .

[٢] شوقي ابو خليل، موضوعية فيليب حتي، ١٨٧-١٨٨ .

[٣] ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (ت، ٥٩٧هـ) الموضوعات، ط٢، دارالفكر، ج٣ (بيروت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) ص ٦٥.

الباب الثاني

افتراءات فيليب

حتى على الرسول ﷺ

في نبوته ورسالته

الفصل الاول

افتراءات فيليب حتى على شخصية الرسول

تمهيد :

يمثل عصر النبوة تاريخاً يمتد ثلاثة وعشرين عاماً ؛ يبدأ بنزول الوحي الالهي عام (٦١٠ م) على رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، حين بلغ الاربعين من عمره الشريف ؛ وينتهي زمنياً عام (١١هـ /٦٣٢م) إثر وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو في الثالثة والستين.

وتشمل السيرة النبوية، حياة النبي صلى الله عليه وسلم التي سبقت البعثة، فضلاً عن المدة التي قضاها نبياً يوحى اليه بالقرآن. وهذه السيرة المحمدية تتميز بدقتها وشمولها، واستيعابها لدقائق الحياة المتنوعة، مما لا يوجد له نظير في سائر تاريخ الانبياء السابقين عليهم الصلاة والسلام، ولا في سير العظماء والملوك الماضين واللاحقين.

فسيرته صلى الله عليه وسلم اكمل سيرة وانصع تاريخ واصدق حديث ؛اذ انها تقوم على اقوى اساس، واتم بناء، واجمل بيان، واذا كان صلى الله عليه وسلم ((خلقه القرآن))[1] كما وصفته ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها ؛فان سيرته صلى الله عليه وسلم –في وقائعها واحداثها– مؤسسة كذلك على نصوص القرآن وصحيح الاخبار. ومن يطالع كتب السيرة –للاقتداء، ويدرس تفاصيلها باعتناء، يجدها تملأ على النفس جوانبها، وتوضح طرق السلوك وصائبها ؛حتى لكأن المطالع الجاد يعيش مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته ومسجده، وفي سوقه ومجلسه، وفي حربه وسلمه، وفي جميع شؤون دنياه وآخرته.

هذه الصورة الوضاءة، وهذه السيرة العطرة، يتعرض لها المستشرقون بالدراسة والتحليل وفق منظور الفكر الاستشراقي –مع سوء القصد سلفاً– فتاتي

---

[1] الامام مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري (ت، ٢٦١هـ) صحيح مسلم، دار الكتب العلمية، ج٢ (بيروت، بلا) ص ٣٥٨.

ثمار تلك الدراسة، ونتائج ذلك التحليل كجنتي سبأ المبدلتين ((ذواتي أُكلٍ خمطٍ وأثلٍ وشيءٍ من سدرٍ قليل)) سبأ، ١٦.

ويعد عصر النبوة من اكثر العصور التي تعرضت لدراسات المستشرقين وكتاباتهم، فقد كتبوا المؤلفات الكثيرة تناولوا فيها شخصية الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم من جوانب عدة ؛وغالوا في آرائهم في السيرة النبوية، وأثاروا الشكوك في وقائعها ؛حتى ان اسم الرسول صلى الله عليه وسلم لم يسلم من التشكيك والتحريف. وباعتراف المستشرقين انفسهم ان ذلك التشويه لم يكن الا عن عمد وسبق اصرار، فقد قال الفرنسي (كارا دي فو): ((ظل محمد زمناً طويلاً معروفاً في الغرب معرفة سيئة فلا تكاد توجد خرافة ولا فظاظة، الا نسبوها اليه))[1].

وآراء (حتي) في موضوع السيرة وافتراءاته على النبوة، تنحو منحى التشكيك والتحريف وبالامكان ان نستبين تلك المفتريات، من خلال استعراضها بالمباحث الآتية.

[1] نقرة، التهامي، القرآن والمستشرقون، بحث ضمن كتاب (مناهج المستشرقين) ١٢٨/١ ؛وايضاً :الفراجي، د. عدنان علي، الاستشراق والسيرة النبوية، بحث في مجلة جامعة صدام للعلوم الاسلامية، العدد الثالث لسنة ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص١٢٧-١٤٢

المبحث الاول

الافتراء على الرسول ﷺ

في ولادته واسمه الشريف

ولادته :

من الثابت بالروايات الصحيحة ان النبي صلى الله عليه وسلم ولد يوم الاثنين[1]، من عام الفيل سنة (٥٧٠م او ٥٧١م) ((وكان امر الفيل مقدمة قدمها الله لنبيه وبيته.. فنصرهم الله -اي اهل مكة على اهل الكتاب نصراً لا صنع للبشر فيه، ارهاصاً وتقدمة للنبي صلى الله عليه وسلم الذي خرج من مكة، وتعظيماً للبيت الحرام))[2]. وحادثة الفيل ثابتة بنص القرآن الكريم.

كما ثبت ان شهر ربيع الاول هو شهر مولد الرسول صلى الله عليه وسلم، ولكن حصل الخلاف في تعيين اليوم. فذهب ابن اسحاق (ت، ١٥١هـ) الى انه ولد لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول، في حين يذهب الواقدي (ت، ٢٠٧ هـ) إلى انه ولد لعشر ليال من شهر ربيع الاول [3].

---

[1] مسلم، الصحيح ٤٧٣/١

[2] ابن هشام، عبد الملك بن هشام المعافري (ت،٢١٨هـ) سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد، طبعة دار الفكر، ج١، (القاهرة، بلا) ص ١٧١ ؛ ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن بكر بن ايوب الزرعي (ت، ٧٥١هـ) زاد المعاد في هدي خير العباد، طبعة المؤسسة العربية، ج١، (بيروت، بلا) ص ١٧ ؛ ابن كثير، ابو الفدا اسماعيل بن عمر بن كثير (ت، ٧٧٤هـ) البداية والنهاية، تحقيق د. احمد ابو ملحم وجماعته، ط٥، دار الكتب العلمية، ج٢، (بيروت، ١٩٨٩) ص ٢٤٢.

[3] ابن هشام، السيرة، ١٧١/١ ؛ابن سعد، محمد بن منيع (ت، ٢٣٠هـ) الطبقات الكبرى، دار صادر، ج١ (بيروت، بلا) ص١٠٠ ؛الندوي، ابو الحسن علي الحسني (ت، ١٤٢٠هـ) السير النبوية، ط٨، دار الشروق (جدة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م) ص٩٩، وقد حقق المرحوم الفلكي المشهور محمود باشا المصري ان ولادة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم

تسميته :

وامــا تسميته، فقد ورد ان عبد المطلب ختنه يوم سابعه، وجعل له مأدبة، وســماه محمداً [1] وفي رواية ابن كثير (ت، ٧٧٤هــ): ((فلما كان اليوم السابع ذبح عنه، ودعا له قريشاً، فلما اكلوا قالوا: يا عبد المطلب أرأيت ابنك هذا الذي اكرمتنا عــلى وجهــه، ما سميته ؟ قال: سميته محمداً، قالوا فما رغبت به عن اسماء اهل بيته؟ قال: أردت ان يحمده الله في السماء، وخلقه في الارض))[2].

لقــد ولــد صـــلى الله عليه وسلم في قوم يهتمون للنسب ويحرصون على الحســب. وكمــا كانوا يفخرون بكرائم انسابهم، كذلك كانوا يزينون ذلك بمحاسن افعــالهم. واذا مــا ولد لهم مولود –لا سيما اذا كان ذكراً– عد ذلك اليوم يوم فرح غامــر وســرور كــبير. وليس هذا مما يحتاج الى دليل. وانما قدمنا من الروايات والاحــاديث المتعــلقة بــولادة الرسول صلى الله عليه وسلم وتعيين العام والشهر واليوم، وذكر اسمه وفرح عبد المطلب بالمولود الكريم ؛ لان ذلك على بداهته، مما يــثير المستشــرقون حــوله الشبهات والشكوك ! و (فيليب حتي) واحد من هؤلاء المفــترين، اذ يــتحدث عن ولادة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم قائلاً: ((في الســنة الحادية والسبعين بعد الخمسمائة، او ما يقاربها، ولد في قبيلة قريش بمكة،

كانت يوم الاثنين، التاسع من ربيع الاول، لاول عام من حادثة الفيل، (٢٠ ابريل–نيسان–)سنة (٥٧١م) انظر كتابه : التقويم العربي قبل الاسلام، ط٢، مجمع البحوث الاسلامية، (مصر، ١٣٨٩هــ/١٩٦٩م) ص ٤٤.

[1] ابــن عبد البر، ابو عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي (ت، ٤٦٣هــ) الاستيعاب في معرفة الاصحاب مطبوع بحاشية الاصابة لابن حجر، الطبعة المصرية، ج١ (مصر، ١٣٢٨هــ) ص٢١–٢٢.

[2] ابــن كــثير، البداية والنهاية، ٢٤٧/٢. وعند ابن هشام : ((قال ابن اسحق :فلما وضعته امه صلى الله عليه وسلم أرسلت الى جده عبد المطلب، انه قد ولد لك غلام فأته فانظر اليه، فأتاه فنظر اليه، وحدثته بما رأت حين حملت به، وما قيل لها فيه، وما امرت به ان تسميه. .)) سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، ١٧٢/١.

صبي دعته امه باسم قد يظل مجهولاً، وبعد ان شب اطلق عليه قومه لقب (الامين) فلزمه. اما في القرآن فاسمه محمد.. واحمد..))[1].

ويكرر ذلك فيما كتبه بعد اكثر من ثلاثين عاماً فيقول مرة اخرى: ((والاسم الذي اطلق عليه -محمد،. يبدو انه لقب فخر، لا الاسم الحقيقي الذي سمته به امه عند مولده..))[2].

ويؤكد ثالثة -وان كان بلهجة تبدو اخف تشكيكاً من ذي قبل -بان ((الاسم الـــذي يجـــب ان تكـــون والدة هذا الرجل الواحد، قد سمته به، فلسنا على بينة منه اليوم. واما الاسم الذي دعاه به (جده عبد المطلب) فهو الاسم المعروف: محمد، أي المحمود كثيراً، وهو اسم يبدو وكأنه من القاب المدح والثناء)) [3].

اتـــرى ان انكار (حتي) الاعتراف بالسند التاريخي لاسم الرسول صلى الله عليه وسلم، يعود الى جهله- وهو الاستاذ- ام الى تعصبه وشدة عدائه ؟! ورحم الله العقـــاد حيث يقول: ((ان ضخامة الخطأ مع سهولة العلم بالصواب، خليقة ان تفتح باب الاتهام في سلامة القصد، قبل الاتهام في سلامة التفكير))[4].

ان المستشـــرقين حيـــن كتـــبوا عن الاسلام بلغاتهم الاوربية، عمدوا الى تحـــريف الاســـم الشريف للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، مرة بعد مرة، وتجنبوا قصداً ذكره صحيحاً على السنتهم. وفي ذلك يقول (حتي) نفسه ان ((احدى واربعين صـــيغة لاســـم محمد توجد في اللغة الانكليزية -على ما جاء في قاموس اكسفورد الكبير- لتدل على ((الصنم))، ثم صارت تعني ((دمية)). وقد اوردها شكسبير بهذا المعـــنى في مسرحيته (روميو وجوليت)) وهنالك صيغة اخرى من اسم محمد هي

---

[1] تاريخ العرب مطول، ترجمة، ادورد جرجي، وجبرائيل جبور، دار الكشاف، ج١ (بيروت، ١٩٤٩م) ص١٥٥.

[2] صانعو التاريخ العربي، ط١، دار الثقافة، (بيروت، ١٩٦٩م) ص١٤.

[3] الاسلام منهج حياة، ترجمة د.عمر فروخ، ط، دار العلم للملايين (بيروت، ١٩٧٢م) ص١١.

[4] ما يقال عن الاسلام، مطبوعات مجلة الهلال (مصر، بلا) ص٦٩.

((ماهون)) كانت تدل عند كتاب التمثيليات الدينية العامة في العصور الوسطى على وثن يعبد))[1].

وفي صدد الرد على مثل هذه المفتريات، يجدر بنا ان نذكر بامرين اثنين:

اولهما:

ليس من المعهود لدى العرب ان تتولى المرأة تسمية مولودها. فالعرف الاجتماعي عندهم كان يقضي -وما يزال- ان ذلك من شأن الرجل وحده [2].

ولما كان الرسول صلى الله عليه وسلم ولد يتيماً، وان جده عبد المطلب هو الذي تولى تربيته وكفالته فبالاحرى ان يكون له حق تسمية المولود دون امه. وهذا ما دلت عليه الروايات التي ذكرناها آنفاً. وبناء على هذا فان ما ردده (حتي) حول تسمية المولود، لا مساغ له، ولا حجة فيه، وليس له وجه صحيح.

ثانيهما:

انه امر غير معقول، ان يبقى اسم الرسول صلى الله عليه وسلم (مجهولاً او لسنا على بينة منه)كما ادعى (حتي)، حتى يشب فيدعوه قومه بالامين ! فبماذا كانوا ينادونه في فترة صباه قبلَ ان يشب ؟! هل كان قومه ينادونه: يا غلام.. يا صبي...

---

[1] الاسلام منهج حياة، ٥٢.

[2] وجاء الاسلام مؤكداً هذا الامر، ويقول ابن القيم : ((هذا مما لا نزاع فيه، وان الابوين اذا تنازعا في تسمية الولد، فهي للاب. .وهذا كما انه يدعى لابيه لا لامه فيقال فلان ابن فلان، قال تعالى : ((ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله)) الاحزاب، ٥، . .والولد يتبع اباه في النسب، والتسمية :تعريف النسب والمنسوب، والتعريف كالتعليم والعقيقة وذلك الى الاب، لا الى الام، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : ((ولد لي الليلة مولود فسميته باسم ابي ابراهيم))..)) انظر كتابه :تحفة المودود باحكام المولود، تحقيق عبد القادر الارناؤوط، ط١، دار البيان، (دمشق، ١٣٩١هـ/١٩٧١م) ص١٣٥.

يا هذا ؟! ولم يكون منفرداً بالحرمان من التسمية دون سائر غلمان العرب ؟! وهل يستطيع (حتي) او غيره ان يذكر لنا مولوداً ثانياً حصل له مثل هذا الحرمان؟!

ان (حتي) وسواه من المستشرقين ارادوا التخلص من ذكر اسم محمد صلى الله عليه وسلم وبشارات التوراة والانجيل به. فكأنهم نفسوا على العرب هذا الشرف العظيم الذي اختصهم الله تعالى به ؛ فقاموا بحملة تشكيك لخدمة غرضهم هذا، وصدق الله عز وجل حيث يقول: ((الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وان فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون)) البقرة، ١٤٦. ويحسن في هذا المقام ان نبين بعض البشارات الواردة بحق النبي محمد صلى الله عليه وسلم وبعثته مما ذكرته الكتب السماوية السابقة:

١- نصت التوراة على ظهور النبي صلى الله عليه وسلم بمكة، اذ ورد فيها (التثنية: ٣٣: ٢): ((جاء الرب من سيناء، واشرق لهم من سعير، وتلألأ من جبل فاران، واتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم)) وفي طبعة لندن (١٨٢٢م): ((جاء الرب من سيناء واشرق لنا من ساعير، استعلى من جبل فاران ومعه الوف الاطهار، في يمينه سنة نار))

((وهذا النص ينطبق انطباقاً تاماً على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فقد ذكرت هذه البشارة مواطن الرسالات الثلاث: (سيناء) وهو الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى، و (ساعير) في ارض (الخليل) بفلسطين وهو موطن عيسى، و (فاران) وهي مكة كما هو معلوم من كتب اللغة وكتب اهل الكتاب -(انظر تاج العروس، مادة: فرن) - ثم قال (ومعه ألوف الاطهار) وهذا ينطبق على محمد وصحبه فقد كانوا ألوف الاطهار كما قال تعالى: ((فيه رجال يحبون ان يتطهروا

والله يحب المطهرين)) التوبة ١٠٨.. واسقط بعض المترجمين هذه العبارة ليطمسوا شيئاً من نور البشارة))[١].

وهذا النص التوراتي يشبه قوله تعالى: ((والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين))التين ١-٣، فقد ذكر (التين والزيتون) وهما موطن عيسى وكثيراً ما تردد في الانجيل اسم جبل الزيتون، وذكر طور سينا وهو الجبل الذي كلم الله عليه موسى، وذكر مكة فقال (وهذا البلد الامين) فجمع مواطن الرسالات الثلاث كما في نص التوراة[٢].

٢- وجاء في انجيل (لوقا) (٢: ١٤) ما ترجمته الصحيحة: ((الحمد لله في السموات، وعلى الارض الاسلام، وللناس احمد)) [٣].

٣- وفي انجيل (يوحنا) (١٦: ٧): ((ان لم انطلق لا ياتيكم الفارقليط)) ومعنى فارقليط حامد وحماد واحمد. وفيه ايضاً (١٤: ١٦) ((وأنا اطلب من الاب فيعطيكم فارقليطاً آخر ليثبت معكم الى الابد)) [٤].

---

[١] انظر :السامرائي، د.فاضل صالح، نبوة محمد من الشك الى اليقين، ط١، مكتبة القدس (بغداد، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م) ص٢٥٧ و(فاران) احد العمالقة السبعة الذين اقتسموا الارض، فجعلوا لـ (فاران) الحجاز، انظر :المتطبب، نصر بن يحي بن عيسى بن سعيد (ت،) النصيحة الايمانية في فضيحة الملة النصرانية، تحقيق محمد عبد الله الشرقاوي، طبعة دار الصحوة (القاهرة، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م) ص١٤٤.

[٢] ابن تيمية، تقي الدين احمد بن عبد الحليم (ت، ٧٢٨هـ) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، طبعة المدني، ج٣ (القاهرة، بلا) ص٣٠٠.

[٣] حقق ذلك الاستاذ عبد الاحد داود وقال ان مترجمي الانجيل عن السريانية لم يتوفقوا (بل عمدوا) في ترجمته الى العربية ترجمة دقيقة. انظر كتابه :الانجيل والصليب، مترجم عن التركية، ترجمة مسلم عراقي، طبعة (القاهرة ١٣٥١هـ) ص ٣٤.

[٤] وقال ابن القيم : الفارقليط بلغتهم لفظ من الفاظ الحمد. .وهو في الانجيل الحبشي برفقطيس. .والدليل عليه، قول يوشع :من عمل حسنة يكون له بارقليط جيد أي حمد جيد)) انظر كتابه :هداية الحيارى في اجوبة اليهود والنصارى، دار الكتب العلمية (بيروت، بلا) ص٣٦٦.

٤- وفـــي انجيـــل (برنابا)[١] (٤١: ٣٠) ورد التصريح باسم النبي محمد صلى الله عـــليه وســـلم ((فلما التفت آدم رأى مكتوباً فوق الباب: لا اله الا الله محمد رسول الله))؛ وايضـــاً (١٦٣: ٧) ((أجاب التلاميذ يا معلم من عسى ان يكون ذلك الرجل الذي تتكلم عنه الذي سيأتي إلى العالم، اجاب يسوع بابتهاج قلب: انه محمد رسول الله))

فهـــذه البشارات الموثقة بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم -صفةً واسماً- وغيـــر ذلك ايضاً من شهادات علماء اهل الكتاب؛ ومن وراء ذلك كله آيات القرآن

واورد المـــرحوم عـــبد الوهاب النجار في (قصص الانبياء) ص٣٩٧-٣٩٨) نص كلامه مع المستشرق الايطالي (كارلو نلليـــنو) قـــال وكـــان يحضـــر معنا دروس العربية بطلب من الحكومة الايطالية. قال النجار رحمه الله سألته :ما معنى (بيريكلتوس) ؟ فاجابني بقوله : ان القسس يقولون ان هذه الكلمة معناها ((المعربي)) .

فقلت : اني اسأل الدكتور (كارلو نللينو)) الحاصل على الدكتوراه في آداب اللغة اليونانية القديمة ولست اسأل قسيساً.

فقال : ان معناها ((الذي له حمد كثير)).

فقلت : هل ذلك يوافق افعل التفضيل من (حمد) ؟

فقال : نعم.

فقلت : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم من اسمائه (أحمد).

فقال : يا اخي انت تحفظ كثيراً ثم افترقنا.

قـــال الـــنجار : وقد ازدادت بذلك تثبتاً في معنى قوله تعالى حكاية عن المسيح : ((ومبشراً برسول ياتي من بعدي اسمه احمد)) سورة الصف، من الآية ٦.

[١] وهـــو المســـمى (الانجيل الصحيح ليسوع المسمى المسيح) وبرنابا هو يوسف، يهودي لاوي قبرصي الجنسية، اعتنق المســـيحية في زمـــان الرســـل، وبدأ يجاهد في نشر الانجيل ويحث الناس على اعتناق المسيحية. وهو ابن عم (مرقس). وبالرغم من كونه من اكبر المبشرين بالانجيل، الا ان الكتابات المسيحية المتأثرة بافكار (بولس) لا تشير الى حياة (برنابا) ولا الى خلافه مع (بولس). وانجيل برنابا كان شائعاً ومشتهراً في القرون المسيحية الاولى، حتى اصدر البابا (جلاسيون الاول ٤٩٢م) امـــراً باســـماء الكتب المنهي عن مطالعتها ومنها انجيل برنابا. و يباين هذا الانجيل عن الاناجيل الاربعة القانونية في عدة امور جوهرية اهمها اربعة وهي :

١- انكار يسوع الوهيته وكونه ابن الله. ٢- ان الذبيح هو اسماعيل وليس اسحاق. ٣- ان المسيح المنتظر (مسيا) ليس هـــو يسوع، بل هو محمد صلى الله عليه وسلم وقد ذكر الاسم صراحة. ٤- ان المسيح لم يصلب بل رفع الى السماء. انظـــر : يـــزدين، حميد عادل، تدوين الكتب المقدسة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة بجامعة بغداد لسنة ١٤٠٥هـــ-١٩٨٥م، ص٥٠٩-٥٢٠.

الكريم التي تنص على ان اسم النبي- احمد ومحمد- مكتوب في التوراة والانجيل، كل ذلك يقطع بصدق البعثة المحمدية، وانها خاتمة الرسالات، وان النبوة قد اديلت من بني اسرائيل إلى بني اسماعيل فهم احق بها وكانوا اهلها، والله تعالى يقول: ((الله اعلم حيث يجعل رسالته)) الانعام، ١٢٤. وقال تعالى((واذ قال عيسى ابن مريم يابني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول ياتي من بعدي اسمه احمد. فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين. ومن اظلم ممن افترى على الله كذباً وهو يدعى الى الاسلام والله لا يهدي القوم الظالمين. يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون)) الصف، ٦-٨.

انه محمد صلى الله عليه وسلم منذ ولادته، وفي صباه وشبابه، وعند مبعثه وصدق حسان ابن ثابت الأنصاري (ت، ٥٤ هـ) شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ يقول:

وشقّ له من اسمه ليجلّه فذو العرش محمود وهذا محمد [1]

---

[1] ويروى لابي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم، انظر :ابن كثير،البداية والنهاية ٢/٢٤٧.

المبحث الثاني

الافتراء على الرسول ﷺ

في اسرته

لقد ظل كثير من المستشرقين ومن مضوا في التبعية لهم يطعنون في حسب ونسب الرسول الاكرم صلى الله عليه وسلم، ويقولون بانه من اسرة اجتماعية متواضعة. وقد اغفل جميع هؤلاء الشواهد التاريخية التي تثبت ان بني هاشم -ورسولنا منهم- كانوا يتمتعون باشرف نسب واعلى مكانة، وكان لهم شرف السيادة في الاشهر الحرم على قريش مكة، حيث كان يناط بهم مسؤولية السقاية لحجيج بيت الله الحرام، ومسؤولية الرفادة (الاطعام) ايضاً، كما كانت الحجابة والندوة في بني عبد الدار، واما القيادة فكانت من نصيب عبد شمس بن عبد مناف[1].

يذكر (حتي) الاسرة التي ولد فيها الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم -اسرة بني هاشم، ويصفها بأنها: ((قد قعد بها الدهر، فلم تكن تشرك سائر اسر القبيلة من قريش في الازدهار الاقتصادي التي تمتعت بها تلك الاسر، ولا في السلطة التي كانت لها))[2].

ولكنه -اي حتي- لم يلبث ان يقع في التناقض، اذ يذكر في (المطول) ان ((مكة جمهورية صغيرة تجارية، يرأسها الموسرون من اكابر قريش ومقدميها

---

[1] الازرقي، محمد بن عبد الله بن احمد، ابو الوليد (ت، ٢٤٤هـ /٨٥٨م) اخبار مكة، تحقيق رشدي الصالح ملحس، ط٢، دار الاندلس، ج١ (مكة المكرمة، ١٣٨٥هـ-١٩٦٥م) ص١١٠-١١٥.

[2] الاسلام منهج حياة، ١٣.

الذين اتاحت لهم موارد التجارة، ومناصب البيت الحرام، جاهاً ووسائل للترف على اوسع نطاق))[1].

ويخصص بكلام ادق اسرة النبي محمد فيقول عنها: ((وكان قصي مؤسس مجد قريش فابتنى، في الشطر الاخير من القرن السادس، دار الندوة، ليجتمع فيها كبراء اهل مكة تحت امرته، ليتشاوروا في مهام بلدتهم، وما ان اخذ نجم الاسرة يتألق حتى ظهر فيها كبير آخر، هو عبد المطلب – جد النبي- الذي يروى انه كان حامي حوض مكة حين وجه ابرهة جيشه لهدم البيت الحرام))[2].

فإذا كان هذا شأن أسرة النبي في الجاه والسيادة -باعتراف حتي- فكيف اذن تكون اسرة قعد الدهر بها ولم تشرك الأسر الأخرى في السلطة أو الازدهار الاقتصادي ؟! ومن الذي حجب ذلك عنها ؟ ومتى ؟

ونحن نعلم ان الرسول صلى الله عليه وسلم عاش في رعاية عمه ابي طالب الذي كان يحوطه بالمحبة والشفقة، وابو طالب لم يكن معدماً او فقيراً، بل كان ميسور الحال، وتاجراً معترفاً به من تجار مكة، وقد كان يسافر بتجارته إلى الشام. وواقعة سفر ابي طالب ومعه ابن اخيه محمد -وهو لما يزل صغيراً ومقابلة بحيرا الراهب – على فرض ثبوتها- [3]، ان لم تدل على ما كان لابي طالب من ثروة وغنىً، فلا اقل من ان تبين انه كان ميسور الحال، لان اياً من تجار مكة لم تكن لديه القدرة آنذاك على ارسال قافلة، او المضي بقافلة الى الشام دون ان يكون صاحب ثروة كبيرة او معقولة بالحد الادنى.

---

[1] تاريخ العرب، ١/١٤٥.

[2] تاريخ العرب، ١/١٤٥.

[3] وسيأتي مزيد تفصيل لحادثة الراهب -بحيرا- في الباب الثاني — الفصل الثاني : الافتراء على القرآن

المبحث الثالث

الافتراء على الرسول ﷺ

في نشأته

نشأ صلى الله عليه وسلم نشأة فتيان الذؤابة من قريش، ولم يلتفت في حياته الى شـــيء الا الى معالي الامور. وكان في اسرته محاطا بكل الرعاية خاصة وانه قـــد فقد اباه صغيراً فكان اعمامه يرونه البقية الطيبة والفرع الوارث لوالده عبد الله بن عبد المطلب فكانت شخصيته واضحة وجلية منذ ولادته فنشأته ثم بعثته من بعد حتى وفاته.

((حتى ان ادق الاعمال واخفاها، واجل الاحداث واقلها، كانت ماثلة للتاريخ عـــلى الوجه العلمي الصحيح)) [1] وما من قول او تصرف او حالة لها صلة بحياته الشـــريفة قـــبل النبوة وبعدها، الا وكانت على مستوى من الوضوح والاطمئنان ـــ يشهد له الاعداء قبل الاصدقاء.

يقـــول (بودلي): ((وبينا اننا لا نجد تاريخاً عن موسى او كونفوشيوس او بـــوذا وبينما لا نعرف الا بعض شذرات عن حياة المسيح بعد رسالته، ولا نعرف عـــن الثلاثين سنة التي مهدت الطريق للسنوات الثلاث التي بلغ فيها اوجه، الا ان قصة محمد واضحة كل الوضوح.. الى ان يقول: وفي سيرة محمد نجد التاريخ بدل الظـــلال والغمـــوض، نعرف الشيء الكثير عن محمد، كما نعرف ذلك عن رجال عاشوا في ازمان اكثر قرباً من زماننا، وما كان تاريخه الخارجي، وشبابه واقاربه

[1] نذير حمدان، الرسول في كتابات المستشرقين، ط٢، دار المنارة (جدة، ١٤٠٦هـــ/١٩٨٦م) ص ٥٢.

وعاداته، خرافة من الخرافات، ولا شائعة من الشائعات، وما كان تاريخه الداخلي، وقد وضح رسالته، برواية مبهمة لمبشر غامض او مشوش.. حتى انهم لم يدعوا المكان الذي تنفس فيه، اول ما تنفس، يحيطه أية ريبة او غموض))[1].

أما ما يقوله (حتي) عن نشأة الرسول صلى الله عليه وسلم فهو: ((ومع انه ليس بين انبياء العالم من ولد في ضوء التاريخ الا محمداً، فان نشأته محاطة بالغموض، فليس لدينا عن سعيه في طلب الرزق، ومحاولاته لبلوغ آماله، وادراك الغرض الذي كان يرمي اليه، وما قاساه من المشقة والالم في سبيل تحقيقه، سوى قليل من الاخبار الموثوقة))[2].

فهل صحيح ان نشأته محاطة بالغموض ؟ الم يذكر (حتي) ان قوم الرسول لقبوه بالامين؟ وما هذا الا لامانته التي اشتهر وعرف بها، بل كانت ودائع اهل مكة تودع لديه والتي بسببها بات سيدنا علي بن ابي طالب رضي الله عنه في فراش النبي ليلة الهجرة ليرد الودائع الى اصحابها وهناك جملة وقائع هامة خلال فترة نشأته صلى الله عليه وسلم حدثت قبل البعثة المحمدية ونجملها في ما يلي:

١. رضاعه في بني سعد وتربيته في بيت حليمة السعدية، وقد ارتبطت هذه الواقعة ببعض الإرهاصات، وبعض هذه الروايات ضعيف وغير مسند، ولكن هذا لا يعني رفض الواقعة كلها. ومن تلك الإرهاصات حادثة شق صدره وهو يلعب مع الغلمان [3]. ولم يشر (حتي) الى هذه الواقعة.

---

[1] ر. ف. بودلي، الرسول –حياة محمد، ترجمة محمد محمد فرج وعبد الحميد جودة السحار (القاهرة ١٩٤٥) ص ٩-١٦، نقلاً عن نذير حمدان، المصدر السابق، ص ٥٢-٥٣.

[2] تاريخ العرب، ١/١٥٦.

[3] ابن هشام السيرة، ١/١٧٤-١٧٦ ؛وفي صحيح مسلم :ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فاخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب فاستخرج منه علقة فقال هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه ثم اعاده في مكانه. وجاء الغلمان يسعون إلى امه- مرضعته- ينادون ان محمداً قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون. قال انس : وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره. انظر: مسلم، الصحيح، ١/٨٢.

٢. حماية الله تعالى له في فتوته من امور الجاهلية [١].

٣. اشتراكه في حرب الفجار، وكان عمره اربع عشرة سنة على قول وعشرين سنة على قول آخر [٢].

٤. شهوده حلف الفضول [٣].

٥. اشتراكه في تعمير الكعبة، وتحكيمه بين القبائل المتنازعة على رفع الحجر الاسود وكان عمره فيها خمسة وثلاثين عاماً [٤].

وقد حاول المستشرقون ان يمروا على هذه الاحداث مروراً عابراً، بل ان (فيليب حتي) لم يذكر منها شيئاً سوى حادثة اشتراك الرسول صلى الله عليه وسلم

---

[١] ذكر ابن كثير انه صلى الله عليه وسلم قال :ما هممت بشيء مما كان اهل الجاهلية يهمون به من امر النساء الا ليلتين، كلتاهما عصمني الله عز وجل فيهما، قلت ليلة لبعض فتيان مكة، ونحن في رعاية اهلها، فقلت لصاحبي :ابصر لي غنمي حتى ادخل مكة، اسمر فيها كما يسمر الفتيان ؟فقال :بلى. قال : فدخلت حتى جئت اول دار من دور مكة، فسمعت عزفاً بالغرابيل والمزامير، فقلت : ما هذا ؟ قالوا :تزوج فلان فلانة، فجلست انظر، وضرب الله على اذني، فوالله ما ايقظني الا مس الشمس. .ثم قلت له ليلة اخرى :ابصر لي غنمي. .)) البداية والنهاية، ٢٦٧/٢. وعن ابن الاثير : ((ما هممت بشيء مما كان في الجاهلية يعملونه، غير مرتين، كل ذلك يحول الله بيني وبينه، ثم ما هممت به حتى اكرمني الله بالرسالة))انظر، ابن الاثير، عز الدين ابو الحسن علي بن ابي الكرم الشيباني (ت، ٦٣٠هـ) الكامل في التاريخ، ط٣، دار الكتاب العربي، ج٢ (بيروت، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)ص٣٨.

[٢] ابن هشام ١٩٨/١، ابن كثير، البداية والنهاية ٢٦٨/٢ و ٢٧٩ ؛وايضاً :الحلبي، علي بن برهان الدين الشافعي (ت، هـ) السيرة الحلبية المسماة انسان العيون في سيرة الامين والمأمون،طبعة المكتبة التجارية الكبرى، ج١ (مصر، بلا) ص ١٥١، وسميت بالفجار بما استحلت في كنانة وقيس من المحارم بينهما، وكان القتال فيها في اربعة ايام.

[٣] وكان بدار عبد الله بن جدعان في مكة، وقال صلى الله عليه وسلم ((لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما احب ان لي به حمر النعم- أي بفواته- ولو دعي به في الاسلام لاجبت)) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٢٦/٢ ؛ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٧٠/٢.

[٤] ابن هشام السيرة ٢٠٩/١، وفي البخاري لما بنيت الكعبة ذهب النبي صلى الله عليه وسلم والعباس ينقلان الحجارة، فقال العباس للنبي صلى الله عليه وسلم :اجعل بازارك على رقبتك، فخر الى الارض وطمحت عيناه الى السماء فقال: اربي ازاري فشده عليه)) وانظر البداية والنهاية ٢٦٦/٢.

في حرب الفجار فقال عنها بصيغة التشكيك: ((واستعرت هذه الحرب، ومحمد فتى، ويحكى انه شهد بعض وقائعها الاربع))[1].

ومعـلوم انه صلى الله عليه وسلم بعد رعيه الغنم، احترف التجارة، وهو في اوائل العشرين من عمره الشريف وعندما تزوج خديجة رضي الله عنها -وكان يومها في الخامسة والعشرين-ظل يعمل بالتجارة حتى البعثة [2].

ومن معالم حياته قبل البعثة، التحنث والعبادة التي كان يقوم بها لشهر واحد في العـام، هو شهر رمضان. واما باقي السنة فكان يقضيها في واجباته الدنيوية العائلية والمعاشية، فحياته صلى الله عليه وسلم كانت كلها كفاحاً وعملاً متواصلين، وليس كما يزعم حتي) اذ يقول: ((ولم ينس محمد وهو في ذروة المجد -اي بعد ان دانـت الجزيرة العربية بدين الله ايام فقره وخمول ذكره، بل بقي زاهداً في الطعام واللباس يسكن بيتاً من الطين..))[3]. محمد صلى الله عليه وسلم الامين الذي تخطبه السـيدة خديجـة لنفسها [4]، فتى بني هاشم، الحكم بين القبائل هذا الكريم يعد خامل الذكر ؟!.

[1] تاريخ العرب، ١٢/١.

[2] وكـان له شـريك هـو السـائب بن ابي السائب اسلم وحسن اسلامه. انظر :ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الاصحاب، ١٠٠/٢-١٠٢.

[3] تاريخ العرب، ١٦٥/١، ويقول المستشرق (بودلي) : ((ان بساطة النبي في طعامه ولباسه، وفي يده ان تساق له الدنيا جميعاً-لو اراد- دليل على انه رسول الله)) ينظر.نقلاً الجبري، عبد المتعال محمد، السيرة النبوية واوهام المستشرقين، ط١ ، مكتبة وهبة (القاهرة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م) ص٦١.

[4] اورد (المبرد) خطبة ابي طالب لرسول الله صلى الله عليه وسلم في تزوجه خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، فقال ابو طـالب : الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل، وجعل لنا بلداً حراماً ، وبيتاً محجوجاً، وجعلنا الحكام على الناس؛ ثم ان محمد بن عبد الله، ابن اخي، من لا يوازن به فتى من قريش، الا رجح عليه براً وفضلاً، وكرماً وعقلاً ومجـداً ونبلاً، وان كان في المال قلّ ؛ فانما المال ظل زائل وعارية مسترجعة ؛وله في خديجة بنت خويلد رغبة، ولها فيه مثل ذلك، وما احببتم من الصداق فعلي))قال المبرد :وهذه الخطبة من اقصد خطب الجاهلية. انظر :المبرد، محمد بن يزيد ابو العباس (ت، ٢٨٥هـ) الكامل، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، مطبعة النهضة، ج٤ (القاهرة، بلا) ص٤.

ولا ينسى (حتي) ان يأتي بحادثة مكذوبة، يدنس بها نشأة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم فيقول هو يتحدث عن العزى من اصنام الجاهلية: ((ويقول الكلبي انها كانت اعظم الاصنام عند قريش، فكانوا يزورونها ويقدمون لها الذبائح. وروى ان رسول الله ذكرها يوماً فقال: ((لقد اهديت للعزى شاة عفراء)) وكان ذلك في ايام حداثته)) [1].

ومن حقنا ان نطالب (حتي) بالمصدر الذي اخذ عنه هذا الحديث المفترى. وبين ايدينا ((المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوي)) وليس فيه ذكر لما رواه (حتي)، وينفي ابن هشام في السيرة أي شرك في عبادة الرسول الكريم فيقول: ((فشب رسول الله، والله تعالى يكلؤه ويحفظه ويحوطه من اقذار الجاهلية، لما يريد به من كرامته ورسالته)) [2].

وفي كتابه ((الاسلام منهج حياة)) يقول (حتي): ((ولا شك في ان الرسول كان -وهو يتأمل حال قومه من العرب- يدرك كثيراً من احوال نصارى الشام والحبشة من تجار وعبيد ارقاء، ويحتك بنفر او بجماعات من هؤلاء احتكاكاً شخصياً ايضاً.. وهناك لمحة ثالثة من التاريخ في حياة هذا الرجل، كان يتبدى فيها شفيقاً على قومه قلقاً، حتى كان عام ٦١٠م. في تلك الاعوام التي سبقت كان محمد موزع الفكر بين سوء حال قومه وبين الامل في انقاذهم مما كانوا فيه، فانصرف الى الاعتزال للتفكير في ذلك كله، وهو يصبو الى حل لتلك المشكلة المقلقة، ويقلب بصره في الطريقة التي يمكن ان تخرج بقومه من ذلك التخلف)) [3].

ولو قارنا هذه الادعاءات بما قاله سابقاً عن نشأة الرسول الكريم من انها ((محاطة بالغموض فليس لدينا عن سعيه في طلب الرزق، ومحاولاته لبلوغ آماله، وادراك الغرض الذي كان يرمي اليه، وما قاساه من المشقة والالم، في سبيل

[1] تاريخ العرب، ١/١٣٨.
[2] ابن هشام، السيرة، ١/١٩٧.
[3] ص١٦.

تحقيقه، سوى قليل من الاخبار الموثوقة)) نقول كيف اهتدى (حتي) الى معرفة ان النبي كان يدرك كثيرا من احوال نصارى الشام والحبشة.. ويحتك بنفر او بجماعات.. وانه كان موزع الفكر بين سوء حال قومه وبين الامل في انقاذهم وانه كان يقلب بصره في الطريقة التي يمكن ان تخرج بقومه من التخلف.. ؟ كل هذا علمه من دون ان يذكر لنا رواية تاريخية موثوقة او غير موثوقة. وهو الذي يقول عن الروايات الموثوقة انها قليلة: هل يصح ان يلقي علينا استنباطات ضخمة كهذه دون سند تاريخي ؟! هل صحيح ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان يفكر في انقاذ قومه فاعتزل لاجل ايجاد الحلول ؟

ان الله سبحانه وتعالى قال مخاطباً نبيه المصطفى((وما كنت ترجو ان يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك..)) القصص، ٨٦. فايهما نصدق ؟!

لقد ركز (حتي) ومعظم المستشرقين اهتمامهم على تعبد الرسول في غار حراء ويعدون هذه الفترة –في نظرهم– فترة يعد فيها نفسه للنبوة حتى يظفر بها ((وهم يطرحون هذه الاهتمامات على صور من التشكيك والافتراض حيناً، وعلى ربط مثل هذا التعبد الفريد فيما يفكر به من تحقيق الآمال والاحلام حيناً آخر)) [1] ويرون تأسيس الرسالة يقوم على الايحاءات الباطنية من جهة، وعلى استعادة ما تعلمه النبي من الرهبان والاحبار من جهة اخرى. ونفسية النبي –في نظرهم– اصبحت مستعدة لتهيؤات مختلفة اضحت تغريه بالاصلاح الاجتماعي عن طريق النبوة التي لم تفارقه احلامها في جميع اوقاته [2].

ولرد هذه الفرية نقول: ((من الواقع التاريخي ثبت ان في مكة خاصة (تحنفاً) و (حنفاء) يكرهون الوثنية ويدينون بالتوحيد، وببقايا الملة الابراهيمية. وكان محمد صلى الله عليه وسلم كاحدهم ولكن احداً منهم لم تعرض له النبوة، ولم

---

[1] نذير حمدان، الرسول في كتابات المستشرقين، ١٧.

[2] نذير حمدان، المصدر السابق، ١٧.

يعرض لها من قريب ولا من بعيد. وكان هناك (محمدون) [1] طمع آباؤهم ان ينال كل منهم ابنه شرفها، بعد ان شاعت اخبار اليهودية والنصرانية ببعثته، ولكن احداً مـــنهم لم يحظ بها لان ((الله اعلم حيث يجعل رسالته))الانعام، ١٢٤. وكان هناك (متعـــبدون) في غار حراء من العرب ولكن احداً من المعتكفين والمتعبدين لم يدع الوحـــي ولـــم تستشـــرف نفسه اليه. ولقد ايدت النصوص الصحيحة احوال التعبد المحمـــدي على صور لا مجال فيها للارتياب. فالرسول كان يرى الرؤيا الصادقة الـــتي تدل على صفاء سريرته ونقاء ذاتيته، فلا يرى رؤيا الا جاءت كفلق الصبح، ثم حبب له (الخلاء) كما يحبب لامثاله المتعبدين، من غير ان يتوقع احد منهم صلة بـــالملأ الاعـــلى.. وكانت فجاءة الوحي بـــ (اقرأ)) ليست صورة واحدة، او نمطاً محـــدداً، وانمـــا هـــي صـــور مفاجئة في البداية تفزع الرسول وتدفعه الى الهرب والاحتماء كما جاء في بعض الروايات [2].

ثـــم تداعت صور الوحي الالهي في فترة ثلاث وعشرين سنة، والصحابة يـــرون بعض هذه الصور رأي العين، ويرون معها التغيرات البدنية الموصفة، من غيـــر ان يخطـــر على البال ان فترة (التحنث) في الغار كانت اعداداً واعياً وخطة مدروسة.

(محمـــد بن عبد الله) هو الرسول بين (المحمدين) وهو النبي بين المتعبدين في (حراء)وهو الذي قضى على (المتنبئين) الذين عرف التاريخ سيرهم قبل التنبؤ وبعدهـــا بمـــا عـــرف من سيرة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم في صدقها واستقامتها وامانتها وقيادتها وآثارها وثمراتها ونظامها)) [3].

---

[1] عد بعضهم ستة عشر ممن سموا بمحمد قبل ولادته صلى الله عليه وسلم. انظر :برهان الدين الحلبي، السيرة الحلبية، ١/ ٩٧.

[2] البخاري، الصحيح، ١/٤-٦.

[3] نذير حمدان، المصدر السابق ١٨-١٩، بتصرف يسير.

المبحث الرابع

الافتراء على الوحي

تعد حقيقة ((الوحي)) [1] الى الانبياء، الاساس الذي يبنى عليه الدين بعقائده وتشــريعاته كمــا انها الفيصل الوحيد بين الانسان الذي يفكر ويبدع من تلقاء نفسه وعقله، وبين الانسان الذي كلفه رب العالمين بالتبليغ عنه دون تحريف من زيادة او نقصان.

قــال تعــالى ((كــان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانــزل معهــم الكــتاب بالحق ليحكم بين الناس..))البقرة، ٢١٣. فالانبياء عليهم الصــلاة والســلام مبعوثون من قبل الله سبحانه وتعالى، ولم ياتوا من قبل انفسهم. وانــزل الله ســبحانه عــليهم الكتب السماوية -وحياً، ليبلغوا الناس احكام الشرائع الالهيــة، دون زيادة او نقصان. قال تعالى ((ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من احد عنه حاجزين))الحاقة، ٤٤-٤٧.

روى الامام البخاري (ت، ٢٥٦هــ) كيفية بدء الوحي، عن عائشة رضي الله عنها قالت:

((اول مــا بــديء به رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة في الــنوم، فكــان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب اليه الخلاء وكان

[1] الوحي لغة :الكتاب وهو ايضاً الاشارة والكتابة والرسالة والالهام والكلام الخفي. والوحي اصطلاحاً هو : ((ان يعلم الله تعــالى مــن اصطفاه من عباده كل ما اراد اطلاعه من الوان الهداية والعلم، ولكن بطريقة سرية خفية، غير معتادة للبشــر)) انظر : الرازي، محمد بن ابي بكر بن عبد القادر (ت ٦٦٦ هــ) مختار الصحاح، بعناية سميرة الموالي، المركز العــربي (بــيروت، بلا) مادة (وحي) ص٥٢٠ ؛وايضاً الزرقاني، محمد عبد العظيم (الشيخ..) مناهل العرفان في علوم القرآن، ط٣، دار احياء الكتب العربية ج١ (القاهرة ١٣٧٢هــ) ص٥٦.

يخـــلو بغـــار حراء، فيتحنث فيه الليالي ذوات العدد قبل ان ينزع الى اهله ويتزود لذلـــك، ثـــم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال له: اقرأ، فقال: ما انا بقاريء. قال فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهـــد، ثـــم ارســـلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما انا بقاريء. فاخذني فغطني الثالثة ثم ارســـلني، فقـــال: اقـــرأ باســـم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق. اقرأ وربك الاكـــرم)) العـــلق، ١-٣. فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده، فدخـــل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، فقال: زملوني، زملوني، فزملوه، حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة واخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي، فقالت خديجـــة: كـــلا والله لا يخـــزيك الله ابداً، انك لتصل الرحم، وتحمل الكلَّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق..))[1].

ثـــم روى البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال، وهو يحدث عـــن فـــترة الوحـــي فقال في حديثه ((بينما أنا -اي رسول الله- أمشي، اذ سمعت صـــوتاً مـــن السماء، فرفعت بصري، فاذا الملك الذي جاءني بحراء، جالس على كرسي بين السماء والارض، فرعبت منه، فرجعت فقلت. زملوني زملوني، فانزل الله تعـــالى: يـــا ايهـــا المدثـــر قم فانذر-الى قوله: والرجز فاهجر. فحمي الوحي وتتابع))[2].

هـــذه الـــرواية الثابـــتة الصحيحة عن بدء الوحي، تنطوي ضمناً الرد على جميع مفتريات المستشرقين والمتشككين:

١- لقد كانت مفاجأةً لرسول الله صلى الله عليه وسلم في غار حراء، ان يرى امامه جبريل عليه السلام يقول له: اقرأ. وفي هذا دلالة على ان ظاهرة الوحي ليست امراً ذاتياً عائداً الى حديث النفس المجرد. انما هي استقبال لحقيقة خارجية وتلق

---

[1] البخاري، الصحيح، ١/٥ ؛مسلم، الصحيح، ١/٧٩.

[2] البخاري، الصحيح، ١/٦، مسلم، الصحيح، ١/٨٠.

لهـــا. وضـــم جبريل لرسول الله وارساله ثلاث مرات يعد تاكيداً لهذا الاستقبال الخـــارجي، ومـــبالغة في نفي ما قد يتصور -خطأ- بان الامر هذا خيال نفسي داخلي فقط.

٢- وتـــاكيداً آخراً لما سبق، يبين الحديث الشريف ان النبي صلى الله عليه وسلم، داخله الخوف والرعب مما سمع ورأى، حتى اضطر الى قطع خلوته والاسراع بالعودة الى اهله يرجف فؤاده. ذلك ليتضح لكل مفكر عاقل ان رسول الله صلى الله عـــليه وســـلم لـــم يكن متشوقاً للرسالة التي سيكلف بها وان الوحي لم يكن ليخطر بباله، انما طرأ عليه طروءاً مثيراً دون سابق توقع.

٣- ((ثـــم ان شـــيئاً مـــن حالات الالهام او حديث النفس او الاشراق الروحي او الـــتأملات العـــلوية، لا يستدعي الخوف والرعب وامتقاع اللون. وليس ثمة أي انسجام بين التدرج في التفكير والتأمل من ناحية، ومفاجأة الخوف والرعب من ناحية اخرى. والا لاقتضى ذلك ان يعيش عامة المفكرين والمتأملين نهباً لدفعات مـــن الرعب والخوف المفاجئة المتلاحقة.. ، كما ان الخوف والرعب ورجفان الجســـم وتغيـــر الـــلون- كـــل ذلـــك من الانفعالات القسرية التي لا سبيل الى اصطناعها والتمثيل بها))[1] وقد افصح الرسول صلى الله عليه وسلم عما داخله من مفاجأة الوحي له فقال لخديجة رضي الله عنها ((لقد خشيت على نفسي)) أي من الجان.

٤- ((وقـــد كان الله عز وجل قادراً على ان يربط على قلب رسوله ويطمئن نفسه بـــان هذا الذي كلمه ليس الا جبريل: ملك من ملائكة الله جاء ليخبره انه رسول الله الى الـــناس -ولكـــن الحكمة الالهية الباهرة تريد اظهار الانفصال التام بين شخصية محمد صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وشخصيته بعدها، وبيان ان شيئاً

[1] البوطي، محمد سعيد رمضان، فقه السيرة، ط٧، دار الفكر (بيروت، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م) ص٦٩.

مـــن اركان العقيدة الاسلامية او التشريع الاسلامي لم يطبخ في ذهنية الرسول عليه الصلاة والسلام مسبقاً ولم يتصور الدعوة اليه سلفاً))[1].

٥- واخيراً ان احتجاب الملك الذي رآه الرسول صلى الله عليه وسلم لاول مرة في الغار، مدةً طويلة رجح بعضهم انها كانت ستة اشهر [2]، حتى خشي الرسول من انقطاعـــه كليةً -لاسيما وان ورقة بن نوفل اعلمه عندما قص عليه ما رأى في حــــراء بانه سيكون نبي هذه الامة [3]، ثم جاءه الملك ثانية وقد ملأ شكله ما بين السماء والارض يقول له: يا محمد انا جبريل وانت رسول الله الى الناس. فعاد الى الـــبيت وقد رعب منه وطلب من اهله ان زملوني زملوني حيث نزل عليه قوله تعالى يا ايها المدثر قم فانذر..

ان هذه الحالة التي مر بها الرسول صلى الله عليه وسلم تبعد مجرد التفكير عـــن كون الوحي الهاماً ذاتياً، بل تعد ذلك القول ضرباً من الهذيان والبهتان. ذلك لان الالهـــام او الـــتأمل لا يجعل صاحبه يمر بمثل هذه الاحوال. وقد روت السيدة عائشة رضي الله عنها ((ولقد رأيته -النبي- في اليوم الشديد البرد يفصم عنه وان جبيـــنه ليتفصد عرقاً))[4]، هذه هي حالة الوحي التي كان عليها النبي صلى الله عليه وسلم.

---

[1] م. ن، ٦٩.

[2] ابن حجر، ابو الفضل احمد بن علي بن محمد العسقلاني (ت، ٨٥٢هـــ) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ط١، مطبعة بولاق، ج١، (مصر، ١٣٠٠هـــ) ص ٢٦ وكذلك : ٣١٧/١٢، ورجح انها كانت اياماً.

[3] ابن هشام، السيرة، ٢٥٦/١.

[4] الــبخاري ٦/١ ؛وقـــال زيـــد بن ثابت -كاتب الوحي، في صفة حال الرسول صلى الله عليه وسلم حين نزل عليه الوحـــي، وكانت فخذ الرسول على فخذ زيد :فوالله ما حدث ووجدت شيئاً اثقل من فخذ رسول الله صلى الله عليه وســـلم. بل ان ناقة الرسول صلى الله عليه وسلم كانت تبرك اذا نزل عليه الوحي وهو راكبها. انظر :ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، ١٨/١.

((ان المستشــرقين عموماً، في قضية دلائل النبوة وصور الوحي، يعتمدون على المصادر الاسلامية الثابتة من حديث وسيرة، كما يستأنسون بالحقائق التاريخية فــي ســيرة الانــبياء والرسل السابقين، ويضيفون اليها شيئاً من دراساتهم النفسية والاجــتماعية واجتهاداتهم الشخصية ؛فما اعتمدوا عليه من نقل المصادر الاسلامية الثابتة لا يقبل الرفض ولا الجدل والنقاش ولا الاختلاف والتعارض، وما استأنسوا بــه من الحقائق التاريخية من النبوات فهو مما يدعم دراستهم، ويقوي حجتهم، وما اضــافوه من دراسات نفسية واجتماعية واجتهادات شخصية، فهو مجال للتعارض والتباين والتنازع))[1].

ويجــب الا يغيــب عن الاذهان، الخلاف الجوهري في فهم وادراك طبيعة الوحــي بين الاسلام والمسيحية، ففي الاسلام الوحي كلام الله ، أما عند المسيحيين ((فــإن الشائع لديهم في معنى الوحي هو ان الله او الروح القدس لم يقيد كاتباً من كتاب اسفار الكتاب المقدس بالفاظ معينة بل اوحى اليهم الفكرة الاساسية وترك لهم حــرية اختيار الالفاظ والتعابير المؤدية الى المعنى المطلوب))[2] فهو الهام الله من يصــطفيه مــن خــلقه لــتدوين معلومات سمعها، او تنبؤات وتوقعات استشعرها. فالانــاجيل تــأليف الذيــن كتبوها، بالهام وتوفيق رباني، وليس ابلاغاً من الله لهم بوساطة الملك –بنصوص محددة المعنى والعبارة.

لذلــك تبقى الفجوة كبيرة بين المفهومين، وهذا اذا سلمنا بحسن النوايا عند مــن يتعرض للحديث او الكتابة في مثل هذا الموضوع الخطير من المستشرقين ! فعندما نطالع ما كتبه (فيليب حتي) عن الوحي، نلمس عدم الوضوح بادياً، والتخبط ظاهــراً، بــل نجــد التحريف المتعمد للروايات التاريخية وهذا اسوأ ما يقدح في موضوعية المؤرخ وامانته !

---

[1] نذيــر حمدان، الرسول في كتابات المستشرقين، ٧٩. وقوله عن المستشرقين انهم يعتمدون المصادر الثابتة من حديث وسيرة فيه نظر.

[2] يزدين، تدوين الكتب المقدسة، ١٥.

واليك نصوصاً مما نثره في مؤلفاته:

١- ((واعـتاد محمد ان يذهب الى غار باعلى جبل حراء.. وفيما هو نائم يوماً في هـذا الغار، سمع صوتاً يامره قائلاً: ((اقرأ باسم ربك الذي خلق))، فكان هذا اول الوحـي وبـدء الرسالة ومرت به فترة من الزمن، ثم سمع صوتاً يناديه للمرة الثانية، فرجع محمد وقلبه يضطرب خوفاً، حتى دخل على خديجة، وهو يقول ((زملوني)) فزملته وهو يرتعد كأن به الحمى، فنزلت ((يا ايها المدثر قم فـانذر)) وكـانت الاصوات التي سمعها النبي تختلف عليه وتشكل، ومنها ما يـاتي احيانـاً مـثل ((صلصلة الاجراس)) الى ان جاءت السور المدنية، فاذا الصوت واحد واضح واذا بمحمد يتحقق ان هذا الصوت هو صوت جبريل))[١].

فهـو يعـرض ظاهرة الوحي والنبوة على انها رؤيا منام: لذا لم تحدث رد فعـل عند الرسول صلى الله عليه وسلم فلم يذكر تتمة الرواية الصحيحة، بل اختار مـنها مـا يوافـق هواه وحذف ما لا يشتهيه. والرواية سبق ان ذكرناها [٢]، وفيها ((فجاءه الملك فقال له اقرأ، فقال ما أنا بقاريء. قال فاخذني فغطني حتى بلغ مني الجهـد، ثـم ارسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما انا بقاريء. فاخذني فغطني الثالثة، ثم ارسلني، فقال: اقرأ باسم ربك الذي خلق. فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده)).

ثـم قوله عن الرسول انه رجع ((وهو يرتعد كان به الحمى)) فمن اين جاء بهـذه ((الحمى)) ؟وكأنه يشعر القاريء بما يفتريه المستشرقون من ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مصاباً -حاشاه- بالامراض.

---

[١] تاريخ العرب، ٦٥٧/١.

[٢] انظر ص ٨٣

وقولـه عن صوت الوحي انه كان (يشكل) على رسول الله. فمعنى هذا انه وحـي مشـوش او هلوسـة ! ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتحقق من صـوت الوحي -كما يزعم (حتي)- الا بعد ان جاءت السور المدنية. ومعلوم لدى الدارسين ان السور المدنية هي التي نزلت في المدينة المنورة، بعد ثلاثة عشر عاماً قضاها النبي صلى الله عليه وسلم في مكة. و يعني هذا ان طيلة العهد المكي (١٣ عامـاً) كان الوحي (يشكل) على الرسول، ولم يكن متحققاً منه ! ونسأل: لماذا زال الاشكال وعدم التحقق في العهد المدني ؟ ان الرسول صلى الله عليه وسلم دعا في مكة الى التوحيد لا غير، فهل تغيرت عقيدة التوحيد في المدينة ؟!

ودعا في مكة الى الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر، فهل امـر بغيـر ذلـك عـندما جـاءت السور المدنية ؟! ((قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين)) البقرة ١١١.

٢- ((وذات ليلة من اخريات ليالي رمضان سنة ٦١٠م، بينما كان محمد يفكر في المشـكلات التي كانت تقلق باله، سمع فجأة صوتاً، يقول له: اقرأ، فكأنه سأل: ما اقرأ ؟ولكن الصوت اتاه ثانية يقول: اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسـان مـا لـم يعلم. ولربما كان النبي ينتفع بالقراءة والكتابة في تصريف شـؤونه، ولكـن يـبدو انه لم يكن متاكداً من انه يستطيع ان يكتب اموراً في الديـن.. ولـم تكن الدعوة التي تلقاها النبي العربي، كتلك التي تلقاها موسى واشعياء وبولس الرسول، اولئك رأوا رؤيا، وسمعوا صوتاً. اما النبي فلم ير، بل سمع صوتاً يدعوه.. نعم، ان محمداً كان يقول عن نفسه انه نبي..))[1].

و(حـتي) لـم يبين (المشكلات) التي كانت تقلق بال النبي صلى الله عليه وسـلم؟ هل هي من النوع العام الذي يتعلق باصلاح الامة وهداية العالم ؟ فإن هذا الامـر يسـتلزم مشـاورة كبار القوم ومراجعتهم كثيراً لاجل تقليب وجهات النظر

[1] صانعو التاريخ العربي، ١٨-١٩.

والاقتناع بافضلها فكرة ووسيلة للاصلاح. ولا ننسى ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان (الامين) عند اهل مكة وكان رجل المجتمع فيهم والحكم المرتضى منهم والمؤتمن على اموالهم.

وان كانت (المشكلات) مما يتعلق بامور شخصية وعائلية، فانها ايضاً لا تستلزم (القلق) والاختلاء بغار حراء. علماً بان من المتفق عليه عند الدارسين ان حياة رسول الله الشخصية كانت اسعد حياة مع اكرم واوفى زوجة -السيدة خديجة رضي الله عنها، والتي لم يفكر يوماً بمفارقتها او التزوج من غيرها بثانية.

ويعمد (حتي) الى التحريف في هذه الرواية، كما صنع في الرواية الاولى. والتحريف في هذه اخطر مما سبق. ان الفرق كبير بين (ما أقرأ ؟) التي اعتمدها (حتي) وبين الرواية الصحيحة (ما أنا بقاريء). ان (ما اقرأ ؟) تفهم ان قائلها يعرف القراءة، ويسأل عما هو مطلوب منه قراءته. اما (ما انا بقاريء) فانها تنفي عن قائلها معرفة القراءة.

ويريد (حتي) ان يبين ان الرسول كان يقرأ ولم يكن امياً، يقول: ((ولربما كان النبي ينتفع بالقراءة والكتابة في تصريف شؤونه، ولكن يبدو انه لم يكن متأكدا من انه يستطيع ان يكتب اموراً في الدين))

فبعد ان يعتمد رواية منتحلة، يبني عليها شبهة، ويستنتج منها فرية. ومعلوم ان الرواية اذا كانت ساقطة، فالاستدلال بها ساقط ايضاً.

اما حديث (حتي) عن موسى واشعياء وبولس بأنهم رأوا رؤيا وسمعوا صوتاً، ولم يحصل مثل هذا لرسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، فهذا مما تكذبه الروايات الصحيحة الثابتة. فان جبريل عليه السلام قد تبدى لرسول الله مرتين في

صـــورته الحقيقيـــة وكـــان هذا سبب رعبه وخشيته على نفسه، فعاد مسرعاً الى خديجة. وقد سبق ان اشرنا الى ذلك [1].

وآخر ما يقوله (فيليب حتي) في هذا النص ((نعم، ان محمداً كان يقول عن نفســـه انه نبي)) وهل في هذه العبارة الا التشكيك؟! نعم ان محمداً كان صادقاً فيما يقول، والكون كله يشهد له، ونحن المسلمين يعلن المؤذن فينا كل يوم خمس مرات يـــنادي: اشـــهد ان محمـــداً رسول الله. ان مشركي مكة استعظموا حادثة الاسراء والمعراج، فجاءوا ابا بكر يحدثونه بما اخبرهم به الرسول، رجاء ان يستعظمه فلا يصـــدقه، فقـــال: ((ان كان قال ذلك لقد صدق)) [2] والمسلم يقول كما قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه.

عـــلى ان من المستشرقين من كفانا مؤونة الرد على تشكيك (فيليب) هذا، فيقول (كارليل): ((ان الرسالة التي اداها ذلك الرسول (يعني محمداً صلى الله عليه وسلم) ما زالت السراج المنير مدة اثني عشر قرناً لنحو مائتي مليون من الناس... افكان يظن ان هذه الرسالة التي عاش بها ومات عليها هذه الملايين كذبة وخدعة؟ أما انا فلا استطيع ان ارى هذا الرأي ابداً، ولو ان الكذب والغش يروجان عند خلق الله هـــذا الـــرواج ويصـــادفان منهم مثل ذلك التصديق والقبول، فما الناس الا بله ومجـــانين، وما الحياة الا سخف، وعبث واضلولة كان الاولى بها الا تخلق.. ولعل العـــالم لم يرقط رأياً اكفر من هذا والأم: هل رأيتم ان رجلاً كاذباً يستطيع ان يوجد ديناً عجباً ؟والله ان الرجل الكاذب لا يقدر ان يبني بيتاً من الطوب ! فهو اذا لم يكن عـــليماً بخصائص الجير والجص والتراب، فما الذي يبنيه ببيت، وانما هو تل من الانقـــاض نعـــم، وليـــس جديراً ان يبقى على دعائمه اثنى عشر قرناً، يسكنه مائتا مليون من الانفس ! وعلى ذلك فلسنا نعد محمداً هذا قط رجلاً كاذباً متصنعاً يتذرع

[1] كما ان جبريل عليه السلام كان يتمثل لرسول الله رجلاً فيخاطبه حتى يعي عنه ما يقول وكان يراه الصحابة احياناً. انظر :ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، ١/١٨.

[2] البداية والنهاية، ٣/١١.

بالحيل والوسائل الى بغية او ملك او سلطان او غير ذلك.. وما الرسالة التي اداها الا حق صراح، وما كلمته الا صوت من العالم الغيبي اضاء العالم اجمع. وهذه حقيقة تدمغ كل باطل وتدحض حجة القوم الكافرين))[1].

ان محمداً صلى الله عليه وسلم لم يقل للناس انه نبي من تلقاء نفسه، ولكن جبريل عليه السلام هو الذي قال له: ((يا محمد انا جبريل وانت رسول الله للناس))[2] وقال تعالى ((وكذلك اوحينا اليك روحاً من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء وانك لتهدي الى صراط مستقيم)) الشورى، ٥٢، والذي اعلمه بالنبوة منذ بداية الوحي، وطمأنه من بعد رعبه، انما هو ورقة بن نوفل ((وكان شيخاً كبيراً قد عمي فقالت له خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن اخيك، فقال له ورقة: يا ابن اخي ماذا ترى ؟ فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى. فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل على موسى، يا ليتني فيها جذعاً، ليتني اكون حياً اذ يخرجك قومك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: او مخرجي هم ؟قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به الا عودي، وان يدركني يومك انصرك نصراً مؤزراً))[3].

والذي شهد لرسول الله محمد انه نبي، على مسمع من البطارقة وعلماء اهل الكتاب ؛انما هو النجاشي ملك الحبشة، فانه سأل جعفر بن ابي طالب –رئيس وفد المهاجرين– ان يتلو عليه شيئاً مما جاءهم به الرسول صلى الله عليه وسلم من عند الله. فقرأ عليه جعفر صدراً من سورة مريم، فبكى النجاشي حتى اخضلت لحيته، ثم قال لهم: ان هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة))[4].

---

[1] كارليل ، توماس، الابطال، ترجمة محمد السباعي، طبعة الدار القومية للطباعة والنشر (مصر، بلا) ص٤٣-٤٥.

[2] ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٣١/٢، ط٣ دار الكتاب العربي، ج٢ (بيروت، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) .

[3] ابن هشام، السيرة ٢٥٦/١، وفيها ((وانه لنبي هذه الامة)) ؛ البخاري، الصحيح ٥/١-٦ ؛برهان الدين الحلبي، السيرة الحلبية ٢٧٤/١.

[4] ابن هشام، السيرة النبوية، ٣٥٩/١ ؛ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٥٥/٢ ؛ابن كثير، البداية والنهاية، ٧٠/٣.

على ان (فيليب حتي) بسبب من (موضوعيته) ذكر كلام جعفر امام النجاشي، غير انه -كعادته- شكك فيها، فقال عنها: ((كلمات نسبتها الرواة الى جعفر..))[1]ونقل ايضاً كلام النجاشي محرفاً فاورده ((قال -اي النجاشي- ان هذا والذي جاء به موسى..))[2].

٣- ((وهناك في سكون الصحراء وهدأة الغار، راح يفكر ويستعرض هذا الكون، ويتفحص ما يجيش في صدره من تساؤلات، وبينما هو كذلك، اذ يدوي في ارجاء المكان هدير كأنه قصف الصواعق، بل هو اشد، واذا بصوت من عالم الغيب يناديه بلهجة الامر، ان ((اقرأ)) والتفت النبي حوله مأخوذا، وتساءل: من انت وما أقرأ، وجاءه الجواب واضحاً مشرقاً: ((انا جبريل انا الوحي، امرني ربي ان انقل اليك رسالته)): ((اقرأ باسم ربك الذي خلق..))[3].

في هذا النص، اوضح (حتي) ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يفكر في هذا الكون، ولم يكن يفكر في (المشكلات) التي كانت تقلقه، كما ذكر في النص السابق (الثاني) ؛واوضح ايضاً ان النبي لم يكن نائماً حين سمع صوت جبريل، كما ذكر في النص الاول ! وبين (حتي) في هذا الموضع ان الوحي جاء (واضحاً مشرقاً) وهذا يناقض ما قاله اولاً بان الوحي كان يشكل صوته على الرسول ولم يتحقق منه الا عندما جاءت السور المدنية !

اما قوله ((وتساءل-اي النبي-: من انت وما اقرأ))فهذا مما نطالب بالدليل عليه، ومن اين استقى هذه الرواية ؟ وهي تشبه ما اورده في النص الثاني حيث يقول:

---

[1] تاريخ العرب ١/١٦٧.

[2] م. ن ١/١٥٨.

[3] حتي، فيليب خوري، خمسة آلاف سنة من تاريخ الشرق الادنى، ط١، الدار المتحدة، ج١ (بيروت، ١٩٧٥م) ص ٢٢٩.

((ســمع فجأة صوتاً يقول له: اقرأ، فكأنه سأل: ما اقرأ))! فهل هكذا يكتب الـتاريخ؟! واي تاريخ! انه تاريخ اعظم حدث في حياة البشرية يتسلط على كتابته ونشــره الاغراب، فيخرجونه للناس مشوهاً محرفاً ! فكم تراهم اساؤوا الى التاريخ فهدمــوه والى البشــرية فأضلوها: يقول (سنوك هر فونجه): ((ان سيرة ((محمد)) الحديثة تدل على ان البحوث التاريخية مقضي عليها بالعقم، اذا سخرت لاية نظرية او رأي ســابق. هــذه حقيقة يجمل بمستشرقي العصر جميعاً، ان يضعوها نصب اعيــنهم، فانها تشفيهم من داء الاحكام السابقة التي تكلفهم من الجهود ما يجاوز حد الطاقــة، فيصــلوا الى نــتائج- ولا شك- خاطئة، فقد يحتاجون في تأييد رأي من الآراء، الى هــدم بعــض الاخبار، وليس هذا بالامر الهين ؛ثم الى بناء اخبار تقوم مقام ما هدموا، وهذا امر -لاريب مستحيل)) [1].

(والرأي السابق) الذي يريد ان يمليه (فيليب حتي) ويوحي به الى القاريء، فيمــا يخــص روايته ((ما اقرأ)) والتي يؤكدها ثانية: ((من انت ؟ وما اقرأ))، انما لاجــل اشعار القاريء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن امياً لا يقرأ ولا يكتب.

وبســبب من هذا القصد الذي في نفسه، نرى (حتي) ينحرف ايضاً بتفسيره لمعنى كلمة (الامي) التي وصف بها الرسول الكريم. ولا بد من تناول هذه الفرية بمبحث خاص.

---

[1] الجبري، السيرة النبوية واوهام المستشرقين، ١١٦.

المبحث الخامس

أمية الرسول ﷺ

ان كلمة ((الامي)) جاءت في ست آيات من القرآن الكريم، هي:

١- ((ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا اماني وان هم الا يظنون)) البقرة، ٧٨.

٢- ((فان حاجوك فقل اسلمت وجهي لله ومن اتبعن وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين ءأسلمتم فان اسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد)) الى عمران ٢٠.

٣- ((ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا مادمت عليه قائماً ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الاميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون)) الى عمران ٧٥.

٤- ((الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اولئك هم المفلحون)) الاعراف ١٥٧.

٥- ((قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعاً الذي له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون)) الاعراف ١٥٨.

٦- ((هو الذي بعث في الاميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين)) الجمعة ٢.

وسـياق هذه الآيات يدل على ان المراد بـ ((الامي)) و ((الاميين)) من لا يعرف القراءة والكتابة.

وفـي تفسـير ((الامـي)) يقول الطبري (ت، ٣١٠هـ): ((ان الامي عند العـرب هو الذي لا يكتب)) [1] وقال ابو حيان الاندلسي (ت، ٧٥٤ هـ): ((الامي الذي لا يقرأ في كتاب ولا يكتب، نسب الى الام..))وقال ابن كثير (ت، ٧٧٤هـ): ((والاميـون جمـع امي وهو الرجل الذي لا يحسن الكتابة.. وهو ظاهر في قوله تعالى ((لا يعلمون الكتاب)) أي لا يدرون ما فيه)) [2].

والقـرآن كمـا وصف النبي محمداً صلى الله عليه وسلم بانه (أمي)، بين معناها في آية أخرى، فقال مخاطباً الرسول ((وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذاً لارتاب المبطلون)) العنكبوت، ٤٨.

قـال ابن كثير: ((وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دائماً الى يوم الديـن، لا يحسن الكتابة، ولا يخط سطراً ولا حرفاً بيده، بل كان له كتاب يكتبون بين يديه الوحي والرسائل الى الاقاليم)) [3].

انـه من غير المعقول ان يبلغ النبي صلى الله عليه وسلم الناس هذه الآية، والتي تعلن عدم معرفته القراءة والكتابة، لو كان يقرأ ويكتب، لاسيما وان اصحابه يعرفون واقع الحال جيداً. افلا يكون هذا مدعاة للشك في ربانية القرآن، والارتياب بصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم؟!

وبعد هذا كله، يأتي (حتي) ليفهمنا ان ((لفظة امي في القرآن تطلق في رأي اهل السنة ـــ على من لا يقرأ او يكتب، الا ان الطبري- تفسير- يقول ان الاميين

---

[1] الطبري، محمد بن جرير (ت، ٣١٠هـ) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط١، مطبعة بولاق، ج١ (مصر، ١٣٢٣ هـ) ص ٢٩٦.

[2] التفسير الكبير المسمى البحر المحيط، ط٢، دار الفكر، ج١، (بيروت، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م) ص

[3] ابـن كثير اسماعيل بن عمر ابو الفدا، (ت، ٧٧٤هـ) تفسير القرآن العظيم، طبعة عيسى البابي الحلبي، ج١ (مصر، بلا) ص١١٦ .

هم الذين لا كتاب لهم من مشركي العرب. والنقادة من العلماء يرون ان لفظة امي في القرآن، ترمز الى غير اهل الكتاب ويجب ان تفسر بمعنى الذي لا يقرأ الاسفار المقدسة مما عند اليهود والنصارى))[١].

وكلامه هذا يشتمل على ثلاث نقاط:

الاولى: ان رأي اهل السنة يذهب الى ان (الأمي) من لا يقرأ او يكتب. وهذا صحيح ومسلم به.

الثانية: ان (حتي) يرد رأي اهل السنة، ويستند في ذلك على قول نقله عن الطبري وعندما رجعنا الى تفسير الطبري، وجدناه قد رد قول من يقول ان (الاميين) هم من جحدوا كتب الله ورسله، وقال في رده: ((وهذا التأويل على خلاف ما يعرف من كلام العرب المستفيض بينهم..))[٢].

الثالثة: قوله ((ويجب ان تفسر -الامي- بمعنى الذي لا يقرأ الاسفار المقدسة مما عند اليهود والنصارى)) وهذا اعتراف صريح بأن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يقرأ عن هذه الاسفار، فهو اذا لم يقتبس شيئا منها، ولم يعلمه احد منهم شيئاً او يطلعه على شيء.

واخيراً نقول: ((ان القراءة والكتابة لا تعطي المستشرقين حاجتهم من الايحاء بان محمداً صلى الله عليه وسلم قاريء كاتب ألف كتابه، لان عيسى وموسى -عليهما السلام- كانا يقرأن ولم يكذبهما احد في دعواهما تلقي التوراة والانجيل من السماء))[٣].

---

[١] تاريخ العرب ١٦٨/١

[٢] الطبري ، تفسير، ٢٩٦/١.

[٣] الجبري، السيرة النبوية واوهام المستشرقين، ١٥٠.

المبحث السادس

الافتراء على الرسول ﷺ

في تعدد زوجاته

للاسلام فلسفته للحياة، نجح من خلالها، وبسبب من واقعيتها، إن يقيم المجتمع البشري على اسس انسانية، والانسان بفطرته كائن متدين. قال تعالى: ((فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله)) الروم، لذا كان الناس وعلى مر العصور في حاجة الى دين يستجيب لحاجاتهم المادية والعاطفية، ويحقق لهم الطمأنينة والسلامة في الدنيا والآخرة معاً. والواقع ان الاسلام يفي بهذه المطالب على اكمل الوجوه وافضلها. وقد كفل للانسان غذاء الارواح وغذاء الابدان في توازن دقيق وفق منهج مستقيم. ومعلوم ان الخط المستقيم هو اقصر بعد بين نقطتين: ((اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين)) الفاتحة، ٧.

وشريعة الاسلام-بما انها آخر الشرائع السماوية - جاءت بالاحكام التي اقتضاها نضج العقل البشري، فضلاً عما عدلته من احكام الشرائع السابقة، ليستقر عليها الانسان، ويسير في ضوئها، فيضمن سعادته ويطور حياته، ويحقق الغاية من وجوده: ((فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى)) طه، ١٢٣.

وشريعة الاسلام كما انها خالدة في الزمان والمكان، فهي ايضاً شاملة لاوجه النشاط الانساني كله ؛ فترى الى جانب احكام العبادات احكاماً تخص الاقتصاد والسياسة والجهاد فضلاً عن احكام الاسرة وما يتعلق بها مما يسمى بالاحوال الشخصية كالزواج والطلاق وغير ذلك.

وخصـــوم الاســـلام من المستشرقين ومن تأثر بمناهجهم، تناولوا الشريعة الاسلامية بالدراسة الواسعة، وشككوا -معظمهم- باحكامها وصلاحيتها [1]، وامتدت افـــتراءاتهم وتسرب تشكيكهم الى كل المقررات الاسلامية والامجاد التاريخية التي اطمأنت قلوب المسلمين بها. حتى طال افتراؤهم خصوصية الاسرة النبوية واحوال الـــبيت النبوي، وحشروا انفسهم فيها باعنف مما يتحدثون به عن الاحكام العامة او المصـــادر الاســـلامية. ونســـتعرض في ما ياتي فرية احدهم -(حتي)- في مسألة زوجات الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم.

يقول (حتي): ((لقد تزوج النبي من نحو اثنتي عشرة زوجة، بعضهن بدافع الحـــب)) [2] لقـــد افـــاض خصوم الاسلام بالحديث عن تعدد الزوجات الذي اباحه الاسلام، وطعنوا فيه، وخصوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهم وافر من النقد والاتهام لذات الموضوع.

وفي هذا الصدد، نرد ونذكر بما يلي من الحقائق:

١- ينســـى هؤلاء -جهلاً او عمداً- ان التعدد ليس من صنع الاسلام فحسب وانما هو تشريع قديم عرفته كل الحضارات، وفي مقدمتها التوراة واقره الانجيل- الا فـــي حالة واحدة هي حالة الاسقف حيث لا يستطيع الرهبنة مع تعدد الزوجات، فليكـــتف بزوجة واحدة-، والقوانين الوضعية هي التي حرمت التعدد في العالم المســـيحي. بل بقي التعدد معروفاً في المسيحية حتى القرن السابع عشر. وظل

[1] نذكـــر منهم :اغناطيوس جولد زيهر في كتابه ((العقيدة والشريعة في الاسلام، ط٢، دار الكتاب العربي بمصر وانظر: النشمي، المستشرقون واصول التشريع الاسلامي، ٣٢-٣٣.

[2] تاريخ العرب، ١٦٦/١.

آبــاء الكنيســة فــي الغــرب يبيحون تعدد الزوجات، ويعترفون بابناء الملوك الشرعيين من ازواج متعددات))[1].

٢- وينســى هؤلاء -جهلاً او عمداً- ان التعدد "سنة الانبياء القدامى، مثل موسى وغيــره، الذيــن لا يبدو ان احداً من الناس يعترض على زواجهم المتعدد. فهل يكــون مرد هذا الجهل في تفاصيل حياتهم اليومية، على حين معرفة كل شيء عن حياة محمد صلى الله عليه وسلم العائلية ؟!))[2].

٣- وينسى هؤلاء -جهلاً او عمداً- ان النبي سليمان عليه السلام كان متزوجا من الف امرأة ولم يتهمه احد بشهوانية وغيرها، جاء في سفر (الملوك الاول ١١: ١ -٣): ((واحــب المــلك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون: موآبيات وعمونيات وادوميات وصيدونيات وحثيات، من الامم الذين قال عنهم الرب لبني اســرائيل لا تدخــلون اليهــم وهم لا يدخلون اليكم. لانهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم. فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة. وكانت له سبع مئة من النساء السيدات وثلاث مئة من السراري فامالت نساؤه قلبه)).

٤- يــتفق المؤرخــون واصحاب السير ان اولى زوجات الرسول صلى الله عليه وســلم كانت خديجة بنت خويلد رضي الله عنها. تزوجها عليه الصلاة والسلام وقد تم له من العمر خمسة وعشرون عاماً او اقل. وكان لها من العمر اربعون.

---

[1] العقــاد، عباس محمود، حقائق الاسلام واباطيل خصومه، المكتبة العصرية (بيروت، بلا) ص١٧٧-١٧٨، وله ايضاً : الفلسفة القرآنية، ط٢، دار الكتاب العربي (بيروت، ١٩٦٩م) ص٦٠.

[2] فاغليري، دفاع عن الاسلام، ١٠١.

وكـــانت من قبل متزوجة من غيره فهي ايم وليست بكراً. ولم يتزوج في حياتها حتى ماتت قبل الهجرة الى المدينة بثلاث سنين وعاشت خمسة وستين عاماً [1].

((ان اول ما يدركه الانسان من هذا الزواج، هو عدم اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم باسباب المتعة الجسدية ومكملاتها، فلو كان مهتماً بذلك كبقية اقرانه مـــن الشبان، لطمع بمن هي اقل منه سناً، او بمن ليست اكبر منه على اقل تقدير. ويتجلى لنا انه صلى الله عليه وسلم انما رغب في شرفها ونبلها بين جماعتها حتى انها كانت تلقب في الجاهلية بالعفيفة الطاهرة))[2].

وقال ابن هشام: ((وكانت خديجة يومئذ اوسط نساء قريش نسباً.. كل قومها كان حريصاً على ذلك منها- أي الزواج- لو كان يقدر عليه))[3].

ثـــم ان مـــن حقائق النفس البايولوجية (الحياتية) ان سني الشباب -ما بين العشـــرين والخمســـين- تكون فيها الغريزة اقوى ما تكون، ومع هذا -ومع توفر العـــرف المســـاعد فـــي البيئة العربية- بقي صلى الله عليه وسلم يعيش مع زوجة واحـــدة، دون ان يفكر بان يضم اليها ثانية: زوجة كانت او امة. في وقت كان فيه التعدد قاعدة وكان الطلاق فيه سهلاً الى ابعد الحدود.

ولقـــد كانت حياته معها مثال السعادة والوفاء، وخلال السنين الطوال التي قضـــاها مع زوجته لم يشأ الرسول صلى الله عليه وسلم ان يجرح قلب خديجة ولم يـــثر غيرتها بزواج من امرأة اخرى. وطالما حن اليها بعد وفاتها، وذكرها بالخير والعرفان.. وفي الحديث الشريف: ((وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذبح

---

[1] ابـــن هشام، السيرة، ١/٢٠٢، ابن القيم، زاد المعاد، ١ /٢٦ ؛ابن جماعة، نور الدين ابو عبد الله محمد بن ابراهيم بن عـــبد الله الكناني الشافعي (ت، ٧٦٧هـــ) المختصر الكبير في سيرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق آسيا كليبان علي الزهيري، ط١، مكتبة النهضة (بغداد، ١٩٩٠م) ص٩٦-٩٧.

[2] البوطي، فقه السيرة، ٥٧.

[3] ١/٢٠٥.

الشـــاة يقــول ارســـلوا بها الى اصدقاء خديجة، قالت –اي عائشة– فاغضبته يوما فقــلت: خديجة ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اني رزقت حبها)) [1] وكان المصطفى صلى الله عليه وسلم –بابي هو وامي – ((لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة فيحسن الثناء عليها))[2].

لقــد قضى معها صدر شبابه الطهور، ثم ودعها فودع معها شبابه، الم يسم رسول الله صلى الله عليه وسلم عام وفاتها عام الحزن ؟! [3]

وبعــد وفاتها في العام العاشر من البعثة، تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم سودة بنت زمعة القرشية ثم تعددت الزوجات من بعد ذلك في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما هي الحكم والاسباب ؟

اسباب تعدد زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم

يمكــن للـــباحث ان يقســم حياة الرسول صلى الله عليه وسلم العائلية الى مرحلتين:

الاولى: مرحـــلة الشـــباب والكهولـــة وهي التي بدأها صلى الله عليه وسلم في سن الخامسة والعشرين بالزواج من خديجة رضي الله عنها، وانتهت بوفاتها، وقد جاوز الرسول صلى الله عليه وسلم الخمسين. ولم يتزوج غيرها طيلة حياتها الشريفة، وقد قضى معها ما يقارب ثلاثين عاماً.

الثانية: مرحلة ما بعد الكهولة حتى الوفاة وفيها –وبسبب من مسؤولياته الاستثنائية الخاصة –تزوج الرسول صلى الله عليه وسلم بعشر نساء هن على الترتيب:

---

[1] مسلم، الصحيح، ٣٧١/٢.

[2] البخاري، الصحيح ٤٨/٥

[3] كـــانت وفاتها ووفاة ابي طالب عم الرسول صلى الله عليه وسلم في عام واحد، وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين، ابن هشام، السيرة، ٥٧/٢.

سودة بنت زمعة القرشية، عائشة بنت ابي بكر الصديق، حفصة بنت عمر بـــن الخطـــاب، زينب بنت خزيمة القيسية، ام سلمة هند بنت ابي امية، زينب بنت جحـــش القرشية، جويرية بنت الحارث المصطلقية، ام حبيبة رملة بنت ابي سفيان، صفية بنت حيي بن اخطب من بني اسرائيل، ميمونة بنت الحارث، وهي آخرهن[١].

واذا علمنا ان جميع زوجات النبي صلى الله عليه وسلم كن ثيبات، باستثناء عائشة رضي الله عنها [٢]

تـــبين لنا ان زواجه بهذا العدد من النساء في أواخر عمره الشريف لم يكن إلا لأغراض اكبر من دافع الشهوة وقضاء الوطر. بل لاسباب معلومة لا ينفيها الا كل جاحد او جاهل. لقد كان لكل زواج من زواجاته هذه سبب اجتماعي او سياسي او تشريعي. وقد ورد في الحديث الشريف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((مـــا تـــزوجت شيئاً من نسائي، ولا زوجت شيئاً من بناتي الا بوحي، جاءني به جبريل عن ربي عز وجل))[٣]

ومـــن اجـــل ان ندفـــع افتراءات خصوم الإسلام، نأخذ ببيان اسباب التعدد بشيء من التفصيل ((ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حيٍّ عن بينة)) [الانفال: ٤٢]. فاقول مستعيناً بالله:

---

[١] ابن القيم، زاد المعاد، ١/٢٦ ؛ ابن جماعة، المختصر الكبير، ٩٦ ؛ المباركفوري، صفي الرحمن، الرحيق المختوم، ط٢، دار القلم (بيروت، ١٤٠٨هـــ/١٩٨٨م) ص٤٥٥.

[٢] ذكر ابن كثير ((ان النبي صلى الله عليه وسلم تزوج عائشة في السنة الثانية من الهجرة الى المدينة)) وهذا يدل على انه صلى الله عليه وسلم كان قد ناهز الرابعة والخمسين. انظر :البداية والنهاية، ٣/١٢٩.

[٣] ابن جماعة، المختصر الكبير، ٩٦.

اولاً : سبب اجتماعي انساني :

ان الذي يتأمل تعدد الزوجات في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، يجد ان ذلـــك حصل في الفترة ما بعد السنة الثانية للهجرة والسنة الثامنة ؛وهي الفترة التي تواصـــل فيها الجهاد ضد معسكرات الكفر الثلاثة (المشركين والمنافقين واليهود). وافـــرزت هذه المرحلة، كثرة الشهداء، فاختل التوازن العددي بين الذكور والاناث فـــي المجـــتمع الاسلامي آنذاك. وكان من النساء اللواتي اصبحن من غير ازواج ذوات مـــاض مشـــرف في الدعوة والجهاد، وليس من المروءة والوفاء ان يتركن وشأنهن ؛بل كان الواجب الاجتماعي والموقف الانساني يفرضان تكريمهن من قبل القيـــادة الاسلامية العليا، فكان زواج رسول الله صلى الله عليه وسلم منهن –او من بعضـــهن– ابـــلغ تكريم. ومن بين اولئك النسوة: سودة بنت زمعة [1] وحفصة بنت عمر بن الخطاب [2]، وزينب بنت خزيمة القيسية [3]، وام سلمة هنـــــد بنت ابي

---

[1] هاجـــرت وزوجها السكران بن عمرو (اخو سهيل بن عمرو) بعد اسلامهما الى الحبشة في الهجرة الثانية ثم عادا الى مكـــة، وتوفي السكران فتزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم بعد وفاة خديجة، وكان لها خمسة صبية او ستة من بعلها الذي مات عنها. انظر :ابن القيم، زاد المعاد، ٢٦/١ ؛ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣١/٣ ؛ابن حجر، احمد بن علي ابو الفضل العسقلاني (ت، ٨٥٢هـــ) الاصابة في تمييز الصحابة، ج٤ (مصر، ١٣٢٨هـــ)ص٣٣٨.

[2] كـــانت من المهاجرات الى المدينة، وتايمت من زوجها خنيس بن حذافة السهمي بين بدر واحد، فتزوجها صلى الله عليه وسلم سنة (٣ هـــ). ابن حجر، الاصابة ، ٢٧٣/٤ ؛المباركفوري، الرحيق المختوم، ٤٥٥.

[3] كـــانت تسمى ام المساكين لرحمتها اياهم ورقتها عليهم، كانت تحت عبد الله بن جحش فاستشهد في احد (٣هـــ) فـــتزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم سنة (٤هـــ). ثم لم تلبث عنده الا شهرين او ثلاثة اشهر على قول ابن حجر. وقال ابن جماعة :كانت عند الطفيل بن الحارث بن عبد المطلب فطلقها فتزوجها اخوه عبيدة بن الحارث فقتل عنها يوم بدر شهيداً ثم تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكثت عنده ثمانية اشهر ثم ماتت. انظر : المختصر الكبير، ٩٩ ؛ابن حجر، الاصابة، ٣١٥/٤.

امية [1] وام حبيبة رملة بنت ابي سفيان [2]. رضي الله عنهن جميعاً.

وممـــا يلحق بهذا السبب، اتجاه الرسول صلى الله عليه وسلم الى مصاهرة ابـــي بكر وعمر، بزواجه بعائشة وحفصة - وكذلك تزويجه ابنته فاطمة بعلي بن ابـــي طـــالب، وتزويجه ابنته رقية ثم ام كلثوم بعثمان بن عفان- اذ كان يبغي من وراء ذلـــك، توثيـــق الصـــلات بهـــؤلاء الرجال، الذين عرف بلاءهم وتضحياتهم للاسلام.

ثانياً : سبب سياسي :

اجتهد الرسول صلى الله عليه وسلم في ايصال الدعوة الاسلامية الى اقصى مـــدى يمكـــن الوصول اليه. لذا قصد الى انشاء علاقات زوجية مع زعماء القبائل ومراكز القوى المشركة، ابتغاء شق طريق جديد لانتشار الاسلام.

((وكان من تقاليد العرب، الاحترام للمصاهرة، فقد كان الصهر عندهم باباً مـــن ابـــواب التقرب بين البطون المختلفة. وكانوا يرون مناوأة ومحاربة الاصهار ســـبة وعـــاراً على انفسهم. فاراد رسول الله صلى الله عليه وسلم بزواج عدة من امهات المؤمنين ان يكسر سورة عداء القبائل للاسلام، ويطفيء حدة بغائها : كانت ام سلمة من بني مخزوم -حي ابي جهل وخالد بن الوليد- فلما تزوجها رسول الله صـــلى الله عليه وسلم، لم يقف خالد من المسلمين موقفه الشديد بـــ (احد، ٣هـــ) ؛ بـــل اسلم بعد مدة غير طويلة طائعاً راغباً ؛وكذلك ابو سفيان لم يواجه رسول الله

---

[1] هاجـــرت وزوجها ابو سلمة الى ارض الحبشة الهجرتين، ثم هاجرت الى المدينة وتوفي عنها زوجها سنة (٤هـــ) بعد جـــراح اصـــابته في بـــدر، فتزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم، ابن جماعة، المصدر السابق ٩٩-١٠٠ ؛ابن حجر، المصدر السابق، ٤٥٨/٤.

[2] مـــن المهاجرات الى الحبشة مع زوجها عبيد الله بن جحش الذي ارتد عن الاسلام وتنصر هناك وثبتت ام حبيبة على الاسلام، فخطبها الرسول صلى الله عليه وسلم الى النجاشي سنة (٧هـــ) فزوجها اياه. ابن جماعة،المصدر السابق،١٠٢ ؛ابن حجر،المصدر السابق، ٣٠٥/٤.

صـــلى الله عليه وسلم باية محاربة بعد زواجه بابنته ام حبيبة ؛وكذلك لا نرى من قبيلـــتي بـــني المصطلق وبني النضير أي استفزاز وعداء، بعد زواجه بجويرية [1] وصفية [2]..)) [3].

وقـــد كان هذا الاسلوب العملي سبباً اكيداً في دخول الزعماء واقوامهم في الاسلام. وهذا يدل على الحكمة والحنكة التي كان يتصف بها رسول الله صلى الله عـــليه وســـلم فضلاً عن خلق الرحمة التي طبع عليها وصدق الله عز وجل حيث يقول: ((وما ارسلناك الا رحمة للعالمين)) الانبياء ١٠٧

ثالثاً :سبب تعليمي تربوي :

وهـــذا ممـــا يقتضيه واجب تبليغ الرسالة واداء الامانة. ذلك بان من احكام الشـــريعة الاســـلامية ما يخص النصف الاخر من المجتمع البشري –وهو النساء. والرسول صلى الله عليه وسلم مأمور بتزكية وتثقيف الرجل والمرأة على حد سواء ليســـاهم الجميع في بناء المجتمع الحضاري وسلوك سبيل التمدن والثقافة.

ولما كان الاصل في التعاليم الاسلامية، ان يقوم الرجال بتعليم الرجال، وان تقوم النساء بتعليم النساء –مراعاة لمنع الاختلاط الا لضرورة، ولخصوصية بعض الاحكام المتعلقة باحوال المرأة؛ لذا ((لم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم سبيل الا ان

---

[1] هـــي بـــنت الحارث سيد بني المصطلق من خزاعة ، سبيت يوم المريسيع (٥ هـــ) ، فقضى رسول الله صلى الله عليه وســـلم كتابـــتها وتـــزوجها، فقـــال الناس بعد ذلك عن السبايا بين ايديهم: اصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعـــتقوهم. فكانت اعظم النساء بركة على قومها، حيث اطلق الصحابة اسر مائة بيت من قومها. ابن جماعة، المصدر السابق، ١٠١ و ٧٦ ؛ابن حجر، الاصابة، ٢٦٥/٤ ؛ المباركفوري، الرحيق المختوم، ٤٥٨.

[2] هي بنت سيد بني النضير –حيي بن اخطب من ولد هارون بن عمران اخي موسى، فهي ابنة نبي، وزوجة نبي. وقعت في سبي خيبر (٧ هـــ) فاعتقها، وجعل عتقها صداقها فصار ذلك سنة للامة الى يوم القيامة، ان يعتق الرجل امته ويجعل عتقها صداقها فتصير زوجته بذلك.

ابن القيم، زاد المعاد، ٢٨/١.

[3] المباركفوري، المصدر السابق، ٤٥٨

يختار من النساء المختلفة الاعمار والمواهب ما يكفي لهذا الغرض- تثقيف النساء- فيزكيهن ويربيهن، ويعلمهن الشرائع والاحكام، ويثقفهن بثقافة الاسلام حتى يعدهن؛ لـتربية الـبدويات والحضريات العجائز منهن والشابات، فيكفين مؤونة التبليغ في النساء)) [1]

لقـد كان البيت النبوي مؤلفاً من عشر غرف تحيط بالمسجد النبوي، وكأن تـلك الغـرف صـفوف مدرسـة، يدير شؤونها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وازواجه -امهات المؤمنين- فيها تلميذات نابهات فاقهات، هن اوعية العلم النسائي، والمربيات للمسلمات في الفضائل والآداب ؛تخرجن على يدي اعظم معلم في تاريخ البشـرية، هو سيدنا محمد عليه افضل الصلاة والسلام، كما تخرج على يديه اعظم الرجال في دار الارقم بن ابي الارقم المخزومي [2] بمكة المكرمة. الم يقل صلى الله عليه وسلم ((انما بعثت معلماً)) [3]

رابعاً : سبب تشريعي

وهـذا مـا كان من زواجه من ابنة عمته زينب بنت جحش [4]. ولا بد من الاحاطة بالظروف والاحوال التي كانت سبباً في مثل هذا الزواج غير المألوف عند

---

[1] المباركفوري ، الرحيق المختوم، ٤٥٨.

[2] الارقـم بن ابي الارقم المخزومي (ت، ٥٥ هـ) اسلم سابع سبعة، وشهد بدراً واحداً والمشاهد كلها. وهو صاحب الدار التي على الصفا والتي كان النبي صلى الله عليه وسلم يجلس فيها مع اصحابه فلما تكاملوا اربعين رجلاً خرجوا عند اسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ابن حجر، الاصابة، ٢٨/١.

[3] ابـن ماجـة، محمـد بن يزيد القزويني (ت، ٢٧٥هـ) سنن ابن ماجة، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، ج١ (بيروت، بلا) ص ٨٣، حديث رقم ٢٢٩.

[4] زينب بنت جحش بن رئاب، ابنة عمة الرسول صلى الله عليه وسلم أميمة بنت عبد المطلب، تزوجها رسول الله صلى الله عـليه وسـلم عـام (٥ هـ)، وكانت قبله تحت مولاه زيد بن حارثة. وكانت كثيرة الخير والصدقة تدبغ وتخرز؛ وكانت تفخر على نساء النبي صلى الله عليه وسلم وتقول: زوجكن اهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سموات. توفيت عام (٢٠ هـ). ابن القيم، زاد المعاد، ٢٧/١ ؛ابن جماعة، المختصر الكبير، ١٠٠-١٠١ ؛ابن حجر الاصابة ٣١٦/٤.

عـرب الجاهلية ؛حيث كان العرف الجاهلي المتأصل يمنع الزواج من زوجة الابن المتبـنى. ((وكان للمتبنى جميع الحرمات والحقوق التي كانت للابن الحقيقي سواء بسـواء.. وهذا ما يعار معارضة شديدة للاسس والمباديء التي قررها الاسلام في الـنكاح والطـلاق والميراث وغير ذلك من المعاملات، ويجلب كثيراً من المفاسد والفواحش التي جاء الاسلام، ليمحوها من المجتمع)) [1].

قال ابن كثير: ((ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قبل النبوة، قد تبنى زيـد بن حارثة رضي الله عنه، فكان يقال له زيد بن محمد.. وكان صلى الله عليه وسلم قد زوجه بابنة عمته زينب بنت جحش الاسدية رضي الله عنها.. فمكثت عنده قريبا من سنة او فوقها، ثم وقع بينهما. فجاء زيد يشكوها الى رسول الله صلى الله عـليه وسـلم فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له ((امسك عليك زوجك واتق الله)).. وكان الله تعالى قد اعلم نبيه انها ستكون من ازواجه قبل ان يتزوجها، فـلما اتـاه زيد رضي الله عنه ليشكوها اليه قال ((امسك عليك زوجك واتق الله)) فنزل قوله تعالى ((وتخفي في نفسك ما الله مبديه)) أي: قد اخبرتك اني مزوجكها. وتقـول عائشة رضي الله عنها: لو كتم محمد صلى الله عليه وسلم شيئاً مما اوحى اليـه من كتاب الله تعالى لكتم ((وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احـق ان تخشاه))وقوله تعالى ((فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها))اي لما فرغ منها وفارقها زوجناكها.. وقوله تعالى ((لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيـائهم اذا قضوا منهن وطراً) أي انما ابحنا لك تزويجها وفعلنا ذلك، لئلا يبقى حرج على المؤمنين في تزويج مطلقات الادعياء..)) [2]

فـانت ترى انه من اجل الغاء هذا العرف-حرمة زوجة المتبنى- امر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم ان ينكح ابنة عمته زينب التي كانت تحت مولاه

---

[1] المباركفوري، المصدر السابق، ٤٥٨.

[2] ابن كثير، التفسير، ٣/٤٩١-٤٩٢ باختصار.

زيـــد، ولم يكن بينهما توافق، حتى هم زيد بطلاقها، وذلك في ساعة تألب الاحزاب عـــلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخـــاف دعايـــة المـــنافقين والمشركين واليهود، وما يثيرونه من الوساوس والخرافات ضده، وما يكون له من الاثر السيء في نفوس ضعفاء المسلمين. فاحب ان لا يطـــلق زيـــد حتى لا يقع رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الامتحان.. واخيـــراً طـــلقها زيـــد، وتـــزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ايام فرض الحصار على بني قريظة (٥ هـــ) بعد ان انقضت عدتها. وكان الله قد اوجب عليه هـــذا الـــنكاح، ولم يترك له خياراً ولا مجالاً، حتى تولى الله ذلك النكاح بنفسه [١]، يقـــول: ((فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها)) وكم من التقاليد المتأصلة الجازمة لا يمكـــن هدمهـــا او تعديـــلها لمجرد القول، بل لا بد له من مقارنة فعل صاحب الدعـــوة))[٢] وهكـــذا هدمت هذه القاعدة الجاهلية وازيلت من المجتمع الاسلامي بعد تجـــربة قاسية على نفسية رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل كانت قاسية من قبل على نفسية زينب حين رضخت اولاً بالزواج من غير قرشي فضلاً عن كونه مولى متبـــنى، ممـــا لـــم يكن يسمح به العرف الاجتماعي السائد آنذاك، بل يعد مثل هذا الزواج مثلبة ومنقصة بحق المرأة القرشية، وتهون منزلتها فلا يقربها شريف اذا ما حدث فراق بعد ذلك.

امـــا ما يذكره المفترون المستشرقون، ان ذلك الزواج كان ((بدافع الحب)) كما يقول (حتي) فذلك بعيد ممتنع فان الرسول صلى الله عليه وسلم كان باستطاعته الـــزواج من ابنة عمته زينب، وكان يراها وتراه من قبل ان تنزل آية الحجاب [٣]،

---

[١] ذكر ابن كثير عن الشعبي قال : كانت زينب رضي الله عنها تقول للنبي صلى الله عليه وسلم :اني لادل عليك بثلاث: ما من نسائك امرأة تدل بهن :ان جدي وجدك واحد، واني انكحنيك الله عز وجل من السماء، وان السفير جبريل عليه الصلاة والسلام. ابن كثير، التفسير، ٣/٤٩١-٤٩٢.

[٢] المباركفوري، المصدر السابق، ٤٥٨-٤٥٩ باختصار.

[٣] قوله تعالى : ((واذا سألتموهن متاعاً فسئلوهن من وراء حجاب))الاحزاب، ٥٣.

ومـــن دون المرور بمثل هذه التجربة القاسية، ومن قبل ان تنكح زيداً. ((ولو صح مـــا ادعاه المدعون من حب النبي صلى الله عليه وسلم لزينب فلم يكن في الامكان بعـــد ذلـــك – ومحمـــد القدوة عند اصحابه والمثل الاعلى لهم– ان يبقى في مكان الصدارة يحتل اروع ما في قلوبهم، ويبقى صحابته من حوله يلتفون به ويثقون به؛ الم يكن منطقياً وقد رأوا منه هذا، ان ينفضوا من حوله ؟! او تقل الثقة به فتتزعزع مكانـــته ؟ ان شيئاً من ذلك لم يحدث، حتى زيد بن حارثة نفسه– وهو اولى الناس بـــان يحمـــل رايـــة (الانشقاق) – بقي على اخلاصه، بل اشتد اخلاصه، بعد هذا الزواج، للنبي صلى الله عليه وسلم))[1].

وهكـــذا نـــرى الاغراض النبيلة، وندرك المقاصد الانسانية في مسألة تعدد زوجات النبي صلى الله عليه وسلم. لقد كان لهن نعم الزوج والمربي: لم يرفع يده بضـــرب واحـــدة مـــنهن مع انه تشريع محدد، ولم يطلق منهن زوجة عاشت في عصـــمته الزوجية، ولم ير اعدل منه ولا اوفى، ولا ارعى.. وهو القائل ((ما اكرم النساء الا كريم))[2].

وكـــن له نعـــم الزوجات، طاعة وخدمة، ومناعة، وقناعة وصبراً على ما كـــانت عليه احوال البيت النبوي من شظف العيش، وقلة المؤونة، مع كثرة الاعباء والمسؤوليات.

لقـــد جاءه يوماً ضيف، فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ازواجه –وكـــن تســـعة ابيات– وكل واحدة منهن تقول والذي بعثك بالحق ما عندنا شيء،

[1] بـــاز، عـــبد الكريم علي، افتراءات فيليب حتي وكارل بروكلمان على التاريخ الاسلامي، ط١، مكتبة تهامة (جدة، ١٤٠٣هـــ/١٩٨٣م) ص٤١.

[2] الالباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الاحاديث الضعيفة،

فيضطر صلى الله عليه وسلم ان ينادي في المسجد: من يضيف ضيف رسول الله؟![1]

واجتمعن حوله ذات يوم -وورد ان ذلك كان بعد فتح خيبر- يسألنه زيادة النفقة، فنزل قوله تعالى ((يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن واسرحكن سراحاً جميلاً. وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله اعد للمحسنات منكن اجراً عظيماً)) الاحزاب، ٢٨ و ٢٩. قال ابن كثير: ((هذا امر من الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم بان يخير نساءه بين ان يفارقهن فيذهبن الى غيره، ممن يحصل لهن عنده الحياة الدنيا وزينتها ؛وبين الصبر على ما عنده من ضيق الحال، ولهن عند الله في ذلك الثواب الجزيل، فاخترن رضي الله عنهن الله ورسوله والدار الآخرة، فجمع الله لهن بعد ذلك بين خير الدنيا وسعادة الآخرة. وقد بدأ بعائشة رضي الله عنها فقالت: بل اختار الله ورسوله، واسألك ان لاتذكر لامرأة من نسائك ما اخترت، فقال صلى الله عليه وسلم: ((ان الله تعالى لم يبعثني معنفاً ولكن بعثني معلماً ميسراً، لا تسألني امرأة منهن عما اخترت الا اخبرتها)) ثم عرض ذلك على نسائه فتتابعن كلهن فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة رضي الله عنهن جميعاً)) [2].

لم يعطلنه عن اداء المهمة التي كلفه الله تعالى بها، ولم يمنعنه عن قضاء حوائج الناس، ولم يشغلنه عن طاعة ربه الكريم، وكن يشفقن عليه من طول صلاته في الليل ((وكان اذا صلى قام حتى تتفطر رجلاه-وفي رواية حتى تورمت قدماه- فقالت له عائشة رضي الله عنه: يا رسول الله اتصنع هذا وقد غفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟! فقال صلى الله عليه وسلم: يا عائشة افلا اكون عبداً شكوراً))[3].

---

[1] مسلم، الصحيح، ٢/٢٢٢.

[2] ابن كثير، التفسير، ٣/٤٨٠-٤٨١ باختصار.

[3] البخاري، الصحيح، ٦/١٩٦

الفصل الثاني

افتراءات فيليب

حتى على القرآن

القرآن الكريم

تمهيد :

القــرآن الكريم هو اول كتاب باللغة العربية حرك وعي الانسان قبل اربعة عشـــر قـــرناً وهـــدف الى تحريـــره مـــن الاوهـــام والفساد، وانقاذه من العبودية والاضـــطهاد. ولقد جاء القرآن بعقيدة التوحيد، وشعارها ((لا اله الا الله)) فكانت حـــركة تحريرية شاملة للانسان كله : ((قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك امرت وانا اول المسلمين)) الانعام ١٦٢-١٦٣.

وهذا الذي دعا اليه القرآن، انما هو دين الانبياء جميعاً، من لدن آدم ونوح عـــليهما السلام الى سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام. قال تعالى ((شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي اوحينا اليك، وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب)) الشورى ١٣.

ويقـــول صـــلى الله عـــليه وسلم: ((الانبياء اخوة من علات وامهاتهم شتى ودينهم واحد))[١].

والقـــرآن الكريم جاء مصدقاً ومكملاً للتعليمات الالهية الصحيحة الموجودة في الكتب السماوية السابقة عليه -التوراة والانجيل :

١- فيمـــا يخص التوراة، قال تعالى : ((انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذي اسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار..)) المائدة ٤٤.

---

[١] مسلم، الصحيح ٣٤١/٢

٢- وقال تعالى عن الانجيل : ((وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقاً لما بين يديـــه مـــن التوراة، وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقاً لما بين يديه من التوراة..)) المائدة ٤٦

٣- وعن القرآن قال تعالى : ((وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه)) المائدة ٤٨.

٤- وكان القرآن يدعوهم -اهل الكتاب- الى الاصل الذي جاءت به الاديان، وهو التوحيد، فقال تعالى : ((قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعـــبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً ارباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون)) آل عمران ٦٤.

٥- ويطلب منهم ايضاً، ان يكونوا صادقين مع ما انزل اليهم حقاً :

قال تعالى : ((قل يا اهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما انزل اليكم من ربكم)) المائدة ٦٨.

والقرآن الكريم خاتمة الكتب السماوية. وهو المعجزة الكبرى للرسول صلى الله عـــليه وسلم وقد تكفل الله سبحانه بحفظه فقال : ((انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحـــافظون)) الحجر ٨. وذلك ليحفظ للبشرية عقيدتها الى آخر الدهر، بعد ان دخل الـــتحريف عـــلى الكتب السابقة [1]. وقد تحدى القرآن المخاطبين ان يأتوا بمثله او

---

[1] ذكـــر القرطبي بالسند عن يحيى بن اكثم يقول: كان للمأمون -وهو امير اذ ذاك- مجلس نظر، فدخل في جملة الناس يهودي، حسن الثوب، حسن الوجه، طيب الرائحة، قال :فتكلم فاحسن الكلام والعبارة، قال :فلما ان تقوض المجلس دعـــاه المـــأمون، فقال له :اسرائيلي ؟ قال نعم. قال له اسلم حتى افعل بك واضع، ووعده -فقال : ديني ودين آبائي وانصـــرف. قـــال فلما كان بعد سنة، جاءنا مسلماً، قال فتكلم على الفقه، فاحسن الكلام، فلما تقوض المجلس دعاه المـــأمون، وقـــال :الست صاحبنا بالامس ؟ قال :بلى. قال :فما كان سبب اسلامك ؟قال: انصرفت من حضرتك، فاحبـــبت ان امتحن هذه الاديان، وانت مع ما تراني حسن الخط، فعمدت الى التوراة فكتبت ثلاث نسخ، فزدت فيها ونقصت، وادخلتها الكنيسة، فاشتريت مني، وعمدت الى الانجيل فكتبت ثلاث نسخ، فزدت منها ونقصت، وادخلتها

بســـورة من مثله، فما قام احد لهذا التحدي، لا في زمن نزول القرآن ولا فيما تلاه من الازمان، والى يومنا هذا. قال تعالى : ((قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) الاسراء ٨٨. وعن الامام علي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الا انها ستكون فتنة، فقلت :ما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال كتاب الله، فيه نبأ ما كان قبلكم وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه مـــن جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره اضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الاهواء، ولا تلتبس به الالسنة، ولا تشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه. هـــو الـــذي لم تنته الجن اذ سمعته حتى قالوا : ((انا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشـــد)) من قال به صدق، ومن عمل به اجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا اليه هدي الى صراط مستقيم)) [1].

الـــبيعة، فاشتريت مني. وعمدت الى القرآن فعملت ثلاث نسخ وزدت فيها ونقصت، وادخلتها الوراقين، فتصفحوها فلما ان وجدوا فيها الزيادة والنقصان، رموا بها و لم يشتروها. فعلمت ان هذا كتاب محفوظ فكان هذا سبب اسلامي. قـــال يحي بن اكثم :فحججت تلك السنة، فلقيت سفيان بن عيينة، فذكرت له الخبر فقال لي : مصداق هذا في كتاب الله عـــز وجل، قال، قلت :في أي موضع ؟! قال :في قوله تبارك وتعالى في التوراة والانجيل ((بما استحفظوا من كتاب الله)) المائدة، ٤٤ –فجعل حفظه اليهم فضاع. وقال عز وجل : ((انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون)) الحجر، ٩. انظر :القرطبي، محمد بن احمد الانصاري (ت،٦٧١هـــ)، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتاب العربي، ج١٠ (القاهرة، ١٣٨٧هـــ/١٩٦٧م) ص٥-٦.

ويقول شوقي ابو خليل: ((لقد كثرت الاناجيل كثرة عظيمة، اجمع على ذلك مؤرخو النصرانية، ثم ارادت الكنيسة في آخر القرن الثاني الميلادي، واوائل القرن الثالث، ان تحافظ على الاناجيل الصادقة في اعتقادها، فاختارت هذه الاناجيل الاربعـــة، والزمت المسيحيين بها، وفرضت عليهم سلطاناً كهنوتياً ابعدهم عما في اناجيلهم، ماذا كان في هذه الاناجيل الـــتي الغيـــت ؟ وقد ثبت ان قسطنطين الوثني هو الذي رسخ التثليث ودعمه، على حساب التوحيد : ((انظر كتابه، موضوعية فيليب حتي في كتابه تاريخ العرب المطول، ط١، دار الفكر (بيروت، ١٤٠٦هـــ/١٩٨٥م) ص٢١٠-٢١١.

[1] الترمذي، ابو عيسى محمد بن عيسى (ت، ٢٩٧هـــ) الجامع الصحيح، تحقيق احمد محمد شاكر، ط١، دار الكتب العلمية، ج٥ (بيروت، ١٤٠٨هـــ/١٩٨٧م) ص١٥٨-١٥٩.

المبحث الاول

نزول القرآن وتدوينه

ولقد نزل القرآن منجماً، ولم ينزل دفعة واحدة. وقد امتدت فترة النزول ما يقارب ربع القرن. وذلك طبقاً لمقتضى الوقائع الحاصلة، ووفقاً لضرورات المجتمع المسلم. ((ونزول الوحي تدريجياً، كما هو معروف من القرآن الكريم، انما كان لحكمة خفية. فقد كان القرآن هادياً للامة الاسلامية آنذاك، ولم يكن لينزل مرة واحدة، فلا تستطيع الامة ان تحمله. وكان هذا التقدير الالهي قاضياً بان تتطور جميع الهيئات الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية طبقاً لمستلزمات العصر، وهذا الامر يحمل في طياته اثبات صدق الرسالة والنبوة المحمدية. ولو انزل القرآن دفعة واحدة لكان من الممكن الا يكون هنالك من يشهد على نزوله، وان وجدوا فانهم سيكونون قلة. فخلال ربع القرن المذكور، شاهد الآلاف من الناس بعيونهم وسمعوا بآذانهم القرآن ينزل على رسول الله. وليس هذا فقط، بل ان نزول الاحكام الالهية طبقاً لمستلزمات الوقت والزمان كان امراً مشاهداً))[1] .

تدوين القرآن

وفيما يخص تدوين القرآن، فان الروايات الصحيحة تبين ان ذلك كان قد تم بطريقتين وفي العهد النبوي ولم تتأخر عنه :

الاولى : بدأ المسلمون تدوين القرآن اثناء نزوله مفرقاً على الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد استخدموا في ذلك القراطيس والاديم والعسب والقضيم [2]، وقد جمعت

---

[1] صديقي، محمد ياسين مظهر، الهجمات المغرضة على التاريخ الاسلامي، ترجمة د.سمير عبد الحميد ابراهيم، ط١، رابطة الجامعات الاسلامية (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م) ص٤٤.

[2] السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين (ت، ٩١١هـ)، الاتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، ط١ مطبعة المشهد الحسيني، ج١ (القاهرة، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م) ص٦٠.

هذه المدونات المفرقة في نسخة واحدة على عهد ابي بكر الصديق رضي الله عنه، وقام على هذه المهمة زيد بن ثابت بامر ابي بكر، تنفيذاً لما اشار به عليه عمر بن الخطـــاب رضي الله عنه. وقد انتقلت هذه النسخة الى عمر في خلافته، ثم اودعت عند حفصة بنت عمر ام المؤمنين رضي الله عنها. وقام عثمان رضي الله عنه من بعد باعداد ست نسخ منها، وزعت اربعة منها على الامصار :مكة والشام والكوفة والبصرة، وبقيت الخامسة في المدينة، واحتفظ هو بالنسخة السادسة [1].

امـــا الطــريقة الثانية :بعد أن ينزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسـلم فــان الآيات المنزلة بتمامها تكون قد حفظت في قلبه الشريف. وكان يقوم بتعليم صحابته ما انزل عليه وتلاوته وتحفيظه لهم. وكان صلى الله عليه وسلم من شدة حرصه، يسابق الملك جبريل في التلاوة، فامره الله تعالى ان ينصت لذلك حتى يفرغ من الوحي، وتكفل له ان يجمعه في صدره. وفي ذلك نزل قوله تعالى : ((لا تحــرك بــه لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه، فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان عليــنا بيانـــه))[2] القيامة ١٦-١٩، ومن الثابت في الروايات الصحيحة ان جبريل عــليه السلام كان يلقى رسول الله في كل ليلة، من رمضان فيدارسه القرآن. وفي الســنة الاخيــرة قبل وفاته صلى الله عليه وسلم، اتاه جبريل مرتين يعرض عليه القرآن [3]. وكان عدد من الصحابة قد حفظوا القرآن كاملاً في عهد النبي صلى الله عــليه وسلم منهم : أبو بكر الصديق (ت، ١٣هــ)، وعمر بن الخطاب (ت، ٢٥ هـــ)، وعــثمان بن عفان (ت، ٣٥هــ)، وعلي بن ابي طالب (ت، ٤٠هــ)،

والقــرطاس اسم اطلق على ورق مصنوع من لب نبات البردي تشتهر به دلتا مصر، وقد كان معروفاً في جزيرة العرب قبل الاسلام وورد ذكره في القرآن (الانعام، ٩١) ؛والادم :الجلد المدبوغ وقبل الاحمر وكان يستعمل في زمن الرسول صـــلى الله عليه وسلم كثيراً ؛ اما القضيم فهو الجلد الابيض. انظر :العمري، اكرم ضياء، عصر الخلافة الراشدة، ط١، مكتبة العلوم والحكم (المدينة المنورة ١٤١٤هــ/١٩٩٤م) ص٢٧٧-٢٧٨.

[1] العمري، المصدر السابق ٢٨١ ؛ صديقي، المصدر السابق، ٤٥-٤٦.

[2] ابن كثير، تفسير، ٤٤٩/٤.

[3] البخاري، الصحيح ٦/١.

وابي بن كعب (ت، ٣٠هـ)، وعبد الله بن مسعود (ت، ٣٢هـ)، وابو الدرداء (ت، ٣٣هـ)، وابو موسى (ت، ٤٤هـ)، زيد بن ثابت (ت، ٤٥هـ)، وهم المشتهرون باقراء القرآن من الصحابة [١]

ولقد حصرت جهود الكاتبين في نطاق تدوين القرآن الكريم، دون الحديث النبوي لمنع احتمال حدوث اختلاط القرآن بالحديث. وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه ينهى عن كتابة حديثه في حياته لمن يخشى عليهم اختلاط القرآن بالحديث. وقد اخرج الامام مسلم في صحيحه من حديث ((ابي سعيد الخدري – رضي الله عنه– قال :جهدنا بالنبي صلى الله عليه وسلم ان يأذن لنا في الكتابة فأبى)) [٢].

وهكذا نستطيع ان نقرر بان القرآن كله من سورة الفاتحة الى سورة الناس كما هو موجود اليوم في المصاحف، هو بذاته ما امر بتدوينه الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو نفسه ما حفظته الصحابة رضي الله عنهم في ذاكرتهم وهو الذي كتبوه في صحائفهم وعلى اشياء متعددة ومتنوعة [٣].

وصدق الله عز وجل حيث يقول : ((الم. ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين)) البقرة، ٢.

---

[١] السيوطي، الاتقان ٢٠٤/١، القطان مباحث ١٠٦ ؛كما روى ان سبعين من القراء قتلوا غدراً في بئر معونة عقب وقعة (احد ٣هـ). وفي معارك الردة (اليمامة ١١هـ) قتل ٤٥٠ صحابياً منهم سبعون من القراء، انظر الطبري، تاريخ ٤٩٠/٢.

[٢] حديث رقم ٢٢٩٨.

[٣] يوعز المرحوم (فريد وجدي) وقوع التحريف في أي كتاب سماوي الى اربعة اسباب، هي :

١– ضياع اصل الكتاب، وهذا ممتنع بالنسبة للقرآن فان اصل القرآن كان مكتوباً ومحفوظاً.

٢– الغلو في الدين، والقرآن ينهى عن الغلو.

٣– النص على حصر السلطان الروحي في طائفة معينة، والاسلام لاوجود فيه لطبقة تحتكر السلطان الروحي كالاكليروس.

٤– تعمد افساد الدين بالنقص في كتابه والزيادة فيه. والذين جمعوا القرآن ودونوه كلهم من المشهود لهم بالتقوى والصلابة في الدين. انظر : الجندي، انور، الاسلام والثقافة الغربية، مطبعة الرسالة (مصر، بلا) ص٣١٤-٣١٥.

المبحث الثاني

شهادات الغربيين

تقــول الدكـــتورة (لورافيشيا فاغليري) : ((ان معجزة الاسلام العظمى هي القــرآن، الــذي ينقل الينا الرواية الراسخة غير المنقطعة، من خلال انباء تتصف بيقيــن مطلق. انه كتاب لا سبيل الى محاكاته. .اما اسلوبه فاصيل فريد، وليس ثمة ايمــا نمط لهذا الاسلوب في الادب العربي. .وان آياته كلها على مستوى واحد من البلاغة، وهو ينتقل من موضوع الى موضوع، من غير ان يفقد قوته، اننا نقع هنا عــلى العمق والعذوبة معاً، وهما صفتان لا تجتمعان عادة. .ان احداً لم يتمكن من ان ياتي بأي اثر يضاهي القرآن.

لقد قاتلوا النبي بالاسلحة، ولكنهم عجزوا عن مضاهاة السمو القرآني. ثم ان نصه ظل صافياً غير محرف طوال القرون. . وسوف يظل على حاله من الصفاء وعدم التحريف باذن الله. .))[1].

وقال (جان جاك روسو) : ((من الناس من يتعلم قليلاً من العربية، ثم يقرأ القــرآن ويضـــحك منه. ولو انه سمع محمداً يمليه على الناس بتلك اللغة الفصحى الــرقيقة، وذلــك الصوت المقنع (المطرب) المؤثر في شغاف القلوب، ورآه يؤيد احكامـــه بقـــوة البيان، لخر ساجداً على الارض وناداه : ايها النبي رسول الله :خذ بايدينا الى مواقف الشرف والفخار، فنحن من اجلك نود الموت او الانتصار))[2].

وقـــال (ادوار مونتيه) في مقدمة ترجمته للقرآن : ((القرآن في الحقيقة ذو قيمة خارقة للعادة. فهو بين الكتب الدينية اعظمها شأناً، والعقيدة القرآنية ذات علاقة

---

[1] دفاع عن الاسلام، ترجمة منير البعلبكي، ط٤، دار العلم للملايين (بيروت، ١٩٧٩م) ص٥٦-٥٩.

[2] انور الجندي، مصدر سابق، ٣٠٥.

وثيقـــة مـــع العقيدة اليهودية والمسيحية، والآثار النصرانية المتعلقة بالمسيح، هي موضوع صفحات عديدة من القرآن. على انه لا ينبغي ان يفهم من هذا الاتحاد في اصـــلي الاسلام والنصرانية، أو ان الاسلام القرآني فاقد الاستقلال، أو أنه ليس ذا صفة اصيلة، فالامر بالعكس، والاسلام دين لا يمكن خلطه مع دين آخر. . نجد في القـــرآن صـــفحات غاية في الابداع سواء من جهة الفكر او من جهة الاسلوب. . وكذلك نجد فيه لآليء فريدة في علم الروح. . وفيه منازع دينية ذات سمة مدهشة، لاســـيما بالنســـبة الى العصر الذي عاش فيه ذلك المصلح العربي. . والذي يجعل للقرآن هذه الاهمية، هو المستقبل المدخر للشعوب الاسلامية، اذ لا ينكر ان مستقبلاً فخماً ينتظر هذه الشعوب))[1].

كما ذكر العلامة (فيني) في مقدمته لترجمة (مونتيه) للقرآن ان : ((والقرآن ليـــس بكـــتاب ديـــني فقـــط بـــل كتاب علم وادب، وتجد فيه بيان الحياة السياسية والاجتماعية، حتى انه يرشد الانسان الى وظائفه اليومية، والاحكام الاساسية التي لا توجد في القرآن، توجد في السنة. .))[2].

وســـلامة الـــنص القرآني كانت موضع دراسة الدكتور (موريس بوكاي)، خـــرج مـــنها بنـــتيجة هي :صحة القرآن التي لا تقبل الجدل، تعطي النص مكانة خاصة بين كتب التنزيل، ولا يشترك مع نص القرآن في هذه الصحة لا العهد القديم ولا العهـــد الجديـــد. وليس في القرآن اية مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم في العصر الحديث. . بل فيه آيات ذات مضامين علمية، منها ما لم يكتشف حتى العلم الحديث. .فالقرآن فوق المستوى العلمي للعرب في عصر التنزيل، وفوق المستوى العلمي للعالم في عصر التنزيل –من فرس وهنود ورومان– وفوق المستوى العلمي للعـــلماء فـــي العصـــور اللاحقة، ومنه ما هو فوق مستوانا العلمي المتقدم– القرن

---

[1] انور الجندي، مصدر سابق، ٣٠٨ مع حذف يسير.

[2] م. ن، ٣٠٨.

العشـــرين-. في حين ان في التوراة والانجيل المحرفين تصادماً مع العلم، وفيها معـــلومات عـــلمية وتاريخيـــة خاطئة. .ثم يقول : ونتيجة كل هذا، هو اننا لم نعد مـــتأكدين مطـــلقاً من اننا نتلقى كلمة المسيح بقراءة الانجيل الذي كتبت نسخه في منتصف القرن الثاني وبالتحديد بعد عام ١٤٠ م [١].

وفـــي هـــذا ايضاً، يقول (شاخت) : ((ان اول مصادر الشرع في الاسلام واكـــثرها قيمـــة، الكـــتاب وليـــس هـــناك من شك في قطعية ثبوته، وتنزهه عن الخطـــأ..))[٢] وقال (بلانشبه) كفى هذا القرآن مجداً وجلالاً ان الاربعة عشر قرناً الـــتي مـــرت عليه، لم تستطع ان تجفف اسلوبه، بل لم يزل غضاً طرياً كأن عهده بالحيـــاة امـــس)) ويضـــيف (غوستاف لوبون): ان القرآن وما اشتق منه، هو الى الفطـــرة بحيـــث يلتئم مع حاجات الشعوب)) ويعلق (الجبري) على قول (لوبون) فيقـــول : ولا شك ان تطور الشعوب امر متفق عليه، وليس لبشر التكهن بالغيب حـــتى يرســـم للبشـــرية دستوراً يناسب كل طور، فلم يبق الا ان يكون القرآن من مصـــدر غيبي من خواصه القدرة على معرفة غيب الشعوب في تطورها. واعظم من ادراك التطور، ان يصوغ دستوراً واحداً بنص واحد، يجد كل جيل في اضوائه هدايـــته، ومـــا يلتئم مع حاجته ((صبغة الله، ومن احسن من الله صبغة)) [البقرة: ١٣٨][٣].

---

[١] انظـــر :بوكاي، موريس، القرآن والتوراة والانجيل والعلم، اصدار جمعية الدعوة الاسلامية في ليبيا، (طرابلس، بلا) مواضع متفرقة، وعلى سبيل المثال :ص٩٨، ١٣١، ٢٨٦.

ويذكـــر (فيـــليب حتي) الكتاب المقدس (Bible) ويصفه بأنه : ((خزانة من الكتب التي الفت في لغات مختلفة الفها رجـــال مختـــلفون في ازمنة مختلفة وامكنة مختلفة.. .والزمن الذي الف الكتاب المقدس خلاله يمتد ثمانمائة وخمسين عاماً))انظر كتابه (الاسلام منهج حياة) ٦٠.

[٢] نقلاً عن :النشمي، د. عجيل جاسم، المستشرقون ومصادر التشريع الاسلامي، ط١، المجلس الوطني للثقافة (الكويت، ١٤٠٤هـــ/١٩٨٤م) ص ٣٣.

[٣] السيرة النبوية واوهام المستشرقين، ٨٦.

المبحث الثالث

افتراءات (حتي) على ثبوت النص القرآني

ان ما سطره (فيليب حتي) في كتبه من افتراءات على ثبوت النص القرآني انمـــا هـــي في الغالب، آراء لغيره من المستشرقين، تبناها هو ولخصها ثم بثها في ثنايا اقواله ويمكننا ان نوضح ذلك كما يأتي من اقواله :

١-((ولقـــد اتفق دارسو القرآن من نقادة العلم الحديث على صحة الرواية في نسخه المـــتداولة اليوم، وان هذه النسخ تكاد ان تكون مطابقة للاصل الذي اقره زيد وان نص القرآن المعروف اليوم هو كما نزل على محمد))[1].

ان قولـــه هـــنا ((تكـــاد ان تكون مطابقة للاصل)) تلقي ظلالاً من الشك. والصـــواب انهـــا مطابقة تماماً. علماً بان هذا النص هو افضل ما قاله مستشرق. ولكـــن يبدو ان القاء الشبهات فن يتقنه المفترون بمهارة. وعلى الطريقة الانكليزية (خطـــوات بطيـــئة لكنها اكيدة المفعول (Slow but sure))[2]. فيعود (حتي) ثانيةً، ليغمز القرآن عندما قال :

٢- ((والاســـمان الاخيران –يقصد عيسى ومريم- يغلب ورودهما معاً. ومريم ام عيســـى هـــي بـــنت عمران واخت هارون، في آن واحد))[3] يشير الى بعد المسافة بين مريم وهارون، والقرآن يجعلهما اخوين !

---

[1] تاريخ العرب، ١٧٠.

[2] قطـــب، محمـــد، كيف نكتب التاريخ الاسلامي، ط١، دار الكتاب الاسلامي. (طهران ١٤١٥هـــ/١٩٩٤م) ص ٢١٣.

[3] تاريخ العرب، ١٧٢.

ولا نظـــن ان (فيليب حتي) يجهل الاسلوب العربي في التشبيه -وهذا منه، فكأنـــه شـبه مـــريم بهـــارون في العبادة والصلاح كما يقال للتميمي يا اخا تميم، وللمضري يا اخا مضر، ولقد ذكرت الروايات ان المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قـــال ((بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى نجران فقالوا : ارأيت ما تقرأون (يا اخت هارون) وموسى قبل عيسى بكذا وكذا ؟ قال فرجعت فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال : الا اخبرتهم انهم كانوا يسمون بالانبياء والصالحين قبلهم))[1] .

٣- وعـــلى طريقة (قل كلمتك وامش) يلقي بعباراته مشككاً : ((وان صح ان ملكة سبأ -وفي القرآن بلقيس- هي شخصية تاريخية، وانها قدمت الى ملك اسرائيل الحكيـــم بعطايـــا طريفة..)) وعلى النهج ذاته يقول : ((والواقع ان لقمان من رجـــال الاساطير))[2] القرآن ((ذلك الكتاب لاريب فيه)) البقرة، ٢، يصفه (حـــتي) بـــ (ان صح)) وان ما فيه ((اساطير)) وهذه الفرية تذكرنا بقول كفار الجاهـــلية الذي حكاه القرآن عنهم : ((وقالوا اساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة واصيلا))الفرقان، ٥. ومعلوم ان (اساطير) هي الاباطيل[3].

٤- وفي مكان آخر، يقول : ((اما العجائب التي ينسبها القرآن الى عيسى، كالقول انـــه (يكـــلم الناس في المهد)) (آل عمران : ٤٤) وانه خلق من الطين كهيئة الطيـــر (آل عمـــران : ٤٣) ، فهي تذكرنا ببعض الخوارق التي نسبت الى عيسى في الاناجيل الابوغرافية (اي غير الموثوق بها). .))[4]

---

[1] ابن كثير، تفسير، ٣/١١٩.

[2] تـــاريخ العـــرب، ١/٥٤، ٧٢. وجاء في القرآن على لسان الهدهد ((اني وجدت امرأة تملكهم)) النمل ٢٣، ولم يصرح باسمها.

[3] الـــرازي، محمد بن ابي بكر بن عبد القادر (ق٧) مختار الصحاح، بعناية سميرة خلف الموالي، المركز العربي (بيروت، بلا) مادة (سطر).

[4] تاريخ العرب ١/١٧٣، والآيات هي :

ان القـــرآن اذا ذكر عيسى عليه السلام بالتبجيل والاحترام، واخبر بمعجزاته، فانما يكون قد اتى باخبار -يزعم (حتي) انها غير موثوق بها !

أتكـــون الاناجيل المضطربة التي لم تدون امام المسيح عليه السلام موثوقاً بهـــا، ولا يكون القرآن وهو الكتاب الوحيد الذي دون حصراً باشراف النبي محمد عليه الصلاة والسلام موثوقاً به؟!ان (حتي) يرى الى ان اخبار القرآن اساطير شأنها شـــأن الانـــاجيل غير الموثوق بها ! القرآن حقاً - كما اراده الله عز وجل- هو الشـــاهد على صحة الكتب الاخرى، وليس القرآن مشهوداً عليه. وما جاء فيه من المغيـــبات وانباء ما قد سبق، لم ياخذها عن انجيل ولا عن توراة ؛انما جاءت وحياً مـــنزلاً بواســـطة جبريل على قلب النبي الامي محمد عليه افضل الصلاة والسلام. ونسأل :هل انكر اهل الكتاب على القرآن ما ذكره وقت نزوله من معجزات عيسى؟

والقـــرآن قـــد قص علينا كثيراً من اقاويلهم، وليس من بينها، انكارهم لما ســـمعوه ! اليس في هذا دليلاً على ان القرآن رباني المصدر، وليس من عند غير الله ؟! قال تعالى ((ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً)) النساء ٨، و((لـــو كـــان القرآن من عند محمد صلى الله عليه وسلم، لما رفع قدر المسيح او موســـى إلى مـــنزلة عالية بل لكان اقل ما يجب هو الصمت عن معجزات موسى وعيسى وغيرهما، كي لا يضع في يد الخصم سلاحاً ماضياً))[1].

١- ((ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين)) الى عمران، ٤٦، وليس ٤٤

٢- ((اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيراً باذن الله)) الى عمران، ٤٩، وليس ٤٣.

٣-((قـــال عيسى ابن مريم اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون عيداً لاولنا وآخرنا، وآية منك وارزقنا وانت خير الرازقين، قال الله اني منزلها عليكم..)) المائدة، ١١٤ و ١١٥. وهذه لم يشر اليها حتي.

ان النصارى يقومون بطبع الانجيل (العهد الجديد) والتوراة (العهد القديم) معاً في كتاب واحد (الكتاب المقدس)، علماً ان الـــتوراة لم يرد فيها ذكر للمسيح عليه السلام ولا لامه العذراء ولا لمرة واحدة. اما حين يمجد القرآن السيد المسيح ويذكر بالتوقير والاحترام امه الصديقة فهذا يعد -في نظرهم- اخبار لا يوثق بها !

[1] الجبيري، السيرة النبوية واوهام المستشرقين، ٦١.

ان ممـــا نقل عن المبشر (تاكلي)، قوله : ((يجب ان نستخدم القرآن، وهو امضـــى سلاح في الاسلام، ضد الاسلام نفسه، لنقضي عليه تماماً :يجب ان نري هؤلاء الناس ان الصحيح في القرآن ليس جديداً، وان الجديد فيه ليس صحيحاً))[1].

٥- وتحت عنوان (بنات الله) يقول : ((وفي حديث الغرانيق الذي اورده المفسرون وكتاب السير، واخذ به جماعة من المستشرقين، ان محمداً لما رأى من تجنب قـــريش ايـــاه قرأ بعد ((افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى))-((تلك الغـــرانيق العـــلى وان شفاعتهن لترتجى)). اما بعض علماء الاسلام، ففسروا الحادثة وفق مبدأ ((الناسخ والمنسوخ)) الذي يبدل الله تعالى بموجبه اللفظ لفظاً آخر، ويغير مقتضيات ارادته بالنظر الى علم العبد. وينتج من هذا، ان تلغى بعض الآيات، وتحل محلها اخرى)).

وهـــذه الفـــرية ردها اغلب المستشرقين وملخصها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى تولي قومه عنه، وشق عليه ما رأى من مباعدتهم عما جاءهم بـــه، تمنى في نفسه ان ياتيه الله بما يقارب بينه وبين قومه. فجلس ذات يوم في ناد مـــن انديـــة قريش كثير اهله، واحب يومئذ ان لا يأتيه من الله تعالى شيء ينفرون عـــنه، فانـــزل تعالى : ((والنجم اذا هوى)) فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم حـــتى بلغ : ((افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى)) النجم ١٩، ٢٠، القى الشيطان على لسانه : تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى. فلما سمعت قريش ذلـــك فرحوا، ومضى الرسول صلى الله عليه وسلم في قراءته حتى آخر السورة، فســـجد وسجد القوم جميعاً. وتفرقت قريش وقد سرهم ما سمعوا، وقالوا : قد ذكر محمـــد آلهتنا باحسن الذكر. ولما امسى رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه جبريل فقال : ((ماذا صنعت ؟ تلوت على الناس ما لم آتك به عن الله سبحانه، وقلت ما لم

---

[1] فروخ والخالدي، عمر ومصطفى، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، ط٤، المكتبة العصرية (بيروت، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م) ص٤٠.

اقــل لــك)) فحزن الرسول صلى الله عليه وسلم حزناً شديداً، وخاف من الله خوفاً كــبيراً، فانــزل تعالى ((وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم)) الحج، ٥٢))[١].

وقد فند العلماء الباحثون هذه القصة وتناولوها بالنقد والتحليل، وابطلوها من عدة نواح، وفيما يلي خلاصة ما قالوا :[٢]

اولاً :نقدوا سندها فقالوا انها رواية مرسلة، وجمهور المحدثين لم يحتجوا بالمرسل وجعــلوه مــن اقســام الضعيف لاحتمال ان يكون المحذوف غير صحابي، وحينــئذ يحــتمل ان يكون ثقة او غير ثقة وعلى الثاني فلا يؤمن ان يكون كذاباً. كما ان الاحتجاج بالمرسل -عند من يحتج به- انما هو في الفرعيات لا في العقائد ؛بل قال جمهور علماء التوحيد ان خبر الواحد لو كان صحيحاً لا يؤخذ به في العقائد، فما بالك بالضعيف [٣] ؟! وقد حكى الفخر الرازي (ت، ٦٠٦هــــ) في تفسيره، عن محمد بن اسحاق بن خزيمة، انه سئل عن هذه القصة، فقال :هذا من وضع الزنادقة وصنف فيه كتاباً. وقال الامام ابو بكر احمــد بــن الحسين البيهقي (ت، ٤٥٨هــ). هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل، ثم اخذ يتكلم في ان رواة هذه القصة مطعون فيهم[٤]. كما قال ابو حيان

---

[١] الواحــدي، عــلي بن احمد، ابو الحسن النيسابوري (ت، ٤٦٨هــ) اسباب النزول، نشر عالم الكتب، مصورة عن الطبعة المصرية (مصر، ١٣١٦هــ) ص٢٣٢-٢٣٣.

[٢] ذكر تفاصيل الردود، الاخ الدكتور محمود خلف جراد العيساوي في رسالته ((افتراءات كارل بروكلمان)) ص١٢٢-١٣١، وقد افاض واجاد بما لا مزيد عليه فجزاه الله عن بيان الحق خيراً

[٣] انظر :ابو شهبة، محمد محمد، الاسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ط٤، مكتبة السنة (القاهرة، ١٤٠٨هــ/ ١٩٨٨م) ص٣١٦ ؛وايضاً العيساوي، المصدر السابق، ١٢٧.

[٤] الفخــر الــرازي، محمد بن عمر بن حسين الفخر (ت، ٦٠٦هــ) التفسير الكبير، ط٢، دار الكتب العلمية، ج٣ (طهران، بلا) ص٥٠.

(ت، ٧٥٤هـ) : ((وليس في الصحاح ولا في التصانيف الحديثية شيء مما ذكروه، فوجب اطراحه، ولذلك نزهت كتابي عن ذكره فيه)) [1]

ثانياً :ان الروايات الصحيحة ذكرت ان النبي صلى الله عليه وسلم سجد بـ (والنجم) وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس ولم يرد فيها ذكر لقصة الغرانيق.

فكيف يعدل عن الصحيح الى غيره من الروايات التالفة الموضوعة ؟! [2]

فقد روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ (والنجم) فسجد فيها وسجد من كان معه، غير ان شيخاً من قريش اخذ كفاً من حصى او تراب فرفعه إلى جبهته، قال عبد الله :فلقد رأيته بعد قتل كافراً))

ثالثاً : والقصة هذه تناقض صريح القرآن، قال تعالى ((وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى)) النجم ٣،٤ وهذه الآية في صدر السورة التي يحكى ان التخليط حصل فيها ! وقال تعالى ((ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين)) الحاقة ٤٤-٤٦.

رابعاً : وهي ايضاً تناقض الاعتبارات التاريخية، فالرسول صلى الله عليه وسلم بمكة لم يتمكن من القراءة والصلاة عند الكعبة، ولا سيما في محفل غاص، ثم ان معاداة المشركين للرسول صلى الله عليه وسلم كانت اكبر من ان يغتروا بهذا القدر، فيخروا سجداً قبل ان يقفوا على حقيقة الامر.

---

[1] ابو حيان، البحر المحيط، ٣٨٢/٦. وقد رد القصة ابن كثير، وقال :انها من طرق مرسلة، ولم ارها مسندة من وجه صحيح. تفسير ابن كثير، ٢٢٩/٣.

[2] الالباني، محمد ناصر الدين، نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق، ط٢، نشر المكتب الاسلامي (بيروت، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م) وهي رسالة نفيسة جداً.

خامساً : ان سياق الآيات في سورة (النجم) يتحدث عن آلهة المشركين ويحط من شأنها، قال تعالى : ((ان هي الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى)) النجم ٢٣.

وبعد ذلك يتحدث السياق عن الملائكة وينفي شفاعتهم في قوله ((وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى)) النجم ٢٦.

فكيف ترتجى شفاعة اصنامهم ؟ وكيف يتلاءم الشيء ونقيضه في سياق واحد، والمخاطب به هم اساطين البلاغة والذوق الادبي الرفيع ؟! ((ثم ان العرب لم يرد في نظمها، ولا في خطبها، ولا نقل عن احد بطريق صحيح، انها وصفت آلهتها بالغرانيق، وليس من معاني الكلمة شيء يلائم صفة الالهية والاصنام حتى يطلق عليها في القرآن))[1] .

من كل ما سبق، يتضح لنا ان قصة الغرانيق مرفوضة استناداً الى القرآن في منطقه، والسنة في ثبوتها، واللغة في مدلولاتها، والعقل في تصوراته، والتاريخ في شهادته.

سادساً :اما قول (حتي) : ((اما بعض علماء الاسلام ففسروا الحادثة وفق مبدأ ((الناسخ والمنسوخ)) الذي يبدل الله تعالى بموجبه اللفظ لفظاً آخر، ويغير مقتضيات ارادته بالنظر الى علم العبد، وينتج من هذا، ان تلغى بعض الآيات وتحل محلها اخرى)).

[1] رضا، محمد رشيد (ت، ١٣٥٤هـ) تفسير المنار (تفسير القرآن الحكيم) دار المعرفة ج٤ (بيروت، بلا) ص٨٧ ؛ وايضاً :عبد الرحيم، عبد الغفار، الامام محمد عبده ومنهجه في التفسير، المركز العربي للثقافة (القاهرة، بلا) ص٢٦١-٢٦٢.

فـــاولاً :ان النسخ لا يرد في الاحكام الاعتقادية، انما في الاحكام الشرعية، وما نحن بصدده امر يتعلق بالعقيدة – وهو عصمة النبي صلى الله عليه وسلم.

وثانياً : النسخ لا يغير مقتضيات ارادة الله سبحانه وتعالى كما فسره (حتي).

فتعريف النسخ عند علماء الاصول هو ((رفع حكم شرعي نافذ بنص لاحق)) او هو ((رفع حكم شرعي بمثله مع تراخيه عنه))[1].

وهــذا يعني ان الله سبحانه شرع حكماً ما ثم رفعه وابدله بحكم آخر غيره بمـــا يناســـب التدرج التشريعي الذي هو صفة من صفات التشريع الاسلامي. ولم يكـــن النســـخ الا اتباعاً لمصلحة الخلق، لا تغيراً لعلم الله، والشرائع انما قصد بها مصالح الناس الدينية والدنيوية، فتبدلت الخطابات بحسب تبدل المصالح [2].

سابعاً : يتبين لنا مما ذكره (حتي) انه يهدف الى ادخال الشك والارتياب على النص القـــرآني ولربما قاس الامر على ما عند قومه من الكتب والتي يقول عنها : ((انها ألفها رجال مختلفون في ازمنة مختلفة وامكنة مختلفة)) [3].

ولكـــن المؤسف حقاً انه بعد اكثر من ثلاثين عاماً، يعترف (حتي) بسلامة الـــنص القـــرآني، ويقرر بوضوح ((ان النص القرآني هو هو كما كان في اللوح المحفـــوظ يـــوم نزل من السماء)) [4] وصدق الله العظيم حيث يقول : ((قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجاً وانتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون)) آل عمران ٩٩.

---

[1] انظر : الزلمي، مصطفى ابراهيم، اصول الفقه الاسلامي في نسيجه الجديد، ط٥، شركة الخنساء (بغداد، ١٩٩٩م) ص ٣٨٥.

[2] النشمي، المستشرقون ومصادر التشريع الاسلامي، ٤٢.

[3] الاسلام منهج حياة، ٦٠.

[4] م. ن، ٦١.

المبحث الرابع

افتراءات (حتي) على مصدر القرآن الكريم

من البداهة ان لا نطالب المستشرق -أياً كان- ان يؤمن برسالة محمد صلى الله عليه وسلم فهذا امر موكول اليه. ونعلم ان هناك صنفاً من الباحثين يعز على نفسه -لمآرب شتى- ان يرتفع بها الى اعلان الحق بله الاذعان له ! وفي القرآن الكريم وصف دقيق لمثل هؤلاء الذين يعيشون حياة الانفصام الروحي والفكري. قال تعالى ((وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم)) النمل، ١٤. ومع هذا، فان الحياد العلمي يبقى مطلوباً ويفرض التسوية عند تناول الرسالات السماوية - خاصة- بالدراسة والتحقيق. فالعالم الحق ينظر الى الحقيقة كاملة، لانها وحدة لا يمكن تجزئتها، والذي يقر نصفها ويترك النصف الآخر، انما يشوه-بعمله هذا الحقيقة ويبترها.

واذا كان جمهرة المستشرقين يرون ان محمداً صلى الله عليه وسلم لا يحمل رسالة سماوية ولم يكلف بتبليغ كتاب -وانما استمد ذلك من كتب اهل الديانات السابقة، ومن بعض المؤثرات الثقافية التي كانت سائدة آنذاك ؛افلا يحق لكل ذي عقل ان يسأل : اذاً من اين جاء عيسى بالانجيل ؟ ومن اين أتى موسى -من قبله- بالتوراة ؟![1]

[1] يقول (بوكاي) : ((ان اليهود والمسيحيين والملحدين في البلاد الغربية يجمعون على الزعم -وذلك دون ادنى دليل- بان محمداً صلى الله عليه وسلم كتب او استكتب القرآن محاكياً التوراة، ويزعم البعض ان هناك اقوالاً قرآنية في التاريخ الديني تعيد اقوال التوراة والانجيل، مثل هذا الموقف لا يقل استخفافاً عن ذلك الذي يقود الى القول بان المسيح ايضاً قد خدع معاصريه باستلهامه للعهد القديم في اثناء تبشيره. فكل انجيل (متي) يعتمد على تلك الاستمرارية مع العهد القديم. اي مفسر هذا الذي تعن له فكرة ان ينزع من المسيح صفته كرسول لله لذلك السبب.. .؟)) انظر :كتابه، القرآن والتوراة والانجيل والعلم، ص١٤٩.

قال تعالى ((وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء قل من انــزل الكــتاب الــذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً منها..)) الانعام، ٩١.

((ان القــرآن الكــريم اول كتاب في الحياة، وآخر كتاب في الحياة، يشحن الافئدة باليقين النقي ويوثق رباطها بالله، على نحو لا يستطيع كتاب آخر ان يقترب من أفقه. وليس في هذا الكتاب شيء شخصي لمحمد صلى الله عليه وسلم يرتفع به عن مستوى العباد، او يخفف عنه شيئاً من اعباء التكاليف..))[1].

والحــق ان المستشــرقين جانبوا طرق العلم والانصاف، حين تعاملوا مع النــبوات الســابقة بالاحــترام والاقرار، واستقبلوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالصــد والفــتور، والقاء الشبهات. و(حتي) واحد من هؤلاء، فقد عقد في كتابه (تــاريخ العــرب) فصلاً عن القرآن كتاب الله، جاء مليئاً بالافتراءات والشبهات. وســوف نعتمد نصوصاً مقتبسة من كتبه، نشير اليها في مظانها، من غير تطويل ممل، او ايجاز مخل، فمن ذلك، قوله :

١- ((والــتوازي ظاهــر بيــن القرآن واسفار موسى الخمسة اكثر من سواها. . والجدير بالذكر ان اسماء شخصيات التوراة الواردة في القرآن، جاءت على ما يظهر عن طريق اللغة السريانية (مثل نوح)، واليونانية (مثل الياس ويونس). . واكثر الامثلة على التوازي بين الكتابين، هي بين انجيل متي والسور المكية.. ولسنا نرى في القرآن شيئاً يتوازى مع ما ورد في اسفار الفرس المقدسة، الا صورة السماء والجحيم. .ويقال ان صورة النعيم والجحيم التي اخرجها القرآن، اوحتها الرسوم الدقيقة او بدائع الفسيفساء، التي خلفها النصارى..))[2].

---

[1] الغزالي، محمد، مع الله، ط٢، مكتبة المثنى (بغداد، ١٣٨٠هـ/١٩٦١م)ص١٠٨.

[2] تاريخ العرب، ١/١٧١-١٧٣ باختصار.

أرأيــت الى هذا التخليط المتعمد ((يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون)) الى عمران، ٧١. يقول (حتي) : ((التوازي ظاهر بيــن القــرآن واسفار موسى. .وبين انجيل متي والسور المكية)) ويقصد بالتوازي التشــابه، لا الاقتباس، لانه يقول ((وان دراسة القصص القرآنية السابقة ومعارضة آياتها بما في التوراة، لاتثبت ان هنالك اقتباساً صريحاً))[١].

وهذا الذي ذكره صحيح في ظاهره ولا اعتراض عليه، لان من المسلم به ان الديانات السماوية اصولها واحدة (كالنبوات والمعاد والتوحيد والاخلاق). ولكن الذي ذكره بعد ذلك –وهو غير صحيح– لا يمكن ان يقربه البتة. فليس صحيحاً ان اسماء الانبياء مثل نوح والياس ويونس عليهم السلام وردت في القرآن عن طريق السريانية واليونانية ! بل ان كل ما ورد في القرآن من ذلك وغيره جاء به جبريل عــليه السلام من رب العالمين وحياً منزلاً [٢]. وليس صحيحاً أيضا ان مشاهد يوم القيامــة (صور النعيم والجحيم) تتوازى مع ما ورد عند الفرس، او انها اوحت بها الرســوم الدقيقة او بدائع الفسيفساء التي خلفها النصارى [٣] !! بل ان ذلك كله مما اوحاه الله عز وجل الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وجاء به القرآن.

وهــل يــبقى القرآن وحيا مقدساً منزلاً من عند الله، اذا كانت الرسوم والفسيفساء النصرانية قد اوحت له بمشاهد القيامة ؟!.

اليس في الانجيل –انجيل متي كما ذكر (حتي) صور النعيم والجحيم، فمن اين جاءت؟ هل اخذت عن(اسفار الفرس المقدسة) ام هل اوحت بها (الفسيفساء)؟!.

---

[١] تاريخ العرب، ١/١٧٢.

[٢] وهل كان الرسول محمد صلى الله عليه وسلم يعرف السريانية واليونانية والفارسية حتى يقتبس منها، وهو الذي قال عنه القرآن ((وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك)) العنكبوت ٤٨.

[٣] في أي مكان اطلع الرسول صلى الله عليه وسلم على رسوم النصارى وهو الذي لم يدخل كنيسة قط وغالب الرسوم كانت على جدران الكنائس ؟ ومن اين اطلع الرسول صلى الله عليه وسلم على اسفار الفرس (المقدسة) ولم ينقل عنه مرة انه وصل بلادهم ؟

واذا كان هناك تشابه بين الاديان السماوية، قد ذكره (حتي) –وهو حق في اصله– ؛ فان هنالك تشابهاً آخر بينها، وهو حق ايضاً، لم يذكره (حتي).

ان القــرآن اكــد عــلى ان اهل التوراة قد حرفوا كلام الله، فقال تعالى : ((أفــتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون)) البقرة، ٧٥.

وقال تعالى : ((من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا..)) النساء ٤٦.

وقــال تعالى : ((فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحفرون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم. .)) المائدة ١٣.

وورد فــي اسفار العهد القديم ما يطابق القرآن الكريم فيما قرره من وقوع الــتحريف ففــي سفر (إرميا، ٨ : ٨) ((كيف تقولون نحن حكماء وشريعة الرب معنا، حقاً انه الى الكذب حولها قلم الكتبة الكاذب)) وفيه ايضاً (٢٣ : ٣٦) : ((اما وحي الرب فلا تذكروه بعد لان كلمة كل انسان تكون وحيه، اذ قد حرفتم كلام الاله الحي رب الجنود الهنا)).

كمــا جاء في سفر (أشعيا ٢٩ : ١٦) ((يالتحريفكم. .)) وفي سفر (التثنية ٣١ : ٢٤ –٢٩) : ((فعــندما كمــل موسى كتابة كلمات هذه التوراة في كتاب الى تمامهــا، امــر موســى اللاويين. . خذوا كتاب التوراة هذا. .ليكون هناك شاهداً عــليكم.. اجمعــوا الــيّ كل شيوخ اسباطكم وعرفاءكم لأنطق في مسامعهم بهذه الكــلمات واشــهد عــليهم الســماء والارض لاني عارف انكم بعد موتي تفسدون

وتزيغون عن الطريق الذي اوصيتكم به ويصيبكم الشر في آخر الايام لأنكم تعملون الشر امام الرب حتى تغيظوه باعمال ايديكم))[1].

وفي التوراة الحالية نفسها، نلاحظ دلائل دامغة تشير الى انها ليست التوراة الاصلية التي جاء بها موسى عليه السلام، من ذلك :

١- ذكــر التوراة اموراً تسيء الى سمعة الانبياء وتطعن في عصمتهم، مثل سكر نــوح (التكوين ٩ : ٢١) [2] ، وزنا لوط بابنتيه (التكوين ١٩ : ٣٠-٣٦)) [3] وغش يعقوب لابيه اسحاق وكذبه عليه (التكوين ٢٧ : ١٨-٢٤) [4] وغير ذلك كثير.

٢- فــي الــتوراة الحالية ما ينافي عقيدة التوحيد التي بعث بها الانبياء جميعاً، وقد خوطب موسى عليه السلام (الخروج ٢٣ : ١٣) ((ولا تذكروا اسم آلهة اخرى ولا يســمع من فمك)) ؛ في الوقت الذي نقرأ فيه ايضاً : (خروج، ٤ : ١٦) ((وهو -أي هارون- يكلم الشعب عنك. .وانت تكون له الهاً))؛ ونقرأ كذلك : (خروج ٧ : ١) ((انا جعلتك الهاً لفرعون)) [5].

---

[1] وفي القــرآن : ((فويــل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون)) البقرة، ٧٩.

[2] ونصها ((وشرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه. فابصر حام ابو كنعان عورة ابيه)).

[3] وفيهــا ((وقالت البكر للصغيرة ابونا شاخ وليس في الارض رجل ليدخل علينا كعادة كل الارض. هلم نسقي ابانا خمــراً ونضــطجع معــه فنحيي من ابينا نسلاً. فسقتا اباهما خمراً في تلك الليلة ودخلت البكر واضطجعت مع ابيها.. فحبلت ابنتا لوط من ابيهما))

[4] وفيها ((..من انت يا ابني. فقال يعقوب لابيه انا عيسو بكرك.. قال الصوت صوت يعقوب ولكن اليدين يدا عيسو.. وقال هل انت هو ابني عيسو. فقال انا هو))

[5] انظــر : الكيرانــوي، رحمة الله بن خليل الرحمن العثماني (ت، ١٣٠٨هــ/١٨٩١م) اظهار الحق، طبعة ادارة احياء الــتراث الاسلامي (قطر، ١٤٠٣هــ/١٩٨٣م) وفي يذكر ادلة عديدة على وقوع التحريف في التوراة والانجيل، منها :ان سندها منقطع وضعيف وكذلك كثرة الاختلافات فيما بينها حتى ذكر ان عدد الاختلافات يبلغ (١٢٤) اختلافاً، وايضاً كثرة الاغلاط فيها والتي بلغت (١١٠) !!.

ومـــن الغريب ان يذكر (حتي) ان العبرانيين ((اول من كشف للعالم فكرة جـــلية عن الله الاحد وقد صار التوحيد (؟) الذي دعوا اليه اصلاً (هكذا !) للتوحيد في العقيدتين المسيحية والاسلامية)) [1].

ونقـــول كلمة عن انجيل (متي) الذي قال عنه (حتي) انه اكثر شبهاً بالسور المكية.

لـــم يـــتفق الدارسون على هذا الانجيل باي لغة دون الاصل اولاً. ومجمل القول انه كتب باحدى اللغات التالية :اما العبرانية او السير وكلدانية او الآرامية او الســـريانية[2]. واتفـــق المؤرخون المسيحيون وعلماء الكتاب المقدس على ان نص انجيـــل (متي) الاصل قد فقد. وليس بين ايدينا اليوم الا النص بترجمته اليونانية [3]. والسؤال الذي يرد : متى ترجم هذا الانجيل ؟ واين ؟ ومن هو المترجم وما حاله؟ وهل كانت ترجمته مطابقة للأصل ؟ كل هذا ما لا سبيل الى معرفته بيقين. واخيراً بقي هذا الانجيل اليوناني مقطوع السند ومجهول التاريخ [4].وفي هذا الانجيل (١١ : ١٩) نعـــرف المسيح عليه السلام ((اكول شريب خمر)) وفيه (٢٦ : ٢٦) ((وأخذ الكـــأس وشـــكر واعطاهم قائلاً اشربوا منها كلكم))، وفيه ايضاً (١٥، ٢٢-٢٦) ازدراء للـــناس مـــن غير بني اسرائيل فقد ارادت امرأة كنعانية مساعدته فاجابها : ((ليس حسناً ان يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب !)).

كمـــا نجـــد فيه تناقضاً واضحاً - كحال الاناجيل الاخرى - ففي (١ : ١) ينســـب المســـيح الى داود ثم في (٢٢ : ٤١-٤٥) ينكر المسيح ان يكون هو ابناً

---

[1] الاسلام منهج حياة، ص٤٤

[2] ابو زهرة، محمد (الشيخ)، محاضرات في النصرانية، ط٣، دار الفكر العربي (القاهرة، ١٣٨١هـ/١٩٦٦م) ص٤٣-٤٥.

[3] م. ن، ٤٤.

[4] رحمة الله الكيرانوي، المصدر السابق ٩٧ ؛ ابو زهرة، المصدر السابق، ٤٥ ؛موريس بوكاي، القرآن والتوراة والانجيل والعلم، ص٧٩-٨٤.

لداود. وفي (١ : ١٦) ((ويعقوب ولد يوسف رجل مريم التي ولد منها يسوع الذي يـــدعى المسيح))، غير انه يبين (١ : ١٨) ((لما كانت مريم امه مخطوبة ليوسف قـــبل ان يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس)). ويبدو التناقض اكثر في خاتمة هـــذا الانجيـــل ففي (٢٨ : ١٩) نقرأ ((اذهبوا وتلمذوا جميع الامم..)) في حين ان الســيد المســيح اوصـــى تلاميـــذه (١٠ : ٦) قـــائلاً لهم ((لا تسلكوا طريقاً الى الوثنيين..)) ويؤكد (١٥ :٢٤) ((لم ارسل الا الى خراف بيت اسرائيل الضالة)).

٢- ويقول (حتي) في غمزات هادفة : ((وفي الروايات المشهورة ان محمداً لقي في شـــبابه راهـــباً اسمه بحيرا. .وان الاساطير الاسلامية والمسيحية التي حيكت حـــول بحيـــرا، تعكس لنا شيئاً عن العلاقات القديمة بين الديانتين، وغن اثر المسيحية))[1].

وايضاً ((فخرج فئة اعتنقوا نزعة توحيدية غامضة، هؤلاء الحنفاء، ومنهم أمية بن ابي الصلت المتوفي ٦٢٤م، وكانت تربطه بالرسول قرابة عن طريق امه، ومـــنهم ورقـــة بـــن نوفـــل ابن عم خديجة، ولو ان بعض المصادر جعلت ورقة نصرانياً)) [2] وعن خديجة ((وكانت قد تأثرت بتعاليم ابن عمها ورقة بن نوفل وهو حنيف، فكانت اول امرأة اسلمت)) [3].

وكـــلام مـــثل هـــذا، يفهم منه ان :المسيحية اثرت في الاسلام عن طريق الـــراهب بحيرا واثر الحنفاء ايضاً وهم اصحاب النزعة التوحيدية بسبب من قرابة امية لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما اثر ورقة -النصراني- بسبب من قرابته لخديجة زوج النبي صلى الله عليه وسلم !

---

[1] الاسلام منهج حياة، ٤٤ ؛صانعو التاريخ العربي، ١٦ ؛تاريخ العرب ١٥٦/١.

[2] تاريخ العرب، ١٥٢/١.

[3] م. ن، ١٥٨/١.

فأولاً : (٠لو تعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم من ورقة وامية، لقالت قريش له لما دعاها الى الاسلام والقرآن :انهما اعطياك هذا. ولكان ذلك ورقة رابحة بين قريش، لانه صلى الله عليه وسلم لن يستطيع انكار ما اخذ وهم شهود، وهـذا ما لم تقله قريش في حربها الاعلامية ضد النبي وضد القرآن، وهي التي اشاعت ما اشاعت، وعملت ما عملت للوقوف في وجهه صلى الله عليه وسلم [1].

ثانيـاً : فـي القـرآن آيات تخالف عقيدة المسيحية واليهودية، تلك الآيات الخاصة بـتوحيد الله عز وجل وصفاته واسمائه، وهي الاصل الاول في الايمان بالله تعـالى. ونحـن نعـلم ان التوراة تصور الاله انه سبحانه اله خاص ببني اسرائيل فقط وليست له صفة العموم والشمول.

وتقوم العقيدة في الانجيل على التثليث (الاب والابن والروح القدس). وهذه التصـورات انكرها القرآن اشد الانكار. ((مع انها كانت وحدها العقيدة الشائعة في الـناس قبيل البعثة النبوية، اذاً فحين يأتي محمد صلى الله عليه وسلم بتصور جديد عن التوحيد لم يقرأه في انجيل ولا توراة - [وفاقد الشيء لا يعطيه] - ولم يتعلمه من حنيفي قبله، وهو الموافق للفطرة الآدمية والنزاهة البشرية، فهذا هو دليل على صدقه ونبوته)) [2] وان القرآن جاء من عند الله.

و(حـتي) نفسـه يضطرب في بيان توحيد الديانات اضطراباً شديداً. فتارة يذكر ((ان الاسلام قريب جداً من الديانتين التوحيديتين اللتين سبقتاه))، وتارة اخرى

---

[1] شوقي ابو خليل، موضوعية فيليب حتي، ١٤٨.

[2] محمود، د. عبد الحليم، اوربا والاسلام، طبعة دار الشعب (القاهرة، ١٩٧١م) ص٤٥.

ويقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله :ان اهل مكة لما سمعوا دعوة الاسلام قالوا -في ما حكاه القرآن- : ((ما سمعنا بهذا في الملـة الآخرة ان هذا الا اختلاق)) سورة ص، ٧، أي ان ما قرع اسماعهم هو شيء جديد غير معهود في الديانات الوثـنية والكتابية)) انظر كتابه : دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين، ط٢، دار الكتب الحديثة (مصر ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م) ص٣٦ وما بعدها.

يقـول مناقضـاً كلامه : ((وهذه المناسك التوحيدية الجديدة، ميزت التوحيد الجديد (الاسلام) منه في اختيه القديمتين (اليهودية والنصرانية) ثم بعدت به عنهما))ويؤكد بصورة ادق : ((والذي يبعد النصرانية عن الاسلام بعداً كبيراً عقيدة التثليث))[1] فاين يا ترى اثر المسيحية ؟وهل لورقة او امية او بحيرا من دور فيما جاء به الاسلام ؟!

ثالـثاً : ((ان الـتوراة والانجيـل لـم يكونا منشورين بحيث يستطيع عامة اليهود والنصارى ان يحفظوا منها شيئاً ؛فان اول طبعة عربية للعهد القديم قد نشرت بعد المسيح بتسعة قرون، أي بعد موت محمد صلى الله عليه وسلم بما يقرب مـن ثلاثة قرون. بينما اول طبعة رسمية عربية للعهد الجديد قد ظهرت بعد ذلـك بقـرنين ثم ان ورقة توفي قبل ان يبدأ محمد عليه الصلاة والسلام في تدويـن مـا اوحي به جبريل اليه. . ونحن الان بعد عصر الطباعة لا نرى النصـارى واليهود يحفظون شيئاً من كتابهم المقدس لان اسلوبه لا يستساغ حفظه))[2].

وحقيقـة ان الـتوراة والانجيل لم يكونا منشورين، ذكره (حتي) نفسه فقال ((ان العـرب فـي الجاهـلية وفـي عصـر النبوة، لم يعرفوا نصوصاً نصرانية مكتوبة))[3].

---

[1] انظـر على الترتيب : الاسلام منهج حياة، ٣٩، ٤٥، ٩١، وسوف ياتي مزيد تفصيل في الرد على هذا في مبحث (حتي والعقيدة الاسلامية) ص

[2] الجـبري، السـيرة النبوية واوهام المستشرقين، ١٥٧ ؛ويذكر رحمه الله الكيرانوي الحكاية التالية : ((جاء يوماً امير انكليزي في مكتب (سهار نفور) من بلاد الهند، ورأى الصبيان مشتغلين بتعلم القرآن وحفظه، فسأل المعلم: أي كتاب هـذا ؟فقال : القرآن المجيد، فقال الامير: احفظ احد منهم القرآن كله ؟ فقال المعلم :نعم، واشار الى عدة منهم، فلما سمـع استبعد، فقال: اطلب واحداً منهم واعطني القرآن امتحنه. فقال المعلم :ايهم شئت، فطلب واحداً منهم كان ابن ثلاثـة عشـر او اربعة عشر، وامتحنه في مواضع، فلما تيقن انه حافظ لجميع القرآن تعجب، وقال :اشهد انه ما ثبت بالـتواتر لكتاب من الكتب كما ثبت للقرآن، يمكن كتابته من صدر صبي من الصبيان مع غاية صحة الالفاظ وضبط الاعراب)) انظر كتابه : اظهار الحق، ٢٨٨-٢٨٩.

[3] الاسلام منهج حياة، ٤٤.

رابعاً : في القرآن اسئلة وجهها العرب المخاطبون لرسول الله صلى الله عليه وسلم منها :

((يسألونك عن الاهلة، قل هي مواقيت للناس والحج)) البقرة، ١٨٩.

((يسألونك ماذا ينفقون قل العفو)) البقرة، ٢١٥.

((يسألونك ماذا احل لهم قل احل لكم الطيبات. .)) المائدة، ٤.

ولو لم يكن الجواب وحياً لتباين الاسلوب الادبي-اي لوجدنا في القرآن اكثر من اسلوب وهذا ما لم يقل به احد. كما ان التميز واضح بين القرآن والحديث النبوي. ومن المتعذر على الشخص الواحد ان يكون له في بيانه اسلوبان متغايران. ثم ان احداً -ورقة او امية او بحيرا- لم يكن موجوداً عندما سئل الرسول صلى الله عليه وسلم بهذه الاسئلة.

فجميع الاسئلة كانت في المدينة المنورة، وورقة مات بمكة في ايام الوحي الاولى[1] وامية عاش ومات بمكة [2]، ولم يرد بتاتاً ان بحيرا قدم مكة او المدينة.

خامساً : أي مصلحة او غاية في ان يؤلف القرآن من قبل احد ثم ينسب الى غير قائله ومؤلفه ؟! ثم اليس في عمل كهذا، كذب على الله وعلى الناس وعلى النفس، ومتى كان الكذب سبيلاً الى النجاح ووسيلة للاصلاح ؟!

سادساً : اما قصة (بحيرا) الراهب والتي يقول (حتي) انها من (الروايات المشهورة) فان هذا المنهج لم يتفرد به (حتي) بل هو منهج غالبية

---

[1] البخاري، الصحيح، ٦/١.

[2] يذكر ابن كثير ان امية بن ابي الصلت شهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالحق، وانه قدم من الشام بعد بدر ليسلم، فلما علم بمقتل عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة -ابنا خاله- رجع الى مكة والطائف، ثم مات، البداية والنهاية، ٢١٠/٢.

المستشرقين :ذلك بأنهم يعتمدون من الروايات ما كان ضعيفاً وموضوعاً لمناسبتها غرضاً مما يهدفون اليه ؛ ويتجاهلون الروايات الصحيحة والوقائع الثابتة لانها لا تتفق والقصد الذي عزموا عليه ! [1]

فمثلا : في حديث (حتي) عن (الصوائف والشواتي)، يتكلم عن واحدة منها، تلك التي اتجهت لمحاصرة القسطنطينية، فيقول ((الا ان بطل هذه الصائفة الحقيقي في الاساطير هو ابو ايوب الانصاري)) [2] فابو ايوب -بمنطق (حتي)- من (الاساطير)، وبحيرا الراهب من (المشاهير). ارأيت منطقاً مقلوباً كهذا الذي يتناولون به دراسة تاريخ الاسلام ؟!

وهكذا شأنهم في كثير من وقائع السيرة :انها مجرد اساطير، الا حين يذكرون هذه القصة -بحيرا- فانها في نظرهم (صحيحة مشهورة) لكي يتمكنوا من اثبات ان الرسول صلى الله عليه وسلم قد تتلمذ لهذا الراهب، واخذ عنه جميع ما جاء به في الاسلام من عقائد وشرائع ومناهج سلوك ! وكل ذلك كان بمجرد لقاء واحد غير مقصود وعمر الرسول صلى الله عليه وسلم يومها كان ما بين ١٠-١٢ سنة كما جاء في الروايات !! [3]

ويجدر بنا ان نتناول هذه المسألة بشيء من التفصيل، وذلك لكثرة ما دندن حولها المفترون.

---

[1] شكك (حتي) بقصة ملكة سبأ وهي واردة في القرآن، ووصف لقمان بانه من شخصيات الاساطير. انظر كتابه : تاريخ العرب، ١/٥٤، ٧٢.

[2] ابو ايوب الانصاري، هو خالد بن زيد من بني النجار، شهد بيعة العقبة الثانية، واقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنده يوم وصل المدينة مهاجراً بضعة اشهر. وشارك ابو ايوب في الجيش الذي ارسله معاوية رضي الله عنه لفتح القسطنطينية فمات هناك عام (٥٢هـ) ودفن عند اسوار القسطنطينية، ابن حجر، الاصابة، ١/٤٠٥ ؛تاريخ العرب، ١/٢٦٥.

[3] وفي رواية للطبري، انه صلى الله عليه وسلم كان في التاسعة. الطبري، محمد بن جرير (ت، ٣١٠هـ) تاريخ الامم والملوك، ط١، مؤسسة عز الدين، ج١ (بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) ص ٤٥٦.

١- اورد ابـــن هشـــام خبر (بحيرا)، ونذكره ملخصاً : ((ثم ان ابا طالب خرج في ركـــب تاجراً الى الشام، فلما تهيأ للرحيل واجمع المسير، صب به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيما يزعمون، فرق له وقال :والله لاخرجن به معي، ولا يفارقني ولا افارقه ابداً، فلما نزل الركب بصرى من ارض الشام وبها راهب يقال له بحيرا وكان اليه علم اهل النصرانية، فصنع لهم طعاماً، وتخلف رسول الله صـــلى الله عليه وسلم لحداثة سنه، ثم احضر معهم، فلما رآه بحيرا، جعل يلحظه لحظاً شديداً، وينظر الى اشياء من جسده، حتى قام اليه بحيرا فقال له :يا غلام اسألك بحق اللات والعزى الا ما اخبرتني عما اسألك عنه -وانما قال له بحيرا ذلك لان سمع قومه يحلفون بهما - ؛ فزعموا ان رسول الله صل الله عـــليه وسلم قال : لا تسألني باللات والعزى شيئاً، فوالله ما ابغضت شيئاً قط بغضهما، فجعل - أي بحيرا- يسأله عن اشياء من حاله : من نومه، وهيئته، وامـــوره ؛فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره، فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته، ثم نظر الى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده. ولما فرغ اقبل على عمه ابي طالب :ما هذا الغلام منك؟ ومـــا فعـــل ابـــوه، فلما اخبره قال بحيرا صدقت فارجع بابن اخيك الى بلده، واحذر عليه يهود، فخرج به عمه ابو طالب سريعاً حتى اقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام))[1] .

وعـــند الطـــبري عـــن ابي موسى ((ان (بحيرا) اخذ بيد الغلام وقال :هذا رســـول رب العالمين واخبر الركب انه لم تبق شجرة ولا حجر الا خر ساجداً ولا يسجدون الا لنبي وان خاتم النبوة اسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة ولما صنع لهـــم الطعـــام اقـــبل -اي الرسول وهو غلام- وعليه غمامة، ولما جلس مال فيء

[1] ابن هشام، السيرة، ١/١٩٤-١٩٦ باختصار.

الشـــجرة عليه. وناشدهم الا يذهبوا به الى الروم. .ورده ابو طالب، وبعث معه ابو بكر رضي الله عنه، بلالاً وزوده الراهب من الكعك والزيت)) [1].

هـــذه هـــي مجمـــل روايـــات قصة (بحيرا) الراهب والتي اتكأ عليها بنو الاستشـــراق في بناء اتهامات فيها مجازفات علمية، لا تنهض بها هذه القصة سنداً ولا متناً.

وقد تولى بيان ذلك بالتفصيل، الدكتور محسن عبد الحميد ومن بعده الدكتور اكـــرم ضـــياء العمـــري [2]. وملخص ذلك : ((ان اقوى طرق هذه القصة ورد عند الترمذي في جامعه، وقال عنه الترمذي : ((هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه الا مـــن هـــذا الوجه))وصححه الحاكم، وتعقبه الذهبي قائلاً ((اظنه موضوعا وبعضه بـــاطل))، وبين اعتراضاته على سند الرواية ومتنها ووصفها بالنكارة، بل يفهم من كلامه شكه في الرواية كلها.

((فامـــا انـــتقاده للسند فقد قال عن عبد الرحمن بن غزوان –راويها– ((له مـــناكير)) ثم قال : انكر ماله حديثه عن يونس بن ابي اسحق في سفر النبي صلى الله عليه وسلم وهو مراهق مع ابي طالب الى الشام. واما انتقاده للمتن، فقد قال : ((وهـــو حديث منكر جداً، واين كان ابو بكر ؟ كان ابن عشر سنين [3]، فانه اصغر من رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنتين ونصف، واين كان بلال في هذا الوقت؟ فان ابا بكر لم يشتره الا بعد المبعث، ولم يكن ولد بعد ؛وايضاً فاذا كان عليه غمامة تظله، كيف يتصور ان يميل فيء الشجرة ؟لان ظل الغمامة يعدم فيء الشجرة التي

---

[1] الطبري، الامم والملوك،١/٤٥٦-٤٥٧ باختصار؛وكذلك ابن كثير،البداية والنهاية،٢/٢٦٤.

[2] السيرة النبوية الصحيحة، ط١، مكتبة العبيكان، ج١ (الرياض، ١٤١٦هـــ /١٩٩٥م) ص١٠٦-١١١.

[3] واذا اخذنـــا بالـــرواية التي تذكر ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان عمره تسع سنوات فيكون عمر ابي بكر ست ســـنوات ونصف ! انظر: عبد الحميد، د. محسن، تحقيق قصة بحيرا، بحث في مجلة الجامعة، الموصل، العراق، العدد ٤ السنة التاسعة، ك٢/ ١٩٧٩ ص ٧٣.

نزل تحتها ؛ولم نر النبي صلى الله عليه وسلم ذكر ابا طالب قط بقول الراهب، ولا تذاكرته قريش ولا حكته اولئك الاشياخ مع توافر هممهم ودواعيهم على حكاية مثل ذلـــك، فلو وقع لاشتهر بينهم ايما اشتهار، ولبقي عنده صلى الله عليه وسلم -حس مـــن النبوة، ولما انكر مجيء الوحي اليه اولاً بغار حراء وأتى خديجة خائفاً على عقلـــه، ولما ذهب الى شواهق الجبال ليرمي نفسه صلى الله عليه وسلم - وايضاً ، فلو اثر هذا الخوف في ابي طالب ورده، كيف تطيب نفسه ان يمكنه من السفر الى الشام تاجراً لخديجة ؟))[1]

واضــــاف العمـــري : ((وانمـــا سقت كلام الذهبي لانه اعلم من انتقد هذه الرواية، فضلاً عما يكشفه كلامه من عناية بالغة بنقد المتون، وعدم الاقتصار على نقد الاسانيد -كما يتهم البعض المحدثين -وكان ابن سيد الناس (ت، ٧٣٤هــ) قد تعقـــب رواية الترمذي، ونبه على ما في متنها من نكارة ـــلكنه حصر النكارة في ارســـال ابـــي بكر مع النبي صلى الله عليه وسلم بلالاً الذي ورد في آخر الرواية. ولعل الحافظ الذهبي (ت، ٧٤٨هــ) استفاد منه في نقده لمتن الرواية ؛ وكذلك فان ابـــن القيم (ت، ٧٥١هــ) افاد منه، فيما يبدو، حين بين ان ذكر بلال في الرواية خطـــأ فاحش، بل يمكن اعتبار ابن اسحاق اول من شكك بالرواية باستعماله صيغة التمريض (يزعمون) ثلاث مرات !!))[2]

كما ان ابن كثير (ت، ٧٧٤هــ) بعد ان نقل توثيق (قراد) الراوي، قال : ((ومـــع هـــذا فـــي حديثه هذا غرابة. .وانه من مرسلات الصحابة، فان ابا موسى الاشعري انما قدم المدينة في سنة خيبر سنة سبع من الهجرة، وان هذه القصة كانت

---

[1] الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان، (ت، ٧٤٨هــ) السيرة النبوية (المجلد الاول من تاريخ الاسلام) الدار العلمية (بيروت، بلا) ص٢٨-٢٩.

[2] العمري، السيرة الصحيحة، ١٠٨.

ولرســول الله صلى الله عليه وسلم من العمر فيما ذكره بعضهم ثنتا عشرة سنة. . وقال ابن كثير عن ذكر ابي بكر وبلال في القصة :كلاهما غريب. .)) [1]

وبعد كل ما ذكرنا -من القصة ونقدها- فلنا ان نضيف :

اولاً : اذا كانت الرواية بهذه المرتبة من الاسناد -اذ هي مرسلة والمرسل من اقسام الحديــث الضــعيف- وبهذه الحال من جهة المتن- اذ فيه غرابة ونكارة - فكيــف يصــح بعــد هــذا ان يطلق عليها (فيليب حتي) انها من (الروايات المشهورة)؟!.

ثانياً: ولو افترضنا جدلاً، ان الرواية تصلح للاستشهاد :افلا يكون صغر العمر (٩، ١٠، ١٢ ســنة) عائقاً لصبي لم يتلق أي تعليم نظامي، من ان يدرك بعقليته البسيطة الاصول الفلسفية للاسلام في عقائده التوحيدية وشرائعه العالمية ؟!

مخالفاً لكل ما كان شائعا في بيئته من عقائد ونظم واحكام [2] !

ثالثا : ان الرواية - على فرض قبولها- توضح ان النبي صلى الله عليه وسلم كان هو المسؤول المعلم، وتوضح ان (بحيرا) كان هو السائل المتعلم. كما تبين ان الــلقاء كان قصيراً والعودة كانت اسرع. فكم كانت الفائدة في مثل هذا اللقاء العارض ؟!

رابعــاً: واذا كــان (بحيــرا) بمــثل المكانـــة العلمية التي يتحدث عنها المفترون المستشرقون، فما هي -ياترى- تفاصيل حياته. .الم يكتب احد تاريخه. .كم عاش واين مات ؟!

---

[1] البداية والنهاية، ٢/٢٦٥.

[2] في القـــرآن آيات تنعى على اليهود مخالفتهم وجرائمهم وذكر كثيراً منها، ثم وصفهم فقال عنهم ((مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفاراً..))الجمعة، ٤. وفي القرآن ايضاً قوله عن النصارى ((لقد كفر الذين قالوا ان الله هو عيسى ابن مريم)) المائدة، ٧١ ؛ (.لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة))المائدة، ٧٢.

ايصـــح عقلاً ان يغمر النسيان ويطوي الاهمال شخصية لعبت اكبر ادوار التاريخ، وعلمت ديناً نافس –وما يزال– اديان العالم الكبرى ؟

ان قـــس بن ساعدة (ت، قبل البعثة) القى موعظة واحدة في سوق عكاظ، فـــاذا بـــه قد خلد بين اساطين الادب[1]! وان من شعراء الجاهلية من لم تكن له الا معلقة واحدة فاذا هو في سفر الخلود مسطور ! ايكون حظ (بحيرا) نكداً الى درجة لم تبلغ به ان يعد مع شاعر او خطيب ؟!

لقد سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قس وفد اياد لما قدموا عليه : ((ما فعل قس ؟ قالوا هلك يا رسول الله قال: لقد شهدته يوماً بسوق عكاظ. .))[2] ولم ينقل عنه صلى الله عليه وسلم انه سأل عن (بحيرا) مرة او انه لقيه ذات يوم !

خامســـاً : كان من اخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم الوفاء، وهو القائل : ((من اســـدى لكـــم معـــروفاً فكافئوه، فان لم تجدوا فادعوا له حتى تظنوا انكم قد كافأتموه))[3]. ففي معركة بدر (٢هـــ) وقع سبعون اسيراً من المشركين بايدي المســـلمين، فقـــال صلى الله عليه وسلم : ((لو كان المطعم بن عدي حياً ثم ســـألني في هؤلاء النقباء لوهبتهم له)) وذلك وفاءً منه صلى الله عليه وسلم لاجـــارة المطعـــم له بمكة بعد عودته من الطائف، مع العلم ان المطعم مات مشركاً قبل بدر [4].

---

[1] قـــس بن ساعدة الايادي من اسباط العرب قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((والذي بعثني بالحق لقد آمن قس بالبعث، وقال عنه ايضاً ((رحم الله قساً اما انه سيبعث يوم القيامة امة وحده)). انظر : ابن كثير، البداية والنهاية، ٢/٢١٤-٢٢٠.

[2] ابن كثير، المصدر السابق، ٢/٢١٤.

[3] النسائي، السنن ٨٢.

[4] ابـــو عـــبيد، القاسم بن سلام (ت ٢٢٤) كتاب الاموال، تحقيق محمد خليل هراس، ط١، مكتبة الكليات الازهرية (القاهرة، ١٣٨٨هـــ/١٩٦٨م) ص١٦٤ ؛ابن كثير، المصدر السابق، ٣/١٣٥-١٣٦.

ولما وقعت في الاسر سفانة بنت حاتم الطائي، امر صلى الله عليه وسلم : ان يفك اسرها لان اباها كان يحب مكارم الاخلاق ! [1]

اتـــرى النـــبي صلى الله عليه وسلم يراعي حرمة حاتم الطائي النصراني، ويـــرعاه فـــي ذريـــته، فيستجيب لطلب ابنته سفانة، من اجل ان اباها يحب مكارم الاخـــلاق، وحســـبما يـــنقل عنه من غير لقاء او تعارف ؛ثم تراه لا يذكر (بحيرا) النصراني بشيء ؟!

ما سر وفائه صلى الله عليه وسلم للمطعم بن عدي وهو مشرك، وما السر فـــي وفائه لاخلاق حاتم وهو نصراني، ثم لا يفي -حاشاه- لـــ (بحيرا) وقد اسدى اليه -بزعم المستشرقين- اكبر فخار واعظم شعار ؟!

سادساً :ذكر بعض الدارسين، ان مجموع ما كتب في الغرب عن بلدان الشرق، بلغ -مـــا بين ١٨٠٠م-١٩٥٠م - حوالي ستين الف كتاب [2] ؛ فكم كتاب منها خصـــص للبحث في قصة الراهب (بحيرا) ؟! وما تفسير هذا الاعراض عن تخصيص حياته وبيان تفاصيل نشأته ؟!

واذا كانت نشأة محمد صلى الله عليه وسلم [3] (محاطة بالغموض) كما زعم (حـــتي) رغـــم هذا العدد الكبير من المؤلفات عنه صلى الله عليه وسلم وعن دينه، فمـــاذا يقـــول (حـــتي) عن نشأة (بحيرا) التي لا تكاد تجد شيئاً عنها يملأ ورقتين اثنتين؟!

---

[1] ابن هشام، ٤/٢٢٥.

[2] سلامة حسين كاظم، التبشير في العراق، ص٧٩-٨٠.

[3] ذكـــر العلامة سليمان الندوي رحمه الله انه ((منذ نحو من قرن (١٣٠٤هـــ) نشرت مجلة المقتبس الدمشقية احصاءً لما صنف في السيرة النبوية، بمختلف اللغات الاوربية، فبلغ نحو (١٣٠٠)، اما مادحاً واما قادحاً وفي اللغة الاوردية التي لم تصـــبح لغـــة كتابة ادبية الا منذ قرنين، بلغ عدد المؤلفات عن النبي صلى الله عليه وسلم اكثر من الف مؤلف))انظر :الرسالة المحمدية، تعريب محمد ناظم الندوي، ط٢، المكتبة السلفية، (مصر، ١٣٨٥هـــ) ص ٦٠-٦١

((وامـــا بالنسبة لمعلوماتنا عن بحيرا فان المصادر لا تكاد تتفق على شيء بشأنه، بل هي متضاربة في اسمه، فمرة جرجيس واخرى جرجس وثالثة سرجيس ورابعـــة ســـرجس، ومـــرة انـــه مشتق من الآرامية معناه المنتخب، واخرى من الســـريانية معـــناه العالم المتبحر، ومرة ينسب لقبيلة عبد القيس فهو عبقسي. ومرة نصراني، واخرى يهودي))[1]

[1] العمري، السيرة الصحيحة، ١/١١٠-١١١.

الفصل الثالث

افتراءات فيليب

حتى على الشريعة

الاسلامية

المبحث الاول

صلة الشريعة الاسلامية بالقانون الروماني

اثـــار العديـــد مـــن المستشرقين موضوع صلة الشرع الاسلامي بالقانون الروماني . ومعظم هؤلاء لم يدرسوا الفقه الاسلامي درساً عميقاً، وغالب دراساتهم كانت سطحية وليست كافية من الناحية العلمية في مثل هذا الموضوع الدقيق وممن خـــاض في هذا الامر (فيليب حتي) حيث يقول : [1] ((ولاشك ان الشرع الاموي قد تاثـــر بالفقـــه الروماني) . على ان استخدامه لتعبير ((الشرع الاموي)) يدل على جهـــل او قصد سيء ؛اذ من المعلوم ان ليس للامويين ولا العباسيين ولا المسلمين جميعاً، من شرع خاص بهم يحتكمون اليه ويحكمون بموجبه الا شريعة الاسلام .

وجوابـــاً عـــلى ادعـــاء المستشرقين عن تاثر الشريعة الاسلامية بالقانون الروماني، نقول:

اولاً : لم يطلع المسلمون على كتب الرومان في الفقه، ولم يترجموا منها شيئاً، ولم يذكروا شيئاً عنها . ولو فعلوا من ذلك شيئاً لاعترفوا به، كما اعترفوا بترجمة كـــتب اليونان والفرس في العلوم المختلفة . والسبب في هذا الموقف السلبي ازاء القـــانون الـــروماني والاعـــراض عنه وعدم الاهتمام به، هو ان علماء الشريعة الاسلامية يعتقدون بحق ان ماعندهم من الاسلام هو التشريع الكامل والقـــانون الواجـــب التطبيق في دار الاسلام، وهو الذي يحقق العدالة للناس، لانـــه قـــائم على اساس الوحي الالهي ؛ لذا كان الفقهاء المسلمون ينبذون كل ماصدر عن غيرهم في هذا الباب ويحرمون الاخذ به [2] .

---

[1] تاريخ العرب –مطول،

[2] محمصـــاني، د.صبحي، فلسفة التشريع في الاسلام، طبعة مكتبة الكشاف (بيروت، ١٣٦٥هـــ/١٩٤٦م) ص٢٣٠ ؛ زيدان، د.عبد الكريم، المدخل لدراسة الشريعة الاسلامية، دار عمر بن الخطاب (الاسكندرية، بلا) ص٧٩.

ثانياً : ان القانون الروماني كتب باللغة اللاتينية، لذا لم يكن بمقدور الفقهاء المسلمين ان يطلعوا عليه لعدم معرفتهم اللغة . ثم ان كتب القوانين الرومانية لم تترجم الى العربية مع ماترجم في عصر المامون، ولم تترجم فعلاً الا في هذا القرن[1] .

ثالثاً : ان الاسس التي بني عليها الفقه الاسلامي، هي غيرها في الفقه الروماني .فالشريعة الاسلامية نظرت الى الانسان على انه مركب من روح وجسد، فاهتمت بالجانبين معاً . وعليه فهناك احكام فقه العبادة، واخرى فقه المعاملات والعقوبات. بينما لانجد احكاماً مشابهة لها في الفقه الروماني الذي نظر الى الجانب المادي من الانسان فقط فقسم الفقه على اساس الاشخاص والاشياء والخصومات [2].

---

[1] ان الفقه اللاتيني المعاصر في اوربا نشأ بعد ظهور الاسلام (في القرن الخامس الهجري -الثاني عشر الميلادي) ومن المعروف ان الفقه الاسلامي قرر وصنف قبل ظهور الفقه الروماني بقرون، فكيف يكون متأثراً بشيء لم يوجد بعد ؟! وما قيمة هذا الزعم بالتاثر بالفقه الروماني، اذا كان مالك وابو حنيفة والشافعي واحمد بن حنبل والاوزاعي والثوري درسوا والفوا وصنفوا قبل ان توجد القوانين الرومانية للرومان انفسهم ؟

انظر : الجندي، انور، الموسوعة الاسلامية العربية (٦) اخطاء المنهج الغربي الوافد، ط١، دار الكتاب اللبناني (بيروت، ١٩٧٤م) ص٩٧-٩٨.

[2] ان القانون الروماني كان ثمرة الحضارة الرومانية، وقد فرق في احكامه بين من ينتسب الى اصل روماني ومن لايمت اليه بسبب. وعليه كان هناك قانونان :الاول للرومان يعطيهم امتيازاً في الاحكام والحقوق ؛ والاخر للرعايا من غير الرومان يسمى (جوس جانسوم Jus gensum) يفرض عليهم الانقياد والطاعة. وكانت العقوبات في البيئات العالية نصف المال، وفي البيات الذميمة الجلد والنفي من الارض. ولقد بنى الفقه الروماني على العرف والعادة واوامر رئيس الحكومة، كما يقوم على اجراءات شكلية. بينما نجد الشريعة الاسلامية بخلاف ذلك كله :فجميع المواطنين والمستأمين يخضعون لقانون واحد ويحاكمون بموجبه، واحكامه مستمدة من الوحي المنزل (قرآناً وسنةً) وان كان العرف من مصادره التبعية بشرط عدم مخالفة العرف للنص الشرعي، وتقوم احكام الشريعة على البساطة في الاجراءات والبعد عن الشكليات.ثم ان من الاسس التي يرتكز عليها الفقه الاسلامي الجانب الاخلاقي اذ يراعى في الاحكام الشرعية، ولا تاثير للاخلاق على احكام الفقه الروماني.

انظر : زيدان، المدخل، ٨٦ ؛الجندي، انور، من التبعية الى الاصالة، طبعة دار الاعتصام (القاهرة، بلا) ص٤٧.

رابعـــاً : هناك نظم في القانون الروماني لاوجود لها في الشريعة الاسلامية، منها : نظـــام السلطة الابوية والزواج بالسيادة، والتبني، كما حرم القانون الروماني الهبات بين الزوجين [1] .

خامســـاً : في الشريعة الاسلامية نظم قانونية لامثيل لها في القانون الروماني، مثل: نظـــام الوقــف الخيـــري، ونظام الشفعة، ونظام الحسبة، ونظام التعزير في العقوبات، ونظام الحدود المتعلقة بالزنا والقذف والردة وشرب الخمر وتحريم الـــربا، واعتبار الرضاع من موانع الزواج، وحوالة الدين -وهي جائزة في الشريعة الاسلامية بخلاف الرومانية، ومبدأ النيابة في التصرفات القانونية . [2]

سادساً :بالرغم من تشابه بعض النظم ظاهرياً في الشريعة الاسلامية مع مثيلاتها في الفقــه الـــروماني، الا انها تختلف في قواعدها : فنظم الزواج مثلاً والطلاق والميـــراث والمهـــر [3] تتـــباين تبايناً جوهرياً في القانون الروماني عنه في

[1] ١- نظـــام الســـلطة الابوية :وهي سلطة مطلقة يملكها رب الاسرة على اولاده واحفاده من الذكور، وعلى اولاده بالتـــبني. وتقع على شخص الخاضع لها وعلى مايكسبه من اموال.وهي دائمة مادام رب الاسرة حياً متمتعاً بالشخصية القانونيـــة، ومهمـــا كـــانت سن الولد.ويحق لرب الاسرة بيع اولاده في حالة الضرورة القصوى.انظر : د.عبد المنعم البدراوي، مباديء القانون الروماني، ٢١١، نقلاً عن :زيدان، المرجع السابق، ٨٤.

٢- الـــزواج بالســـيادة :ويتم بطريق الزواج الديني وبطريق الشراء او بطريق معاشرة الزوج لزوجته مدة سنة تكسبه الســـيادة عليها.وتنتقل الزوجة من عائلتها الاصلية الى عائلة زوجها، وتعتبر بحكم الميتة بالنسبة لعائلتها الاصلية وتسقط حقوقهـــا في الارث والوصاية والقوامة، وتخضع لسيادة زوجها، وله بيعها وياخذ مايكون عندها من مال عند الزواج. انظر : البدراوي، مرجع سابق، ٢٣٢-٢٣٥، نقلاً عن زيدان، م. ن، ٨٥.

٣- التبني :وهو نظام قانوني لايجاد سلطة ابوية قائمة على علاقة نسبية مصطنعة بين المتبني والمتبنى ينتج عنها نفس آثار البنوة الصحيحة. انظر : البدراوي، م. ن، ٢١١-٢١٥. نقلاً عن زيدان، م. ن، ٨٥.

[2] انظر : زيدان، م. ن، ٨٥.

[3] نظـــام الزواج عند الرومان فردي، وفي الشريعة الاسلامية متعدد الى حد اربع زوجات. ونظام الطلاق حق لكل من الزوجين في القانون الروماني، وهو في الشريعة الاسلامية حق للزوج وحده الا اذا اشترطته الزوجة في العقد او اذا اضر الـــزوج بها.ونظام الميراث عند الرومان يقضي بتقديم الفروع على الاصول و لا يرثون الا عند انعدام الفروع، ويكون

الشـــريعة الاســـلامية .وايضـــافي القانون الجنائي، فان جريمة القتل تتكيف عقوبـــتها فـــي الشـــريعة الاسلامية حسب النية –من حيث العمد او الخطأ– ولايوجد مثل ذلك عند الرومان .وكذلك فيما يخص الدية والقصاص .

ســـابعاً : ان الاستدلال بتشابه بعض النظم القانونية الموجودة في الشريعة الاسلامية والقـــانون الروماني على تاثيره في الشريعة، استدلال ضعيف مردود، وذلك من وجوه :

١- ان بعـــض هذه القواعد المتشابهة كقاعدة عبء الاثبات على المدعي، التي جاء مثـــلها فـــي الشريعة ((البينة على من ادعى واليمين على من انكر))، وقاعدة تحـــريم اخذ مال الغير بغير حق، تعتبر من القواعد الشائعة في جميع الشرائع الـــتي يهتدي اليها العقل السليم وتقضي بها العدالة، واغفالها في أي تشريع يدل على قصوره وعدم عدالته .[١]

ومـــن ثـــم لايـــدل هذا التشابه في هذا النطاق على ان الشريعة اللاحقة اخذت من السابقة.

٢- قـــد يكـــون التشابه ناشئاً من تشابه الظروف الاجتماعية التي واجهتها كل من الشريعتين كما ان العقول السليمة تتشابه في كثير من انواع التفكير، وهذا امر طـــبيعي فـــي الامم جميعاً فلا يصح لمجرد هذا التشابه القول بان هذه الشريعة نقلت عن الاخرى وليس العكس .[٢]

لـــلذكر مـــثل حـــظ الانثى.اما في الشريعة الاسلامية فان الاصل يرث مع الفرع وللذكر مثل حظ الانثيين.والمهر عند الرومان تدفعه المرأة او احد ذويها الى الزوج، وبعكس ذلك في الشريعة الاسلامية

[١] انظـــر : البزاز، عبد الرحمن، الموجز في تاريخ القانون، ط١، مطبعة الرشيد (بغداد، ١٣٦٨هـــ/١٩٤٩م) ص٢٦٧، وايضاً :زيدان، م. ن، ٨٣.

[٢] زيدان، المدخل، ٨٣-٨٤.

٣- ان مــن الممكــن القــول ان فقهاء الشريعة وجدوا في الاقاليم المفتوحة عادات واعــرافاً الفها اهل تلك البلاد، فعرضها الفقهاء على اصول الشريعة فاقروا ما كــان صحيحاً لايخالف الشريعة، اذ ان رعاية العرف الصحيح امر جاءت به الشريعة وهو من باب التيسير ورفع الحرج عن الناس .مثل مافعلت بالنسبة الى عــادات العــرب في الجاهلية حيث اقرت الصالح وابطلت الفاسد الذي لايتفق واحكام الشريعة ومقاصدها [١] .

ثانياً : اذا كان الاستشراق يردد شبهة صلة الشريعة الاسلامية بالقانون الروماني من غيــر دليل فان رجال القانون -وهم اهل الاختصاص - قد قالوا كلمة الفصل فــي هذه المسألة، واقاموا على ذلك اقوى الادلة واسطع البراهين . ففي عام ١٩٣٧م انعقــد مؤتمر القانون الدولي في لاهاي [٢]، وكان ابرز الموضوعات الــتي نوقشــت خلالــه، موضوع علاقة الشريعة بالقانون الروماني، وكانت النتيجة .

١- ان الشريعة الاسلامية مصدر من اهم مصادر التشريع العام .

٢- وهي شريعة حية صالحة للتطور .

٣- وانها قائمة بذاتها وليست ماخوذة عن غيرها .

وقال الاستاذ صليب سامي [٣] مشيراً الى مقررات هذا المؤتمر: ((اني اعتبر هــذا القرار من البديهيات فهو لايحتاج الى تاييد ..وايد هذا الرأي الاستاذ الفرنسي

---

[١] محمصاني، فلسفة التشريع، ٢٣٣ ؛ زيدان، المصدر السابق، ٨٠.

[٢] شــهدت مؤتمرات عديدة للفقه والقانون في اوربا بعظمة الشريعة الاسلامية ودورها في بناء الفقه العالمي ومنها مؤتمر الحقوقيين في اثينا ١٩٢٧، والمؤتمر الدولي للقانون المقارن في لاهاي ١٩٣٢، ومؤتمر الحقوق الدولي في باريس ١٩٥١، والمؤتمــر الدولي للقانون والتنمية الاقتصادية ١٩٦٨، ومؤتمر حقوق الانسان بفرنسا ١٩٧٣.انظر:الخالدي، د.محمود، الاصول الفكرية للثقافة الاسلامية، ط١، دار الفكر، ج١ (عمان ١٤٠٣هــ/١٩٨٣م)، ٦٢٦-٦٢٧.

[٣] م. ن.، ٦٢٨.

لامـــبير، والامـــريكي بجمونه الذي قال : انه لا يوجد دليل مباشر او غير مباشر يمكـــن ان يستنتج منه من الوجهة التاريخية ان القانون الروماني كان له تأثير في الشريعة الاسلامية))

وقال العالم الفرنسي زيس Zeys [١]: ((اني اشعر حينما اقرأ في كتب الفقه الاسلامي أني قد نسيت كل ما اعرفه عن القانون الروماني ... واصبحت اعتقد ان الصـــلة منقطعة بين الشريعة الاسلامية وهذا القانون)). وقال المستشرق الايطالي ناالليـــنو[٢]: ((ليـــس هـــناك أي دليل على تسرب التشريعات الرومانية الى الشريعة الاســـلامية، ولـــو ان الفقهـــاء العرب وضعوا امامهم الكتب المتداولة في القانون الروماني ليحاكوها، لما فكروا ان يبعثروا مسائل المعادن والعبيد وملكية الاراضي فـــي ابـــواب شـــتى، لا يظن اهل القانون من الاوربيين ان يجدوها فيها ابداً، ولما وضعوا مسائل الربا في باب البيوع))

ثالثاً : يذهب البعض من الكتاب المحدثين الى ان القانون الروماني هو المقتبس من الفقه الاسلامي ويستدلون بادلة منها :

١- ان الفقـــه الروماني الحديث هو باتفاق المؤرخين قد ظهر في اوربا في القرن الثاني عشر (الخامس الهجري) وهو خلاف القانون الروماني القديم في جوهره ومواده . فهو اذن قد نشأ بعد ظهور الاسلام .[٣]

ولما كانت اوربا العصور الوسطى في ظلام دامس وتخلف شديد في معظم نواحي الحياة فلا بد من انها اقتبست عن غيرها قوانين حديثة وعلوماً جديدة .

---

[١] الدكتور صوفي حسن ابو طالب، بين الشريعة الاسلامية والقانون الروماني، ١٠٩.

[٢] علاقة الفقه الاسلامي بالقانون الروماني، محاضرة له، مجلة (المسلمون - جنيف) المجلد الخامس ص٥٨٣.

[٣] الجندي، من التبعية الى الاصالة، ٤٨ ؛محمصاني، فلسفة التشريع، ٢٢٩.

٢- يتفق المؤرخون على ان الاوربيين وفدوا - في القرن التاسع والعاشر والحادي عشــر- على الاندلس ونهلوا من معارف وعلوم المسلمين في الطب والفلسفة والفلك، وكان من بين العلوم المزدهرة آنذاك علم الفقه الاسلامي .وان من اهم الوافديــن جربرت الفرنسي الذي اصبح فيما بعد البابا سلفستر الثاني (٩٩٩-١٠٠٣م) . وكــان قد صارح علماء قرطبة بحاجته لتلقي الفقه الاسلامي لفساد القوانين في بلاده، وطلب مساعدتهم في ذلك، ونقله الى لغته وحور فيه وسماه القانون الروماني، خوفاً من رميه بالهرطقة والابتداع [١] .

٣- ان النهضة الاولى للقانون الروماني بدأت بجامعة بولونيا الايطالية، وهي اقدم جامعـــات اوربـــا، واستمرت النهضة في اخر القرن الحادي عشر الى القرن الســـادس عشـــر حيث شرحوا القانون واستخرجوا النظريات، واخذوا من هذا القانون :

قـــانون نابـــليون ســـنة ١٨٠٤م .وبوضع نابليون اتسعت حركة التشريع في البلاد الاخرى [٢] .

٤- ان الفرنسيين وضعوا القوانين في العالم الغربي الحديث بمجموعة نابليون. هذه القوانين قد استفادت كثيراً من الفقه الاسلامي -ومن الفقه المالكي بالذات الذي قامت بنقله البعثة العلمية التي وردت مصر مع حملة نابليون، وجمع ذلك كله

[١] جاء في ((مجموعة رسائل في شوارد المسائل)) للشيخ مفضل الاسفرنكاني من علماء ماوراء النهر ان ابا الوليد محمد بن عـــبد الله نقل في تعليقاته على ((النهاية شرح الهداية)): ((ان طلبة العلم من الافرنج الذين كانوا يسافرون إلى غرناطة بالاندلس لطلب العلم اهتموا كثيراً بنقل الفقه الاسلامي إلى لغتهم ليستعملوه في بلادهم لرداءة الاحكام فيها، خصوصاً في المائة الرابعة والمائة الخامسة للهجرة، فقد برعوا في اللغة العربية، ومنهم جربرت والبرت، فانهما طلبا مساعدة العلماء لابـــراز مقصـــودهما، وقد ساعدوهما حتى دونوا الفقه كاملاً، وحوروه الى مايوافق بلادهم.)) نقلاً عن مجلة ((حضارة الاسلام)) الدمشقية، العدد الرابع -ربيع الثاني، ١٣٨٠هــ، تشرين اول / ١٩٦٠م ص١٨ ؛ وايضاً : الجندي، التبعية، ٤٩.

[٢] محمد علي بدوي، مبادىء القانون الروماني.نقلاً عن.الجندي، م. ن، ٥٠.

في مدونة سميت مجموعة قوانين نابليون - قيل ان معظمها مترجم من ((شرح متن خليل)) للشيخ الدردير. وقد احتوى قانون نابليون على تشريعات اسلامية في المعاملات من بيع ورهن وشراء وهبة وجرائم [1] .

٥- اشار الاستاذ المرحوم منير القاضي الى ان نظريات كاملة في القانون الاوربي مستمدة من الفقه الاسلامي وهي [2] :

١- نظرية الظروف الطارئة .

٢- نظرية التعسف في استعمال الحق .

٣- الحق العيني والحق الشخصي .

٤- تحول العقد .

٥- نظرية تجزؤ الاقرار .

٦- نظرية وصف العقد الواحد بوضعه .

---

[1] يذكر سيد عبد الله علي حسين :ان تسعة اعشار نصوص القانون الفرنسي المدني ماخوذة من التشريع الاسلامي، وليس الاخذ من مذهب الامام مالك وليد سنة ١٨٠٥م بل منذ سنة ٢٠٠هـ يوم كان يحكم به في اوربا (الاندلس) ويذكر ان انعقاد البيع ولزومه يتم بالايجاب والقبول فقط، وتنتقل الملكية للمشتري بذلك، وان انتقال الملكية للموكل بمجرد تعاقد الوكيل، وان البلوغ القانوني حده ١٨ سنة، وان من نتائج حكم الغاء العقد ان عدم الاهلية ليس ملزماً برد ماقبضه من الطرف الاخر الا اذا استفاد به وصان ماله، والا فلا رجوع عليه لان من تعاقد معه سلطه على ماله فهو المفرط ؛وان موت احد المتعاقدين لايبطل العقد الا اذا كان احد الطرفين ملحوظاً في العقد كالشركة والوكالة وايجار العمل ؛وان اداء ماليس بواجب يلزم من اخذ برد ما اخذ..الخ الى ان يقول :وهذه قطرة من بحر.كل هذا منقول من مذهب الامام مالك)) انظر كتابه :المقارنات التشريعية بين القانون الفرنسي ومذهب الامام مالك، ط١، دار احياء الكتب العربية، ج١ (القاهرة، ١٣٦٦هـ/١٩٤٦م) ص١٨-١٩.

[2] الخالدي، د. محمود، الاصول الفكرية للثقافة الاسلامية، ط١، دار الفكر، ج١ (عمان ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) ص

المبحث الثاني

تشريع الجهاد

تمهيد :

الجهاد [1] من فرائض الدين وهو ذروة سنام الاسلام، والوسيلة الناجعة لدرء الشر في مكامنه، سواء كان نابعاً من النفس، او وافداً من الغير .والمتأمل لجوانب الاسلام، يلحظ ان للجهاد مفهوماً شاملاً شمول الاسلام ذاته .فالعبادة من صلاة وصيام وما سواها، والاخلاق من صدق وصبر وما عداها، والطاعات من توبة واخلاص وغيرها ..كل هذه صور من صور الجهاد –هو جهاد النفس .ودعوة الناس الى الخير، ونصحهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، هو كذلك من صور الجهاد .وبيان محاسن الاسلام وعظمة مبادئه الانسانية والدفاع عنه بالحجة والبرهان، امام الطاعنين والمخاصمين، هو ايضاً من معاني الجهاد .كما ان اقامة شرع الله في المجتمع، وتحرير الانسان والاوطان من الذل والاستعباد، وعمارة الارض بالخير كل ذلك يعد من مراتب الجهاد . وهكذا يريد الاسلام ان يستخدم جميع القوى والوسائل واستنفاذ جهدها للوصول الى غاية عظمى وهي تعبيد الناس لرب العالمين، مصداقاً لقوله تعالى :((وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون)) الذاريات ٥٦. والحقيقة ان جميع الاديان السماوية جاءت لتحقق هذه الغاية، ولكن رسالاتها كانت موقوتة بعصرها، كما قال تعالى :((ولقد ارسلنا من قبلك رسلاً الى قومهم)) الروم، ٤٧ وقوله تعالى ايضاً: ((وان من امة الا خلا فيها نذير)) فاطر،٢٤ .

---

[1] الجهاد لغة من (الجهد) بفتح الجيم وضمها :الطاقة. و(جَهَدَ) الرجل في كذا أي جد فيه وبالغ، و (الاجتهاد) بذل الوسع.انظر :مختار الصحاح، مادة (جهد)، ص٩٤.

الى أن أذِنَ الله تعـالى للبشرية أن تبلغ نضجها وكمال رشدها، فبعث سيدنا محمـداً صلى الله عليه وسلم الى الناس اجمعين، كما قال تعالى :((وما ارسلناك الا كافة للناس بشيراً ونذيرا)) سبأ، ٢٨ .وقال صلى الله عليه وسلم : ((وكان كل نبي يـبعث الى قومه خاصة، وبعثت الى الناس عامة)) [1] .وبعثته صلى الله عليه وسلم تتـلخص فـي دعـوة الناس الى التوحيد، والذي شعاره ((لا اله الا الله)) .والامة مخاطـبة بمـا خوطب به الرسول صلى الله عليه وسلم ومكلفة كالرسول صلى الله عليه وسلم في الدعوة ونشرها في العالم اجمع لعموم بعثته صلى الله عليه وسلم .

ولذلـك اختير العرب لحمل رسالة الاسلام وقيادة العالمين به، فكانوا امناء على الحق وله يذعنون واليه يدعون .فبعد ان آمنوا بالله رباً وبالاسلام ديناً وبمحمد صـلى الله عـليه وسلم نبياً ورسولاً، وجاهدوا انفسهم في ذات الله، حتى خلصت نفوسـهم من حظ نفوسهم، انطلقوا من الجزيرة العربية يعلنون تحرير الانسان في ارجـاء الارض المعمورة . انها انطلاقة المباديء والقيم، وليست اندفاعة الثروات والمغـنم . انطلاقـة جديـدة لتصحيح الوضع الانساني واعادته الى مركزه الذي اختصه الله تعالى به :((متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا ؟! [2])) لقد كان الوضع العالمي آنذاك مقلوباً، فانيطت بالعرب المسلمين مهمة تصحيح الوضع الدولي .فكان لابد من ازالة العقبات وتوجيه الضربات لكل القوى التي تريد الابقاء عـلى الاوضـاع الشـاذة والمقلوبة .لذا كان لزاماً على امة اجتباها الله لهذا الدور العظيـم، وانـتدبها لتـلك المهمة الربانية، ان تكون امة مجاهدة، كما قال تعالى: ((وجاهدوا في الله حق جهاده، هو اجتباكم)) الحج، ٧٨ .ومن ثم فرض عليها القتال والتضحية بالاموال والانفس في سبيل هذه الغاية الشريفة .

---

[1] مسلم، الصحيح، ٧٢/٢.

[2] قولـة عمر بن الخطاب لعمرو بن العاص حين ضرب ابن عمرو شاباً من اقباط مصر.انظر ابن الجوزي، جمال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر (ت، ٥٩٧هـ) تاريخ عمر بن الخطاب، ط٢، دار الرائد العربي (بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) ص٩٤.

هدف الجهاد

الجهـــاد كـــلمة جامعة تشتمل جميع انواع السعي وبذل الطاقة .ولكنه ليس بجهاد لا غاية له، وانما هو الجهاد في سبيل الله .وهذا الشرط يلزمه ابداً ولا ينفك عنه البتة. ((فلا يسمى جهاداً حقيقياً الا اذا قصد به وجه الله، واريد به اعلاء كلمته، ورفع راية الحق، ومطاردة الباطل، وبذل النفس في مرضاة الله . فاذا اريد به شيء دون ذلـــك مـــن حظـــوظ الدنيا، فانه لا يسمى جهاداً على الحقيقة))[1] وفي الحديث الشـــريف ((ان رجـــلاً اعـــرابياً اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل ليذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه، فمن في سبيل الله ؟ فقـــال رسول الله صلى الله عليه وسلم :من قاتل لتكون كلمة الله اعلى فهو في سبيل الله))[2] .بل من قاتل للرياء والسمعة استحق النار [3] فالجهاد عبادة، وكل عبادة لا تصـــح الا بـــنية خالصة واتباع، وفي ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: ((انمـــا الاعمال بالنيات وانما لكل امريء ما نوى))[4] وقال رجل : ((يا رسول الله، ارأيت رجلاً غزا يلتمس الاجر والذكر، ما له ؟ فقال صلى الله عليه وسلم :لاشيء لـــه .فأعادها عليه ثلاث مرات، فقال :لا شيء له، ان الله لا يقبل من العمل الا ما كان خالصاً وابتغى به وجهه))[5]

ولقـــد ربى النـــبي صـــلى الله عليه وسلم اصحابه على اخلاص العمل لله، فكـــانوا يحذرون ان تشوب نياتهم شوائب من مطامع او رياء، فتحبط اعمالهم فلا اجـــر حينـــئذ ولا نصر، خصوصاً وانهم في ميدان القتال الذي يتطلب مراقبة الله

[1] سابق، سيد، فقه السنة، ط٣،دار الكتاب العربي، ج٢ (بيروت، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م) ص٦٣٤.

[2] مسلم، الصحيح، ١٥٦/٢.

[3] م. ن، ١٥٦/٢-١٥٧.

[4] البخاري، الصحيح، ١٠٢/٣.

[5] ابـــو داود، ســـليمان بن الاشعث السجستاني (ت، ٢٧٥هـــ) سنن ابي داود، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، ج٣ (بيروت، بلا) ص ٥٣، حديث رقم ٢٦٦٩

سبحانه ودعاءه والتطلع الى ما عنده من حسن الثواب قال تعالى : ((ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط)) الانفال، ٤٧ . وعند ملاقاة الكفار، يوجه القرآن المجاهدين ان يذكروا الغاية التي من اجلها يقاتلون، فيقول : ((يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون)) الانفال، ٤٥ .

آداب الجهاد

وطالما كان الجهاد في سبيل الله، والقتال لاعلاء كلمة الله، فهو اذن ليس كالحروب التي كانت تسخر لاذلال الانسان واستغلال طاقات البشرية والاستمتاع بخيرات الشعوب .فليس الجهاد الاسلامي في غايته كهذه الحروب المدمرة، التي عانت منها البشرية في الماضي والحاضر، وليس هو كذلك في وسائله ومداه .فقد عد الاسلام ((الحرب ضرورة تقدر بقدرها، وانها كعملية جراحية لا يجب ان تتجاوز موضع المرض بمكان .لذا جعل للقتال آداباً تجب مراعاتها من قبل المجاهدين .

فلا يقتل الا من يقاتل في المعركة ... وحرم قتل النساء والاطفال والمرضى والشيوخ والرهبان والاجراء ؛ وحرم المثلة بل حرم قتل الحيوان ... الخ))[1]

ومر صلى الله عليه وسلم على امرأة مقتولة في بعض الغزوات، فوقف عليها، ثم قال : ((ما كانت هذه لتقاتل)) ثم نظر في وجوه اصحابه، وقال لاحدهم: ((الحق بخالد بن الوليد فلا يقتلن ذرية، ولا عسيفاً أي اجيراً ولا امرأة))[2]

[1] سيد سابق، فقه السنة، ٢/٦٥٥-٦٥٦.

[2] الترمذي، الجامع الصحيح ١١٦/٥، حديث رقم ١٥٦٩.

((ويجـــب ان يـــبدأ المسلمون بالدعوة قبل القتال، ففي الحديث عنه صلى الله عليه وسـلم ((واذا لقيــت عـــدوك من المشركين فادعهم الى ثلاث خصال ..ادعهم الى الاســـلام، فـــان اجـــابوك فاقبل منهم وكف عنهم ..فان ابوا فسلهم الجزية، فان هم اجابوك فاقبل منهم وكف عنهم فان هم ابوا فاستعن بالله وقاتلهم..))[1] .

((وقال ابو يوسف (ت، ١٨٢ هـــ) لم يقاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم قومـــاً قط -فيما بلغنا- حتى يدعوهم إلى الله ورسوله .وعند الماوردي (ت، ٤٥٧ هـــ) ان من لم تبلغهم دعوة الاسلام، يحرم علينا الاقدام على قتالهم غرة وبيتاً بالقتل والـــتحريق. ويحرم ان نبدأهم بالقتال، قبل اظهار دعوة الاسلام لهم، واعلامهم من معجزات النبوة، ومن ساطع الحجة بما يقودهم الى الاجابة [2] .

((ويـــرى الفقهاء ان امير الجيش اذا بدأ بالقتال قبل الانذار بالحجة والدعاء الى احدى الامور الثلاثة، وقتل من الاعداء غرة وبياتاً ضمن ديات نفوسهم))[3] .

وبعد، فهذا هو الجهاد الاسلامي في غايته ومراتبه وآدابه، فاين منه حروب رومـــا وفـــارس قديمـــاً، او حـــروب نابليون في التاريخ الحديث، ومن بعده هتلر وموسليني، او حروب امريكا في نظامها (العالمي) الجديد ؟! [4]

---

[1] مسلم، الصحيح، ٧٥/٢.

[2] المـــاوردي، علي بن محمد بن حبيب، ابو الحسن (ت، ٤٥٧ هـــ) الاحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الكتب العلمية (بيروت، بلا) ص٤٦.

[3] م. ن، ٤٦ ؛ سيد سابق، فقه السنة، ٦٤٦/٢.

[4] الجهاد اما فرض على الكفاية اذا قام به البعض، واندفع به العدو، وحصل به الغَناء، سقط عن الباقين.واما فرض عين اذا حضر المكلف صف القتال، او اذا استنفره الحاكم، او اذا حضر العدو البلد الذي يقيم فيه المسلمون، فانه يجب على اهـــل البلد جميعاً ان يخرجوا لقتاله ومناجزتهم اياه.وهذا الجهاد الواجب لا يعتبر فيه اذن الوالدين ولا اذن الدائن لمدينه بخلاف جهاد التطوع.انظر :سيد سابق، المصدر السابق، ٦٢١/٢-٦٢٦.

افتراءات (حتي) على الجهاد

يـرى (حتي) ان الدوافع الاقتصادية هي الحافز المحرك للجهاد الاسلامي ويحـاول ان يـلقي بظلال هذا التشويه على الجهاد منذ بداياته الاولى في المدينة المنورة .فيقول :((في المدينة توارى محمد الكاهن، كما اتهمه اهلوه في مكة، وبرز محمد الرجل الواقعي الذي تولى تصريف شؤون الساعة . واول مشكلة توجب عليه حـلها انمـا كـانت اطعـام الفقراء من المهاجرين وايواءهم .فراح يوزعهم بين الانصـار، الامر الذي كان بمثابة تطبيق عملي لمبدأ الاخوة في الاسلام . ويضيف (حـتي) مستدركاً ولكن بعد انقضاء سنتين وجدت المدينة المضيفة نفسها على حافة الانهيـار، اولا لسوء الحالة الاقتصادية، وثانياً لان موارد المدينة كانت محدودة . فكـانت عيـون اهـل المدينة تتطلع الى القوافل المكية الراجعة من سورية حاملة البضـائع، وفي جيوب رجالها الدنانير .كانت القوافل المكية اغراءاً لم يتمكن اهل المديـنة من مقاومته .وانزال الضربة في القوافل بمثابة انزال الضربة في شرايين مكة الحيوية . وذات يوم من ايام رمضان (في منتصف شهر آذار من سنة ٦٢٤م)، وفي اثناء الشهر الحرام وقعت غزوة بدر))[1] .

وفـي مكان آخر، يذكر (حتي) ان ((الانصار (وهم مسلمو المدينة) انتهزوا فرصـة الاشـهر الحـرم، وهـم بحاجة الى ان يعيلوا المهاجرين بين ظهرانيهم، فاعترضـوا قافلة تجارية لقريش، كانت عائدة من رحلتها الى الشام في الصيف .. والتقى الجمعان في بدر .. وكان ذلك في رمضان من سنة ٦٢٤م))[2] .

كمـا ويذكر ايضاً ان قد (لقي المهاجرون من مكة الى المدينة في السنتين الاوليـين عسـراً شديداً :كانت تواجههم مشاكل من صعوبة الحصول على اسباب المعـاش فـي الطعام والسكنى .ولقد كان الحل السريع الوحيد لتلك المشاكل عامة

---

[1] صانعو التاريخ العربي، ٢٣-٢٦، باختصار.قلت :وليس رمضان من الاشهر الحرم.

[2] تاريخ العرب، ١/١٦٠-١٦١.

((المؤاخاة بين المهاجرين والانصار)) ..ولكن الاحوال الاقتصادية في المدينة كانت تــزداد ســوءاً .. فـلم يكن ثمت بد من البحث عن مصادر دخل جديدة ..واحسن المســلمون اخــتيار زمن المعركة الاولى ومكانها ..حيث كان من المؤكد ان تنزل قافلة مقبلة من الشام تحمل بضاعة لمشركي مكة .كانت تلك القافلة الف جمل)) [1].

وقبل الرد على مثل هذا التخليط المفترى، نقول حبذا لو ذكر (حتي) مصدراً واحداً افصــح عن ان حالة المدينة الاقتصادية اوشكت على الانهيار -كما ادعى (حتي)- بعد سنتين من قدوم المهاجرين اليها من مكة !

امــا الرد على (تحليلاته) بخصوص القافلة القرشية ومن ثم الوقعة الحربية في بدر الكبرى (٢ هــ) فاوضح ذلك بنقاط :

اولاً : ان المســلمين في المدينة كانوا في حالة حرب مع قريش .فتعرضهم لتجارة قــريش كان وسيلة لاضعاف قريش اقتصادياً، والحرب الاقتصادية هي جزء مــن الحرب السياسية .فكان تعرضهم اذن، ليس بدافع الحالة الاقتصادية في المدينة، بقدر ما كان لدواعي الحصار الاقتصادي والضغط على قريش لتكف عــن حــربها للاسلام واهله- ومما يعضد هذا، هو ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يتعرض للقوافل التجارية العائدة للقبائل الاخرى، وقد جهز ثمانية ما بين غزوة وسرية، قبل بدر [2] .

ثانيــاً : ان قــدوم المهاجرين من مكة الى المدينة، وفيهم الكثير من الفقراء وممن صودرت اموالهم ودورهم من قبل زعماء قريش في مكة، لم يكن له كل ذلك الــتأثير الســلبي عــلى الاقتصاد المدني، والذي يتحدث عنه (حتي) وامثاله بصورة مبالغ فيها . نعم، كان فيهم فقراء ذوو عسر عانوا منه في مكة اصلاً

[1] الاسلام منهج حياة، ٣٤ باختصار.

[2] ابن هشام، السيرة، ٢٤١/٢ -٢٥٣ ؛الطبري، تاريخ، ٥١٨/٢-٥٢٤.

لكن كان فيهم اغنياء، ومنهم من استطاع ان يهاجر باموالة كابي بكر الصديق رضي الله عنه، اذ ورد ان النبي صلى الله عليه وسلم اشترى ارض المسجد النبوي من اصحابها بعشرة دنانير اداها من مال ابي بكر [1] .ومنهم من كان تاجراً معروفاً كعبد الرحمن بن عوف الذي طلب من سعد بن الربيع ان يدله علـى السـوق بدلاً عن المساعدة الطيبة المقدمة اليه من قبل سعد [2] . وفيهم ايضاً من ارباب الصناعات والحرف التجارية وعمال الزراعة، فانصرف كل منهم الى حرفته التي يجيدها، والى العمل الذي يحسنه ويقدر عليه .وهم بهذا ساهموا في ازدهار الحياة الاقتصادية وشاركوا في تطوير المدينة.[3]

ثالـثاً : لـم يـنقل عن الانصار –ولو مرة واحدة– انهم ضجروا من استضافتهم لاخوانهـم المهاجـرين، او انهـم شكوا قلة ذات اليد، بسبب تلك الاستضافة الكـريمة، والــتي قال عنها المؤرخون ((ما نزل مهاجر على انصاري الا بقــرعة))[4] كما ((ووهبت الانصار كل فضل في خططها، وقالوا :يا نبي الله

---

[1] الـبلاذري، احمـد بن يحي، ابو الحسن البغدادي (ت، ٢٧٩ هـ) فتوح البلدان، بعناية رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية (بيروت، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م) ص٢٠.

[2] عـرض سعد بن الربيع على عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما ان يناصفه اهله وماله، فقال عبد الرحمن بارك الله لك في اهلك ومالك، دلني على السوق، فربح شيئاً من اقط وسمن، فرآه النبي صلى الله عليه وسلم بعد ايام وعليه وضر مـن صفرة، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم :مهيم يا عبد الرحمن ؟قال يا رسول الله تزوجت امرأة من الانصار، قال :فمـا سـقت فيها ؟فقال وزن نواة من ذهب، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : أولم ولو بشاة. انظر : البخاري، الصحيح، ٨٨/٥ باب كيف آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين اصحابه.

[3] روى ابـو هريرة رضي الله عنه قال :قالت الانصار للنبي صلى الله عليه وسلم :اقسم بيننا وبين اخواننا النخيل.قال : لا. فقـالوا : فـتكفونا المؤنـة ونشركم في الثمرة، قالوا سمعنا واطعنا)) انظر : البخاري، الصحيح، ١٣٦/٣. وقال المباركفوري :((وهذا يدلنا على ما كان عليه الانصار من الحفاوة البالغة باخوانهم المهاجرين.. وما كان عليه المهاجرون من تقدير هذا الكرم حق قدره فلم يستغلوه)). انظر : الرحيق المختوم، ١٧٩.قلت : ويدل هذا ايضاً على ان المهاجرين كانوا كسبة وعمال مهرة.

[4] الغزالي، محمد، فقه السيرة، ط٣، دار الكتاب العربي (مصر، بلا) ص٦٤.

ان شئت فخذ منازلنا، فقال لهم خيراً)[1] ((ولما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم على اموال بني النضير، وكانوا اول من اجلي (٤ هـ)، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للانصار :ليست لاخوانكم من المهاجرين اموال، فان شئتم قسمت هذه واموالكم بينكم وبينهم جميعاً ؛ وان شئتم امسكتم اموالكم، وقسمت هذه فيهم خاصة، فقالوا : بل قسم هذه فيهم، واقسم لهم من اموالنا ما شئت، فنزلت ((ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة)) ..))[2]

وهذا سعد بن معاذ (ت، ٥ هـ) من زعماء الانصار، يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم عندما طلب الرسول صلى الله عليه وسلم من الانصار ان يبينوا رأيهم في امر القتال ببدر، فقام سعد وبادر قائلاً :((لعلك تخشى ان تكون الانصار ترى حقاً عليها ان لا تنصرك الا في ديارهم، واني اقول عن الانصار واجيب عنهم : فاظعن حيث شئت، وصل حبل من شئت، واقطع حبل من شئت، وخذ من اموالنا ما شئت واعطنا ما شئت، وما اخذت منا كان احب الينا مما تركت، وما امرت فيه من امر فامرنا تبع لامرك .فوالله لئن سرت حتى تبلغ البرك من غمدان لنسيرن معك، ووالله لئن استعرضت بنا هذا البحر خضناه معك))[3] .

فاذا كان هذا شأن الانصار وتضحياتهم اول الهجرة وفي يوم بدر (٢ هـ) وعند اجلاء بني النضير (٤ هـ) بل اقاموا على بذلهم وتضحياتهم ووفائهم بعهودهم يتحملون المغارم دون المغانم [4] الى ان توفي رسول الله صلى الله عليه

---

[1] البلاذري، فتوح البلدان، ٢٠، والخطط جمع خطة بالكسر :الارض التي يختطها الرجل لنفسه وهو ان يعلم عليها علامة بالخط ليعلم انه قد احتازها ليبنيها داراً. انظر مختار الصحاح، مادة (خطط) ص١٤٠.

[2] م. ن، ٣٣-٣٤.

[3] ابن القيم، زاد المعاد، ٨٦/٢.

[4] في غزوة حنين (٨ هـ) ابلى الانصار فيها بلاء حسناً، ثم كانت الاعطيات من نصيب غيرهم، ولم ينلهم شيء من الغنائم الكبيرة ؛وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الانصار وجدوا في انفسهم لذلك.فامر سعداً بجمعهم، فأتاهم الرسول صلى الله عليه وسلم فخاطبهم بعد ان حمد الله وذكرهم بنعمة الهداية والتوحيد، ثم قال : اوجدتم يا معشر الانصار في انفسكم في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا، ووكلتكم الى اسلامكم، الا ترضون يا معشر الانصار

وسلم (١١ هـ)، فكيف يصح ان يقال فيهم انهم كانوا يتطلعون الى القوافل المكية والى جيوب رجالها من اجل ان يعيلوا المهاجرين بين ظهرانيهم، كما ادعاه (حتي) وافتراه ؟!

رابعاً :ليس هم الانصار الذين اقترحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج للاستيلاء على القافلة القرشية، ولا هم المهاجرون ؛بل كان امراً من رسول الله صلى الله عليه وسلم .ولما افلتت القافلة شاورهم الرسول صلى الله عليه وسلم في امر القتال ضد جيش المشركين، فاعلن الجميع موافقتهم وطاعتهم فهم -الانصار والمهاجرون- سامعون مطيعون لقائدهم رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم .وعندما اصطف الفريقان للقتال، قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((قوموا الى جنة عرضها السموات والارض . فلما سمع عمير بن الحمام الانصاري ذلك قال : يا رسول الله جنة عرضها السموات والارض ؟ قال : نعم . قال :بخ بخ .فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :ما يحملك على قولك بخ بخ ؟ قال :لا والله يا رسول الله الا رجاءة ان اكون من اهلها .قال :فانك من اهلها .فاخرج تمرات من قرنه فجعل ياكل منهن .ثم قال :لئن انا حييت حتى آكل تمراتي هذه انها لحياة طويلة . قال :فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قتل))[١] .

((ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين وهم الف، واصحابه ثلثمائة وتسعة عشر رجلاً، فاستقبل القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه :((اللهم انجز لي ما وعدتني .اللهم آت ما وعدتني .اللهم ان تهلك هذه العصابة من اهل الاسلام

ان يذهب الناس بالشاة والبعير، وترجعوا برسول الله الى رحالكم ؟ فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرءاً من الانصار، ولو سلك الناس شعباً، وسلكت الانصار شعباً، لسلكت شعب الانصار.اللهم ارحم الانصار، وابناء الانصار، وابناء ابناء الانصار.فبكى القوم حتى اخضلوا لحاهم، وقالوا : رضينا برسول الله قسماً وحظاً.ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتفرقوا. انظر : ابن هشام، السيرة، ١٤٢/٤-١٤٣.

[١] مسلم، الصحيح، ١٥٥/٢.

لا تعـبد فـي الارض)) ومازال كذلك حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فانزل الله عز وجـل ((اذ تسـتغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بالف من الملائكة مردفين)) فـامده الله بالملائكة)) [1] وقد خرج صلى الله عليه وسلم من العريش وهو يقول : ((سـيهزم الجمـع ويولـون الدبـر)) [2] القمر، ٤٥ . فهل هذا قتال من اجل اعالة المهاجرين والتطلع الى ما في جيوب المشركين من دنانير ؟!

قـتال غايـته ان يعـبد الله فـي الارض، وثوابه جنة عرضها السموات والارض، ووسـيلته بـذل الارواح والامـوال لله .نعم قتال مثل هذا لا يرتقي الى مسـتواه الا من رباهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو القائل :((وقد سئل أي الجهاد افضل ؟ – فقال :من جاهد المشركين بماله ونفسه، قيل واي القتل افضل ؟ قال : من اهريق دمه وعقر جواده في سبيل الله))[3]

وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال : (بينا انا واقف في الصف يـوم بـدر، نظـرت عـن يميني وشمالي فاذا انا بين غلامين من الانصار حديثة اسـنانهما، تمنيت لو كنت بين اضلع منهما، فغمزني احدهما، فقال ياعم هل تعرف ابـا جهـل؟ قـال قلت نعم، وما حاجتك اليه يا ابن اخي ؟ قال : اخبرت انه يسب رسـول الله صـلى الله عـليه وسلم والذي نفسي بيده، لئن رايته لا يفارق سوادي سـواده، حتى يموت الاعجل منا .قال : فتعجبت لذلك .فغمزني الآخر فقال مثلها. قـال فـلم انشـب ان نظرت الى ابي جهل يزول في الناس، فقلت :الا تريان، هذا

---

[1] م. ن، ٢/٨٤.

[2] البخاري، الصحيح، ٥/٩٣.

[3] ابـن القيم، زاد المعاد، ٢/٦٤ ؛ وذكر الطبري: ((ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عدل صفوف اصحابه يوم بدر وفي يده قدح يعدل به القوم، فمر بسواد بن غزية، حليف بني عدي بن النجار –وهو مستنتل من الصف، فطعنه رسول الله صـلى الله عليه وسلم في بطنه بالقدح وقال : استو يا سواد بن غزية فقال : يا رسول الله اوجعتني، وقد بعثك الله بالحق فاقدني، قال: فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه ثم قال : استقد. قال: فاعتنقه وقبل بطنه، فقال : مـا حمـلك على هذا يا سواد ؟فقال : يا رسول الله حضر ما ترى فلم آمن القتل، فاردت ان يكون اخر العهد بك ان يمس جلدي جلدك.فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير)) الامم والملوك، ١/٥٤٠-٥٤١.

صـــاحبكما الـــذي تســـألان عنه ؟ قال : فابتدراه فضرباه بسيفيهما حتى قتلاه، ثم انصـــرفا الى رســـول الله صلى الله عليه وسلم، فاخبراه فقال: ايكما قتله ؟فقال كل واحد منهما :انا قتلت. فقال :هل مسحتما سيفكما ؟قالا :لا، فنظر في السيفين، فقال: كلاكما قتله))[1]

فكيـــف تقـــوم عمـــل هذيـــن البطلين، وهما غلامان ؟ أكانا يقاتلان لمغنم وعصـــبية ام انتصـــاراً لرسول الله ولدينه ؟! وامثال هؤلاء كثير .بل ان الرسول صلى الله عليه وسلم وهو في ظروف المعركة ياتيه من يريد المشاركة في القتال – وكانت فيه جرأة ونجدة – فيأبى عليه الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك حتى يتبرأ هذا الرجل من الشرك ويعلن اسلامه، وعندها اذن له في القتال [2] .

خامســـاً : وممـــا لـــه صلة وثيقة بهذا الموضوع، هو امر الغزوات والسرايا التي حصلت قبل بدر [3] ، وينبغي ان يعلم – وحسب المصادر – ((انه لا توجد اية شـــهادة عيـــنية او روايـــة واضحة فيما يتعلق باهداف جميع هذه الغزوات والســـرايا، يمكـــن ان يفهـــم –او يثبت بالدليل ان دوافعها ومحركاتها كانت اقتصـــادية .بـــل يفهم من دراسة وفحص هذه الروايات ان هدف معظم هذه المهمـــات، وخاصـــة تلك التي ارسلت الى مناطق القبائل العربية، كان هدفاً سياسياً تبليغياً ؛فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد ان يعقد معاهدة صـــداقة وتعـــاون مشترك مع القبائل العربية المجاورة .وتم ذلك على عهده صـــلى الله عـــليه وســـلم، وكما تذكر الروايات، فقد عقدت معاهدات تعاون مشـــترك مـــع قبائل بني ضمرة واسلم وغفار وغيرها .كما كانت بعض هذه

---

[1] مسلم، الصحيح، ٢/٧٧.

[2] م. ن، ٢/١٢٠.

[3] الغـــزوات هي : ودان (الابواء)، بُواط، العشيرة، بدر الاولى ؛والسرايا هي : سرية حمزة، وسرية عبيدة بن الحارث، ســـرية سعد بن ابي وقاص، سرية عبد الله بن جحش. انظر: الواقدي، محمد بن عمر بن واقد (ت٢٠٧هــ) المغازي، تحقيق : د. مارسدن جونس، عالم الكتب، ج١، (بيروت، بلا) ص ٩-١٣ ؛ الطبري، المصدر السابق، ١/٥١٨-٥٢٢.

المهمـــات تهـــدف الى جمـــع المعلومات والوقوف على الظروف الجغرافية الاقـــليمية مثلما يفهم من سرية وادي نخلة، فقد كانت طبقاً لاوامر رسول الله صـــلى الله عليه وسلم –لمعرفة الظروف، والتعرف على احوال المنطقة، لا للاغـــارة والسـلب [1]، ونظراً للظروف التي تغيرت فجأة اذ تم الهجوم على فصيلة من جند المسلمين مما اضطرهم الى الاستيلاء على القافلة المكية، الا ان رســـول الله صلى الله عليه وسلم اظهر عدم رضاه عما حدث، ولم يلمس بيده مال الغنيمة هذا ..)) [2] .

وذكـــر ابن هشام اول غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ((غزوة ودان وهي غزوة الابواء، يريد قريشاً وبني ضمرة، فوادعته بنو ضمرة .. ثـــم رجـــع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة، ولم يلق كيداً))[3] وغالباً ما يردد ابن هشام عبارة ((ولم يلق كيداً)) عقب حديثه عن كل غزوة او سرية [4]. مما يشـــير الى ان الغـــرض من هذه العمليات الحربية انما كان وقائياً فضلاً عن عقد المحالفـــات مـــع القبائل بغية كسبها الى جانب المعسكر الاسلامي او تحييدها على الاقـــل خـــلال مســـتقبل الصـــراع مع قريش .ومما يستلزم التنويه ان الانصار لم يشاركوا في هذه الغزوات والسرايا .

سادساً :خلاصة القول في موضوع الجهاد الاسلامي، انه عبادة من افضل العبادات، ولا يكـــون كذلك حتى يكون الدافع اليه ابتغاء مرضاة الله تعالى، خالصاً لا

[1] ذكر الطبري ان الرسول صلى الله عليه وسلم كتب لعبد الله بن جحش كتاباً، وامره ان لا ينظر فيه حتى يسير يومين، فلما سار عبد الله يومين فتح الكتاب فاذا فيه :اذا نظرت في كتابي هذا فسر حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف، فترصد بها قريشاً وتعلم لنا من اخبارهم، المصدر السابق ٢/٥٢٢-٥٢٣.

[2] صديقي، الهجمات المغرضة على التاريخ الاسلامي، ٥٨-٦٠ باختصار. قلت : لم يرد في روايات ابن هشام في السيرة، ولا عند الطبري عقد المحالفات الا مع بني النضير في ودان، ومع بني مدلج في العشيرة.

[3] السيرة النبوية، ٢/٢٤١.

[4] الســـيرة النبوية، ٢/٢٤٩، ٢٥١ ؛ غير ان الطبري يذكر ثلاثة منها كانت لاعتراض عير قريش وهي : غزوة بواط، وغزوة ذات العشيرة، وسرية حمزة، انظر تاريخ الطبري، ٢/٥١٨ و ٥٢١.

تشـــوبه شائبة من ذكر او مغنم او عصبية [1] .وهو ركن الاسلام الشديد الذي تحمى به سائر الاركان، وتحفظ به العقائد والاوطان، من غير ظلم او اساءة او عــدوان . ((فالمسلمون لم يحاربوا قط في صدر الدعوة الا مدافعين، او دافعيــن لمــن يصدون الدعوة بالموعظة الحسنة من ذوي السلطان، وكذلك كــانت وقائعهم مع مشركي الجزيرة العربية، كما كانت وقائعهم مع الفرس والــروم ..وقبل غزو فارس بزمن طويل، كان كسرى يبعث بعوثه في طلب صاحب الدعوة الاسلامية حياً او ميتاً، لانه خاطبه داعياً الى الاسلام))[2]

لقــد قــاتل المسلمون فعلاً، وسوف يظلون كذلك، ما بقيت الدواعي للقتال قائمة . سواء كان دفاعاً عن النفس، او رداً للعدوان، او منعاً للفساد في الارض، او تحريــراً لبني الانسان من قيود العبودية التي وضعتها القوى الغاشمة على حريات الضمائر والعقول، وعندها يضمن الاسلام لبني الانسان حرية القرار في الاختيار. ومــن هــنا يقــف الاســتعمار وقــوى الاستكبار العالمي، ومعهم المجندون من المستشرقين، في وجه الزحف الاسلامي الذي يسوق الرحمة للعالمين ؛ولهذا ايضاً، سخرت اقلام المستشرقين للنيل من مبدأ الجهاد الاسلامي وتشويه صورته والطعن به فضلاً عن التحذير منه ؛ ولهذا ايضاً احتضن المستعمرون كل الدعوات الباطلة والجماعات الضالة ، التي كانت تنادي بترك الجهاد واستسلام البلاد . ومن ذلك ما فعله الانكليز في الهند باعانتهم وتشجيعهم للقاديانية ومؤسسها احمد خان [3] كما حرم

---

[1] قــال تعالى ((فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيــه اجراً عظيماً))النساء٧٤ ؛ فانظر كيف قدم القرآن الكريم امام المجاهد ان يموت، لا ان ينتصر، حتى لا يتعلق قلبه بمغنم دنيوي، ونفع مادي. انما ليكون جهاده ابتداءً لطلب الدار الآخرة ونيل رضوان الله تبارك وتعالى.

[2] العقاد، ما يقال عن الاسلام، ١٢٩.

[3] ادعى (ميرزا غلام احمد القادياني) (ت، ١٩٠٨م) انه "المهدي" الذي ينتظره المسلمون، وقال باسقاط فريضة الجهاد، في الوقت الذي كان الانكليز يحتلون فيه الهند.كما اظهر الولاء الخالص للحكومة البريطانية، التي امنت جانبهم وتركتهم ينشـــرون مذهبهم بحرية ؛ على حين كانت بريطانيا تسارع في القضاء على أي حركة تتسم بطابع "المهدية" في العالم

المحتلون الفرنسيون في الجزائر تدريس الجهاد في آيات القرآن، او في ابواب الفقه ويعدون ذكره فضلاً عن فعله من اعظم الذنوب [1] .

ومما ينبغي التأكيد عليه، ان الجهاد في الاسلام، وقد ذكرنا اهدافه، لم يكن في ماضيه وحاضره ومستقبله ، بقصد اكراه الغير على اعتناق العقيدة الاسلامية.

فالقــرآن يقرر ان ((لا اكراه في الدين)) البقرة ٢٥٦، فارغام المكره على الاسلام. لا يدخله في الاسلام كما ان اكراه المسلم على الكفر، لا يخرجه من الاسلام. وليس العيــب في اعداد القوة وامتلاكها، انما المعول عليه في الغاية من استخدامها. وما كان الجهاد يوماً الا ((واسطة لصيانة الحياة، وتيسير تحقيق رسالة النبي صلى الله عليه وسلم .لقد كانت الحرب دائماً وسيلة لحماية الدين الجديد وتعظيمه، لا غاية في ذات نفسها))[2] .

((ان الشــيء الــذي يغيــض اعداء الحقيقة، هو ان الاسلام زودته العناية بتعاليم تجعله صلب المكسر، لا يستطيع الباطل ان يجتاحه بسهولة، ولا ان ينال منه بيســر . ولقد كان الباطل يزأر في عرصات الدنيا دون تهيب، ويزعج الآمنين في كــل قطر دون وجل .. فلما ظهر الاسلام، واشتبك الباطل معه-على عادته- عاد الــباطل مــن هجومــه مقصوم الظهر، مخضوب الكف .فراح يجأر بالشكوى ان

الاسلامي، بعد الدروس القاسية التي تلقتها عن مهدي السودان ! انظر : حسن، سعد محمد، المهدية في الاسلام، ط١، دار الكتاب العربي (القاهرة، ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م) ص٢٧٠-٢٧١.

[1] نشــر الدكــتور محمد تقي الدين الهلالي، في مجلة الفتح عام ١٩٣١م، رسالة جاء فيها ☹(ان هؤلاء الاوربيين (يعني الفرنســيين) المــبعدين للاحرار المخربين للديار، ما زالوا يحرمون كلمة (الجهاد)..وبلغ ببعضهم الامر، ان حرموا على المسلمين تفسير آيات الجهاد في كتب الفقه..وبعيني شاهدت صحيفة الإذن التي حصل عليها شيخنا محمد بن حبيب الله الشنقيطي رحمه الله، في مدينة المشربة – قسم وهران في الجزائر، وفيها :ان الاذن بتدريس علوم الدين مقيد بأن المدرس لا يفســر أي آية او حديث يدل على الجهاد، وان لا يدرس شيئاً عن ابواب الجهاد من كتب الفقه..)) نقلاً عن : انور الجــندي، الخنجر المسموم الذي طعن به المسلمون، مقال له في ندوة المحاضرات ١٣٩٣هــ-١٣٩٥هــ، رابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة، ص ٣٩.

[2] فاغليري، دفاع عن الاسلام، ٣١ .

الاســـلام دين سيف .. نعم هو كذلك، وما عيب السيف اذا رد المعتدين ؟ وما عيب الصلابة في الحق اذا استعصت على الفتانين ؟

وان الســـؤال الـــذي يجب ان تتحدد الاجابة عليه هو :هل كان الجهاد في الاســـلام اساساً لفتنة غير المسلمين عن دينهم ؟))[1] وهل ان السيف هو الذي وسع رقعة الدولة الاسلامية ؟

((ان النظرة العابرة الى البلاد الاسلامية لتكفي لتقرير وقائع التاريخ في هذه المســـألة .وخلاصـــتها : ان اكـــثر الـــبلاد عـــدد مسلمين، هي اقل البلاد غزوات اسلامية))[2] .

[1] محمد الغزالي، مع الله، ١٢١.

[2] العقاد، ما يقال عن الاسلام، ١٢٩.

المبحث الثالث

الاسلام والرق [1]

تمهيد :

جـــاء الاســــلام والعـــالم يومها كان في فوضى عارمة في العقائد والنظم والســـلوك .واوشكت البشرية ان ترجع الى عهود الانحطاط والهمجية، نعم ((كانت المدنيـــة كشجرة ضخمة متفرعة امتد ظلها الى العالم كله، واقفة تترنح وقد تسرب اليها العطب حتى اللباب))[2] .

وفي القارات الثلاث -آسيا واوربا وافريقيا- كانت القوى الكبرى المتحكمة آنـــذاك تتمثل في الفرس والروم ((حيث سيطرت القوتان على مساحات شاسعة من الارض، وحكمتا شعوباً عديدة امتد نفوذها اليها .ولم يكن الفرس على دين صحيح بـــل كـــانوا مجوساً يعبدون النيران، وكان الروم نصارى، ولكنهم لم يحافظوا على الـــتعاليم الـــتي جـــاء بهـــا عيسى عليه السلام بل حرفوها . لذلك لم تكن القوتان الكـــبيرتان فـــي العـــالم آنـــذاك قادرتين على توجيه البشرية نحو التوحيد والعدل والفضـــيلة والخير))[3] وأنى لهم القدرة على التوجيه نحو التوحيد وفيهم من يدعي ويصـــدق انـــه من نسل الالهة، وبعضهم يدعي ويصدق ان الدماء التي تجري في عروقه ليست من نوع دماء العامة، انما هو الدم الازرق الملوكي النبيل ! وانى لهم

---

[1] الرق بالكسر من الملك وهو العبودية، واسترق مملوكه ضد اعتقه، والرقيق المملوك واحد وجمع.انظر مختار الصحاح، مادة (رق ق) ص٩٣.

[2] دينســـون، العواطـــف كاساس للحضارة Emotions as the Basic of civilisation نقلاً عن، سيد قطب، العدالة الاجتماعية في الاسلام، ط٥، دار احياء الكتب العربية (القاهرة، ١٣٧٧هـــ/١٩٥٨م) ص١٤٩.

[3] العمري، د.اكرم ضياء، عصر الخلافة الراشدة، ط١، مكتبة العلوم والحكم (المدينة المنورة، ١٤١٤هـــ/١٩٩٤م) ص ٣٠٣.

القدرة على التوجيه على الدول، وفيهم الملل والنحل التي تفرق الشعوب الى طبقات خلق بعضها من رأس الاله فهي مقدسة، وخلق بعضها من قدميه فهي منبوذة ! بل انى لهـم العدل في وقت كان يباح فيه للسيد ان يقتل عبيده ويعذبهم لانهم من نوع آخر غير نوع السادة ! [1]

فـي هـذا الوقـت جـاء الاسلام ليقرر وحدة الجنس البشري في المنشأ والمصير[2]. قال تعالى :((يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق مـنها زوجها)) النساء، ١ . وقرر ايضاً بناءً على ذلك، المساواة امام القانون وفي تطبيق الاحكام .يقول صلى الله عليه وسلم ((انما اهلك الذين من قبلكم انهم كانوا اذا سـرق الشريف تركوه ؛واذا سرق فيهم الضعيف اقاموا عليه الحد ؛ وايم الله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)) [3] .

لقد كانت وثبة بالانسانية لم يعرف التاريخ لها نظيراً، لا في مجال العقيدة [4] ولا في مجال التشريع [5] ولا في مجال التطبيق العملي. ((وهذه المساواة تقوم على نظـرة انسانية كاملة مبرأة حتى من العصبية الدينية ؛ فان الاسلام يمنح المشركين حقوقـاً مساوية لحقوق المؤمنين في الدماء ما دام بينهم وبين المسلمين ميثاق، قال تعـالى: ((ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى اهله- الا ان

---

[1] سيد قطب، المصدر السابق، ٤٩.

[2] وفي الحديـث الشريف، يقول صلى الله عليه وسلم :((الناس بنو آدم، وآدم من تراب)) الترمذي، الجامع الصحيح، حديث رقم (٣٩٥٦).

[3] البخاري، الصحيح ٢٩/٥

[4] قـال تعـالى ((قل هو الله احد) الاخلاص ١ فلم ينسل احداً.وقال ايضاً ((ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبداً)) مريم ٩٣.

[5] قـال تعـالى ((وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والجروح قصاص)) المائدة، ٤٥. وقال تعالى ((واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل)) النساء، ٥٨.

يصدقوا– فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة، وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة))[1].

وهكذا تكون كفارة القتيل من المشركين الذين بينهم وبين المسلمين ميثاق، هي نفس كفارة القتيل المؤمن سواء بسواء .

ومما يلاحظ هنا ان الاسلام جعل كفارة القتل الخطأ تحرير رقبة، مما يدل على انه يجعل عتق الرقبة احياء لنفس، فيه تعويض عن النفس التي ذهب بها القتل الخطـــأ، فالرق موت، او كالموت، والعتق حياة، او كالحياة في نظر الاسلام . اما القتل العمد والتمثيل والتشويه، فان ((النفس بالنفس))حيث قال صلى الله عليه وسلم ((من قتل عبده قتلناه، ومن جدع عبده جدعناه، ومن اخصى عبده اخصيناه))[2]..))[3]

لقـــد قصـــدت الدعوة الاسلامية الى تحرير الانسان من الاوهام والاساطير ومن الوسطاء بينه وبين الله، فاعلنت ان ذلك محض الشرك وان لا وساطة بين الله والـــناس . كمـــا حملت الدعوة الاسلامية ميزاناً دقيقاً للحقوق والواجبات يقوم على مبدأ المساواة بين البشر دون اعتبار للثروة والجاه ولا اللون او العرف، فلا طبقية ولا استعلاء ؛ وحرص الاسلام ايضاً على اقامة مجتمع متحضر عادل يشمل بعدله جميع الناس، قال تعالى ((ان الله يامر بالعدل والاحسان)) النحل، ٩٠ .

---

[1] النساء، ٩٢

[2] الترمذي، الجامع الصحيح ١٨/٤ حديث رقم ١٤١٤.

[3] سيد قطب، العدالة الاجتماعية في الاسلام، ٥١ ؛ وفي الحديث عن جابر قال ((مرت بنا جنازة فقام لها النبي صلى الله عـــليه وسلم وقمنا، فقلنا :يا رسول الله انها جنازة يهودي ؟ قال : اذا رأيتم الجنازة فقوموا. وفي رواية اخرى ((اليست نفســـاً)) ؟.الــبخاري، الصـــحيح، ١٤/٢ ؛ وذكر ابن حزم ان ام الحارث ابن ابي ربيعة ماتت وهي نصرانية فشيعها اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.انظر : ابن حزم، علي بن محمد بن سعيد (ت، ٤٥٦هـــ) المحلى، تحقيق لجنة احياء التراث العربي، طبعة دار الجيل، ج٥ (بيروت، بلا) ص١١٧– باب الجنائز.

جــاء الاســلام، والرق من دعائم الحياة الاقتصادية والاجتماعية في العالم كلــه، بــل كان عملة متداولة لا يستنكرها احد ولا يفكر في امكان تغييرها احد . فكــانت مسألة الارقاء شديدة التعقيد في حينها، وللاسلام منهجه الخاص في معالجة الاوضــاع الخاطــئة التي كانت سائدة قبل مجيئه .مثال ذلك :معالجته لمسائل الربا والــرق والــزواج والخمر. والتدرج في الاحكام خصيصة من خصائص التشريع الاســلامي؛ ((فقد احتاج ابطال الخمر الى بضع سنوات -على انها عادة شخصية، والرق كان اعمق في كيان المجتمع ونفوس الافراد لاشتماله على عوامل شخصية واجتماعية واقتصادية .ويكفي الاسلام، على أي حال، ان يكون هو الذي بدأ حركة التحرير في العالم، قبل ان تفيء اليها البلاد التي لم تعتنق الاسلام بسبعة قرون))[1]

وكان من الممكن تحريم الاسترقاق اصلاً، لولا ان منبعاً يفيض بالرق ظل قائمــاً في كل مكان وهو رق الحرب ؛وكان الغاؤه من جانب واحد يعد عبثاً، لان الاعداء سيرفضون التقيد بهذا الالغاء، ((ثم ينشأ عن ذلك ان اسرى المسلمين لديهم يســتعبدون، واسرى المشركين لدينا يحررون))[2]، لذلك اضطر الاسلام الى السير على قاعدة المعاملة بالمثل .

ويجــب ان نذكــر ايضاً ((ان الحرية لا تمنح وانما تؤخذ .وتحرير الرقيق باصدار مرسوم لم يكن ليحرر الرقيق ! والتجربة الامريكية في تحرير العبيد بجرة قلم على يد (ابراهام لنكولن) خير شاهد لما نقول، فالعبيد الذين حررهم لنكولن-من

---

[1] قطب، محمد، شبهات حول الاسلام، ط٥، مكتبة وهبة (مصر، ١٩٦٢م) ص٣٩-٤١ باختصار.

[2] الغزالي، محمد، حقوق الانسان بين تعاليم الاسلام واعلان الامم المتحدة، ط١، المكتبة التجارية (القاهرة، ١٣٨٣هــ/ ١٩٦٣م) ص١١٣.وفي هذا -لو اقره الاسلام- تقوية للعدو باطلاق اسراه واضعاف للمسلمين لاسترقاق العدو لاسرى المســلمين، ثم ان هناك جانباً نفسياً مهماً، لو اقدم الاسلام من جانبه فقط على تحرير واطلاق اسرى المعسكر المعادي ؛ فــان المسلم المجاهد سوف يدخل المعركة مهزوزاً لاحتمال اسره ومن ثم استرقاقه، في حين لا يلقى اسرى العدو المصير ذاته.انظر : ابو آدم سلطان، الموازنة في التشريع الاسلامي بين المرونة والحزم، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة صدام للعلوم الاسلامية، ١٤٢١هــ/٢٠٠٠م، ص١٣٠.

الخـــارج- بالتشـــريع، لم يطيقوا الحرية، وعادوا الى سادتهم يرجونهم ان يقبلوهم عبيداً لديهم كما كانوا، لانهم -من الداخل- لم يكونوا قد تحرروا بعد))[1] وتفسير ذلك فـــي ضوء الحقائق النفسية :ان الكيان النفسي للمملوك يختلف عن غيره -لا بسبب الجـــنس، ((ولكن لان حياته في ظل العبودية الدائمة جعلت اجهزته النفسية تتكيف بهـــذه الملابسات ، فتنمو اجهزة الطاعة الى اقصى حد، وتضمر اجهزة المسؤولية، واحـــتمال التبعات الى اقصى حد ..فالعبد يحسن القيام بكثير من الامور حين يامره بهـــا سيده، فلا يكون عليه الا الطاعة والتنفيذ . ولكنه لا يحسن شيئاً تقع مسؤوليته عـــليه، ولـــو كان ابسط الاشياء، لا لان جسمه يعجز عن القيام بها، ولا لان فكره يعجـــز عـــن فهمها ؛ولكن لان نفسه لا تطيق احتمال تبعاتها، فيتخيل فيها اخطاراً موهومة، ومشكلات لا حل لها، فيفر منها ابقاءً على نفسه من الاخطار))[2] .

وهذا التكيف النفسي للمملوك عطل عنده جهاز التبعات، وضخم لديه جهاز الطاعات، ومن هنا يقع في الاستعباد بل يستلذه على مرارته، ويصحو ويغفو على اوتـــاره .لذلـــك لا يمكن ان يقوم الاصلاح باعلان رسمي، وانما يكون ذلك بتغيير نفسي .يؤدي الى تكييف المشاعر على نحو جديد، فتنمو الاجهزة الضامرة فتتعادل لصنع كيان بشري سوي يطلب الحرية ويتحمل مسؤوليتها ؛وهذا ما صنعه الاسلام في تعامله الانساني مع الرقيق .

معاملة الرقيق في الاسلام

مضـــى الاســـلام فـــي طريقه، يحرر النفوس من مساويء الطبائع، وينقذ المستضعفين من قيود الذلة، ويؤكد وحدة الجنس البشري في التصور، ويقرر العدل والمســـاواة في التشريع، ويدعو الى الاحسان في كل شيء .ومن ذلك ما قرره في

---

[1] محمد قطب، المصدر السابق، ٤١.

[2] محمد قطب، المصدر السابق، ٤١-٤٢.

التعامل مع الرقيق، فقد سن لهم من القوانين، ما لم تصل اليه البشرية حتى العصر الحاضر، ومن ذلك :

اولاً : كفل للمملوك غذاءً وكساءً، كغذاء وكساء اوليائهم .

فعـن المعـرور بن سويد قال :دخلنا على ابي ذر بالربذة، فاذا عليه برد، وعـلى غلامه مثله، فقلنا : يا ابا ذر، لو اخذت برد غلامك الى بردك فكانت حلة، وكسـوته ثوبـاً غيـره ؟ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : هم اخوانكـم، جعـلهم الله تحت ايديكم، فمن كان اخوه تحت يده، فليطعمه مما ياكل، وليكسـه ممـا يكتسى، ولا يكلفه ما يغلبه، فان كلفه ما يغلبه فليعنه[1] ((وروي ان الامـام علياً كرم الله وجهه اعطى غلامه دراهم ليشتري بها ثوبين متفاوتي القيمة، فلما احضرهما، اعطاه ارقهما نسيجاً واغلاهما قيمة، وحفظ لنفسه الاخر، وقال له: انت احق مني بأجودها، لانك شاب تميل نفسك للتجمل، اما انا فيكفيني هذا .

وكـان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه اذا مشى بين عبيده، لا يميزه احد منهم، لا يتقدمهم، ولا يلبس الا من لباسهم))[2] .

ويقول الامام النووي ((٦٧٦هـ)): ((يجب على السيد نفقة المملوك وكسوته بالمعـروف بحسـب البلدان والاشخاص، سواءً كان من جنس نفقة السيد او فوقه، حتى لو قتر على نفسه تقتيراً خارجاً عن عادة امثاله –اما زاهداً او شُحاً– فلا يحل له التقتير على المملوك والزامه بموافقته، الا برضاه))[3]

---

[1] البخاري، الصحيح، ١٩٥/٣ كتاب العتق.

[2] محمد الغزالي، حقوق الانسان، ١٢٠.

[3] وجدي، محمد فريد (ت ١٩٥٤م) دائرة معارف القرن العشرين، ط٣، دار المعرفة، ج٤ (بيروت، ١٩٧١م)ص٢٨٠ -٢٨١.

ثانياً : حفظ الاسلام للرقيق كرامتهم الادمية .فلا يجوز خدشها بقول او بفعل . قال صلى الله عليه وسلم: ((من قذف مملوكه بريئاً مما قال، اقيم عليه الحد يوم القيامة، الا ان يكون كما قال))[١]، واعتق عبد الله بن عمر مملوكاً له، ثم اخذ من الارض عوداً او شيئاً، فقال: مالي فيه من الاجر ما يساوي هذا، سمعت رسول الله يقول: ((من لطم مملوكاً له، او ضربه، فكفارته عتقه))[٢] فلطمه من غير تأديب يعد مبرراً قانونياً لعتقه وتحريره . وزيادة في رعاية مشاعر الرقيق، نهى النبي صلى الله عليه وسلم الناس عن ان يقولوا هذا عبدي، فقال : ((لا يقل احدكم عبدي وامتي، وليقل، فتاي وفتاتي))[٣] ورأى ابو هريرة رضي الله عنه رجلاً على دابته، وغلامه يسعى خلفه، فقال له : احمله خلفك يا عبد الله، فانما هو اخوك وروحه مثل روحك))[٤] .

وفيما يخص الاعتداء الجسدي سواء كان على مالك او مملوك، فان العقوبة الصريحة هي المعاملة بالمثل، لقوله صلى الله عليه وسلم : ((من قتل عبده قتلناه..))[٥] . وعند الامام ابي حنيفة (ت، ١٥٠ هـ) -وهو المذهب المعمول به في المحاكم الاسلامية سابقاً- ان من قتل عبداً قتل به[٦] .

ثالثاً : وفي التطبيق الواقعي، كان الرسول صلى الله عليه وسلم يلاحظ وضع الارقاء، ويعهد اليهم بمسؤوليات شتى، لاعادة الثقة بانفسهم، وابعادها عن الانزواء والسلبية في المجتمع .فقد آخى بين بعض الموالي وبعض الاحرار

---

[١] البخاري، الصحيح، ٢١٨/٧ كتاب الحدود.

[٢] احمد، المسند، ٢٥/٢ و ٦١.

[٣] م. ن، ١٩٦/٣.

[٤] ابو داود، ١٤/٣

[٥] الترمذي، الجامع الصحيح ١٨/٤ حديث رقم ١٤١٤.

[٦] محمد فريد وجدي، المصدر السابق، ٢٨١/٤.

مـــن العرب : بين بلال الحبشي وخالد بن رويحة الخثعمي، وبين مولاه زيد وعمه الحمزة بن عبد المطلب، وبين خارجة بن زيد وابي بكر الصديق .

وزوج بـــنت عمـــته زينب بنت جحش من مولاه زيد، وارسل زيداً على رأس جيش فيه الانصار والمهاجرون، وولى من بعد زيد ابنه اسامة قيادة جيش فيه ابو بكر وعمر رضي الله عنهما، ووصل في ذلك الى ان يقول : ((اسمعوا واطيعوا ولـــو اســـتعمل عـــليكم عبد حبشي كان رأسه زبيبة، ما اقام فيكم كتاب الله تبارك وتعالى))[1] كان عمر بن الخطاب يقول :((ابو بكر سيدنا، واعتق سيدنا- أي بلال)) وكـــان يجيـــز تامين العبد المسلم للرجل من الاعداء، ويقول :((عبد المسلمين من المسلمين، وذمته من ذمتهم، يجوز امانه))[2] .

التشريع الاسلامي والرق

ذكرنا سابقاً ان الاسلام -في معالجته للرق- اضطر الى السير على قاعدة المعاملة بالمثل فكانت اباحة الرق خضوعاً لضرورة قاهرة .فليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم نص يامر بالاسترقاق .بل ان آخر نص قرآني عالج موضوع اسرى الحرب، لم يذكر الاسترقاق، قال تعالى :((فاما مناً واما فداءً حـــتى تضـــع الحـــرب اوزارها)) محمد، ٤ . فالآية -كما ترى- ذكرت الامتنان بـــاطلاق الاســـير من دون مقابل، او اخذ الفداء منه، واغفلت الاسترقاق، حتى لا

---

[1] الـــبخاري، الصحيح، ٧٨/٩ كتاب الاحكام ؛ وايضاً :الصالح، صبحي، النظم الاسلامية، ط٣، دار العلم للملايين (بيروت، ١٣٩٦هـــ/١٩٧٦م) ص٤٦٩.

[2] ابو يوسف، يعقوب بن ابراهيم الكوفي قاضي القضاة (ت، ١٨٢ هـــ) الخراج، دار الاصلاح (القاهرة،١٩٨١م) ص ٣٩٤-٣٩٥، والحديث رواه البخاري في الصحيح ٣٣/٥.

قـــلت :ومن يتفحص كتب الفقه الاسلامي – وهي التي تعنى باستنباط الاحكام الشرعية- لاتجد من بين ابوابها باباً او كتاباً للرق، انما يجد ((باب العتق)) او ((كتاب العتق)).وفي هذا اشارة بالغة الى منحى الاسلام بخصوص موضوع الرق.

يكون هذا تشريعاً دائمياً لبني البشر . وبهذا نعلم ان الاسلام لم يشرع الرق ابتداءً، وانما شرع العتق [1]، ووفق خطوات عملية، نجملها فيما يلي :

اولاً : تضييق منابع الرق :

فلم يقر الاسلام حروب الخطف التي انتشرت في العصور القديمة والحديثة والـــتي وســـعت نطاق الاسترقاق باختطاف الاحرار من بلادهم، وكانت المصدر الاكبر لانتشار الرقيق في القارات الخمس ؛بل كان المصدر الفذ للرق الذي عرف في اوربا وامريكا في القرون الاخيرة .كما ابطل الاسلام ما كان متعارفاً عليه من اســـباب الاســـترقاق ورفض ما كان مشروعاً لدى الرومان، من ان اقتراف بعض الجرائم، او الاعسار في دين يجعل الانسان عبداً مهيناً [2] .في حين يعلن الاسلام ان من يقترف هذا الجرم يعد من خصوم الله تعالى، ففي الحديث القدسي، يقول تعال: ((ثلاثـــة انا خصمهم يوم القيامة، ومن كنت خصمه، خصمته :رجل اعطى بي ثم غـــدر، ورجل باع حراً فاكل ثمنه، ورجل استأجر اجيراً، فاستوفى منه العمل، ولم يعطه اجره))[3]

ولـــم يبق الاسلام من مصادر الرق، الا ما هو باق الى اليوم باتفاق الدول، الا وهـــو الحـــرب المشروعة المعلنة من المسلمين ضد عدوهم الكافر، والغى كل الصور الاخرى، واعتبرها محرمة شرعاً لا تحل بحال [4] .وبصدد هذا، يقول العقاد –رحمه الله– : ((ان الفارق الاكبر في مسألة الرق من جانب الواقع التاريخي،هو

---

[1] ابو يوسف، الخراج ص ٣٩٢-٣٩٥.

قـــلت :ومـــن يتفحص كتب الفقه الاسلامي –وهي التي تعنى باستنباط الاحكام الشرعية –لايجد من بين ابوابها باباً او كتاباً للرق، انما يجد ((باب العتق)) و ((كتاب العتق)).وفي هذا اشارة بالغة الى منحى الاسلام بخصوص موضوع الرق !

[2] محمد الغزالي، حقوق الانسان، ١٠٩-١١٣ باختصار.

[3] ابن ماجة، السنن، ٨١٦/٢ كتاب الرهون

[4] سيد سابق، فقه السنة، ٦٨٨/٢.

ذلــك الفارق الذي تحصيه الارقام بالحساب بين عدد الارقاء في البلاد الاسلامية، وعددهــم في البلاد الغربية، حيث يعيشون اليوم بين الامريكيتين ؛فان الارقاء من الزنوج لم يزيدوا في البلاد الاسلامية-بعد ثلاثة عشر قرناً- على ثلاثة ملايين، او نحو هذا العدد القليل بالقياس إلى سعة البلاد، وطول الزمن واقتراب المكان .ولكن عــدد الســود في الامريكيتين قد يبلغ العشرين مليوناً، ولما يمض على قيام الحكم (الابيض) هناك اكثر من ثلاثة قرون ..))[1] .

ثانياً :توسيع المخرج :

وجــد الاسلام عند ظهوره منابع الرق كثيرة، ومصارفة قليلة او معدومة؛ فعمــل على توسيع المخارج، وتكثير المصارف، فضلاً عن تخفيف المصادر، بله ردم المــنابع كما اسلفنا . وقواعد الاسلام التشريعية عموماً لا تبتنى على الطفرة، كمــا لا تقف عند الجمود .فالتدرج في الاحكام ومراعاة الاحوال، والعمل بالممكن المســتطاع حــتى الوصــول الى درجــة الكمال، ذلك كله من خصائص التشريع الاسلامي .ووفق هذا المنهج عولجت مشكلة الاسترقاق .

((ان القواعــد الــتي شرعها الاسلام في معاملة الرقيق، تجمع بين العدالة والــرحمة. ففي الوقت الذي يسلب الاسير قسطاً من الحرية، التي لم يحسن الانتفاع بهــا، نــدب الاسلام بجعل هذه الفترة اللازمة عهداً من البر والمساواة والاحسان، تخــتم بالحــرية التي ينشدها الشرع لكل انسان .وفي سبيل هذه الحرية، جعل ثمن الزكاة المفروضة يرصد سنوياً لتحرير العبيد))[2]

---

[1] العقاد، ما يقال عن الاسلام، ١٤٨، وما ذكره عن عدد السود هو من احصاء الخمسينيات.

[2] وكــلما كان فضل لدى بيت المال، اشتري به ارقاء واطلقت لهم حرياتهم.وفي عهد عمر بن عبد العزيز قال يحيى بن ســعيد ((بعثني عمر بن عبد العزيز على صداقات افريقية، فجمعتها ثم طلبت فقراء نعطيها لهم، فلم نجد فقيراً، ولم نجد من يأخذها منا، فقد اغنى عمر بن عبد العزيز الناس، فاشتريت بها عبيداً فاعتقتهم)). ويقول عباس محمود العقاد -رحمه الله- : ((وقــد تأخرت دول الحضارة اكثر من عشرة قرون قبل ان تنتظم بينها معاملات الحرب على هذا النظام الذي

وشـــرع الاسلام العتق وشجع عليه تشجيعاً كبيراً .وكان الرسول صلى الله عليه وسلم الاسوة الحسنة في هذا الامر .فلم يثبت انه صلى الله عليه وسلم ضرب الـــرق على اسير من الاسارى، بل هو الذي من على الآلاف واطلق سراحهم، كما فعــل مـــع بني المصطلق (٥ هـــ) ويوم استأسرت مكة عام الفتح (٨ هـــ) ؛ ويوم هزمت هوزان وثقيف في (حنين والطائف، ٨ هـــ)، ومن قبل جعل فداء اسرى بدر (٢ هـــ) ان يعلم الواحد منهم عشرة من غلمان الانصار الكتابة [١] .

((ونص القرآن الكريم على ان كفارة بعض الذنوب، هي عتق الرقاب، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يحث على العتق تكفيراً عن أي ذنب ياتيه الانسان، وذلـــك لـــلعمل على تحرير اكبر عدد ممكن منهم، فالذنوب لا تنقطع وكل ابن آدم خطاء كما يقول الرسول))[٢] كما بين القرآن الكريم على ان العتق طريق الى رحمة الله وجنـــته، حيث يقول تعالى :((فلا اقتحم العقبة وما ادراك ما العقبة ؟ فك رقبة)) البلد، ١١-١٣ .وهو ايضاً كفارة لما يلي :

١- العـــتق كفـــارة للقـــتل الخطأ :قال تعالى :((ومن قتل مؤمناً خطأً فتحرير رقبة مؤمنة)) النساء، ٩٢ .

٢- والعـــتق ايضـــاً كفـــارة للحنث في اليمين:قال تعالى: ((فكفارته اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم او كسوتهم او تحرير رقبة)) المائدة،٨٩.

٣- وهو كذلك كفارة في حالة الظهار :قال تعالى :((والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا)) المجادلة، ٣ .

شرعه الاسلام واوجبه على الدولة الاسلامية، وهي تتولى صرف الزكاة -في الرقاب)) انظر : ابن عبد الحكم، عبد الله بـــن عبد الحكم بن اعين (ت، ٢١٤هـــ) سيرة عمر بن عبد العزيز، تصحيح احمد عبيد، ط٢، مكتبة وهبة (القاهرة، ١٣٧٣هـــ/١٩٥٤م) ص٥٩. وايضاً :العقاد، ما يقال عن الاسلام، ١٤٦ ؛محمد الغزالي، حقوق الانسان، ١١٤.

[١] ابن هشام، السيرة، ٣٠٧/٣، ٥٥/٤، ١٣٢/٤ ؛ ابن سعد، طبقات، ٢٢/٢ ؛ ابو عبيد، الاموال، ١٧٠.

[٢] محمد قطب، شبهات حول الاسلام، ٣٦-٣٧.

٤- ومـــن افطـــر يومـــاً من رمضان عمداً من غير عذر، فكفارته صوم شهرين متتابعين او اطعام ستين مسكيناً او تحرير رقبة –وذلك على التخيير .وفي ذلك ورد الحديث الصحيح [١] .

وبهذا يتبين ان الاسلام فتح ابواب التحرير للارقاء، تمهيداً لخلاصهم نهائياً من نير الـــذل والاستعباد، فاسدى بذلك للبشرية يداً بيضاء لا تنسى، واولاها من المعروف صـــنيعاً لا يمـــحى، تلك هي شريعة الله تعالى التي اهاب ببني الانسان ان يرتفعوا اليها ويحتكموا اليها ((ومن احسن من الله حكماً لقوم يوقنون)) المائدة ٥٠.

ثالـــثاً : المكاتبة : وبها يتفق العبد مع مالكه على العتق مقابل مبلغ من المال يدفعه العـــبد وفي هذه الحالة يكون العتق اجبارياً لا يملك السيد رفضه، ولا تأجيله بعد اداء المبلغ المعين . وفي هذا يقول ابن حزم (٤٥٦ هـــ) ☹(من كان له مملوك مسلم او مسلمة، فدعا او دعت إلى الكتابة، ففرض على السيد الاجابة إلى ذلـــك، ويجبره السلطان)) [٢] والاصل في ذلك، قول الله تعالى :((والذين يبـــتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيراً وآتوهم من مـــال الله الذي آتاكم)) النور، ٣٣ . قال ابن كثير (ت ٧٧٤هـــ) :((هذا امر مـــن الله تعـــالى للسادة اذا طلب عبيدهم منهم الكتابة ان يكاتبوهم، بشرط ان يكـــون للعبد حيلة وكسب يؤدي الى سيده المال الذي شارطه على ادائه لقوله صـــلى الله عـــليه وســـلم :((ان علمـــتم فيهم حرفة ولا ترسلوهم كلاً على الناس))..وقوله تعالى :((وآتوهم من مال الله الذي آتاكم)) قال بعضهم معناه: اطرحوا لهم من الكتابة بعضها –الربع او الثلث او النصف او من غير حد- وقـــال آخـــرون :بل المراد من قوله ((وآتوهم من مال الله الذي آتاكم)) هو النصـــيب الـــذي فرض الله لهم من اموال الزكاة ..وقال ابن عباس امر الله

[١] البخاري، الصحيح ٣/٤١-٤٢

[٢] المحلى، ٩/٢٢٢.

المؤمنين ان يعينوا في الرقاب)) [1] .وفي تفسير قوله تعالى :((وفي الرقاب))[2] يقول سيد قطب رحمه الله :((وهذه -الصلة- في الرقاب اعتاق وتحرير لمن اوقعه سوء عمله في الرق، بحمل السيف في وجه الاسلام، حتى يسترد حريته وانسانيته الكريمة .ويتحقق هذا النص اما بشراء الرقيق وعتقه، واما باعطائه ما يؤدي به ما كاتب عليه سيده في نظير عتقه. والاسلام يعلن حرية الرقيق في اللحظة التي يطلب فيها الحرية، ويطلب مكاتبته عليها ..))[3] .

وبعد : فهذا ما قدمه الاسلام للبشرية في شأن تحرير الرقيق، فماذا قدمت الديانات والفلسفات الاخرى ؟

١- اما اليهود :

فبتأثير عقدة الاستعلاء المسيطرة عليهم بزعم انهم شعب الله المختار، وعقدة الاضطهاد الواقع عليهم خلال التاريخ لسوء افعالهم، فان الحقد يملأ قلوبهم على الناس كافة ممن يطلق عليهم اليهود اسم (الامميين))- أي كل من عدا اليهود - ويسعون ابداً في افساد حياة وعقائد اولئك الامميين، الذين يعدهم التلمود ((الحمير الذين خلقهم الله ليركبهم شعب الله المختار، وكلما نفق منهم حمار، ركبنا حماراً آخر)) فاسترقاق هؤلاء اذن بالاسر والتسلط، له سندمن توراتهم، ،في سفر (التكوين، ٩، ٢٠-٢٧) ((وابتدأ نوح يكون فلاحاً وغرس كرماً .وشرب من الخمر وتعرى داخل خبائه .فابصر حام ابو كنعان عورة ابيه ..فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل ابنه الصغير .قال : ملعون كنعان .عبد العبيد يكون لاخوته. وقال

[1] ابن كثير، التفسير، ٢٨٧/٣-٢٨٨.

[2] من قوله تعالى ((وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب..)) البقرة، ١٧٧.

[3] في ظلال القرآن، ٢٢٦/١-٢٢٧.

مـــبارك الـــرب اله سام /وليكن كنعان عبدا لهم .ليفتح الله ليافث فيسكن في مساكن ســام . وليكـــن كنعان عبداً لهم))وجاء في سفر (التثنية ٢٠، ١٠-١٦) :((حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها الى الصلح .فان اجابتك الى الصلح وفتحت لـــك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك بالتسخير ويستعبد لك .وان لم تسالمك بل عمـــلت معـــك حـــرباً فحاصرها . واذا دفعها الرب الهك الى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف .واما النساء والاطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغتـــنمها لنفســـك ..هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جداً التي ليست من مدن هؤلاء الامم هنا . واما مدن هؤلاء الشعوب ..فلا تستبق منها نسمةً ما))

٢- واما عند النصارى :

فقد اقرت الرق جميع كنائس النصارى ولم تر فيه اقل حرج، بالرغم من ان الانجيـــل نص على ان الناس كلهم اخوان .ويرى القديس توماس ان الطبيعة قضت على بعض الناس بان يكونوا ارقاء، وقال القسيس المشهور (بوسويت) الفرنسي ان من حق المحارب المنتصر قتل المقهور فان استعبده واسترقه فذلك منه منة وفضل ورحمة فالمسيحية -كما ترى - لم تعترض على العبودية ولا عن مضارها ولا عن قســـاوتها، كما لم تامر اصلاً باطلاق العبيد ؛او تحركهم إلى طلب الاستقلال .وقد بقي الاسترقاق معتبراً من الامور المشروعة لدى المسيحيين إلى القرن التاسع عشر كما جاء في دائرة معارف (لاروس) للقرن التاسع عشر .[1]

٣- وعند اليونان :

فانهم بالغوا في احتقار الارقاء، وشايعهم فلاسفتهم الكبار، حتى ان ارسطو كـــان يعـــد العبد متاعاً او آلة ذات روح، ويقسم النوع البشري الى احرار بالطبع وارقـــاء بالطبع .والقسم الثاني خلق لخدمة الاول -اي اليونان، وان عليه ان يقوم

[1] فريد وجدي، دائرة المعارف، ٤/ ٢٧٨ ؛محمد الغزالي، حقوق الانسان، ١٢٥.

بالاعمـــال الجسمانية وتحصيل الثروة الضرورية للاحرار، ويقوم القسم الاول وهم الاحرار بالطبع -اي اليونان- بالاعمال الفكرية والادارية والمناصب الهامة .

وكان افلاطون في (جمهوريته) يرى حرمان العبيد من حق المواطنة .

وكـــان اليونان يميزون بين الامم التي يغزونها ويعدون اهلها ارقاء تابعين لـــلارض يباعون ويشرون معها، وبين العبيد الذين يشترونهم من الاسواق وهؤلاء كـــانوا تحت رحمة اسيادهم لا يحميهم منهم لا قانون ولا عرف .وكان من مجمل عقوباتهم :الكي بالنار على جباههم، واجبارهم على ادارة الطواحين بدل البهائم [1] .

٤- واما الرومان :

فكـــان الرقيق في عرفهم شيئاً من الاشياء وليسوا بشراً .وكان الارقاء هم القـــوى العامـــلة التي يقوم عليها الانتاج والاقتصاد .كانوا يعملون في الحقول وهم مصـــفدون فـــي الاغـــلال لئلا يفروا، ولم يكونوا يطعمون الا ابقاءً على وجودهم ليعمـــلوا، ثم كانوا ينامون في زنزانات مظلمة بين الحشرات والفئران، فيلقون فيها عشرات عشرات قد يبلغون خمسين في الزنزانة الواحدة .وكانت المبارزة الحقيقية بالسيف والرمح بين الرقيق من احب المهرجانات الى السادة [2]

وقد ادركت الدولة الرومانية اهمية هذه الفئة في حفظ كيان الدولة، فحرمت عـــلى الافـــراد فـــي القانون الروماني ان يعتقوا عبيدهم، وكانت تحكم بالسجن او الـــتعذيب او فـــرض الـــرق على من يضبط متلبساً بجريمة عتق عبد له . وكانت مصادر الرق متنوعة :فكانوا يعدون الامم المغلوبة ارقاء، والذين يولدون من الاماء ارقاء، وكان في القانون مادة بها يجرد الشخص من حريته فيصبح رقيقاً -كعجزه

[1] فريد وجدي، دائرة المعارف، ٢٧٦/٤ ؛العقاد، حقائق الاسلام واباطيل خصومه، ٢١٦-٢١٧.

[2] محمد قطب، شبهات حول الاسلام، ٣٢-٣٣.

عن سداد الدين مثلاً- وكان خطف الاحرار وسرقة الاطفال والنساء، تعد ايضاً من مصادر الرق [1] .

٥- وفي الهند

حيث نظام الطبقات، كان (الشودرا) و (المنبوذون) يمثلان الغالبية العظمى بين السكان الاصليين .هاتان الطبقتان تكونان طبقة العبيد، ويسمون (زنوج الهند). وقــد حرمهم المجتمع الهندوسي حقوق الانسان، فلا يصلحون لغير المهن السافلة. امـــا طبقة (البراهمة فهم محل احترام جميع الالهة، وكل ما في العالم للبرهمي ولا يلحقه ذنب ولو قتل العوالم الثلاثة .ولا يزال النظام الطبقي سائداً في الهند، ويعدونه ابدياً، وكلها تقدس البقرة معبوداً [2]

٦- وماذا صنعت اوربا الحديثة للرقيق ؟

ان اوربـــا لاتعـــرف الدين الا سبيلاً لاشباع آثامها، ولا الاخلاق الا وسيلة لارضاء اطماعها، يحكمها في كل ذلك المبدأ (الميكافيللي)((الغاية تبرر الوسيلة)). عـــندما اتصـــلت اوربا بافريقيا السوداء، كان هذا الاتصال مأساة انسانية، عرضت الزنوج لبلاء هائل طوال خمسة قرون، تسابقت عليهم اسبانيا والبرتغال وبريطانيا[3] وكـــانت الملكة (اليزابيث الاولى)تشارك فيها، وقد حكمت بريطانيا من (١٥٥٨م-

---

[1] فريد وجدي، المصدر السابق، ٢٧٦/٤ ؛المطيعي، محمد نجيب، تعليق له على :المجموع شرح المهذب للنووي، كتاب العتق، مطبعة الامام، ج١٥ (مصر، بلا) ص١٥٩

[2] يقـــول(المهاتما غاندي): ((وامي البقرة تفضل امي الحقيقية من عدة وجوه -ويذكرها ثم يقول: انا لا اقول هذا لاقلل مـــن قـــيمة الام، ولكـــن لابين السبب الذي دعاني لعبادة البقرة)) انظر : شلبي، احمد، مقارنة الاديان والاستشراق، مطبوعات معهد الدراسات الاسلامية (مصر، بلا) ص٢٣٧ و ٢٣٨ و ٢٤٨ و ٢٥٤.

[3] لانهـــا كانت اكبر ملاك الاراضي الجديدة في امريكا.فاما البراءة النسبية للشعوب الاوربية الاخرى، فترجع في الغالب الى ان نصـــيبهم مـــن المغـــريات كان اصغر.كانوا مجتمعات مماثلة لتلك، فلو اتيحت لها ظروف مماثلة لتصرفت تصرفاً ممـــاثلاً.انظر : هــــ. ج.ويلز، معالم تاريخ الانسانية، ترجمة عبد العزيز توفيق، ط٢، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ج٤ (القاهرة، ١٩٦٥م) ص١١٨١.

١٦٠٣م) وكـــانت شريكة لـــ (جونز هوكنز) اعظم نخاس في التاريخ، وقد رفعته الى مرتبة النبلاء اعجاباً ببطولته. ومن المفارقات الطريفة ان السفينة التي أعارتها لــــ (جــون هوكنز) كانت تسمى((يسوع))، وكان مخصصاً للابحار بالرقيق من الموانيء الى مواطن الاستعباد (١٩٢) سفينة تتسع حمولتها في الرحلة والواحـــــدة (٤٧,١٤٦) رقيقـــاً . ويقــــدر مجمـــوع مــــا استولى عليه البريطانيون من الرقيق، واستعبـــدوه في المستعمرات خلال المدة من (١٦٨٠م-١٧٨٦م) بحـــوالــــــــــي (٢,١٣٠،٠٠٠) مليون شخص [١]

((وكان النظام الجديد للاسترقاق اسوأ مما كان عليه في العالم القديم .ومما كـــان فظيعاً مرعباً بوجه خاص ما كانت تؤجه تلك التجارة من حروب لاصطياد الرقيق، وما كان يجري من طراد الانسان في افريقيا الغربية، ومن قساوات الرحلة الطويلة عبر الاطلسي .فان هؤلاء المساكين كانوا يعبأون في السفن وليس معهم في غالب الامر ما يكفيهم من الماء والطعام ودون الرعاية الصحية الواجبة ودون ادوية على الاطلاق)) [٢]

ومن المؤسف ان انكلترا عندما طلبت من رجال الدين مبرراً لهذه التجارة، اســـعفوها بنصوص التوراة التي سبق ان ذكرناها .وقد كان للكنيسة مصلحة مادية فــــي الاعـــتماد على هذا النص التوراتي لتبرير استرقاق الزنوج، فقد اغراها تجار العبيد بالمال، وجعلوا لها رسماً عن كل عبد تعمده، فيتنصر بالتعميد وتطهر روحه مـــن دنـــس اللعنة التي اصابته من دعاء نوح ! ولويس الثالث عشر ملك فرنسا لم

---

[١] محمد الغزالي، حقوق الانسان، ١٢٧.

[٢] ويـــلز، معـــالم تاريخ الانسانية، ١١٨١/٤، ويذكر الغزالي في المصدر السابق، ١٢٦، ان ثلث المصطادين كان يموت بسبب الطقس و ١٦,٥% اثناء الشحن والرحلة، ودخل مستعمرة جامايكا البريطانية وحدها سنة (١٨٢٠م)حوالي (٨٠٠) الف رقيق، ولم يبق منهم سوى (٣٤٠) الف في السنة ذاتها !!

يصـــدر قــراراً باسترقاق الزنوج الا بعد ان اوحت له الكنيسة انه الطريق السليم لهدايتهم للمسيحية [1]

التشريع الاوربي والرق

ظـــل الاسترقاق قائماً في الدول الاوربية يقره القانون ويحميه حتى اواخر القـــرن التاسع عشر .وقد كان القانون الذي شرع لتفصيل احوال الارقاء يدعى في كل امة من الامم المعاصرة بالقانون الاسود .واول قانون صدر بهذا الخصوص هو قانون ((بترونيا)) الروماني، ومما جاء فيه انه :

((يحرم على السادة الزام العبيد بمقاتلة الوحوش الا باذن القاضي)) .

وكـــان من مقتضى القانون الاسود الفرنسي الذي صدر سنة (١٦٨٥م) ان الـــزنجي اذا اعتدى على احد الاحرار، او ارتكب جريمة السرقة، عوقب بالقتل او بعقـــاب بدنـــي آخر .اما اذا ابق العبد فقد نص القانون :ان الآبق في المرة الاولى والـــثانية، يتحمل عقوبة صلم الاذنين والكي بالحديد المحمى، فاذا ابق الثالثة قتل . وكـــان غير مسموح لذوي الالوان ان يحضروا الى فرنسا لطلب العلم والاستفادة . وقـــد دام الحـــال على هذا في فرنسا حتى ظهرت ثورة سنة ١٨٤٨م .[2] ومن قبل يفلسف مونتسيكو (ت، ١٧٥٥م) استعباد الزنوج فيقول [3]: ((انه لنا حقاً مكتسباً في اخذ الزنوج خدماً وعبيداً وان الشعوب الاوربية التي افنت سكان امريكا من الهنود الحمـــر لم يعد امامها الا ان تستعبد شعوب افريقيا لكي تستخدمها في استغلال هذه الاقطـــار الفسيحة، فما هذه الشعوب إلا عناصر سوداء البشرة من قمة الرأس إلى

---

[1] شوقي ابو خليل، موضوعية فيليب حتي، ١٦٠-١٦١.

[2] فريد وجدي، دائرة المعارف، ٢٧٧/٤ ؛محمد الغزالي، حقوق الانسان، ١٢٨.

[3] روح القوانين، ترجمة عادل زعيتر، دار المعارف، ج١، (القاهرة، ١٩٥٣م) ص ٣٥٤.

اخمـــص القـــدم، ولا يمكن ان نتصور ان الله جلت قدرته، وهو ذو الحكمة السابغة يضع روحاً طيبة في مثل هذا الجسم الحالك السواد)).

ولم يكن الانكليز ارأف بالملونين ولا اكثر انسانية من الفرنسيين .فقد كانوا يعدمـــون مـــن ابق اكثر من ستة اشهر، وحرمت عليهم وظائف البيض او التزوج منهم [١] .

وفـــي الولايات الجنوبية بامريكا، كان مقتضى القانون الاسود :ان الحر اذا تزوج بامة صار غير جدير بان يشغل وظيفة في المستعمرات، وان للسيد كل حق عـــلى عـــبده حـــتى حـــق الاستحياء والاماتة، ويجوز للمالك رهن عبده واجارته والمقامـــرة عليه وبيعه ولا يحق للاسود ان يخرج من الغيط (الغابات الخفيفة حيث كـــان يعمـــل ويعيش)) ويطوف بشوارع المدن الا بتصريح قانوني، ولكن اذا اتفق واجتمع في شارع واحد اكثر من سبعة من الارقاء، ولو بتصريح قانوني، كان لكل ابيض القاء القبض عليهم وجلدهم .وصرح القانون ان ليس للعبد لا روح ولا عقل وان حياتهم محصورة في اذرعهم .[٢]

ثم جاء ابراهام لنكولن (ت، ١٨٦٥م) رئيساً للولايات المتحدة الامريكية [٣]، وكتب في صيف سنة (١٨٦٢م) منشوراً بتحرير العبيد –وكانت الحرب الاهلية قد

---

[١] محمد الغزالي، المصدر السابق، ١٢٨.

[٢] فريد وجدي، المصدر السابق، ٢٧٧-٢٧٨.

[٣] انـــتخب لـــنكولن عام ١٨٦١م رئيساً للولايات المتحدة.وقتل عام ١٨٦٥م. واطلق عليه لقب ((محرر العبيد)) ومن الغـــريب انـــه شارك متطوعاً في الحرب ضد الهنود الحمر – اصحاب الارض الحقيقيين في امريكا. وفي السنة الثانية من الحرب الاهلية (١٨٦١م-١٨٦٥م) قررت حكومة لنكولن محاربة الهنود والاستيلاء على اراضيهم عنوة، واستمر القتال قائمـــاً بـــين الطرفين زهاء ربع قرن.وكان من نتيجته اندحار الهنود واستيلاء المزارعين وشركات سكك الحديد على اراضـــيهم، بعد ترحيلهم عنها بصورة قاسية خالية من الرحمة، مما حمل رئيس الولايات المتحدة (روثر فورد هايز) على التصريح في رسالته للكونغرس سنة (١٨٧٧م) قائلاً :((ان الكثير من حروبنا مع الهنود ان لم يكن اكثرها، كانت نتيجة لنقضـــنا عهودنا، او لاعمالنا غير العادلة)). انظر : ويلز، المصدر السابق، ١٣٤٢/٤ ؛ وايضاً :زيادة وفريجي، فرحات وابراهيم، حياة الشعب الامريكي طبعة جامعة برنستون (بيروت، ١٩٤٦م) ص٢٠٦.

اندلعت بين الشمال والجنوب.ولم ينفذ المنشور في الحال، وقلل من قيمته صدوره عن طريق رئيس الجمهورية الذي لا تخوله سلطته الدستورية مثل ذلك، ولم يصبح قانوناً الا في نهاية عام (١٨٦٥م) وبعد التعديل تقرر منح جميع الزنوج الحقوق المدنية، والرجال منهم الحقوق السياسية .فاصبحوا بموجبه يتمتعون بالجنسية الامريكية، وفي عام (١٨٧٠م) اقر لهم الحق في التصويت .

وبمقتضى هذه الاساليب اصبحت ادارة الولايات الجنوبية بيد الزنوج والفقراء من البيض، واستطاع الزنوج لمدة من الزمن السيطرة على عدة مجالس تشريعية في الولايات وانتخاب الممثلين للكونغرس والاستيلاء على الوظائف الدنيا وقامت حكوماتهم بالاعمال العمرانية في بعض النواحي ..ولكن ذلك لم يكن يروق ذوي المكانة العالية من البيض، فاخذوا بالتخلص من هذه الحالة، ولو ادى ذلك الى استعمال العنف والتهديد .وقد اسسوا جمعيات سرية لهذا الغرض .كما استعملوا ايضاً اساليب اخرى سلمية . وساعدهم على ذلك ان الكثيرين من الزنوج تضجروا من ضغط السياسيين من اهل الشمال، وساءهم ان يكونوا من صنائعهم . فاحجموا عن التصويت من تلقاء انفسهم وذهب بعضهم الى ابعد من ذلك، فتبعوا اسيادهم السالفين من البيض .فرجعت سيادة البيض الى تلك الولايات تدريجياً .عندها اعترف ان الغاية من تحرير العبيد لم تتأمن وان مصالحهم اخذت تتراجع ! [1]

لقد اثبتت قضية تحرير الزنوج في الولايات الامريكية، ان العرف يختلف عن القانون ان لم يكن اقوى منه احياناً .فالمساواة المطلقة في مختلف الولايات المتحدة بين البيض والزنوج لاوجود لها في الواقع .والزنوج في مركزهم الاقتصادي يسيرون في المؤخرة، والترابط الاجتماعي بين الجنسين يكاد يكون مفقوداً .وتظهر هذه الامور واضحة في الجنوب حيثما حرم على الزنوج الجلوس

[1] فرحات وفريجي، المصدر السابق، ١٤٧-١٥١ باختصار.

فـــي القطـــارات وسيارات النقل والامكنة العمومية بجانب البيض .فاحياء سكناهم واسواقهم العامة ومعابدهم ومؤسساتهم قامت منفصلة عن مساكن البيض واحيائهم[1]

واذا اضـــفنا الى ذلـــك، ان النصوص القانونية في بعض الولايات تقر هذا الـــتمايز الظالم، وتعترف به، حتى في عصرنا الحاضر، تبين لنا مدى ظلم الانسان لاخيـــه الانســـان، ومدى الجور الذي تقوم عليه مدنية النظام (العالمي) الامريكي ! ومـــن تلك النصوص القانونية ((ان النكاح بين شخصين ابيض وآخر زنجي، يعتبر نكاحاً باطلاً)) وان كانا يحملان الجنسية الامريكية .ومنها ايضاً :((ان كل من يطبع او ينشـــر او يوزع ما فيه دعوة او حث للجمهور على اقرار المساواة الاجتماعية والـــزواج بيـــن الـــبيض والسود او تقديم حجج للجمهور او مجرد اقتراح في هذا السبيل، يعتبر عمله جريمة يعاقب عليها القانون بغرامة لا تتجاوز خمسمائة دولار او بالسجن مدة لا تتجاوز ستة اشهر او بالعقوبتين ..))[2]

ونخـــلص من كل ما ذكرناه، ان قول (فيليب حتي) ((بان الاسلام قد احتفظ بـــنظام الرقيق السامي القديم الذي اقرته التوراة من قبل))[3] كلام بعيد عن الحقيقة، وليس الا تضليلاً وافتراءً للنيل من الشريعة الاسلامية الغراء .

---

[1] م.ن.، ١٥١-١٥٢.

[2] نقلاً عن : زيدان، عبد الكريم، اصول الدعوة، ط٢، مؤسسة الرسالة (بيروت، ١٤٠٧هـــ/١٩٨٧م) ص٤٨-٤٩.

[3] تاريخ العرب، ٣٠٣/١.

الفصل الرابع

افتراءات فيليب حتى على العقيدة الاسلامية والعبادات

اولا : في العقيدة

تمهيد

العقيدة [1] شيء فطري لا ينفك عنه انسان ما، من لدن ان يشب عن الطوق الى ان يفـــارق الحيـــاة الاولى، بل وابعد من ذلك. وهي قوام وجود الانسان العاقل المفكر، وكلما ثبتت اصول العقيدة طاب جناها، وشع سناها.

والعقيدة في دين الاسلام هي اصل اصوله التي تتفرع عنها شرائعه، ونظمه الاجــتماعية وتنبــثق من منبعها آدابه واخلاقياته، وتشرئب اليها انظار المفكرين، أيعرفنا من اسلوب ادائها مقدار ما في هذا الدين القويم من يسر وسماحة تقربانه من القلوب والعقول وتضعانه في مستوى الادراك الانساني من غير تعقيد فلسفي، ولا غموض كهنوتي. [2]

وتتضمن العقيدة الاسلامية معرفة الله سبحانه وتوحيده وتنزيهه، وانه تعالى ارســل من لدنه رسلاً مبشرين ومنذرين، وانه سبحانه جامع الناس ليوم لاريب فيه ليجزي الذين اساءوا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى.

---

[1] العقيـــدة :لغة من عقد الحبل والبيع والعهد ؛ويعقده :يشده ؛والعقد :الضمان والعهد، واصل العقد نقيــض الحــل، ثم اســتعمل في انواع العقود، ومنها استعماله في التصميم والاعتقاد الجازم. انظر: الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت، ٨١٧ هـــ) القاموس المحيط، شرح الهوريني، طبعة دار الفكر ج١ (بيروت، ١٤٠٣هـــ/١٩٨٣م) مادة (عقد) ص٣١٥.

[2] عبد الحميد، د.علي عبد المنعم، العقيدة الاسلامية، بحث في كتاب الثقافة الاسلامية، ط١، مطبوعات جامعـــة الكويـــت (١٤٠٩هـــ/١٩٨٩م) ص١١١ ؛وايضاً :سلطان، د.محمد هشام، العقيدة والفكر الاسلامي، ط١، دار الامان (الرباط، ١٤٠٧هـــ/١٩٨٧م) ص٤٨.

كما تبين عقيدة الاسلام علاقة العبد بربه وخالقه، وعلاقة الانسان بأخيه الانسان وعلاقة الانسان بالكون الذي يعيش فيه، ومن ثم الى الله المصير.

هذه العقيدة في يسرها وبساطتها، وفي شمولها وكمالها، تمنح الانسان تحرراً كاملاً من الخضوع عبادة لغير الله الواحد الاحد، وتمنعه من الاستعباد لاية قوة مخلوقة فكل الكون بما حوى خاضع للانسان ومسخر له. قال تعالى : ((وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعاً منه)) الجاثية، ١٣. وهو -اي الكون- محل بحث الانسان ونظره ودراساته ومهما خفيت عليه الاسرار فهو مكلف بكشفها والوصول الى اعماقها، ليستخدمها فيما يرقى به عقلاً ومعيشة، ويطور حياته الى الافضل دائماً. قال تعالى : ((قل انظروا ماذا في السموات والارض)) يونس، ١٠١. فلا يوجد في تعاليم الاسلام ما يعوق الباحث الخبير من مواصلة بحوثه ودراساته مهما تنوعت، اذ لاخوف على الاسلام عقيدة وشريعة من النظر العقلي والبحث العلمي المجرد. بل يؤكد القرآن الكريم ان نهاية مطاف المفكرين الجادين ان يقولوا: ((ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار)) آل عمران، ١٩١. وفي الوقت الذي يقرر فيه الامام الغزالي (رحمه الله) ان ((العقل مع الشرع نور على نور)) [1] ويزيد ذلك بياناً الامام ابن تيمية في كتابه ((موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول)) [2] نجد مقابل ذلك، الشعار الذي رفعه القديس (اوغسطين)مما يعد شعاراً لكل مسيحي : ((انني اومن بذلك لان ذلك غير معقول))[3].

[1] الغزالي، ابو حامد محمد بن محمد (ت، ٥٠٥ هـ) الاقتصاد في الاعتقاد، ط٢، مطبعة السعادة (مصر، ١٣٢٧هـ) ص٣.

[2] ابن تيمية، احمد بن عبد الحليم (ت، ٧٢٨ هـ) موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ١٩٥١م.

[3] د.عبد الحليم محمود، اوربا والاسلام، ٦٥.

المبحث الاول

الافتراء على اصل الاسلام وتوحيد الله تعالى

ينطـــلق (حتي) في افتراءاته على عقائد الاسلام عامة، من فرضية جعلها محـــور تفكيـــره واساس طعونه. تلك هي ان (الاسلام ليس ديناً مستقلاً. وانما هو بدعـــة نصـــرانية بل هو اقرب الى اليهودية في العهد القديم منه الى النصرانية في الانجيل. وهذه الديانات التوحيدية الثلاث انشأها الساميون)) [1]

فـــاولاً : هـــل ان اليهودية والنصرانية في (العهدين القديم والجديد) المتداولة اليوم يصح ان يطلق عليهما ديانات توحيدية؟!

((ان بني اسرائيل لم يستطيعوا في أي فترة من فترات تاريخهم ان يستقروا عـــلى عـــبادة الله الواحد الذي دعا له الانبياء، وكان اتجاههم الى التجسيم والتعدد والـــنفعية واضحاً. فلم يتخلوا قط عن عبادة العجل التي بقيت تتجدد في حياتهم من حين الى حين [2].

وتقرر التوراة (خروج ٣٢ : ١-٥) ((ولما رأى الشعب ان موسى ابطأ في الـــنزول مـــن الجـــبل اجتمع الشعب على هرون وقالوا له قم اصنع لنا الهة تسير امامـــنا..)) كما يذكر سفر (الملوك الاول ١٢ : ٢٨-٢٩) ان (يربعام بن سليمان): ((عمل عجلي ذهب وقال لهم. هو ذا آلهتك يا اسرائيل ووضع واحداً في بيت إيل وجعل الآخر في دان))

---

[1] تاريخ العرب، ١/١٧٦، وانظر ترجمة محمد مبروك نافع، ط١، مطبعة التفيض، ج١ (بغداد، ١٣٦٥ هـــ-١٩٤٦م) ص١٥٧.

[2] ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة د.زكي نجيب محمود، طبعة دار الجيل، ج٢ (بيروت، ١٤٠٨هـــ/ ١٩٨٨م) ص٣٣٨-٣٣٩.

ومــن تصــوراتهم في الالوهية، ان (يهوه) هو الاله الحق وهو معبود بني اســرائيل فقــط، ولا يســتحق غيــرهم من الاميين ان يكون لهم هذا الاله خالقاً ومعبوداً. وذلك لان بينهم وبين الناس مدى بعيداً. ومن ثم فان (يهوه) الههم وحدهم وهــم ابناؤه، ولا يشاركهم غيرهم في عبادته. والذي يقرأ الاسفار كلها لا يجد فيها ان موسى او بني اسرائيل كانوا مأمورين بدعوة غيرهم الى ديانتهم، والتوراة (تثنية ٢٣ : ٣) تــنص عــلى انه : ((لا يدخل عموني ولا موآبي في جماعة الرب حتى الجيل العاشر، لا يدخل منهم احد في جماعة الرب الى الابد)) ومن هنا عد مؤرخو الاديان ان الديانة اليهودية ديانة مقفلة، كما هي حال الديانة الهندوكية [1].

((ان مسألة الالوهية كلها، سواءً اتجهت للوحدانية او للتعدد، لم تكن عميقة الجـذور فــي نفوس بني اسرائيل، فقد كانت المادية والتطلع الى اسلوب نفعي في الحياة من اكثر ما يشغلهم))[2] والقرآن الكريم يبين نفسية اليهود باوضح بيان. ومن ذلك انهم لم يعرفوا التوحيد معرفة ايمان عميق ولاسلوك وثيق. فهم من اول ابتلاء وايســره، سرعان ما يرجعوا الى ماديتهم الكثيفة ونفسيتهم الخاوية. وهم ايضاً من اجــل الحصول على معونة او طمع دنيوي مستعدون للشهادة بالباطل والتخلي عن الحق ولو على حساب العقيدة !

وفي حقهم نزل قول الله تعالى : ((الم تر الى الذين اوتوا نصيباً من الكتاب يؤمــنون بالجــبت والطــاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا

---

[1] وينقل العقاد عن كتاب ((المطالعات في الاديان العالمية)) :ان الهندوكية هي الديانة القومية العنصرية للهنود، وانها تخصهم وحدهم وتخص بلادهم وحدها، وليس لها مؤسس معين. وكذلك الشنتية هي من هــذا القــبيل ديانة اهل اليابان. كما ان ديانة اليهود ايضاً ذات ارتباط بشعب معين كما يؤخذ من تســميتها باليهودية او العبرية، وهي لهذا تشبه الهندوكية والشنتية في انها ديانة مقفلة لا تتقبل الغرباء وليست من ديانات الدعوة. انظر : ما يقال عن الاسلام، ٤٢-٤٣.

[2] شلبي، مقارنة الاديان، ٦٣.

سبيلاً. اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً)) النساء، ٥١-٥٢. قال ابن اسحاق (ت، ١٥١ هـ) ((انه كان من حديث الخندق ان نفراً من اليهود – بني النضير وبني وائل- خرجوا حتى قدموا على قريش مكة، فدعوهم الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا :انا سنكون معكم عليه حتى نستأصله ؛ فقالت لهم قريش :يا معشر يهود، انكم اهل الكتاب الاول والعلم بما اصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد، افديننا خير ام دينه ؟قالوا :بل دينكم خير من دينه، وانتم اولى بالحق منه. فهم الذين انزل الله تعالى فيهم : ((الم تر الى الذين اوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت)) فلما قالوا ذلك لقريش، سرهم ونشطوا لما دعوهم اليه)) [1] .

وقد علق على هذا الحادث المؤرخ اليهودي (اسرائيل ولفنسون) فقال : ((كان من واجب هؤلاء الا يتورطوا في مثل هذا الخطأ الفاحش، والا يصرحوا امام زعماء قريش ان عبادة الاصنام افضل من التوحيد الاسلامي. وهو اقرب الى عقيدتهم ، ولو ادى بهم الامر الى ان يضحوا بحياتهم وكل عزيز لديهم في سبيل ان يخذلوا المشركين فهم بالتجائهم الى عباد الاوثان انما كانوا يحاربون انفسهم، ويناقضون تعاليم التوراة)) [2]

فهل بعد هذا البيان، يمكن ان تعد اليهودية ديانة توحيد لله رب العالمين ؟!

أيمكن ان يكون توحيداً، ما ورد في سفر (التكوين ٣٢ : ٢٤-٢٩) ؟ ونصه: ((فبقي يعقوب وحده وصارعه انسان حتى طلوع الفجر ولما رأى انه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه فانخلع حُقّ فخذ يعقوب في مصارعته معه وقال اطلقني لانه قد اطلق الفجر فقال لا اطلقك ان لم تباركني. فقال له ما اسمك ؟ فقال:

---

[1] ابن هشام، سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، ٢٢٥/٣.

[2] طنطاوي، د.محمد سيد، بنو اسرائيل في القرآن والسنة، دار حراء، ج١ (القاهرة، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م) ص٣١٢.

يعقـــوب. فقال لا يدعى اسمك في ما بعد يعقوب بل اسرائيل لانك جاهدت مع الله والـــناس وقدرت وسأل يعقوب وقال :اخبرني باسمك. فقال : لماذا تسأل عن اسمي وباركه هناك))

وهل يمكن ان يكون توحيداً ما ذكره السفر نفسه (٢ : ٢) ؟ ونصه :

((وفـــرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله))[1]

وامـــا النصرانية المعروفة الان فهي بالذات دين يختلف عما جاء به عيسى عـــليه السلام، وابعد ما تكون عن توحيد الله سبحانه وتعالى وهي تقوم على فكرة تخـــليص البشـــر مـــن الخطيـــئة بواســـطة عقيـــدة الصلب والفداء وذلك -حسب تصـــوراتهم- ان (آدم) باكلـــه من الشجرة المنهي عنها، صار خاطئاً وصار جميع ذريـــته خاطئين، فاستلزموا العقاب لان من عدل الله الا تمر الجريمة دون عقاب. ولما كان الله رحيماً فان الرحمة تنافي العقوبة. وللخروج من هذا الاشكال، شاء الله ان يحل ابنه (تعالى) الذي هو بنفسه الله في رحم امرأة من ذرية دم، فيكون انساناً كـــاملاً والهاً كاملاً في آن واحد. وبعد ان يعيش يصلب ليفدي البشر من جريمة لم يقترفها هو ولا هم فهل هذا توحيد لله وتنزيه له ؟! (المنار ٦/٢٥)

ان هـــذا التثليث (الاب والابن وروح القدس) اصبح العقيدة الرسمية للديانة المسيحية منذ سنة (٣٢٥م) حيث دعا الامبراطور قسطنطين (ت، ٣٣٧م) إلى عقد مؤتمـــر يضـــع حـــداً حول حقيقة المسيح، فانعقد في (نيقية) وحضره جلة العلماء المســـيحيين مـــن كـــل البقاع وعددهم (٢٠٤٨) عالماً وجمهورهم يدين بالمسيحية الحقيقية. ولكن حاشية الامبراطور، وهي اوربية، لم تكن تعرف من المسيحية الا ما

---

[1] والقرآن ينزه الله سبحانه وتعالى ((ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب)) ق، ٣٨.

كانت من تراث (بولس) اليهودي الذي حرف الديانة المسيحية وجاء بفكرة (الابن)، ولذلك رأت هذه الحاشية ان اتجاه الاغلبية من حاضري المؤتمر يتعارض مع الاتجاه الرسمي، ومع معلوماتهم عن المسيحية، وعدوا ذلك انحرافاً، فاثاروا الامبراطور، فاصدر امره باخراج الرؤساء الروحانيين الموحدين ونفي الكثيرين منهم، ثم امر بعقد المؤتمر من جديد، فحضره الاعضاء الذين كانوا يعتنقون مذهب بولس المحرف، وكان عددهم (٣١٨)، واتخذ هؤلاء قراراً بالوهية المسيح، وتدمير كل الوثائق التي تخالف هذا القرار.

وتبعاً لذلك اختفت المسيحية الحقيقية رويداً رويداً، واختفت كذلك الاناجيل الصحيحة، ولم يبق من المصادر المسيحية الا ما يؤيد عقيدة التثليث [١].

فهل امست النصرانية بعد هذا التحريف ديانة توحيدية ؟!

ثانياً : قول (حتي) ان الديانات التوحيدية الثلاث انشأها الساميون. فهل هذا قول من يؤمن بالله وكتبه ورسله ؟! هل الديانات السماوية انشأها البشر - والساميون بصورة خاصة ؟ ولماذا اختص الساميون بانشائها، وهم ليسوا من اصحاب التفكير الفلسفي والادراك المركب كما هو شأن الاوربيين ذوي الجنس الابيض والعنصر الآري كما ادعاه (رينان) الفرنسي وغيره [٢].

---

[١] شلبي، مقارنة الاديان، ٨٠ ؛ويرى البعض ان التثليث قد تسرب الى المسيحية من معتقدات هندية. ففي حوالي القرن التاسع قبل الميلاد وصل فكر الكهنة الهنود الى اطلاق ثلاثة اسماء على الهم الواحد : فهو (براهما) لانه موجد، وهو (فشنو) لانه حافظ، وهو (سيفا) من حيث هو مهلك. .وهكذا فتح الكهنة الهنود الباب للمسيحيين فيما يسمى تثليث في وحدة، ووحدة في تثليث. انظر :م. ن، ٢٤٢-٢٤٤ ؛وايضاً :التنير، محمد طاهر، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، نشره محمد بن ابراهيم الشيباني، ط، مكتبة ابن تيمية (الكويت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م) ص٤٦.

[٢] وقال (رينان) :ان الحضارة العربية الاسلامية حضارة سطحية وما فيها من ظواهر حضارية ترجع الى عقلية آرية وانتاج غير سامي. انظر : الجندي، الاسلام والثقافة العربية، ٢٤٠.

ان الغـــرب يدين اليوم بدين شرقي، بشر به نبي عاش في فلسطين، كما ان قبلتهم ومقدساتهم تقع في بلاد الشرق التي يتهم اهلها بان عقليتهم سامية قاصرة عن الابـــداع وعاجزة عن استنتاج المعاني المجردة، وغير قادرة على تجاوز الجزئيات المحسوسة !![1]

ثالـــثاً : ((واما ان الاسلام ليس ديناً مستقلاً. وانما هو بدعة نصرانية او هو اقرب الى اليهوديـــة[2]. .لاواصـــر الشـــبه الشديدة مع كليهما. .))فان (حتي) يجعل اليهوديـــة هـــي مصـــدر العقـــائد والعبادات لبقية الاديان. وان اليهود ليسوا مسبوقين برسالة سماوية. وهذا خطأ عقائدي وتاريخي في آن واحد.

فان الامم جميعاً، ما كانت لتتركها عناية الله هملاً بلا ارشاد وتهذيب. قال تعـــالى ((وان من امة الا خلا فيها نذير))فاطر، ٢٤. اللهم الا اذا اعتقد (حتّي) ان اليهود هم اول خلق الله تعالى !كما اعتقد من قبل ان ليس قبل التوراة كتاب !!

ولقـــد نعى القرآن الكريم على اصحاب هذا المنطق المعوج فقال ((يا اهل الكـــتاب لـــم تحـــاجون فـــي ابراهيم وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده افلا تعقـــلون)) آل عمران، ٦٥. وجاء في تفسيرها : ((ينكر تبارك وتعالى على اليهود

---

[1] يقول (وليم درابر) في كتابه ((النزاع بين العلم والدين)) : ((اما تفوقهم (اي العرب) في العلوم فكان ناشئاً من الاسلوب الذي توخوه في المباحث. لقد تحقق العرب ان الاسلوب العقلي النظري لا يؤدى الى الـــتقدم فابدعوا الاسلوب التجريبي والدستور العلمي الحسي فسبقوا بذلك (بيكون) بزمن طويل. ولا يـــنكر ان هذا المبدأ (التأمل والتنقيب) مبدأ يتفرع من الاسلام نفسه في نظرته الى الحياة والكون. نقلاً عن الجندي، م. ن ٢٤٢ و ٢٥٠ .

[2] قـــال تعـــالى : ((لتجدنّ أشدَّ الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ولتجدن اقربهم مودة لـــلذين آمنوا الذي قالوا انا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وانهم لا يستكبرون واذا سمعوا ما انـــزل الى الرســـول تـــرى اعيـــنهم تفيض من الدمع بما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين)) المائدة ٨٢-٨٣.

والنصارى في محاجتهم في ابراهيم الخليل عليه السلام ودعوى كل طائفة انه كان منهم فقالت الاحبار ما كان ابراهيم الا يهودياً وقالت النصارى ما كان ابراهيم الا نصرانياً، فانزل الله تعالى ((يا اهل الكتاب لم تحاجون..)) أي كيف تدعون ايها اليهود انه كان يهوديا وقد كان زمنه قبل ان ينزل الله التوراة على موسى، وكيف تدعون ايها النصارى انه كان نصرانياً وانما حدثت النصرانية بعد زمنه بدهر. ولهذا قال تعالى افلا تعقلون)) [1]

ثم ما هي اوجه الشبه بين الاسلام واليهودية او النصرانية ؟

ان الله سبحانه في الاسلام رب العالمين، وهو في اليهودية اله (الشعب المختار) فقط !! والنبوة في الاسلام تربية للضمير وتحرير للعقل والاقناع بالبينة والبرهان، وهي في اليهودية صناعة خوارق واذعان العقل لها. والاسلام هو الوحيد الذي الغى الوساطة بين العبد وربه لأنها تضعف الشعور بالمسؤولية ((كل امريء بما كسب رهين)) الطور ٢١.في حين ان اليهودية والنصرانية جاءت بتكريس الوساطة بين العبد والرب، واقرت ان الحساب ياخذ الابناء بذنب الآباء بل ان الانسان يولد حاملاً اثم خطيئة آدم والتي كفرها المسيح عليه السلام عندما قدم للصلب !

فكيف يجوز اذن بعد هذا التباين البعيد ان يقال ان الاسلام ليس ديناً مستقلاً او انه استقى عقائده ممن سبقه من الديانات الاخرى ؟! [2]

---

[1] ابن كثير، التفسير، ١/٣٧٢.

[2] قد يكون هناك تشابه بين تعاليم الاسلام والديانات السماوية الاولى، ولا غرابة في ذلك فالله الواحد مصدر كل هذه التعاليم، واصول الحق لا تختلف. ولكن هذا لا يعني ان الاسلام قلد غيره. بل يعني هذا ضرورة ان المصدر واحد، وان انبياء الله اخوة يصدق بعضهم بعضاً. اما اتباع الرسل فقد ينحرفون فياتي الوحي الالهي ليردهم الى الحق. انظر : العقاد، ما يقال عن الاسلام، ٥٦ ؛ وايضاً محمد الغزالي، دفاع عن العقيدة والشريعة، ٩١-٩٢.

لقد امتاز دين الاسلام – فضلاً عما ذكرناه- بميزة جوهرية تنأى به ان يكون مماثلاً لاي من هذه الديانات الممسوخة. وعنها يتحدث (روجيه غارودي) الفيلسوف الفرنسي الذي اسلم فيما بعد، فيقول: ((ان الاسلام لا يشبه أي دين آخر في طبيعته، فهو دين الحركة والكفاح والثورة، وهو الدين الذي دفع المسلمين قاطبة لرفض الاستعمار والاستغلال، وهو دين لا يهادن الظلم والظالمين.ولم يكن اداة بين الطبقة المستغلة على مدار التاريخ، وانما كان دائماً بجانب المظلومين والمستغلين.. ولو ان (ماركس) اطلع على الاسلام لبدل رأيه، حيث انه لم يستنبط آراءه الا من تاريخ اوربا في عصر سيطرة الكنيسة على الحياة)) [1].

ويظهر البون شاسعاً بين الاسلام وغيره فيما قاله ايضاً(جان جاك روسو) فيلسوف الاجتماع الشهير،عندما يتحدث عن المسيحية-وهوالمسيحي- فيقول ((ان المسيحية لا تبشر الا بالعبودية والتبعية. وروحها ملائمة الى ابعد حد للطغيان، ولو انه لا يستغلها دائماً. فان المسيحيين الحقيقيين جبلوا ليكونوا عبيداً؛ وهم يعرفون ذلك ونادراً ما يقلقون له. فهذه الحياة القصيرة قيمتها طفيفة جدا في نظرهم)) [2].

ان (برناردشو) الفيلسوف الانكليزي حين تنبأ بان اوربا لابد ان تتحول الى الاسلام –وكان قصد انه لا حل لمشاكل الانسانية الا في الاسلام –لم يكن حين قال ذلك جاهلاً بالمسيحية او باليهودية ؛وكذلك لم يكن اجيراً للمسلمين ؛ وانما كان كاتباً حراً عالماً بان الاسلام هو المنقذ للبشرية، وان غيره من الديانات والفلسفات قد استنفدت اغراضها. وهذا دليل عميق بان الاسلام هو المهيمن المتفرد على جميع ما سبقه من العقائد والافكار [3].

---

[1] نقلا عن، عبد الحميد، د.محسن، حركة الاسلام ومفكرو الغرب، طبعة الدار العربية (بغداد، ١٣٩٤ هـ/١٩٧٦م) ص٧-٨.

[2] في العقد الاجتماعي،ترجمة ذوقان قرقوط، ط١،مكتبة النهضة (بغداد، ١٩٨٣م) ص٢١٠

[3] د. محسن عبد الحميد، حركة الاسلام ومفكرو الغرب، ٢٢.

ويقــارن المستشــرق الكندي المعاصر (ولفرد كانتول سميث) بين الاسلام والنصرانية فيقول : ((ان النصرانية ارجأت تحقيق ملكوت الرب - نظامه المثالي- الى الآخــرة، عــلى اعتــبار انه مستحيل التحقيق في الدنيا، لان الانسان خاطيء بطــبعه. .اما الاسلام فقد اعتبر تحقيق ذلك مهمة الانسان في الدنيا لا في الآخرة. ولذلــك يســعى المسلمون دائماً الى محاولة تطبيقه، والى تقويم عجلة التاريخ كلما انحــرفت، ولو ضحوا بانفسهم، ومن ثم فان التضحية (يعني الجهاد) في الاسلام له حصــيلة ايجابيــة ؛بينما التضحية في النصرانية ذات مفهوم سلبي، مؤداه ان يقف النصــراني امام عجلة التاريخ المنحرفة لا ليقومها، ولكن لتدوسه وهو واقف مكانه ويكون ذلك اغلى قربان يتقدم به الى الله))[1]

ويــتحدث (د.مــايكل هــارث) عن افكار المسيحية فيقول : ((ومع ان هذه الافكار هي من الافكار المثالية العالية التي عرفها البشر، الا انها ليست متبعة بشكل واســع علمياً، وحتى انها غير مقبولة اصلاً. فالمسيحيون يعتقدون ان هذه المباديء هــي مباديء مثالية لا تصلح لقيادة سكان هذه الارض التي نعيش عليها. فنحن لا نمارســها، ولا ننــتظر من أي انسان ان يمارسها، ولا نعلم اطفالنا ان يمارسوها. فالتعاليم المميزة للمسيح تبقى تعاليم آسرة، ولكنها اساسياً اقتراحات غير مجربة))[2].

وبعد، فان مقولة (حتي) عن مشابهة الاسلام لليهودية او النصرانية، كانت وما زالت يعوزها الدليل وتفتقر الى البرهان.

---

[1] الاسلام في التاريخ الحديث، ط٤(اكسفورد ١٩٦٦م) ص٩ من الاصل الانكليزي. نقلاً عن: محمد قطب، كيف نكتب التاريخ الاسلامي، ١٠٢ ؛الجندي، الاسلام والثقافة العربية، ٣٩٨

[2] هارث، د.مايكل، الاوائل في التاريخ، ترجمة خالد اسعد عيسى واحمد غسان، دار قتيبة (بلا) ص٢.

المبحث الثاني

الافتراء على صفات الله تعالى في الاسلام

قال تعالى : ((ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها)) الاعراف، ١٨٠.

لقد اخبر الله تعالى عن نفسه في القرآن ليعرفه عباده ويتقربون اليه باسمائه وصفاته. وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((ان لله تسعة وتسعين اسماً، مائة الا واحداً من احصاها دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر)) [١]، وفي الحديث ايضاً : ((تخلقوا باخلاق الله)) [٢] والمسلم يكرر في صلاته اليومية ((الرحمن الرحيم)) سبع عشرة مرة ؛فلا بد ان يتصف بخلق الرحمة [٣].

واذا قال الله تعالى : ((يحبهم ويحبونه)) النساء، ٥٤ ؛ فلا جرم ان يتسع قلب المسلم لمن يحبهم الله. واذا قال تعالى : ((ومن اوفى بعهده من الله)) التوبة، ١١١، فلا ينبغي ان تجد المسلم الا وفياً بعهده [٤] واذا قرأ المسلم : ((ان الله لقوي

---

[١] البخاري، الصحيح ٣/٢٥٩

[٢] الغزالي، محمد بن محمد، ابو حامد (ت، ٥٠٥هـ) احياء علوم الدين بتخريج الحافظ العراقي، ط٣، دار القلم، ج٥ (بيروت، بلا) ص ٥١ بلفظ ((حسن الخلق خلق الله الاعظم)) قال العراقي : اخرجه الطبراني بسند ضعيف.

[٣] قال الامام الغزالي(ت، ٥٠٥هـ) ((حظ العبد من اسم الرحمن ان يرحم عباد الله الغافلين، فيصرفهم عن طريق الغفلة الى الله بالوعظ والنصح، بطريق اللطف دون العنف، وان ينظر الى العَصاة بعين الرحمة، لا يعين الايذاء. وحظه من اسم الرحيم ان لا يدع فاقة لمحتاج الا يسدها بقدر طاقته. اما بماله او جاهه، او السعي في حقه بالشفاعة الى غيره. فان عجز عن جميع ذلك، فيعينه بالدعاء واظهار الحزن حتى كأنه مساهم له في ضره وحاجته. انظر كتابه: المقصد الاسنى شرح اسماء الله الحسنى، ط٢، مطبعة السعادة (القاهرة، ١٣٢٤هـ) ص٢٦.

[٤] حتى قال الفقهاء : ((ان الاسير المسلم اذا خلاه الكفار واستحلفوه على ان يبعث اليهم بفدائه او يعود اليهم لزمه اداؤه ما لم يكونوا اكرهوه بالعذاب)) لقوله تعالى : ((واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم))

عزيز)) الحج ٧٤، فعليه ان يكون قوياً عزيزاً يرفض الذل والمهانة. وهكذا يعرف المسلم ربه بصفاته واسمائه، فيكون عبداً ربانياً، ولا تكون عبودية لله الا بكمال التعظيم والخضوع لله مع كمال المحبة له. والقلب لا يفلح ولا يصلح ولا ينعم ولا يبتهج ولا يطمئن الا بعبادة ربه وحبه، وكلما تمكنت محبة الله من القلب، وقويت فيه، اخرجت منه عبوديته لما سواه، ولن يخلص القلب من آلام الدنيا ونكد عيشها الا باخلاص الحب لله [1]

وقال تعالى : ((والذين آمنوا اشد حباً لله)) البقرة، ١٦٥، وفي تفسيرها يقول سيد قطب رحمه الله (ان المؤمنين لا يحبون شيئاً حبهم لله. لا انفسهم ولا سواهم . . وهم اشد حباً لله حباً مطلقاً من كل موازنة ومن كل قيد . . والتعبير هنا بالحب تعبير جميل، فوق انه تعبير صادق. فالصلة بين المؤمن الحق وبين الله هي صلة الحب. صلة الوشيجة القلبية، والتجاذب الروحي. صلة المودة والقربى. صلة الوجدان المشدود بعاطفة الحب المشرق الودود))[2]

وقال تعالى : ((وهو الغفور الودود) البروج، ١٤. وهذه الصفات العلوية من المحبة والود والمغفرة جعلها الله مكافأة لمن يجد في طلبها، ويسعى باخلاص في سبيلها، فقال تعالى : ((والله يحب المحسنين)) ال عمران، ١٣٤ و ((والله يحب الصابرين))ال عمران، ١٤٦ و ((ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين)) البقرة، ٢٢٢ و ((ان الله يحب المتقين)) التوبة، ٤.

ولقوله صلى الله عليه وسلم ((انا لا يصلح في ديننا الغدر)) انظر : ابن قدامة، موفق الدين عبد الله بن احمد بن محمود (ت، ٦٣٠هـ) المغني، طبعة دار الكتب العلمية، ج١٠ (بيروت، بلا) ص٥٤٨ ؛ عبد الكريم زيدان، اصول الدعوة، ٩١.

[1] ابن تيمية، تقي الدين احمد بن عبد الحليم (ت، ٧٢٨هـ)، العبودية، ط ، دار ( ) ص ٧٢.

[2] في ظلال القرآن، ٢١٦/١-٢١٧.

((ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص)) الصف، ٤.

هذه هي طبيعة الصلة بين الخالق والمخلوق في دين الاسلام، وهي ايضاً كذلك في الاديان الحقة منذ بدئت الى ان ختمت. بيد ان نفراً من المفترين يرغبون في تشويه الحق فيعمدون الى قلب الصورة الناصعة ويلبسون الحق بالباطل، ومن ذلك قول (حتي) : ((وصفات الحب في الله تتضاءل امام صفات القوة))[1] ويؤكد ثانية : ((ان القدرة والجلال في الله تعالى ابرز في القرآن الكريم من الاسماء الحسنى المتصلة بالمحبة))[2]. و (حتي) يريد بهذا ان اله المسلمين جبار عنيف يرهبه المسلمون فيذلون له. وعكس هذا صورة الاله في الديانة المسيحية حيث تقوم

---

[1] تاريخ العرب، ١/١٧٧.

[2] الاسلام منهج حياة، ٧٠. قلت : من يطالع آيات القرآن الكريم ويتدبرها، يجد فيها من صفات الرحمة والمغفرة ما يربو بكثير على صفات القدرة والجلال – خلافاً لما ذكره (حتي). وفيما ياتي بيان لذلك :

١- صفات الرحمة والمغفرة :الاكرم وردت مرة واحدة ؛البر، ١ ؛التواب، ١١ ؛ الحليم، ١١ ؛ الرحمن، ١٦٩ ؛ الرحيم، ٢٢٧ ؛السلام، ١ ؛شاكر، ٢ ؛شكور، ٤ ؛ العفو، ٥ ؛ غافر، ١ ؛ الغفار، ٥ ؛ الغفور، ٩١ ؛ القريب، ٣ ؛ الكريم، ٣ ؛ المجيب، ١ ؛ المؤمن، ١ ؛الودود، ٢ ؛الوهاب، ٣. ويبلغ مجموع ورودها (٥٤٢) مرة. واما صفات القدرة والجلال والعظمة، فيبلغ عدد ورودها (١٩٥) مرة وكالآتي :

صفات القدرة والقوة :فعال لما يريد، وردت مرة واحدة ؛القادر، ١٢ ؛القدير، ٤٥ ؛القوي، ٩ ؛ المتين، ١.

صفات الجلال والعظمة : الاعلى، ٢ ؛ الجبار، ١ ؛ العزيز، ٩٠ ؛ العظيم، ٦ ؛ العلي، ٨ ؛ القاهر، ٢ ؛ القدوس، ٢ ؛القهار، ٦ ؛الكبير، ٥ ؛ المتعال، ١ ؛المتكبر، ١ ؛ المجيد، ٢ ؛ المهيمن، ١.

انظر : عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم، طبعة الشعب (القاهرة، ١٣٧٨ هـ) ؛ وايضاً :الكبيسي، د.محمد عياش، العقيدة الاسلامية في القرآن الكريم ومناهج المتكلمين، ط١، مطبعة الحسام (بغداد ١٤١٦هـ/١٩٩٥م) ص١١٧-١١٨.

الصلة بينه وبين عباده على المودة والحب المتبادل، بل انه يرسل ابنه الوحيد ليصلب فداءً لآثامهم !

ان المسلم يعلم من صفات الله تعالى انه واسع المغفرة، وانه قريب من عباده،وانه معهم بعلمه وتوفيقه وهو سبحانه يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ((نبيء عبادي اني انا الغفور الرحيم. وان عذابي هو العذاب الاليم)) الحجر ٤٩-٥٠. ويامر نبيه ان ((واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة)) الانعام، ٥٤. وانه سبحانه هو (غافر الذنب وقابل التوب))غافر، ٣. و (يغفر الذنوب جميعاً)) الزمر، ٥٣. وهذه الآيات جميعها مكية. واما في العهد المدني فيكفينا ان نقرأ اواخر سورة الحشر -وتسمى ايضاً سورة بني النضير- وهي مدنية بلا خلاف [1] . قال تعالى : ((هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم، هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون. هو الله الخالق الباريء المصور له الاسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم)) الحشر، ٢٢-٢٤.

((لقد جاءت هذه الاسماء متناسبة مع وظيفة الانسان على هذه الارض، فهو مستخلف اجير، وهذا الاجير بحاجة الى ان يعرف من هو مالك هذه الارض - ميدان عمله- وما هو اسمه الذي يناديه به، وبحاجة الى ان يعلم ان الذي استأجره عالم به حتى لا يغش ولا يخادع، وانه قادر عليه حتى لا يستهين، وانه رحيم به حتى لا ييأس ولا يقنط. وليس هذا بحثاً نظرياً فلسفياً، وانما هو واقع عملي يتطلبه واقع الانسان على هذه الارض))[2]. وبهذا يعيش المسلم واقعه بين الخوف والرجاء،

---

[1] الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله (ت، ١٢٧٠هـ) روح المعاني، طبعة دار الفكر، ج١٤ (بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م) ص٣٨.

[2] د.محمد عياش الكبيسي، العقيدة الاسلامية في القرآن الكريم ومناهج المتكلمين، ١١٩.

اذ الخـــوف سوط قاطع والرجاء شوق دافع، فيستقيم سلوك المسلم في دنياه فيسعد، وتحسن خاتمته في اخراه فينعم.

واما فـــي غير الاسلام فان تصور الالوهية يقوم على القسوة والوحشية، وهذا ما ينسبه العهد القديم الى (يهوه) اله بني اسرائيل، ويصور بأنه اله قاس مدمر متعصب لشعبه لانه ليس اله كل الشعوب بل اله بني اسرائيل فقط، وهو لذلك عدو للالهـــة الآخـــرين كمـــا ان شعبه عدو للشعوب الاخرى. والرب عند اليهود يامر بالسرقة، وكثيراً ما يقع في الخطأ، ثم يندم على اخطائه، ومن اشنعها خلقه للانسان[1] ((ولا ريـــب ان عيســـى عـــليه السلام جاء ليخفف من حدة القسوة التي كان الناس ينســـبونها الى مقـــام الالوهيـــة. فكان يسمى الله اباه، ليشعرهم بان العلاقة بين الله وعـــباده تشبه علاقة الوالد بولده، ولكن هذه الفكرة الجميلة افسدها رجال الكنيسة، فجعـــلوا الاب الودود ابا غاضباً حانقاً لا يعفو عمن اساء، ولا يفترق في شيء عن الـــه اليهـــود الذي لا يرحم ولا يلين. واضفى النصارى على ((الاب)) في السماء صـــفات المألوهـــات الوثنية فشبهوه بـــ ((زيوس)) الذي كان يرسل ابناءه لتسفك دماؤهم تكفيراً عن خطايا غيرهم.

هـــذه الفكرة لم تشوه جمال الرسالة التي جاء بها عيسى فحسب، بل اعطت صـــورة شـــائنة عـــن الابوة. اب لا يعفو عمن اساء اليه، ولكن يقتل افضل ابنائه ليخـــلّص غيره من ابنائه الاشرار. واما محمد صلى الله عليه وسلم فيعطينا صورة عن الالوهية، تفوق كل ما تقدمها جلالاً وجمالاً، فإله محمد هو الله ((رب العالمين الـــرحمن الرحيم. مالك يوم الدين))وفي هذه الصفات الاربع تتلخص سائر الصفات المذكورة في القرآن))[2].

[1] ديورانت، قصة الحضارة، ٢/٣٣٨-٣٣٩ ؛شلبي مقارنة الاديان، ٤٨.

[2] خ. كمـــال الديـــن، المثل الاعلى في الانبياء، ١٣٦-١٣٧. نقلاً عن الجبري، السيرة النبوية واوهام المستشرقين، ١١٤.

ثانيا : وفي العبادات

تمهيد :

العبادة[1] حق الخالق سبحانه على عباده، وهي الغاية التي خلقوا من اجلها حيث يقول تعالى: ((وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون)) الذاريات، ٥٦ كما انها العهد القديم الذي اخذه الله على بني الانسان، وسجله بقلم القدرة في فطرهم البشرية، وغرسه في طبائعهم الاصيلة، فقال تعالى : ((الم اعهد اليكم يابني آدم الا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين. وان اعبدوني هذا صراط مستقيم)) يس، ٦٠-٦١.

فلا غرابة ان يكون المقصود الاعظم من ارسال المرسلين، وانزال الكتب السماوية، هو تذكير الناس بهذا العهد القديم وازالة الران عن معدن الفطرة بسبب من غفلة او نسيان. ولا غرابة ايضاً ان تكون بداية كل رسول مع قومه ((يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره..))الاعراف، ٥٩ ؛ وكما قال تعالى: ((ولقد بعثنا في كل امة رسولاً ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت)) النحل، ٣٦. والى هذه الغاية دعا جميع الانبياء اقوامهم من لدن نوح عليه السلام والى خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم.

والاديان السماوية تتفق في اصولها ومقاصدها، وان اختلفت في شرائع احكامها. قال تعالى: ((شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه)) الشورى،١٣.

---

[1] العبادة هي الطاعة واصلها الخضوع والذل، و (التعبيد) التذليل يقال طريق (معبد) أي مذلل وطأته الاقدام. و (التعبد) التنسك. انظر :مختار الصحاح، مادة (ع ب د) ص٣٠٥.

قال ابن كثير : ((ذكر اول الرسل بعد آدم عليه السلام وهو نوح عليه السلام وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم.. والدين الذي جاءت به الرسل كلهم هو عبادة الله وحده لا شريك له، وان اختلفت شرائعهم ومناهجهم))[1] فالتوحيد -اي افراد الله تعالى بالعبادة، هو جوهر كل رسالة الهية والعبادات وان تنوعت صورها ومبانيها، لكنها واحدة في مقاصدها ومعانيها فالدعاء والصلاة والزكاة والصيام وذكر الله تعالى هي من العبادات، تعددت في صورتها، واتفقت في غايتها، والتي هي تقوى الله سبحانه والتقرب منه بالمحبة، والتذلل له بالطاعة[2]. وليس ثمة دين من الاديان الا وتضمن هذه العبادات وامر بها، ودعا الى عقيدة التوحيد، وارشد الى السلوك الحميد. والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : ((نحن معاشر الانبياء ابناء علات ديننا واحد))[3].

ولما كان الاسلام خاتمة الرسالات السماوية، فقد جاء بالعبادات صافية من كل شائبة علقت بها، خلال تطاول الازمان، او من جراء تلاعب القسس والرهبان بالزيادة فيها او بالنقصان. فاعادها الاسلام بيضاء نقية، وحررها من رق الكهنوت، فلم يعد الانسان بحاجة الى وساطتهم[4]، وحررها ايضاً من قيود المكان، فلا يشترط لها كنيس ولا هيكل[5]. واقامها على الاعتدال بين مطالب الجسد واشواق الروح[1]، كما بناها على اليسر ورفع الحرج[2]، فضلاً عن توسيع دائرتها[3].

---

[1] تفسير ابن كثير، ١٠٩/٤.

[2] ابن تيمية، تقي الدين احمد عبد الحليم (ت، ٧٢٨ هـ) العبودية.

[3] مسلم، الصحيح، ٣٤١/٢ و(علات) اولاد الرجل من نسوة شتى. انظر مختار الصحاح مادة (ع ل ل) ص٣٣٤.

[4] قال تعالى: ((واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان)) البقرة، ١٨٦ وقال تعالى مخاطباً نبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ((قل لا املك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله)) الاعراف ١٨٨.

[5] قال تعالى: ((ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله))البقرة، ١١٥.

هـــذه هـــي عبادة الاسلام في اصولها ومنهجها :مع التكليف تخفيف، ومع المظهـــرية صدق النية، انها حاجة البشرية الخالدة في امسها وحاضرها ومستقبلها ((ان الناس في حاجة الى دين، ولكنهم يريدون من هذا الدين، في الوقت نفسه، ان يلـــبي حاجـــاتهم، وان لا يكـــون قريباً الى عواطفهم فقط بل ان يقدم اليهم، ايضاً، الطمأنيـــنة والسلامة في هذه الحياة الحاضرة، وفي الحياة الآخرة معاً. والواقع ان الاســـلام يفي بهذه المطالب على الوجه الاكمل، لانه ليس مجرد عقيدة ولكنه –الى ذلك ايضاً– فلسفة حياة.

انـــه يعـــلم التفكير الصائب، والعمل الصالح، والكلام الصادق، وهو لهذه الاسباب يتخذ سبيله الى عقل الانسان وقلبه في غير عسر))[٤].

اما نظرة (حتي) الى العبادات لا تختلف بشيء عن مجمل نظرته الى بقية معـــالم الاسلام، فالعبادات جميعها في نظره من صلاة وصيام وزكاة وحج، مستقاة مـــن اصـــول يهودية او نصرانية او حتى وثنية وذلك لانه جعل اليهودية مصدراً لباقي الديانات اللاحقة، والسابق في التاريخ –باعتقاد حتي– اولى بالتأثير فيما يليه، وليـــس هذا بالصواب في كل باب. والواجب يقتضي من الباحث –وهو يقارن بين الاديـــان بوجـــه عام وبين الاسلام واليهودية على الخصوص– ان يقوم بحثه على دراســـة الموضوع والامة لا على دراسة الرقم التاريخي وحده والوقوف لديه بعيداً

ويقول صلى الله عليه وسلم ((وجعلت لي الارض مسجداً وطهوراً، فايما رجل من امتي ادركته الصلاة فليصل)) البخاري ٨٧/١ كتاب التيمم.

[١] قال تعالى : ((وابتغ مما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا)) القصص،٧٧. وقال ايضا: ((فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله)) الجمعة،١٠

[٢] قال تعالى : ((يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر))البقرة، ١٨٥.

[٣] القرضـــاوي، يوســـف، العـــبادة في الاسلام، دار الجميع، (القاهرة، بلا) فصل (هدي الاسلام في العبادة).

[٤] فاغليري، دفاع عن الاسلام، ٩٠.

مـــن موضوعه ومن اهله. ولا يتم هذا البحث الا اذا تناول اصالة اليهود فيما نقلوه مـــن العقـــائد والاخبار، ثم تناول السبق عامة ولم يتناوله من ناحية واحدة، وتناول جوهـــر الدين ولم يقنع منه باسماء العناوين. واليهود ليسوا بالاصلاء فيما تدينوا به من العقائد ونقلوه من الاخبار، لانهم لم يعرفوا اكثر هذه العقائد والاخبار قبل عهد عبوديتهم في بابل (٥٨٣ ق. م) أي بعد ثمانمائة عام من عهد موسى عليه السلام. . والسبق الى النبوة عامة لم يثبت لليهود، بل ثبت من كتب اليهود انفسهم ان انبياءهم الاول تـــلقوا عـــلم الدين وشعائر العبادة من (ملكي صادق)) ملك اورشليم الكنعاني الذي كان يدين بالاله الواحد اله السموات والارض، وهو الذي بارك ابراهيم الخليل عليه السلام [1] ، وكان ذلك قبل ظهور موسى النبي بحوالي سبعة قرون. .وتعترف التوراة بان اهل كنعان ومديان كانوا يعرفون التوحيد الذي نادى به الانبياء قبل ان يكون يهود في العالم. [2]

فموســـى عـــليه الســـلام وجد في مديان كاهناً وتزوج من ابنته وسكن مدة هـــناك. وهـــذا الكـــاهن الذي تسميه التوراة (ثيرون) كان موحداً وكذلك كان قومه المديـــانيون. وذلـــك كله قبل ان وجد اليهود الذي اتخذوا الههم الخاص بهم. وبناء عـــلى هـــذا، فان اعتبار اليهودية مصدراً للديانات التوحيدية اعتبار لا يستند على اســـاس مـــتين ولا يقوم على دليل صحيح. والا فهل كان نبي الله نوح عليه السلام الـــذي عاش قبل اكثر من خمسة آلاف عام يهودياً، وهل كان الانبياء الذين ظهروا بعده يهوداً، واخيراً هل كان النبي ابراهيم الخليل عليه السلام يهودياً؟!! [3]

[1] سفر التكوين ١٤ : ٨ : ((مبارك ابرام من الله العلي مالك السموات والارض)).

[2] سفر العدد : ٢٢ وما بعده

[3] العقاد، ما يقال عن الاسلام، ١١٣-١١٤ ؛سوسة، د.احمد، العرب واليهود في التاريخ، طبعة وزارة الاعلام العراقية، (بغداد، ١٩٧٢م) ص (ر ر) من المقدمة و ص١٦٩.

المبحث الاول

الافتراء على الصلاة

يقــول : ((لقد نسج الاسلام في ترتيب صلاة الجمعة على منوال اليهود في عبادتهم بالكنيس، الا انه تأثر من بعد بطقوس صلاة الاحد التي يمارسها النصارى في البيع))[1].

وللرد عليه نذكر :

١- لــم يبين (حتي) كيف نسج الاسلام، ولا كيف تأثر. اما اذا اراد ان في الاسلام كما في اليهودية والمسيحية صلاة جماعة وعبادات، فان جميع اديان العالم فيها ما يقوم النفس ويطهر الروح. ووجود مثل هذه الشعائر في كل دين، لا ينهض دليــلاً عــلى اخذ اللاحق من السابق [2]. ومع هذا فان العبادات الاسلامية هي غيــرها فــي المســيحية او اليهوديــة. ((ان الحركات والاشارات في الصلاة الاســلامية هــي ذات بساطة ولطافة ونبالة، لم يسبق لها مثيل من نوعها في صــلاة غيــرها. كمــا انهــا لا تدعو الوجوه بالتظاهر والتكلف، ولا العيون بالشخوص الى السماء، واستنزال الدموع التي تذكرنا بالدموع الجليسرينية التي يصطنعها ممثلو السينما في عصرنا الحاضر. حقاً، ان الصورة الاسلامية خالية مــن تلك الامور الشائنة التي خصها المسيحيون بالصلاة المسيحية، مما جعلها فــي غيــر جمــال، ولا جلال، ولا وقار. .وحركات الصلاة الاسلامية، فوق تعبيرها التام عما تحمل نفوس المؤمنين من العاطفة النبيلة نحو المولى الكريم، تقــوم للجسم باعظم مزايا الحركات الرياضية. .اضف الى ذلك حكمة الوضوء

[1] تاريخ العرب، ١/١٨١.

[2] بــل يدل هذا على وحدة المصدر كما قال تعالى : ((وانه لفي زبر الاولين)) الشعراء، ١٩٦. وقال تعالى ايضاً : ((ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى))الاعلى، ١٨-١٩.

الـذي يسـبق كـل صـلاة، ففيها للبدن انتعاش وصحة ونظافة، والنظافة من الايمان)) [1].

٢- ان مـن الباحـثين غيـر المسلمين من يذهب في عرضه للعلاقة بين اليهودية والاسلام مذهباً مضاداً لما درج عليه الباحثون من اليهود خاصة، والمستشرقين عامـة، مـن التصـدي في ابحاثهم لتأثير اليهودية على الاسلام. ومن هؤلاء (نفـتالي فيدر) الذي اورد جملة من التأثيرات الاسلامية على اليهودية وقال في ذلـك : ((ان الديانـة اليهودية تأثرت تأثراً عظيماً بالبيئة الاسلامية، فقد ادت الـتيارات الروحية -التي غمرت هذه البيئة طوال مئات السنين- الى ثورة في الحياة الروحية لليهود المقيمين في الاصقاع العربية. .وقد عظم هذا التأثير اولاً وقـبل كـل شـيء في ميدان الفكر الديني والنظر الفلسفي. .كما اتخذ اليهود لانفسـهم مناهج العرب العلمية في فروع الدين، والاخلاقيات، والنحو، وتفسير الكتاب المقدس، بل حتى في ميدان الشريعة فان كتاب (Mish nah Torah) [2] الذي يبهرنا ببنائه وترتيبه ليس سوى ترتيب لمواد الشريعة الضخمة وفقاً للنظام الذي وضعه علماء الفقه المسلمون. .ان ظاهرة التأثير قد تغلغلت ايضاً الى قلب العمل الديني والعبادة الدينية، كما ظهر في شعائر الصلاة في الكنيس. .ورغم ان اليهودية منذ القدم شادت من حول حدود العمل الديني سوراً عالياً كي تمنع الـتيارات الخارجية، حيث وصايا التوراة ان (لا تقلدوا عادات الامم)) لكنها لم تسـلم من هذه المؤثرات. والدين الاسلامي وحده-في نظر الجاعونيم [3]- لا يعد

---

[1] ديـنيه، ناصـر الدين اتيين (ت، ١٩٢٩م) اشعة خاصة بنور الاسلام، تعريب راشد رستم، طبعة (مصر، ١٩٢٩م). نقلاً عن : د.عبد الحليم محمود، اوربا والاسلام، ص٨٧-٨٨.

[2] كتاب وضعه موسى بن ميمون الحكيم اليهودي الذي توفي بمصر عام (١٢٠٤م) ومعنى عنوانه((تثنية الـتوراة)) ويضم (١٤) كتاباً في الفقه والتشريع اليهودي استمده من التلمود. وقد ذكر منتقدوه انه ادخل فيه نظريات فلسفية مستقاة من مصادر غير اسرائيلية. انظر :فيدر، نفتالي، التأثيرات الاسلامية في العبادة اليهودية، تعريب د.محمد سالم الجرح، مطبعة المدني (القاهرة، ١٩٦٥م) ص ١٢ ، هامش ١.

[3] الجاعونيم:مفرده (الجاعون) يشبه المفتي في الاسلام.

ديناً وثنياً، بينما حكم على النصرانية بأنها دين وثني تماماً، وهذا مما قاله الحبر موسى بن ميمون، ثم سار ابنه الحبر ابراهيم الميموني خطوات ابعد من ذلك، فجاء واخرج المسلمين من القاعدة القائلة ((لا تتعودوا بعادات الامم)) وافتى بان الذي يحاكي عاداتهم، لا يعد مستبيحاً لما حرمته القاعدة. وباختصار، فان هذا التأثير ظهر اساساً بطريقتين :

اولاً باستيعاب عادات تختص بالعبادة لا اساس لها في التقاليد الاسرائيلية [1].

ثانياً :باحياء عادات قديمة اندثرت من عند اليهود تحت تأثير اسباب معينة. وهنا نشير على وجه الخصوص الى ظاهرة هامة هي ان العادات التي هجرها اليهود بدافع العزلة والابتعاد عن النصرانية، ارتدت ثانية الى اليهودية بتأثير من الدين الاسلامي.)) [2]

ان صورة العبادة في الديانة اليهودية -كما سبق ذكرها- صورة مشوشة، والصلاة منها على الاخص، في تغير مستمر، وتشعب لانهاية له. ويمكن ارجاع ذلك كله الى عدم تحديد التوراة، وانبياء العهد القديم لماهية الصلاة -شكلاً لا مضموناً. ففي اول امرها، كانت الصلاة عبارة عن تأدية شكر بتقديم القرابين،

---

[1] منها : غسل الرجلين للصلاة بل اقتبسوا سائر اركان الوضوء. وهذه العبادة ليس لها اساس او مصدر تلمودي لكنها بعد ان تفشت بين اليهود اثبتوها في مؤلفاقم. ومنها ايضاً غسل الجنابة فان كل بني اسرائيل الذين بين العرب اعتادوا الاغتسال، واما الذين بين الوثنيين فلم يعتادوه. ومنها كذلك الغاء صلاة السر الذي عمل به اكثر من ثلاثين سنة. وكان الذي ادخله على نظام الصلاة التقليدي هو موسى بن ميمون الذي سرى مفعول اصلاحاته في مصر وفلسطين وسوريا، انظر فيدر، المصدر السابق ١٢-٣٤ ملخصاً.

[2] يرى الحبر ابراهيم بن موسى بن ميمون مؤلف كتاب ((كفاية العابدين)) ان اصلاحاته ليست تقليداً لما يفعله الاجانب بل ((استرداد للتراث الديني الذي فقده شعبنا من جراء النفي)) على حد قوله. ومن ذلك السجود والجلوس على هيئة البارك واستقبال القبلة وقت الجلوس ايضاً ووقوف المصلين في صفوف وبسط اليدين في الدعاء. ولا شك ان هذا الحبر الميموني قد نقل هذه الانظمة من المسجد الى الكنيس. انظر : فيدر، المصدر السابق، ٣٦-٣٧.

والاقتصـــار على بعض الادعية، ثم اصبح لها مواقيت وطقوس خاصة على عهد الانـــبياء، كالتوجه الى (اورشليم) قبلة للصلاة، كما كان يفعل النبي (دانيال)، حيث كـــان يجثو على ركبتيه ثلاث مرات في اليوم ويصلي الى بيت المقدس. وغالباً ما كانت الصلاة مكونة من النثر، ثم من النظم، وتتلى بالغناء في الابتداء، ثم استعملت الآلات الموســيقية، كما خصص المغنون لهذا القصد. وكانت اماكن الجلوس مرتبة حسب درجات الشعب ومراكزهم من امام الهيكل الى الوراء [1].

فكيـــف تقـــارن هذه الصورة المتذبذبة لمثل هذه العبادة، بالصورة المتزنة المشرقة الواضحة لعبادة الصلاة في دين الاسلام ؟!

ان (حتي) –على ما يبدو– يحاول ان يسقط ما في ديانة الكتابيين على ديانة اهـــل الاســـلام؛ فيذهب –وهو في حالة الاسقاط هذا– [2] الى القول ان الصلاة في الاســـلام لم تتخذ صورتها النهائية الا في العهد المدني ! ونحن نعلم –وكل دارس مبتديء للسيرة النبوية يعلم ايضاً– ان الصلاة فرضت في مكة ابتداءً وانتهاءً. وفي اول الامـــر كانت ركعتين ركعتين، ثم حددت اوقاتها وركعاتها، في حادثة الاسراء والمعـــراج، الذي وقع لرسول الله صلى الله عليه وسلم في العام العاشر من البعثة، قـــبل الهجـــرة الى المدينة بثلاث سنين [3]، ومن قبل ان يتعايش المسلمون مع يهود المدينة، فياخذوا عنهم، او يتأثروا بهم، على زعم من افترى !

---

[1] الموحـــي، عـــبد الـــرزاق رحيم صلال، العبادة في الاديان السماوية، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاســـلامية، بجامعة بغداد (١٤١٧هـــ/١٩٩٦م) ص٦٥. وهي غير منشورة ؛وايضاً :جلال، د.ألفت محمد، العقيدة الدينية والنظم التشريعية عند اليهود، مكتبة سعيد رأفت (مصر، ١٩٧٤م) ص٧٠-٧٢.

[2] الاسقاط ويسمى ايضاً الالصاق (Projection) هو نسبة الانسان حوافزه وافكاره الى الآخرين، مـــثل اعـــتقاد الغشاش ان الآخرين غشاشون، او اعتقاد الانسان ان الشر الذي يعرفه كامناً في ذات نفســـه، موجـــود عند الآخرين. انظر : عاقل، د.فاخر، معجم علم النفس، ط٣، دار العلم للملايين (بيروت ١٩٧٩م) ص٨٨.

[3] الطـــبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، ط٥، دار المعارف، ج٢ (القاهرة، بلا) ص٣٠٧-٣٠٩.

المبحث الثاني

الافتراء على الزكاة [1]

وهي في الشرع حق واجب في مال مخصوص لطائفة مخصوصة في وقت مخصوص لتحقيق رضا الله وتزكية النفوس والمال والمجتمع [2]. وهذا التعريف للزكاة يبين انها ليست منة او هبة او فضلاً، بل هي نقل ملكية من صاحب المال الى مستحقيها. وهي تتمثل في جزء معين معلوم من الاموال، قال تعالى : ((والذين في اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم)) المعارج، ٢٤-٢٥. وتصرف الزكاة الى جهات معينة محددة وفقاً لقول الله تعالى: ((انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم)) التوبة، ٦٠. فلم يترك الحق سبحانه وتعالى امر الزكاة لاجتهاد احد، بل استقل هو سبحانه ببيان مصارفها. وكذلك بين رسول الله صلى الله عليه وسلم انصبتها ونسبتها فعن ابن عمر وعائشة رضي الله عنهما : ((ان النبي صلى الله عليه وسلم كان ياخذ من كل عشرين ديناراً نصف دينار، ومن الاربعين ديناراً ديناراً. وعن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :هاتوا ربع العشور، من كل اربعين درهماً درهماً، وليس فيما دون المائتين شيء، فاذا كانت مائتين ففيها خمسة دراهم، فما زاد فعلى حساب ذلك. وعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ليس في اقل من خمس ذودٍ شيء، ولا في اقل من اربعين من الغنم شيء، ولا في اقل

---

[1] الزكاة لغة من (زكا يزكو زكاءً وزُكُوّاً)نما ؛والزكاة صفوة الشيء وما اخرجته من مالك لتطهره به، انظر الفيروزابادي، القاموس المحيط، ٣٣٩/٤ مادة (زكا).

[2] الطيار ، د.عبد الله بن محمد، الزكاة، طبعة مركز البحوث بجامعة محمد بن سعود الاسلامية (الرياض، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) ص١٦.

من ثلاثين من البقر شيء، ولا في اقل من عشرين مثقالاً من الذهب شيء، ولا في اقل من مائتي درهم شيء، ولا في اقل من خمسة اوسق شيء في التمر والزبيب والحنطة والشعير، وما سقي سيحاً ففيه العشر وما سقي بالغرب ففيه نصف العشر. وعن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :ليس في مال زكاة حتى يحول عليه الحول))[1].

فادلة الاحكام الشرعية -من قرآن وسنة- بينت امور الزكاة بياناً شافياً فلا مجال للرأى فيها بزيادة او نقصان. وهذا مما تفرد به دين الاسلام دون سائر الديانات، قاصداً بذلك تقريب البعد الاقتصادي والاجتماعي بين افراد المجتمع والتخفيف من حدة الفقر الذي يعيشه بعضهم، وتحقيق المستوى اللائق بالانسان الذي كرمه الله تعالى واستخلفه في ارضه. وبناء على ذلك، تعد الزكاة اول مؤسسة للتكافل الاجتماعي، وليست مجرد اسعاف مؤقت لذوي الحاجة، وانما هي معونة دورية منتظمة، تهل مع هلال كل حول جديد، مثل زكاة الاموال الحولية كالانعام والنقود والتجارة، او مثل زكاة الزروع والثمار كلما حان يوم الحصاد. والاصل ان يصل حق المستفيدين من الزكاة اليهم في منازلهم، على اساس ان الزكاة توزع حيث تجمع، ولا تنقل إلا لحاجة او مصلحة شرعية راجحة، اذ ليس في الاسلام ان تؤخذ الاموال من القرى لتنفق على المدن كما كان يفعل الاباطرة والملوك قبل ظهور الاسلام [2].

---

[1] انظر :الدارقطني، علي بن عمر (ت، ٣٨٥هـ) سنن الدارقطني بتعليق شمس الحق العظيم، تحقيق عبد الله هاشم يماني دار المحاسن، ج٢(القاهرة، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م) كتاب الزكاة، ص٩٠-٩٣. وقوله دينار أي الذهب. الدرهم :الفضة، ذود :القطيع من الابل بين الثلاث الى العشر ؛الوسق :مكيال ساوي، ٦٠ صاعاً = ١٣٥كغم ؛سيحاً الماء الجاري ؛الغرب بسكون الراء :الدلو العظيمة. انظر القاموس المحيط ؛ وايضاً. الطيار المصدر السابق، ١٣٥.

[2] النجار، د.عبد الهادي علي، الاقتصاد في الاسلام، كتاب مجلة الثقافة الاسلامية، مصدر سابق، ٥٧١

فهل بعد هذا البيان الصارم لنظام الزكاة الاسلامي [1]، يصدق قول (حتي) ان مقادير الزكاة تغيرت على مر الايام. .وان معاوية جعل الزكاة اثنين ونصفاً بالمائة من اعطيات المسلمين !! [2] وهل هكذا تكون امانة الدارسين؟!

ان الزكاة من اركان الاسلام واسسه، وقد قرنت بالصلاة في اثنين وثمانين موضعاً من القرآن، واكد على بيان فرضيتها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجاءت السنة النبوية مفصلة لشؤونها، فلم تترك الزكاة لرأي احد، ولا لاجتهاد بشر. فكيف اذن تكون مقاديرها تغيرت على مر الايام ؟ ومن يملك ذلك ؟!

نعم، جاء الاسلام بعدة اصلاحات جذرية، وقام بدوره الاصلاحي في قانون الزكاة واحكامها، كما قام بدوره الاصلاحي في سائر الاركان كالصلاة، والصيام، والحج، وجاءت شريعة الزكاة واحكامها، كافلة بجميع المصالح الفردية والاجتماعية، مبرأة من كل تحريف وفساد، ادخلتهما الامم السابقة، وتلوثت بهما الاديان المحرفة. ومن ذلك ان الاسلام الغى الاحتكار الديني، والاحتكار العائلي، والذي بسببه كانت الصدقات يقتصر اداؤها الى فئة مخصوصة دون غيرها من سائر المجتمع، ففي اليهود مثلاً توجد فرقة خاصة لأخذ الزكاة وتدبيرها وتوزيعها في هذه الفرقة، وهي فرقة تنتمي الى سلالة خاصة ونسب خاص، وهم يرثون هذا المنصب اباً عن جد. فكان يقدم عشر الانتاج الزراعي الى ((اللاويين)) من آل

---

[1] لا يفوتنا ان نذكر بان الديانات السابقة اهتمت بالجانب الخلقي من رسالتها وهو جانب البر والعطف على ذوي الحاجات، ولكنها لم تصل الى درجة الالتزام والتأثيم لمن لم يفعل ذلك. اضف الى ذلك ان الاسلام شمل برعايته كافة المواطنين -مسلمين كانوا او ذميين- فقد قال عمر بن عبد العزيز بلغني ان امير المؤمنين عمر مر بشيخ من اهل الذمة يسأل على ابواب الناس. فقال : ما انصفناك، ان كنا اخذنا منك الجزية في شبيبتك، ثم ضيعناك في كبرك. قال :ثم اجرى عليه من بيت المال ما يصلحه. ، انظر : ابو عبيد، الاموال، ٦٤.

[2] تاريخ العرب، ١/١٨٢ و ٢٩٢.

هـارون، ويقـدم هـؤلاء عشـر العشر الى رجال الدين. وكذلك الامر في الديانة الهـندوكية، اذ كـان الـذي ينال الصدقات والاعانات هم طبقة البراهمة، وبعض طوائـف النسـاك المعروفة الاخرى [1] وبالعكس من ذلك، سد رسول الله صلى الله عـليه وسـلم باب هذا الاحتكار الديني والعائلي، والظلم الاجتماعي الى اخر الابد، وحرم الزكاة على بني هاشم-الذين هم اسرة النبوة واهل الفضل في تاريخ الاسلام، والكفاح الديني - فقال في قوة وصراحة : ((ان الصدقة لاتحل لنا)) [2] وكان يتورع مـن اكل الصدقة كل التورع، وقد روى ابو هريرة رضي الله عنه ((ان رسول الله صـلى الله عليه وسلم كان اذا اتي بطعام، سأل عنه، فان قيل هدية، اكل منها، وان قيل صدقة، لم ياكل منها، وقال لاصحابه كلوا)) [3] ويبالغ في منع اهل بيته من اكلها، حتى لا يتعودوا ذلك، ولا يحتج به المسلمون، فيفضلوهم ويحرموا غيرهم، فعن ابي هريرة رضي الله عنه، قال : ((اخذ الحسن بن علي تمرة من تمر الصدقة، فجعلها فـي فيـه، فقـال صـلى الله عليه وسلم :كخ كخ ارم بها، اما علمت انا لا ناكل الصدقة)) [4].

ومن اصلاحات الاسلام ايضاً في هذا الباب، انه اسقط الوسائط بين مؤدي الـزكاة وبيـن مسـتحقيها، وهي الوسائط الدائمة التي كان فرضها ممثلو الشريعة الموسوية، وهم الاحبار والرهبان، فكانت الفرية لاتسقط عن صاحبها الا اذا تسلمها الكهـان او الاحـبار، او سدنة البيت المقدس، فأنشأ ذلك في هذه الطبقة حب المال الفـاحش والنهامة، واساؤا التصرف فيها احياناً كثيرة، ولذلك قال القرآن (•ياايها الذيـن امنوا ان كثيراً من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل ويصدون

---

[1] الـندوي، ابو الحسن علي الحسني، الاركان الاربعة، ط٣، دار القلم (الكويت، ١٣٨٩هـ) فصل الزكاة.

[2] البخاري، الصحيح، ١٥٦/٢ باب اخذ صدقة التمر

[3] م. ن.، ٢٠٣/٣ باب قبول الهدية.

[4] م. ن.، ١٥٧/٢ باب ما يذكر في الصدقة للنبي صلى الله عليه وسلم.

عـن سبيل الله)) التوبة، ٣٤. لقد اسقط الله هذه الوساطة الكهنوتية، كما اسقطها في جميع العبادات، فكل مسلم يستطيع ان يصلي بنفسه، ويؤدي زكاته بنفسه، ويصوم ويحـج بنفسـه، لا يحتاج الا الى معرفة احكامها واخلاص النية في ادائها [1] وبعد، فهذه هي تنظيمات الزكاة في الاسلام، وهذه هي اصلاحات الاسلام التي تجعل من نظـام الزكاة ارقى نظام تعبدي واجتماعي، واكفل بمصالح الفرد والجماعة من أي نظام اخر سابق او لاحق.

[1] الندوي، الاركان الاربعة، ١٤٨.

المبحث الثالث

الافتراء على الحج [1]

وهــو من اركان الاسلام، وفريضة العمر عل القادرين، قال تعالى : ((ولله عــلى الــناس حج البيت من استطاع اليه سبيلاً)) آل عمران، ٩٧. وقال صلى الله عــليه وسلم ((بني الاسلام على خمس :شهادة ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله، واقام الصلاة وايتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت)) [2].

((واصــل الحج موجود في كل امة، لابد لهم من موضع يتبركون به، لما رأوا من ظهور آيات الله فيه، ومن قرابين وهيئات مأثورة عن اسلافهم يلتزمونها، لأنهــا تذكر المقربين وما كانوا فيه. واحق ما يحج اليه بيت الله، فيه آيات بينات، بــناه ابــراهيم عــليه السلام، المشهود له بالخير على ألسنة غالب الامم، بامر الله ووحيه بعد ان كانت الارض قفراً وعراً، اذ ليس غيره محجوج، الا وفيه اشراك او اختراع ما، لا اصل له)) [3].

ان الفطرة البشرية، هي الفطرة البشرية، والانسان مازال –ولا يزال– باحثاً عــن شــيء يــراه بعينه، فيوجه اليه اشواقه، ويقضي به حنينه، ويشبع به رغبته المــلحة، في التعظيم والقرب. وقد اختار الله اموراً ظاهرة محسوسة، اختصت به، ونســبت اليــه، وتجــلت عليها رحمته، وحفتها عنايته، بحيث اذا رؤيت ذكر الله، وارتبط بها وقائع وحوادث، وافعال واحوال تذكر بايام الله وآلائه، ودينه وتوحيده،

---

[1] الحج :لغة القصد والكف والقدوم، وشرعاً قصد مكة للنسك. انظر : الفيروزابادي، ١٨٢/١ مادة (الحج).

[2] البخاري، الصحيح، ١٠/١ كتاب الايمان.

[3] الدهلوي، احمد بن عبد الرحيم (ت، ١١٧٦ هــ) حجة الله البالغة، تحقيق سيد سابق، دار الكتب الحديثة، ج٢ (القاهرة، بلا) ص ٥٣٥.

وحسن بلاء انبيائه، وسماها ((شعائر الله)) التي جعل تعظيمها تعظيمه، وسمح للناس ان يقضوا بها حنينهم الكامن في نفوسهم، ورغبتهم الفطرية في القرب والمشاهدة، بل حث على ذلك فقال : ((ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب)) الحج، ٣٢. وما الصلاة الا قطرات ندى الايمان، تتكون خشوعاً، او تسقط دموعاً ؛وما الصيام الا ساعات محدودات في تغيير مألوف العادات ؛وما قراءة القرآن والذكر والاوراد الا نفحات شذى وانسام عطر الاوراد. ومع ذلك يبقى الانسان المسلم في حاجة الى طفرة، او قفزة واسعة يفك بها اغلاله، وينسلخ بها من سجنه الضيق القديم، وينتقل من عالم، كله قديم مالوف، ومقيد محدود، ومخطوط مرسوم الى عالم، كله جديد وطريف، وحر منطلق، وثائر مارد، كله حب وغرام، وشوق وهيام قد تحرر من كل رق، وثار على كل وثن، وكفر باختلاف العنصر واللون، وآمن بوحدة الالوهية، وبوحدة المنعم الوهاب، وبوحدة الانسانية، وبوحدة العقيدة، وبوحدة المطلوب وهتف الناس جميعاً بصوت واحد : ((لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، ان الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك)).[1]

ومن مقاصد الحج تجديد الصلة بإمام الملة الحنيفية، وباني البيت الحرام، سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام. فالحج ومناسكه وما يحيط به من ذكريات وحوادث، وما يتلبس به الحاج من التجرد عن المظاهر، وما ياتي به من عمل ونسك –من احرام ووقوف، وافاضة ورجم وسعي وطواف – تخليد لما اختص به ابراهيم عليه السلام من التوحيد الخالص، والتوكل على الله، والتفاني في سبيله، وايثار لطاعته ومرضاته، وتمرد على العادات والاعراف، والمعايير الزائفة والمثل المصطنعة، وتجديد لذلك الايمان والحب والتضحية والايثار –وما احوج المجتمع الانساني اليها في كل عصر ومصر[2]. ان حجاً كهذا والتقاء ابناء ملة ابراهيم في مكة كل عام، واعادتهم قصة ابيهم وتمثيلها في الحج، ضامن لبقاء هذه الصلة، بين

---

[1] الندوي، ابو الحسن علي الحسني، الاركان الاربعة، ٢٣٨-٢٤٣ باختصار.

[2] م. ن، ٢٥٧.

ابـــراهيم عليه السلام واتباعه، وابنائه الروحيين، وضامن ايضاً لبقاء القيم الربانية والجامعـــة الاســـلامية الانسانية التي هي فوق كل جامعة، كما انه دعوة للناس ان يســـيروا على نهج التوحيد الذي بعث به ابو الانبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام ((مــلة ابيكـــم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل، وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس، فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة، واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير)) الحج، ٧٨.

الحج بين الاسلام وغيره

الحج في الاسلام كما هو معلوم ليس الا قصد بيت الله الحرام للنسك واداء الفريضـــة وهي مرة واحدة في العمر. وقد تقدم ذكر بعض مقاصد الحج ومعانيه، ويســـتطيع الـــباحث في سهولة ان يقارن بين حج الاسلام وبين الحج في الديانات الاخـــرى، ومـــن ثـــم يدرك المفارقات الكبيرة بين الاثنين في هذا المجال. ويذكر الـــندوي رحمـــه الله ((ان القاريء يتخم بكثرة اسماء القبور والضرائح والمشاهد، العامـــة فـــي ارض فلسطين، والمحلية المنتشرة في كل قطر وولاية، او بلد يقطنه اليهـــود والمســـيحيون من زمن بعيد. وصاحب مقال ((الحج والزيارة)) في (دائرة المعارف اليهودية)) وفي ((دائرة الديانات والاخلاق)) يسرد اسماء ضرائح ومشاهد للصالحين والمقبولين في اقطار اوربية واسيوية مختلفة، ويذكر الايام والشهور التي تزار فيها، وما لهذه الزيارات من آداب وتقاليد. واذا تامل القاريء في مدى اهتمام اليهـــود والمســـيحيين بهـــذه المشاهد، وتقديسهم لها، وتجشم الاسفار والمتاعب في ســـبيلها، وكيـــف شغلتهم واستحوذت على مشاعرهم في كل زمان ومكان، وكيف اثـــارت فيهم الغلو في التقديس والتعظيم، حتى وصلوا الى حد الشرك، وعبادة غير الله، عـــرف سر شدة انكار النبي صلى الله عليه وسلم على هذه العادة، واشفاقه من ان يتسرب ذلك الى المسلمين -حملة لواء التوحيد الى الابد- وحرصه الشديد على ان يـــبقى ضريحه ومثواه الاخير بعيداً عن كل شرك وعبادة وغلو، وكان ذلك هو

الشاغل له في مرضه الاخير، فقد روى البخاري عن عائشة وعبد الله بن عباس – رضـــي الله عنهما–، قالا : ((لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خميصـــة له على وجهه، فاذا اغتم بها كشفها عن وجهه، فقال، وهو كذلك لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد، يحذر ما صنعوا)) [1] وثبت عنه صلى الله عليه وسلم انه قال : ((اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد)) [2] كما ضيق صلى الله عـــليه وســـلم الســـبيل في وجه تجشم السفر الطويل، وشد الرحل الى المشاهد والضرائح والامكنة المتبركة بقوله : ((لا يشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام، ومسجد الرسول، والمسجد الاقصى)) [3] فوقى بذلك امته من الوقوع في فتنة المشـــاهد والآثار، كما وقع فيها اليهود والنصارى، والامم الجاهلية، وكانت فريسة الشرك والوثنية السافرة احياناً كثيرة))[4].

اصلاحات الاسلام في تشريع الحج

كان اهل الجاهلية قد ادخلوا في الحج عادات جاهلية مبتدعة، كانت تحريفاً فـــي الحـــج عمـــا شرعه الله سبحانه على لسان ابراهيم عليه السلام. فجاء القرآن بابطال كل تحريف وازالة كل بدعة واستئصال كل موقف دخيل، وابداله بخير منه وافضل.

فمـــن ذلـــك ان قريشـــاً لتـــتميز عن سائر الناس، ما كانت لتقف معهم في عـــرفات، فـــالغى القـــرآن هذا الامتياز القبلي فقال : ((ثم افيضوا من حيث افاض الناس)) البقرة، ١٩٩. وروى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت : ((كانت

[1] البخاري، الصحيح ١/١١٢

[2] بســـيوني زغـــلول، محمد السعيد ابو هاجر، موسوعة اطراف الحديث النبوي الشريف، ط١، عالم التراث، ج٧ (بيروت، ١٤١٠هـــ/١٩٨٩م) ص ٧٢، ونسبه إلى مجمع الزوائد للهيثمي ٤/٢.

[3] البخاري، الصحيح ٣/٥٦ باب الصوم يوم النحر.

[4] الاركان الاربعة، ٢٨٣-٢٨٤.

قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة، وكانوا يسمون الحمس، وسائر العرب يقفون بعرفات، فلما جاء الاسلام، امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان ياتي عرفات ثم يقف بها، ثم يفيض منها، فذلك قوله تعالى : ((من حيث افاض الناس)) [1] قال ابن كثير :وكذا قال ابن عباس. . واختاره ابن جرير وحكى عليه الاجماع [2].

ومن ذلك ايضاً :ان المشركين كانوا يطوفون بالبيت عراة، الرجال بالنهار والنساء بالليل ويقولون لا نطوف في ملابس عصينا فيها، فانكر عليهم القرآن ذلك فقال ((يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد)) الاعراف، ٣١. وامرهم الله سبحانه بالزينة أي اللباس [3]. وفي البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه ((ان ابا بكر الصديق بعثه في الحجة التي امره النبي صلى الله عليه وسلم عليها قبل حجة الوداع يوم النحر، في رهط يؤذن في الناس لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوفن بالبيت عريان)) [4].

ومن ذلك ان الطوائف من اهل العرب كانت تتحرج ان تطوف بالصفا والمروة، وكانوا يرون ذلك من امر الجاهلية، حتى سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فانزل الله عز وجل ((ان الصفا والمروة من شعائر الله، فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما)) البقرة، ١٥٨. وروى البخاري رحمه الله بسنده عن عاصم بن سليمان قال سألت انساً عن الصفا والمروة، قال كنا نرى انهما من امر الجاهلية، فلما جاء الاسلام، امسكنا عنهما، فانزل الله عز وجل ((ان الصفا والمروة من شعائر الله)) ومن العادات الجاهلية الخاصة بالحج والتي ابطلها الاسلام، ان العرب كانوا اذا نووا الحج تحرجوا من دخول البيوت من الابواب،

---

[1] البخاري، الصحيح ٢/ ٢٠٠ باب الوقوف بعرفة

[2] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٢٤٢/١

[3] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٢/ ٢١٠

[4] البخاري، الصحيح، ٢١٢/٥ كتاب المغازي ((باب حج ابي بكر رضي الله عنه بالناس))

فكانوا يتسورون البيوت من ظهورها، فانزل الله تعالى : ((وليس البر ان تاتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى واتوا البيوت من ابوابها))البقرة، ١٨٩، ومنهم ايضاً من كان يخرج للحج بلا زاد ويتظاهرون بالتوكل، ثم لا يتحرجون بعد ذلك من التسول والاستجداء فنهاهم الله تعالى عن ذلك وقال : ((وتزودوا فان خير الزاد التقوى)) البقرة، ١٩٧ وكذلك كانوا يتأثمون من الاتجار في الموسم فيتقون البيوع والتجارة، ويقولون ايام ذكر، فانزل الله سبحانه : ((ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلاً من ربكم)) [١] البقرة، ١٩٨.

((وبهذه الاصلاحات البعيدة الاثر، رد التشريع الاسلامي هذا الركن العظيم، الى اصله الابراهيمي ووضعه الاصيل النقي، البعيد عن تأويل الجاهلين وتحريف الغالين وانتحال المبطلين)) [٢].

وهذه الصورة الناصعة من العبادة الاسلامية، والمناسك المشرقة من الفريضة العالمية، تتناولها اقلام المستشرقين واتباعهم، فيعملون فيها تشكيكاً وتحريفاً، ويعمدون اليها تشويهاً وتزييفاً. فنقرأ عنها فيما كتبه (حتي) فاذا الحج يقرن بـ ((تقديس الحجارة والعذران في العصور التي سبقت عصر الحجر الاسود، وبئر زمزم في الجزيرة، وعصر بيت ايل في فلسطين. .وانها عبادة الكعبة. .وفي وسطها قام نصب هو عبارة عن قطعة من الحجر البركاني الاسود يعبدونه. .وامر الرسول الحج الى الكعبة، ولثم الحجر الاسود فيها، وهما من فروض الدين المرعية في الجاهلية)) [٣]

فهل هكذا هو الحج حقاً ؟ هل هو عبادة للكعبة، وهل يعبد المسلمون الحجر الاسود الذي يدلنا (حتي) على مكانه انه نصب قام وسط الكعبة ؟!

---

[١] ينظر تفسير الآيات عند ابن كثير -تفسير القرآن العظيم، ٢٢٥/١ و ٢٣٥ و ٢٣٩

[٢] الندوي، الاركان الاربعة، ٢٩٣.

[٣] تاريخ العرب، ٣٢/١ و ٨٤ و ١٣٩ و ١٦٣.

اليس الحج من شعائر سيدنا ابراهيم عليه السلام، امره الله تعالى بعد اتمام البـناء ((واذن فـي الناس بالحج ياتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميـق)) الحج، ٢٧. ومن قبل بين ابراهيم عليه السلام في دعائه الغاية من بناء الـبيت فقال ((ربنا اني اسكنت من ذريتي في واد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون)) ابراهيم، ٣٧.

((ومـا نظـن عاقلاً يمكن ان يدور في خلده ان الله تعالى اراد تقديس بيت ابـراهيم واسماعيل لحجارته وجدرانه، لاننا ندرك ان التقديس هنا تقديس معنوي، فلا قدسية لاحجار الكعبة بذاتها، انما القدسية للامر الالهي وحده، فالامتثال لأمر الله تعـالى، وهو المعول عليه في هذا المقام، بدليل لو رفع هذا الامر الالهي لرفع معه تقديـس المكان، واتجاه المسلمين الى الكعبة رمز لوحدة العقيدة والهدف، والاتجاه الى الكعبة انما يتم بالجسد وحده، واما القلب والروح فالى الله اتجاههما وبه تعلقهما. وكمـا ان لسـان الحاج المسلم وقلبه يقولان ((لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لـبيك. .)) فليسـت التلبية للكعبة، وما سمعنا عن احد انه قال : لبيك يا كعبة. .فلا عبادة للكعبة مطلقاً، وما قال بهذا مسلم))[1]

((وامـا الحجـر الاسود. فقد اتخذ العرب آلهتهم في الجاهلية من اشياء لا تحصى، ومع ذلك فلم يروا مطلقاً ان الحجر الاسود كان ضمن آلهتهم، بل كانت له مكانة محترمة لانه من بقايا بناء ابراهيم عليه السلام للكعبة. وعلى ذلك فان الاسلام لم يقر (وثنيةً) كانت في الجاهلية[2]

وقـد روى الامام مسلم (ت، ٢٦١هـ) بسنده عن عبد الله بن سرجس قال رأيـت الاصـلع ((يعني عمر بن الخطاب)) رضي الله عنه يقبل الحجر، ويقول :

---

[1] شوقي ابو خليل، موضوعية فيليب حتي، مصدر سابق، ١٤٢.

[2] ن. م، ١٤٣.

والله انــي لاقبــلك واني اعلم انك حجر، وانك لا تضر ولا تنفع، ولولا اني رأيت رســول الله صلى الله عليه وسلم قبلك ما قبلتك)) قال الامام النووي (ت، ٦٧٦هــ) في شرح الحديث : ((واما قول عمر رضي الله عنه لقد علمت انك حجر. فاراد به بيــان الحث على الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم في تقبيله، ونبه على انه لولا الاقتداء به لما فعله، وانما قال وانك لا تضر ولا تنفع، لئلا يغتر بعض قريبي العهــد بالاســلام الذين كانوا الفوا عبادة الاحجار وتعظيمها ورجاء نفعها وخوف الضرر بالتقصير في تعظيمها، وكان العهد قريباً بذلك، فخاف عمر رضي الله عنه ان يــراه بعضــهم يقبله ويعتني به، فيشتبه عليه، فبين انه لا يضر ولا ينفع بذاته. .وانــه حجــر مخلوق كباقي المخلوقات. . واشاع عمر هذا في الموسم، ليشهد في البلدان ويحفظه عنه، اهل الموسم المختلفو الاوطان))[1]

فهذا امر الحجر الاسود، والذي لم يعبده العرب لافي جاهلية ولا في اسلام؛ وليس هو (نصباً) يقوم وسط الكعبة، فلا انصاب ولا اوثان في بيت الله الحرام، كما ان لمسه ليس واجباً على الحاج ولا يشترط تقبيله ايضاً .

لقــد قــدم لنا (حتي) صورة عن الحج هي ابعد ما تكون عن الحقيقة، فيها الكــثير من التجني على عقيدة المسلمين واصل عباداتهم كما مر بنا آنفاً في الكلام عن الصلاة والزكاة. فهل هذه دراسة موضوعية للتاريخ، ام تزييف لحقائقه ؟! واذا عرفــنا ان (حتي) لخص هذا (التاريخ المطول) بكتاب موجز وزعت منه خمسون الــف نسخة في اوساط الجيش الامريكي[2]، ادركنا عندها كم الاساءة كانت بالغة في حق الدين الاسلامي، وادركنا معها ايضاً مدى التشويه الذي يتركه مثل هذا الكتاب في اوساط الرأي العام الامريكي، بل الاوربي عامة.

---

[1] النووي، محي الدين ابو زكريا يحيى بن شرف (ت، ٦٧٦هــ) شرح النووي على صحيح مسلم، ط ١، دار احياء التراث العربي، ج٩ (بيروت، ١٣٩٢هــ/١٩٧٢م) ص١٦-١٧.

[2] طبعته جامعة برنستون بالانكليزية سنة ١٩٤٣ و ١٩٤٤م ؛وطبعته دار الملايين في بيروت بالعربية، ١٩٤٦م و ١٩٥٤م.

الباب الثالث

عصر الخلافة والفتوحات

الفصل الاول

خلافة ابي بكر

الصديق رضي الله عنه

الخلافة الراشدة

تمهيد

يعــد عصر الخلافة الراشدة افضل عصور التاريخ الاسلامي التي اعقبت عهد النبوة المحمدية. ورجاله افضل المسلمين، وقدوة اللاحقين ؛وفيهم نزل قول الله تـبارك وتعـالى : ((والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه)) التوبة، ١٠٠. وهم الذين زكاهم رسول الله صــلى الله عـليه وسـلم بقوـله : ((خيــر امتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم))[١].

وقــد دامت خلافة الراشدين ثلاثين عاماً :بدأت من شهر ربيع الاول، سنة احــدى عشــرة للهجرة -يوم بويع ابو بكر رضي الله عنه خليفة- وختمت -على الراجح- في الشهر نفسه من سنة احدى واربعين، لما وقع الصلح بين المسلمين -يــوم تنازل الحسن بن علي رضي الله عنه وتسليمه امر الخلافة الى معاوية رضي الله عــنه [٢] وكــان هــذا العصر مليئاً بالاحداث والتطورات، اذ شهد حركة الفتح الاســلامي المــباركة، التي غيرت موازين القوى العالمية آنذاك ، واظهرت للعالم القوة العربية الاسلامية،وهي تحمل مباديء وقيماً جديدة، هي مباديء الحق والعدل وحــرية الانسان،مما لم يكن العالم يألفه او يتوقعه. فكان هذا الفتح كالغيث الوابل، والصيب الهاطل،احيا موات الارض بعد يبسها، ونشر نفوس الخلائق بعد ابلاسها

وليــس غريــباً ان يجهــد اعداء الاسلام انفسهم باثارة الشبهات وحملات التشــويه لمعالم هذا العصر وآفاقه المنيرة، حتى يحجبوا نوره ويضعفوا دوره، فلا يعود سبباً من اسباب الاعتزاز او دافعاً من دوافع الحركة لاستئناف الدور الاسلامي

[١] مسلم، الصحيح، ٤١١/٢.

[٢] الطبري، الرسل والملوك، ٢٠٧/٣ و ١٦٢/٥.

المنـــتظر. ومـــن الطبيعي لدى المستشرقين -وهم الجناح الثقافي للعدو- ان تطال مفـــترياتهم القمـــم الشـــامخة من رجال هذا العصر الراشد، فتنقطع الاجيال عنهم، وتتصـــرف عـــن الاقتداء بهم. ومن ثم تشعبت تلك المفتريات، فنالت رجال صدر الاســـلام في امور دينهم ودنياهم-ما كان خاصاً بصلات بعضهم ببعض، وما كان عاماً بشأن خلافة وغيرها وفيما يأتي بيان لمسائل مهمة في هذا الباب.

المبحث الاول

الخلافة والامامة

الخلافة -وهي الامامة ايضاً [1] - موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا به، وعقدها لمن يقوم بها في الامة واجب بالاجماع [2]، لقوله تعالى : ((ياايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم))النساء، ٥٩. ولقوله صلى الله عليه وسلم : ((من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية)) [3] ويقول الماوردي (ت، ٤٥٠هـ) ☹(فان الله جلت قدرته، ندب للامة زعيماً خلف به النبوة، وحاط به الملة وفوض اليه السياسة، ليصدر التدبير عن دين مشروع، وتجتمع الكلمة على راي متبوع، فكانت الامامة اصلاً عليه استقرت قواعد الملة، وانتظمت به مصالح الامة.)) [4].

ونظراً لاهمية هذا المنصب وخطورته، والذي بدونه لاينتظم امر المسلمين؛ لم يشأ المسلمون بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبيتوا ليلة واحدة من غير امير. فقد ذكر الطبري [5] (ت، ٣١٠هـ) ان عمرو بن حريث سأل سعيد بن زيد: ((اشهدت وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟قال : نعم، قال : فمتى بويع ابو بكر ؟ قال : يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم، كرهوا ان يبقوا بعض يوم وليسوا في جماعة)).

---

[1] الخلافة : لغة من خلف فلاناً خَلَفاً وخلافةً :جاء بعده فصار مكانه. انظر المعجم الوسيط، مادة (خَلَف) ص٢٥٠-٢٥١.

[2] الماوردي، ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت، ٤٥٠هـ) الاحكام السلطانية والولايات الدينية، تعليق د.خالد رشيد الجميلي، طبعة المكتبة العالمية، (بغداد، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م) ص١٥.

[3] مسلم، الصحيح، ١٣٦/٢.

[4] الماوردي، المصدر السابق ، ١٢.

[5] تاريخ الرسل والملوك ٢٠٧/٣.

وتقــوم فكرة الخلافة في النظام السياسي الاسلامي على نظرية النيابة عن الامة. فمن الثابت ان اسناد السلطة للحاكم، انما يكون عن طريق البيعة له بواسطة الامة، ممثلة باهل الحل والعقد، ينوبون عنها في عقد البيعة. كما ان اختيار الخليفة حــق شرعي للامة ثابت بسنة النبي صلى الله عليه وسلم الفعلية، حيث انه اوجب الامارة بنصوص كثيرة من جهة، وترك تامير اميراً، مما يدل على ان هذا الواجب تقــوم به الامة، وقد قامت به فعلاً بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم باجماعهم على تولية ابي بكر رضي الله عنه [1].

وليســت الخلافة -كما يقال- نظاماً مستحدثاً، ووليد ظروف واحوال نشأت عند وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم. بل ان اصل ذلك ثابت بنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية واجماع الصحابة. والرسول صلى الله عليه وسلم كثيراً ماكان يمــارس هذا النظام ويطبقه عملياً، ويامر به في صغير الامور وكبيرها. فاذا خرج مــن المديــنة فــي جهــاد او حج او غير ذلك من الامور، اناب على المدينة احد اصــحابه للــنظر فــي شــؤون الــناس مــن بعده. وكان كثيراً ما يامر بالامارة وبالطاعةلمن يؤمّر، حتى استقر ذلك في خلد الناس وعلمهم، وتداولوه فيما بينهم في جميع الاحوال المقتضية. وفي ذلك يقول الامام ابن تيمية (ت، ٧٢٨هــ)[2]: ((يجب ان يعــرف ان ولاية امر الناس من اعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين الا بها، فــان بني آدم لا تتم مصلحتهم الا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض، ولا بد لهم عند الاجتماع من رأس، حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((اذا خرج ثلاثة في ســفر، فليؤمروا احدهم))وقال ايضاً: ((لايحل لثلاثة يكونون بفلاة من الارض الا امروا عليهم احدهم)) فاوجب صلى الله عليه وسلم تأمير الواحد في الاجتماع القليل

---

[1] الســبياتي، د.منير حميد، الدولة القانونية والنظام السياسي الاسلامي، ط١، الدار العربية (بغداد، ١٣٩٩هــ/١٩٧٩م) ص٢٤٤.

[2] السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية، مراجعة محمد عبد الله السمان، طبعة مكتبة المثنى (بغداد، بلا) ص١٦٥-١٦٩ باختصار.

العارض في السفر، تنبيهاً بذلك على سائر انواع الاجتماع، ولان الله تعالى اوجب الامــر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولايتم ذلك الا بقوة وامارة، وكذلك سائر ما اوجــبه مــن الجهاد والعدل واقامة الحج والجمع والاعياد، ونصر المظلوم واقامة الحدود لا تتم الا بالقوة والامارة. .فالواجب اتخاذ الامارة ديناً وقربة يتقرب بها الى الله. .وفــي ذلك يكون صلاح الدين والدنيا، وان انفرد السلطان عن الدين او الدين عن السلطان، فسدت احوال الناس)).

ويمكنــنا القــول ان الذي نشأ بوفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ليس امر الخلافة بذاتها، وانما الذي نشأ هو الحاجة الى شغل هذا المنصب بعد شغوره، ومن هو الذي عساه ان يشغله. وهذا ما حصل فعلاً في سقيفة بني ساعدة، ودارت بسببه المناقشات بين الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم اجمعين.

المبحث الثاني

انتخاب ابي بكر رضي الله عنه ﷺ

روى الامام البخاري [1](ت، ٢٥٦هـ) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((كـنت اقـريء رجالاً من المهاجرين منهم عبد الرحمن بن عوف، فبينما انا في منزلـه بمـنى، وهو عند عمر بن الخطاب في آخر حجة حجها، اذ رجع الي عبد الـرحمن فقال : لو رأيت رجلاً اتى امير المؤمنين اليوم، فقال : يا امير المؤمنين هل لك في فلان يقول :لو قد مات لقد بايعت فلاناً، فوالله ما كانت بيعة ابي بكر الا فلتة فتمت، فغضب عمر، ثم قال : اني ان شاء الله لقائم العشية في الناس فمحذرهم هـؤلاء الذيـن يـريدون ان يغصـبوهم امورهم. قال عبد الرحمن :فقلت يا امير المؤمـنين لا تفعـل، فـان الموسم يجمع رعاع الناس وغوغاءهم، فانهم هم الذين يغلـبون على قربك حين تقوم في الناس، وانا اخشى ان تقوم، فتقول مقالة يطيرها عـنك كل مطير، وان لا يعوها، وان لا يضعوها على مواضعها، فامهل حتى تقدم المدينة، فانها دار الهجرة والسنة، فتخلص باهل الفقه واشراف الناس، فتقول ما قلت متمكناً، فيعي اهل العلم مقالتك، ويضعونها على مواضعها، فقال عمر : اما والله – ان شـاء الله– لأقومن بذلك اول مقام اقومه بالمدينة. قال ابن عباس :فقدمنا المدينة فـي عقـب ذي الحجة، فلما كان يوم الجمعة، عجلت الرواح حين زاغت الشمس، حـتى اجـد سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل جالساً إلى ركن المنبر، فجلست حوله تمـس ركبتي ركبته، فلم انشب ان خرج عمر بن الخطاب، فلما رايته مقبلاً، قلت لسـعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل :ليقولن العشية مقالةً لم يقلها منذ استخلف. فانكر عليّ وقال : ما عسيت ان يقول مالم يقل قبله ! فجلس عمر على المنبر، فلما سكت

---

[1] صحيح البخاري، ٨/٥ و ٢٠٨/٨ كتاب فضائل الصحابة وكتاب الحدود

ورواها ايضاً :ابن هشام، السيرة النبوية، ٤٠٧/٤-٤١٢ ؛ابن سعد، الطبقات، ٢٦٩/٢ ؛ الطبري، تاريخ الامم والملوك، ٢٠٣/٣-٢٠٦ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية ٢١٧/٥-٢١٨.

المؤذنـــون، قـــام فاثنى على الله بما هو اهله، ثم قال:. .ثم انه بلغني ان قائلاً منكم يقول: والله لو قد مات عمر بايعت فلاناً، فلا يغترن امرؤٌ ان يقول: انما كانت بيعة ابي بكر فلتة وتمت، الا وانها قد كانت كذلك، ولكن الله وقى شرها، وليس فيكم من تقطع الاعناق اليه مثل ابي بكر، من بايع رجلاً من غير مشورة المسلمين، فلا يبايع هـــو، ولا الذي بايعه تغرة ان يقتلا [1]، وانه قد كان من خبرنا حين توفى الله نبيه صلى الله عليه وسلم :ان الانصار خالفونا فاجتمعوا باسرهم في سقيفة بني ساعدة، وخالف عنا علي والزبير ومن معهما، واجتمع المهاجرون الى ابي بكر، فقلت لابي بكـــر : يا ابا بكر انطلق بنا الى اخواننا هؤلاء من الانصار فانطلقنا نريدهم ، فلما دنونا منهم لقينا منهم رجلان صالحان، فذكرا ما تمالأ عليه القوم، فقالا :اين تريدون يامعشـــر المهاجرين ؟فقلنا نريد اخواننا هؤلاء من الانصار، فقالا: لا عليكم ان لا تقـــربوهم، اقضوا امركم. فقلت :والله لنأتينهم. فانطلقنا حتى اتيناهم في سقيفة بني ساعدة، فاذا رجل مزمل بين ظهرانيهم، فقلت :من هذا ؟ فقالوا :هذا سعد بن عبادة، فقـــلت ماله ؟ قالوا : يوعك، فلما جلسنا قليلاً تشهد خطيبهم، فاثنى على الله بما هو اهلـــه ثـــم قال: اما بعد، فنحن انصار الله وكتيبة الاسلام، وانتم معشر المهاجرين رهـــط[2]، وقد دفت دافة[3] من قومكم، فاذا هم يريدون ان يختزلونا من اصلنا [4] وان يحضنونا [5] من الامر. فلما سكت اردت ان اتكلم، وكنت قد زورت مقالة اعجبتني، اريد ان اقدمها بين يدي ابي بكر – وكنت اداري منه بعض الحد [6]، فلما اردت ان اتكـــلم، قال ابو بكر: على رسلك، فكرهت ان اغضبه، فتكلم ابو بكر فكان هو احلم

[1] تغرة، من غرر به تغريراً أي عرضه للهلكة. المعجم الوسيط، ٦٤٨ مادة (غرر).

[2] أي قليل، يقال للعشرة فما دونها، ولكنه لم يرد هنا حقيقة الرهط، وانما اطلق عليهم بالنسبة اليهم، أي : انتم بالنسبة لـــنا قليل. انظر : ابن حجر، احمد بن علي بن محمد العسقلاني، ابو الفضل (ت، ٨٥٢هـــ) تفسير غريب الحديث، دار المعرفة، (بيروت،بلا) ص ١٠٧.

[3] الدافة : الجماعة من الناس تُقبل من بلد الى بلد. المعجم الوسيط، ٢٨٩ مادة (دفّت).

[4] أي يزيلوننا، ابن حجر، المصدر السابق، ص ٨١

[5] يحضنونا أي يخرجونا، م.ن. ٧١

[6] يعني انه كان في خلقه حدة أي قوة، والحد : شدة الخلق، م.ن. ٦٦

مني واوقر، والله ماترك من كلمة اعجبتني في تزويري الا قال في بديهته مثلها او افضـــل منها، حتى سكت، فقال : ماذكرتم فيكم من خير فانتم له اهل، ولن يعرف هـــذا الامر الا لهذا الحي من قريش، هم اوسط العرب نسباً وداراً. وقد رضيت لكم احد هذين الرجلين، فبايعوا ايهما شئتم، فاخذ بيدي ويد ابي عبيدة بن الجراح -وهو جـــالس بيننا- فلم اكره مما قال غيرها، كان والله ان اقدم فتضرب عنقي لايقربني ذلـــك من اثم احب الي من ان اتامر على قوم فيهم ابو بكر، اللهم الا ان تسول الي نفســـي عـــند الموت شيئاً لااجده الان. فقال قائل من الانصار :انا جذيلها المحكك وعذيقهـــا المـــرجب[1]، منا امير ومنكم امير يامعشر المهاجرين، حتى كثر اللغط، وارتفعت الاصوات، حتى فرقت من الاختلاف، فقلت :ابسط يدك يا ابا بكر، فبسط يده فبايعته، وبايعه المهاجرون، ثم بايعته الانصار، ونزونا على سعد بن عبادة فقال قائل منهم :قتلتم سعد بن عبادة، فقلت :قتل الله سعد بن عبادة، قال عمر : وانا والله ماوجدنا فيما حضرنا من امر اقوى من مبايعة ابي بكر، خشينا ان فارقنا القوم ولم تكن بيعة ان يبايعوا رجلاً منهم بعدنا، فاما بايعناهم على مالانرضى، واما نخالفهم فيكـــون فساداً، فمن بايع رجلاً على غير مشورة من المسلمين، فلا يبايع هو، ولا الذي بايعه تغرة ان يقتلا))

هـــذه هـــي تفاصيل بيعة ابي بكررضي الله عنه الاولى،ثم تبعتها في اليوم التالي بيعة عامة الناس له في المسجد،كما رواها البخاري[2]عن انس رضي الله عنه ((انـــه ســـمع خطـــبةعمر الاخيرة حين جلس علىالمنبر،فتشهد وابو بكر صامت لايتكـــلم،قال: كـــنت ارجو ان يعيش رسول الله حتى يدبرنا- يريد بذلك ان يكون آخرهم- فان يكن محمد صلى الله عليه وسلم قد مات، فان الله قد جعل بين اظهركم نـــوراً تهـــتدون به، بما هدى الله محمداً صلى الله عليه وسلم، وان ابا بكر صاحب

---

[1] جذيلها: هو عود ينصب للجرباء من الابل لتحتك به، وعذيقها تصغير عذق والمرجب المعظم. انظر: ابن حجر، تفسير غريب الحديث، ص٥٤ و ١٦٢.

[2] صحيح البخاري، ٩/١٠٠ كتاب الاحكام، باب الاستخلاف ورواها ابن هشام، السيرة النبوية ٤/٤١٣

رسول الله صلى الله عليه وسلم ثاني اثنين ؛فانه اولى باموركم، فقوموا فبايعوا، وكانت طائفة منهم قد بايعوه قبل ذلك في سقيفة بني ساعدة، وكانت بيعة العامة على المنبر)).

هذه الروايات الصحيحة التي آثرنا الاعتماد عليها في موضوع خلافة الصديق رضي الله عنه، ولنا ان نستقرىء متونها وفحواها، ونستفهم مضامينها ودلالاتها، لنر كم يكون البون شاسعاً والبعد واسعاً بين فهم سليم يقوم على مقدمات صحيحة، ويعتمد الروايات الموثقة، وفهم سقيم يضمر فكرة ما سلفاً، ويتصيد لها سنداً في الروايات الشاذة او الضعيفة [1]. فلنضرب صفحاً عن ضعيف الروايات ومنكرها، ولنتبين دلالات الصحيح ودروسها.

[1] اورد الطبري حديث السقيفة باسناده فقال : حدثنا هشام بن محمد عن ابي مخنف قال :حدثني عبد الله بن عبد الرحمن بن ابي عمرة الانصاري ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قبض اجتمعت الانصار في سقيفة بني ساعدة فقالوا :نولي هذا الامر بعد محمد (عليه السلام) سعد بن عبادة. ..)) ثم يذكر فيها مناقشات حادة دارت بين الصحابة حتى خرجت عن المعهود من ارشاد الاسلام واخلاق رجاله الاعلام –مهاجرين وانصاراً– وتصور هذه الرواية قضية استخلاف ابي بكر رضي الله عنه وكانها صراع عنيف على السلطة تنسى معه كل فضيلة وتجحد فيه كل سابقة ! والقرآن الكريم يشيد بالمهاجرين وبالانصار ويصفهم بانهم ((بعضهم اولياء بعض)) أي ان كلاً منهم يتولى من امر صاحبه ما يتولى من نفسه نصرةً ودفاعاً. كما ان الرواية هذه، رواية منكرة سنداً كما هي منكرة متناً. وذلك لان رواتها (هشام وابي مخنف) من اهل الاهواء والكذب. فاما هشام فهو ابن محمد بن السائب الكلبي (ت، ٢٠٤هـ) قال عنه الامام احمد : ((من يحدث عنه ؟!)) وقال ابن حبان ((يروي العجائب والاخبار التي لا اصول لها)) وقال الذهبي: ((هشام لا يوثق به)). واما ابو مخنف فهو لوط بن يحيى (ت، ١٥٧هـ) قال عنه ابن معين: ((ليس بشيء)) وقال عنه ابن حبان: ((رافضي يشتم الصحابة ويروي الموضوعات عن الثقات. وقال الذهبي: ((اخباري تالف لايوثق به)). انظر : العقيلي، الضعفاء الكبير ٤ /٣٣٩ و ١٨/٤-١٩، ابن حبان، محمد بن حبان بن احمد (ت، ٣٥٤هـ) المجروحين من المحدثين والمتروكين، ٩١/٣ تحقيق : محمود ابراهيم زايد، ط١، دار الوعي، ج٣، (حلب ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) ص٩١؛ الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت،٧٤٨هـ) ميزان الاعتدال، تحقيق : علي محمد البجاوي،ط١، دار الفكر، ج٤، (بيروت ١٣٨٠هـ/١٩٦١م) ص ٣٠٤ و ٤١٩/٣-٤٢٠ ؛ابن حجر، شهاب الدين احمد بن علي العسقلاني (ت،٨٥٢هـ)، لسان الميزان، ط٢، مؤسسة الاعلمي، ج٤ (بيروت ١٣٩٠هـ/١٩٧١م) ص ٤٩٢.

المبحث الثالث

اجتماع السقيفة -دلالات وعبر

اولاً :

ان من يتمعن في الروايات التي نقلت اخبار الاجتماع، يتضح له -من غير ادنى شـــك- ان الانصــــار هـــم اول من فكر ودعا الى عقد هذا الاجتماع العاجل، لشـــعورهم بالحاجة الى من يتولى شؤون الدولة النبوية، وتدبير امر المسلمين بعد وفـــاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرشحوا لذلك المنصب رجلاً من خيارهم، توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنه راضٍ.

ولما علم المهاجرون بصنيع الانصار، خرجوا اليهم مسرعين للمشاركة في مـــثل هـــذا الامـــر المهم، وتقليب وجهات النظر مع اخوانهم للوصول الى اصوب الآراء وارشـــد الاختيارات ((وهذا يعني انه لايمكن القول ابداً بوجود امر دبر من قبل، او مؤامرة محاكة، كان اطرافها ابو بكر وعمر وابو عبيدة [1] رضي الله عنهم اجمعيـــن ، فالمعـــروف ان ابا بكر عند وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم كان

---

[1] وهـــذا مـــا يشـــيعه كثير من المستشرقين، ليس آخرهم فيليب حتي. وعن مثل هذه التفسيرات يقول الدكتور اكرم العمـــري: ((انما تصدر عن مفكرين عاشوا في بيئة بعيدة عن الاسلام. .فيصعب عليهم تذوق الاسلام، وبالتالي يتعذر عـــليهم فهم دوافع سلوك المسلم في حركته الفردية والجماعية، وهم يقيسون على التاريخ الاوربي في تفسيرهم لحركة الـــتاريخ الاســـلامي رغم اختلاف طبيعة التاريخين. .فمثلاً عندما يعرض المستشرق الاب (لامانس) لحادثة سقيفة بني ســـاعدة -وهـــي سابقة رائعة لتطبيق الشورى الاسلامية، حيث اقتنعت الاكثرية برأي الاقلية-فان صور المؤامرات في الـــبلاط الفرنسي في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، تشوه رؤيته لاحداث السقيفة، فيطلع علينا بصورة مشوهة عـــندما يقرر تآمر ابي بكر وعمر وعثمان (رضي الله عنهم) واتفاقهم على انتزاع الخلافة والتعاقب عليها فيما بينهم في ســـقيفة بـــني ســـاعدة)) انظر كتابه :المجتمع المدني في عهد النبوة، ط١، مطبوعات الجامعة الاسلامية (المدينة المنورة، ١٤٠٣هـــ/١٩٨٣م) ص٢٠.

خارج المدينة، في منزله بالسُنْح [1]، ولو كان متآمراً لما غادر المدينة، ولبقي مترقباً حـــذراً ليثـــبت على الخلافة عند وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وحين علم بوفاتـــه صـــلى الله عليه وسلم حضر الى منزله، وانشغل برسول الله مع بقية بني هاشم.

اما عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد اصيب بالذهول عند وفاة الرسول صـــلى الله عليه وسلم [2]، وقام يقول للناس ((والله ما مات رسول الله. .الا لااسمعن احداً يقول ان محمداً مات، فان محمداً لم يمت، ولكنه ارسل اليه ربه كما ارسل الى موسى، واني لارجو ان يقطع ايدي رجال وارجلهم يزعمون انه قد مات))[3]. فكيف يكـــون هـــذا موقـــف عمر عند موت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويكون هو المخطط بالاشتراك مع صاحبه للانقضاض على الخلافة ؟! بل كيف يظن ان يكون ثمة تخطيط مبيت في امر وصف بانه ((كان فلتة)) ؟!

ثانياً :

ان الاجـــتماع عقد في ساحة عامة، وفي الهواء الطلق، وجرت المناقشات بحـــرية تامـــة، وفق منطق منضبط :كل فريق يدلي بدلوه، فيذكر الانصار ماقدموا للدين من خدمات، ويدلي المهاجرون بما خصوا به في بدء الدعوة من تحمل الاذى فضـــلاً عـــن مفارقـــة الاوطان. ولما ذكر النص المأثور : ((لايزال هذا الامر في قريش)) [4] ثاب الانصار الى قول الرسول صلى الله عليه وسلم، وانتهى الامر بان اصـــبح المهاجـــرون هم الامراء، واصبح الانصار لهم الوزراء. وكل ذلك يتم في

---

[1] ابن سعد، الطبقات، ٢٦٨/٢ ؛ البخاري، الصحيح –كتاب المغازي، باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم، الطبري، الرسل والملوك، ٢٠٢/٣.

[2] لطيـــف، د.محمد محمود، عدالة الصحابة، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الاسلامية (بغداد، ١٤٢١هـــ/٢٠٠١م) ص وهي غير منشورة .

[3] ابن سعد، المصدر السابق، ٢٦٨/٢-٢٧٠ باختصار

[4] مسلم، الصحيح، ١٤١/٢، وتمامه ((مابقي من الناس اثنان)) ويعني بالامر الخلافة.

بضـــع ساعات لاغير ! ثم يعقب ذلك، البيعة العامة لابي بكر في اليوم التالي وكأن ماحصــــل فـــي السقيفة لم يكن الا ترشيحاً للامامة، واما انعقادها النهائي فيلزم له حصول البيعة العامة في المسجد [1].

ثالثاً :

في هذا الموقف العظيم، نرى في رواية احداث السقيفة، الايمان في جماعة المؤمـــنين، يعمـــل فـــي كل ناحية ومن كل وجه. ففي موقف الخلاف مما هو اشد مايختـــلف الـــناس عليه، يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى من سأله اين تـــريدون. .((نـــريد اخواننا من الانصار)). فالاخوة مازالت تعمل عملها، ورابطة العقيـــدة مـــازالت على قوتها. .وعندما قام رجل من الانصار وتكلم فقال : ((نحن انصـــار الله)) فلم يكونوا انصار عصبية جاهلية، ولا انصار اقليمية. . انما انصار الله وكتيبة الاسلام. وهذا مما يبين لنا بوضوح كيف صاغ الاسلام المجتمع العربي صياغة عقائدية اسلامية، بعيدة عن الولاءات القبلية والانتماءات العرقية.

وحيـــن تكـــلم ابو بكر رضي الله عنه لم ينكر على الانصار فضلهم، وما ذكـــروه مـــن تضحياتهم ؛انما رد الامر كله إلى منهاج الله فقال: ((ولن يعرف هذا الامـــر الا لهذا الحي من قريش)) فاقام الحجة على نهج واضح وكلمة بينة. يرافق ذلك كله النية الخالصة، والنصيحة الصادقة؛ فاذا بالمجتمعين سرعان ما يلتقون على مـــنهاج الله، ويتمسكون به اكثر من تمسكهم بالاشخاص، ويظلل الخير المجموع : تحترم للرجال منازلهم، وتصان للمواهب مكانتها. فما كاد عمر بن الخطاب رضي الله عـــنه يـــبايع ابا بكر رضي الله عنه، حتى قام المهاجرون فبايعوا، ثم قام جمع الانصار ففعلوا كما فعل اخوانهم المهاجرون [2].

---

[1] القاسمي، ظافر، نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الاسلامي (الكتاب الاول)، ط٥، دار النفائس (بيروت، ١٤٠٥هـــ/ ١٩٨٥م) ص١٦٣-١٦٥.

[2] الـــنحوي، عدنـــان علي رضا، ملامح الشورى في الدعوة الاسلامية، ط٢، مطابع الفرزدق (الرياض، ١٤٠٤هـــ/ ١٩٨٤م) ص١٧٩-١٨١.

رابعاً :

ومن تفاصيل مادار في الاجتماع، ودفاع كل طرف عن رأيه دون تلكؤ او رهبة، ندرك أي الرجال كان هؤلاء المجتمعون، في قوة البيان، ورباطة الجنان، وصدق اللسان. فليس من السهل على امثال هؤلاء الكبار، ان تمرر عليهم مكيدة، او تنطلي عليهم حيلة. ولا ننسى ان خطيب الانصار -يومها- كان الحباب بن المنذر رضي الله عنه [1]، وهو من هو في سداد الرأي وصواب المشورة، فضلاً عن سابقته في الاسلام وجهاده، وقد كان في الاجتماع، على غاية من الحماس والانتصار لقومه الانصار. فكيف فاته ادراك ابعاد (المؤامرة المزعومة) وهو القائل ((انا جذيلها المحكك، وعذيقها المرجب)) ؛وهو ايضاً الذي لاتنقصه الفطنة ولا تثنيه الرهبة ؟

واذا فات الحباب والانصار جميعاً رضي الله عنه ان ينتبهوا من غفلتهم -حاشاهم- اول الامر حيث رشح ابو بكر رضي الله عنه، فاين كانوا عند ترشيح عمر رضي الله عنه للخلافة من بعد ابي بكر رضي الله عنه ؟

هل يستطيع احد ان يذكر رواية او يورد نصاً عن الانصار فيما يخص استخلاف عمر رضي الله عنه هل نقل عنهم عقد اجتماع كحالهم الاولى في السقيفة؟ هل عادوا ثانية الى التذكير بحقهم في الخلافة ؟ هل يعقل منهم الا يفيقوا من (غفوة بله استغفال) يدوم سنيناً، ولا يصحوا على ((امر قضي بليل)) كما عقله

---

[1] الحباب بن المنذر بن الجموح الانصاري الخزرجي السلمي، شهد بدراً وهو ابن ثلاث وثلاثين، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان يقال له : ذو الرأي، وهو الذي اشار على النبي صلى الله عليه وسلم في تبديل معسكر المسلمين في بدر إلى معسكر مناسب، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ياحباب أشرت بالرأي. توفي الحباب رضي الله عنه في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. ابن سعد، الطبقات، ٣/٥٦٧-٥٦٨ ؛ابن حجر، الاصابة، ١/٣١٦-٣١٧. وقوله ((جذيلها المحكك)) مثل للرجل يشتفى برأيه. و ((عذيقها المرجب)) مثل كذلك للرجل الشريف الذي يعظمه قومه، انظر : ابن حجر، تفسير غريب الحديث، طبعة		مادة : جذل و عذق

ابو جهل من قبل في اجتماع نقض صحيفة المقاطعة، اذ ادرك ان توافق المطالبين بانهاء المقاطعة، امرٌ أعد له سلفاً [1].

ومن الغريب ايضاً ان يقوم خمسون انصارياً بحماية مجلس الشورى وحث اعضـائه ليخـتاروا واحداً منهم خليفة للمسلمين، ولو علم الانصار ان لهم حقاً في ذلك، لما وقفوا حراساً يحمون من غصبهم حقهم واستأثروا بالفضل دونهم [2].

---

[1] اورد ابـن هشـام خبر الصحيفة، وان قريشاً ((اجتمعوا وائتمروا ان يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطـلب :عـلى ان لاينكحوا اليهم، ولاينكحوهم، ولايبيعوهم شيئاً، ولا يبتاعوا منهم، فلما اجتمعوا لذلك كتبوا في صـحيفة، ثم علقوها في جوف الكعبة توكيداً على انفسهم. .فانحازت بنو هاشم وبنو المطلب الى ابي طالب فدخلوا في شعبه. .واقاموا على ذلك سنتين او ثلاثاً، حتى جهدوا. .ثم انه قام في نقض تلك الصحيفة نفرٌ من قريش، اولهم :هشام بـن عمرو –وكان ذا شرف في قومه –فمشى الى زهير بن ابي امية بن المغيرة المخزومي –وكانت امة عاتكة بنت عبد المطـلب– فقال له :يازهير، اقد رضيت ان تاكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء، واخوالك حيث قد علمت. .ثم ذهب الى المطعم بن عدي، والى ابي البختري بن هشام، والى زمعة بن الاسود. . فاتعدوا ليلاً باعلى مكة، وتعاقدوا على القيـام في الصـحيفة حتى ينقضوها، وقال زهير :انا ابدؤكم فاكون اول من يتكلم، فقال :يا اهل مكة، انأكل الطعام ونلـبس الثياب وبنو هاشم هلكى. .والله لااقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة. .((ثم قام زمعة والاخرون من بعـده) وقالوا نبرأ الى الله منها ومما كتب فيها. .قال ابو جهل :هذا امر قضي بليل تشوور فيه بغير هذا المكان. .فقام المطعم الى الصحيفة ليشقها، فوجد الارضة قد اكلتها الا ((باسمك اللهم)). انظر : سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، ١/ ٣٧٢ و ٣٩٧ وما بعدها.

[2] قـال عمر رضي الله عنه لابي طلحة الانصاري :يا ابا طلحة، ان الله عز وجل طالما اعز الاسلام بكم، فاختر خمسين رجـلاً من الانصار ؛فاستحث هؤلاء الرهط حتى يختاروا رجلاً منهم. فوافى ابو طلحة في اصحابه ساعة قبر عمر، فلزم اصـحاب الشـورى، فلما جعلوا امرهم الى ابن عوف يختار لهم، لزم ابو طلحة باب ابن عوف في اصحابه حتى بويع عثمان بن عفان رضي الله عنه. ابن سعد، الطبقات، ٦١/٣ ؛ الطبري تاريخ الامم والملوك، ط المعارف، ٢٩٩/٤ ؛ ابن الجوزي، تاريخ عمر بن الخطاب، ١٨٩.

خامساً :

وهــؤلاء الكــرام الكبار من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم -ابو بكــر وعمر وابو عبيدة-، والذين يفتري عليهم المستشرقون وغيرهم من اصحاب الاهواء والبدع، بانهم تآمروا على احتجان الخلافة والاختصاص بها دون الاخرين. هــؤلاء منحوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم اوسمةً رفيعة -صدّيق وفاروق وأميــن [1]- فمــن شغب عليهم بشيء او شابههم بامر فانما يكذب الرسول صلى الله عــليه وسلم فيما قال، ويحاول -خاسئاً- هدم رموز الامة واعلامها، وانى له ذلك! ولــنقف قليلاً عند هذا الامر - امر التآمر المزعوم على الخلافة، ونتوجه بالاسئلة التالية :

١- اذا كــانت بيعــة السقيفة في اليوم الاول مؤامرة ومكيدة، فما هو تفسير البيعة العامة التي تمت لابي بكر الصديق رضي الله عنه في المسجد في اليوم التالي، وعددهم يربو على عدد من اجتمعوا بالامس ؟ فبموجب منطق اهل الاتهام، فانه يقتضــي ان المؤامــرة قد شاركت فيها جموع المواطنين -مهاجرين وانصاراً- وهل يعد هذا منطقاً يدون وفقه سجل، او يكتب في ضوئه تاريخ ؟!

[1] ســمي ابو بكر بالصديق -على ماذكره ابن هشام- عقب معجزة الاسراء والمعراج وتكذيب المشركين بها، وابو بكر يقــول لرسول الله في كل ذلك :صدقت اشهد انك رسول الله، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: ((انت ياابا بكر الصديق))، ونقل ابن حجر حديث الدارقطني ((عن ابي يحيى قال : لا احصي كم سمعت علياً يقول على المنبر ان الله عز وجل سمى ابا بكر على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم صديقاً)). انظر : ابن هشام، سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، ٢ /٥ ؛ ابن حجر، الاصابة، ٣٤٣/٢.

وفي تســمية عمــر بن الخطاب بالفاروق، ذكر ابن الجوزي ان عائشة رضي الله عنها سئلت ((من سمى عمر الفاروق ؟قــالت : رسول الله صلى الله عليه وسلم. وعن النزال بن ابي سبرة الهلالي (تابعي مختلف في صحبته) قال: ((وافقنا من علي بن ابي طالب ذات يوم طيب نفس فقلنا : ياامير المؤمنين حدثنا عن عمر بن الخطاب. قال : ذلك امرؤ سماه الله- الفاروق، فرق به بين الحق والباطل، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اللهم عز الاسلام بعمر)) انظر : ابن الجوزي، تاريخ عمر بن الخطاب، مصدر سابق، ١٧ ؛ ابن حجر، الاصابة، ٥٥٣/٣.

واما ابو عبيدة فقد اخذ بيده رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال :هذا امين هذه الامة، وبعثه معلماً لاهل اليمن. ابن حجر، المصدر السابق، ٢٥٢/٢.

٢- اذا كان عمر رضي الله عنه حريصاً على الخلافة، ويتآمر -حاشاه- للحصول عليها، فقد سنحت له فرصة ايسر من ذي قبل، وحين وفاته -وهي لحظة حرجة كثيراً ماتكشف عن خبايا النفس البشرية - اذ طلب منه- وهو يعالج سكرات الموت -ان يستخلف ابنه عبد الله مكانه فيأبى بشدة [١] ويقول لمن اشار عليه بذلك: ((قاتلك الله :والله ماأردت الله بذلك. .وقال :لو كان ابو عبيدة بن الجراح حياً استخلفته ؛ فان سألني ربي قلت :سمعت نبيك يقول : ((انه أمين هذه الامة))، ولو كان سالم مولى ابي حذيفة [٢] حياً استخلفته، فان سألني ربي قلت : سمعت نبيك يقول : ((ان سالماً شديد الحب لله)). .فقالوا :يا امير المؤمنين، لو عهدت عهداً. فقال : ماأريد ان اتحملها حياً وميتاً ؛عليكم هؤلاء الرهط الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((انهم من اهل الجنة)) ؛ سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل منهم ولست مدخله ؛ولكن الستة :علي وعثمان ابنا عبد مناف، وعبد الرحمن وسعد خالا رسول الله صلى الله عليه وسلم، والزبير بن العوام حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته، وطلحة الخير بن عبيد الله، فليختاروا منهم رجلاً. . ويحضر عبد الله بن عمر ولاشيء له من الامر..)) [٣] فهذا آخر ما رشحت به روح عمر الزكية بشأن الخلافة، فهل يرى اثر للحرص

---

[١] وكذلك طلب من الامام علي رضي الله عنه حين طعن ان يستخلف ابنه الحسن رضي الله عنه من بعده، فابى وقال : ((لاآمركم ولا انهاكم..انتم باموركم ابصر)) ولما قالوا له :وماذا تقول لربك ان لقيته دون ان تستخلف علينا ؟اجابهم: ((اقول له، تركتهم دون ان استخلف عليهم، كما ترك رسولك المسلمين دون ان يستخلف عليهم)). كما كان رضي الله عنه يحتج على معاوية رضي الله عنه بصحة بيعة من سبقوه على صحة بيعته، فيخاطب معاوية بقوله: ((انه بايعني القوم الذين بايعوا ابا بكر وعمر وعثمان، على مابايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد ان يختار، ولا الغائب ان يرد..)) انظر :ابن ابي الحديد، ابو حامد عبد الحميد هبة الله (ت، ٦٥٥هـ) شرح منهج البلاغة، تحقيق حسن تميم، مكتبة الحياة، ج ٣(بيروت، ١٩٦٣م) ص٧ ؛ وايضاً م. ن، ج٢/٨٦. وانظر :الكاتب، احمد، تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى الى ولاية الفقيه، ط١، (عمان الاردن، ١٩٩٧م) ص١٤-١٧.

[٢] سالم بن معقل مولى ابي حذيفة بن عتبة بن ربيعة، من فضلاء الصحابة، معدود في المهاجرين، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستشهد يوم اليمامة عام (١٢هـ) وهو يحمل اللواء. ابن سعد، الطبقات، ٣/٨٥ ؛ابن حجر، المصدر السابق، ٢/٦.

[٣] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، طبعة دار المعارف، ٤/٢٢٨-٢٢٩.

عليها او (التآمر) لنيلها، وهو يستبعد سعيد بن زيد من الترشيح لها لقرابته منه، كما يطلب من ابنه عبد الله ان يشهد المجلس مرجحاً لا مرشحاً.

٣- وابـــو عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه، الصحابي الجليل، والقائد العام للجيش الاسلامي في الشام، هو المتهم البريء، يدركه اجله في طاعون عمواس (١٨هـــــ) فيكــتب اليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليستخرجه منه، فيأبى القــائد الكـــريم الا المكوث مع جنده، يلاقي معهم مايلاقونه. وكان كتاب عمر رضي الله عنه اليه : ((ان سلام عليك، اما بعد. فقد عرضت لي اليك حاجة اريد ان اشــافهك فيها، فاذا اتاك كتابي هذا، فاني اعزم عليك ان اتاك ليلاً الا تصبح حــتى تــركب، وان اتاك نهاراً الا تمسي حتى تركب الي، فاذا انت نظرت في كتابي هذا الا تضعه من يدك حتى تقبل)). فعرف ابو عبيدة ماراد عمر، فكتب اليــه ((يا امير المؤمنين قد عرفت حاجتك الي، وانك تستبقي ماليس بباق، واني في جند من المسلمين لا اجد بنفسي رغبة عنهم، فلست اريد فراقهم، حتى يقضي الله في وفيهم امره وقضاءه. فحللني من عزيمتك)). فلما قرأ عمر الكتاب بكى، فقال الناس ((يا امير المؤمنين أمات ابو عبيدة؟)) قال ((لا، وكأن قد)). .)) [١].

فهـــلا اجـــاب ابو عبيدة دعوة عمر رضي الله عنهما، فانقذ نفسه اولاً، ثم تـــربص فيما بعد لينال الخلافة حسب الاتفاق (المزعوم) الذي يرجف به المفترون مـــن امـــثال (هنري لامانس) و(فيليب حتي) الذي يقول : ((ولعل مبايعة ابي بكر كانت نتيجة اتفاق بينه وبين عمر بن الخطاب وابي عبيدة بن الجراح، الكتلة الثلاثية التي ادارت شؤون الاسلام وهو بعد في مهده)) [٢].

---

[١] البلاذري، فتوح البلدان، مصدر سابق، ١٤٥ ؛ابن الاثير، الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ٥٥٨/٢.

[٢] تاريخ العرب -مطول، ١٩١/١.

سادساً :

لا ننسى انه كان هناك منافقون ومشركون ويهود عاصروا الاحداث، وكلهم يتربصـــون الدوائر باهل الاسلام ويتلقفون التهم فضلاً من اختلاقها ضد المسلمين فكيف يسكتون عن مثل هذه المؤامرة الثلاثية ؟ - ان لو كانت - كيف لا يشيعونها او لا ينقلونها ؟ كيف خفي هذا (الاتفاق) -دقه وجله-على اولئك القوم قرونا طويلة فلم يذكروا عنه شيئاً إلى ان جاء من يكتشفه-زوراً وبهتاناً-في القرن العشرين ؟!

سابعاً :

ومما اكتشفه (حتي) ايضاً، ماورد في قوله : ((توفي محمد فظهرت احزاب متضـــاربة. .ثم توحد الحزبان -يقصد المهاجرين والانصار- تحت اسم الصحابة وكـــان هـــناك حـــزب آخر تألف من اصحاب النص والتعيين، مبدأه. . ان زعامة الاســـلام معقـــودة لمـــن يســـتحقها على اساس منصوص معين أي لعلي ابن عم الرســـول. . واخيراً ظهر حزب ارستقراطية قريش يمثله الامويون. .ولقد نهضوا الان يدعـــون الخلافـــة وعـــلى رأســـهم ابو سفيان..)) [1] وسبق ان نوقشت مسألة الاستخلاف والانتخاب فيما بين المهاجرين والانصار، فيحسن مناقشة مسألة (حزب النص والتعيين) و (حزب الارستقراطية).

ان اطـــلاق القول بانه (ظهرت احزاب متضاربة) بعد وفاة النبي صلى الله عـــليه وسلم، امر مبالغ فيه كثيراً، وليس له اساس متين. فقد سبق ان اتضح لنا ان نقاشـــات المهاجـــرين والانصار في اجتماع السقيفة لم تدم سوى ساعات معدودة، انفـــض بعدهـــا المجتمعون، واختفى كل خلاف. فهل هذا يعد تحزباً متضارباً، او حزباً مشكلاً ولم تطل به الحياة سوى بضع ساعات من نهار ؟!

كمـــا لا يخـــفى عـــلى الباحث المحقق، انه لاوجود لحزب يسمى (النص والـــتعيين) إثـــر وفاة النبي صلى الله عليه وسلم. فمن هم اعضاء هذا الحزب ومن

---

[1] تاريخ العرب ١/١٩٠

انصــاره ومــن يتزعمه ؟ واذا قام الانصار بعقد اجتماع عاجل لبحث حقهم –فيما يـرون– فــي الخلافة، فلماذا لم يعقد (حزب النص والتعيين) اجتماعاً كهذا لابلاغ الناس وصية الرسول صلى الله عليه وسلم بشأن الاستخلاف ؟! وهل يعقل ايضاً ان يجــد سعد بن عبادة رضي الله عنه في اجتماع السقيفة انصاراً يطالبون بتنصيبه، ويجد المهاجرون كذلك انصاراً لمرشحهم، بينما يفقد (الوصي) [1] كل نصير، ويعدم كل معين، فلا يجد احداً يطالب بحقه، او يبرز الوصية له وبه ؟

اما ما يذكره (حتي) عن ظهور (حزب ارستقراطية قريش يمثله الامويون) فــليس صحيحاً انهم الّفوا حزباً وبدأوا يطالبون بالخلافة. ولم يذكر المؤرخون عن الامويــن شيئاً بخصوص البيعة وانتخاب الخليفة سوى كلام قاله ابو سفيان للامام عــلي رضي الله عنه، اظهر فيه عدم الرضا، وتوعد الاثارة عما جرى، فلم يرض ذلــك الامام علي رضي الله عنه –وعنف ابا سفيان على قوله ؛وفي رواية ان ابا سـفيان قال للامام علي : ((ابا حسن، ابسط يدك حتى ابايعك. فأبى علي ذلك)) [2]. فانت ترى انه لم يكن هناك ثمة حزب يدعى (حزب الارستقراطية) والا لذهب اليه ابو سفيان بدلاً من ذهابه الى (حزب النص والتعيين) !!

---

[1] يذكر الشريف المرتضى (ق ٥هــ) رواية تقول :ان العباس بن عبد المطلب خاطب امير المؤمنين في مرض النبي صلى الله عــليه وسلم ان يسأله عن القائم بالامر بعده، فان كان لنا بيّنه، وان كان لغيرنا وصى بنا. وان امير المؤمنين قال : ((دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ثقل، فقلنا :يا رسول الله. .استخلف علينا، فقال : لا، اني اخاف ان تتفرقوا عنه كما تفرقت بنو اسرائيل عن هارون، ولكن إن يعلم الله في قلوبكم خيراً إختار لكم)) الشافي ١٤٩/٤ و ٣/ ٢٩٥. نقــلاً عن :احمد الكاتب، تطور الفكر السياسي الشيعي، ١١. وذكر الطبري انه بعد مقتل عثمان رضي الله عنه ((غشــي الناس علياً فقالوا : نبايعك. زفقال علي :دعوني والتمسوا غيري. .واعلموا إن أجبتكم ركبت بكم ما اعلم، وان تركتموني فانما انا كاحدكم، الا اني اسمعكم واطوعكم لمن وليتموه امركم. .ان هذا امركم ليس لاحد فيه حق الا مــن امرتم)) تاريخ الرسل والملوك ط المعارف، ٤/٤٣٤-٤٣٥. قلت : ولو كانت فرضية النص والتعيين ثابتة، لم يكن الامام بحاجة الى بيعة الناس.

[2] قــال ابــو سفيان لعلي رضي الله عنه : ما بال هذا الامر في اقل حي من قريش، والله لئن شئت لاملأنها عليه خيلاً ورجالاً. فقال علي : يا ابا سفيان طالما عاديت الاسلام واهله فلم تضره بذاك شيئاً، انا وجدنا ابا بكر لها اهلاً. انظر : الطبري، المصدر السابق، ٢٠٩/٣.

الفصل الثاني

الفتوحات

ومفتريات (حتي)

الفتوحات

تمهيد

سبق ان تناولنا فريضة الجهاد بالحديث عنها، واوضحنا انها فريضة من فرائض الاسلام، وعبادة يشترط لقبولها ان تكون النية - أي الدافع عليها- خالصة من كل شائبة. وكما ان لهذه العبادة شروطاً، فكذلك لها اداب يجب ان تراعى. وفي كل ذلك، كان المسلمون المجاهدون قمماً انسانية متميزة يندر ان يوجد قريناً لها، في غير الامة العربية الاسلامية.

وليس الجهاد الا دعوة الناس الى الهدى والنور، وليس الاكراه على اعتناق الاسلام غاية الجهاد وان اقترنت الفتوحات به، فان بلاداً واسعة قبلت الهداية والنور من غير ان تصلها سيوف المجاهدين. على عكس بلاد اخرى فتحت بالسيف، وبقي اهلها على دياناتهم التي بها يدينون. لذا فان ((انتشار الاسلام ليس متاتياً من امتداد الدولة، فمن الممكن ان تمتد الدولة الاسلامية ولا يمتد معها الاسلام، وهذا ما اكده الفقهاء المسلمون، فقال بعضهم : ((وليس من شرط دار الاسلام ان يكون فيها مسلمون، بل يكتفي كونها في يد الامام واسلامه)) ولو جال في فكرهم فرض العقائد بالقوة ماصح ذلك. فلم تكن القوة او السيف خلف انتشار الاسلام، كما لم تكن الفتوحات لهذا الغرض، بل كانت وراء انتشاره سماحته وعدله مع الشعوب التي لم تالف مثل ذلك، مع بساطة العقيدة وملاءمتها للعقل)).[1]

ان الحركة الجهادية - حركة الفتح الاسلامي، في دوافعها وخصائصها واثارها، لهي فصل اساس في التاريخ الاسلامي. وخاصة عصر النبوة والخلافة الراشدة - عصر صدر الاسلام. وتعد هذه الحركة من اسرع حركات الفتح في التاريخ كله،

---

[1] الكبيسي ،خليل رجب حمدان ،السلام الدولي في الاسلام ،رسالة ماجستير ،كلية الشريعة بجامعة بغداد ، ١٤٠٧ هـ/١٩٨٧م ، ص٨٤ . وهي غير منشورة .

بحيث شملت في عقود قليلة من الزمن ارضاً تمتد من المحيط غرباً الى الهند شرقاً، من غير ان تسجل فيها حادثة واحدة تخبر عن ارغام الناس على الدخول في الاسلام قسراً.

ولو قارنا التوسع الامبراطوري الذي حدث في العالم في ازمان مختلفة على عهد الاسكندر المقدوني (٣٢٣ ق.م) [١] وجنكيز خان (١٢٢٧م) [٢] ونابليون بونابرت (١٨٢١م) وغيرهم، بالفتوحات الاسلامية تبين لنا ان اهمية اهداف وغايات ذلك التوسع الامبراطوري تقل بل تصغر امام اهمية وغاية الفتوحات الاسلامية. لقد سيطر اولئك الاباطرة والقياصرة على العالم في معظمه فكيف سيطروا عليه، وماذا قدموا للشعوب المغلوبة ؟

فاما سيطرتهم بالقوة والاذلال، وقهر الاخرين، وتحويلهم خدماً لامبراطورياتهم يمدونها بالجنود ومختلف الخيرات، فامر فيما نظنه لايحتمل خلافاً. لقد اصابوا قلوب الناس بسيوفهم ثم لم يضمدوا جراحها. اما الذي نشروه في الارض او قدموه للشعوب :فالظلم والتمايز الطبقي والديني وعبودية الانسان لاخيه الانسان [٣].

لكن الفاتحين الذين قال عنهم (لوبون): ((ان الامم لم تعرف فاتحين راحمين متسامحين مثل العرب ولا دينا سمحاً مثل دينهم)) [٤] فانهم حرروا الانسانية من عبودية الانسان، واعطوا البشرية الحرية الدينية، ورفعوا عنها نير الاستغلال الاقتصادي، وبعد الفتوحات اقاموا الامن والنظام، وعملوا على بناء ورقي البلاد

---

[١] مجموعة باحثين ،العراق في التاريخ ،طبعة دار الحرية (بغداد ، ١٩٨٣م) ص٢٤٧ .

[٢] م . ن ، ٥٤٥ .

[٣] صديقي ، الهجمات المغرضة على التاريخ الاسلامي ،مصدر سابق ،١١٧ ؛ محمد قطب ،كيف نكتب التاريخ الاسلامي ،مصدر سابق ، ١٣٦ .

[٤] حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، ط٢، دار احياء الكتب العربية (القاهرة، بلا) ص ٧٢٠.

المفتوحة، كما قاموا باضاءة قناديل العلم والمعرفة ؛فانبثقت لذلك حضارة انسانية لا يستأثر بها احد دون احد، انما فتحت ابوابها لكل الشعوب من غير ما تمييز بسبب من دين او عنصر او ما سوى ذلك[1].

وعلى الرغم من ذلك كله، فان هذه الحركة المباركة - حركة الفتوحات - لم تسلم من افتراءات المستشرقين، ومن تاثر بهم من مؤرخين عرب ؛فنالها قسط كبير من سهام التشكيك والافتراء والتفسيرات الخاطئة لاهدافها ومقاصدها، وقاسوها على حركات التوسع الاستعماري الذي لايبغي من ضربه في الارض الا النهب والافساد. والمستشرقون في غالبهم ذوو تصور مشترك في نظرهم الى طبيعة هذه الفتوحات، ويصعب على نفوسهم تسميتها ((فتوحات)) ناهيك عن تشكيكهم في اهدافها واثارها. وسوف نناقش هذه المفتريات فيما ياتي، ونتبين -ان شاء الله- عارها وعوارها.

---

[1] صديقي ، المصدر السابق ، ١١٧ .

المبحث الاول

افتراءات حتي

(فيليب حتي) واحد من هؤلاء المفترين، ففي حديثه عن الفتوحات الاسلامية يختار لها عنواناً، يدل بذاته على تصور خاطيء، ويوحي من خلاله الى مقصد خبيث. فيلقي ما يرومه من خلال العناوين الاتية التي سطرها في كتابه ((تاريخ العرب- مطول)) :

عصر الفتح والتوسع والاستعمار (وهو عصر الخلافة الراشدة)	١٨٩/١
الاستيلاء على مصر وطرابلس	٢١٥/١
استيلاء المسلمين على الاسكندرية	٢٢٢/١
استولى معاوية على قبرس	٢٢٣/١
انتهبت صقلية على يد احد قواد معاوية	٢٢٤/١
احتلال العرب للاسكندرية لا يضمنه الا اكتساح هذه الممتلكات	٢٢٤/١

وهكذا يصف (حتي) الفتح الاسلامي بكلمات: توسع، استعمار، استيلاء، انتهاب، احتلال واكتساح. بل الانكى من ذلك ان ينقل عن غيره وصف دخول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لبيت المقدس (١٥هـ/٦٣٦م) بهيئته البسيطة ولباسه الرث فاذا بـ (صفرونيوس) بطريرك اورشليم يلتفت الى احد مرافقيه

ويكلمه باليونانية قائلاً : ((حقاً هذا رجس الخراب الذي تكلم عنه النبي دانيال ورآه قائماً في القدس)) ويشير (حتي) الى سفر (دانيال ٣١:١١) [1]

فهل تنطبق رواية صفرونيوس -ان صحت- على حالة تسلم الخليفة عمر لمفاتح بيت المقدس ؟ وعمر رضي الله عنه رفض ان يصلي في ناحية ما من الكنيسة حتى لا يكون ذلك ذريعة لاتخاذ المكان مسجداً فيما بعد، حرصاً منه رضي الله عنه على حسن المعاملة وحفظ حقوق المعاهدين. .فهل يصح وصف عمر بأنه رجس الخراب ؟!

وحسبك مثال آخر على عبارات سيئة غير بريئة نقرأها عن فتح الاندلس :

و كان الذي حدا بالحر- بن عبد الرحمن الثقفي - الى هذه المغامرة ص٥٩٥

امل الاستيلاء على كنوز الاديرة والكنائس في غاليا (فرنسا)

فتنة الاندلس... كادت تقضي على هذه الحفنة من المستعمرين العرب ص٥٩٨

واصبح السوريون مستعمرين ص٥٩٩

ومن هناك اخذ (عبد الرحمن الداخل) في مكاتبة المستعمرين من جند ص٦٠١ الشام من اهل دمشق

وتبلغ الاساءة مبلغها حين يقول : ((ويقدر عدد الذين انتزعوا من بلادهم قتلاً ونفياً ما بين سقوط غرناطة والعقد الاول من القرن السابع عشر بنحو ثلاثة ملايين وبهذا انتهت المشكلة الاسلامية في اسبانيا)) [1]

---

[1] تاريخ العرب - مطول ،٢٠٨ ؛وانظر ايضاً:انجيل متي ، ٢٤:١٥ ، وفيه عن نبوءة دانيال : ((فمتى نظرتم رجسة الخراب التي قال عنها دانيال ..فحينئذ ليهرب الذي في اليهودية الى الجبال .والذي على السطح فلاينزل .. والذي في الحقل فلا يرجع ..ويل للحبالى والمرضعات..)) فهل تنطبق هذه النبوءة على فتح القدس ودخول عمر رضي الله عنه اليها ، ولم يكن فيها يومذاك يهودي واحد ؟!

اما عند ذكر الافرنج، فان (حتي) ينعتهم بنعوت حضارية، ومن ذلك :

ولما فتح الفرنجة بيت المقدس سنة ١٠٩٩م		ص٥٧٥

الفتح النورماندي (لصقلية). .بدأ هذا الفتح عام ١٠٦٠م		ص٧١٩

تم للصليبيين فتح بيروت وصيدا في عام ١١١٠م		ص٧٥٨

فتح الفرنسيين لمراكش		ص٨٤٦

وبعد، فماذا يستنتج القاريء مما ذكر آنفاً ؟

ان اقــرب شيء يستقر في ذهن القاريء مما ذكر ان فتوحات المسلمين لم تكــن فــتوح فكرة وتبليغ رسالة، انما هي - حسب ما اوحى به (حتي)- من اجل غــنائم يستولي عليها (المستعمرون). وما الفرق اذن، والحالة هذه، بين فتوحات المسلمين وبين حروب الاسكندر، او الغزو الصليبي، اوالاستعمار الحديث ؟!

[1] تاريخ العرب - مطول ، ٦٦٠/٣ .

المبحث الثاني

تبريرات حتي

يــبين (حــتي) اسباباً يراها -في نظره- قد يسرت الفتوحات امام العرب المسلمين، فيذكر منها :

١- ((ان فــارس وبيــزنطة كانــتا قــد وهنتا بسبب الحرب بينهما اجيالاً طوالاً فاضــطرتهما هــذه الحرب الى ارهاق رعاياهما بالضرائب القاسية ادت الى نفورهــم)) [١] هكذا يعلل هزيمة الروم وفارس وكانه يلتمس العذر لهم، ولتقليل اهمية الانتصار الاسلامي الساحق، وتهوين شان المجاهدين العرب المسلمين. وينسى (حتي) ماقاله هنا، ويناقض نفسه في مكان آخر، فيعترف بان (هرقل) ((كــان قد تمرس على الحروب، وقاتل الفرس في الشام ومصر ست سنوات، حــتى اجلاهم عنها عائداً من الرها (أدسا) موطن اجداده، لتنظيم خطة الدفاع، وتجهيــز جيش وافر العدد والعدة، يعقد امارته لاخيه ثيودورس)) [٢] ويتحدث عــن الفــرس بما يختلف عما ذكره اولاً، فيقول : ((والسر في مقاومة الفرس راجع الى ان الفرس ينتمون الى الجنس الآري لا الجنس السامي ، ولقد كانت لهم عهود متطاولة من الاستقلال والوحدة القومية، دع عنك ما تسلحوا به من جيش منظم، وما حازوه من دربة على الحرب، وخبرة بافانينها، ولقد سبق لهم ان صارعوا الروم صراعاً عنيفاً استغرق اكثر من اربعمئة سنة)) [٣].

فــاين قولــه عن : ((فارس وبيزنطة انهما قد وهنتا))، وهو يثبت لهما تمرساً على الحــروب، وســرعة تجهيز الجيوش المنظمة وانهما حازتا دربة في الحرب

---

[١] تاريخ العرب - مطول ، ١٩٤/١ .

[٢] م . ن ، ٢٠٠/١ .

[٣] م . ن ، ٢١٣/١ .

وخبرة بافانينها ؟! وهل تكون دولة الروم واهنة وهي تجهز مائتي الف جندي في اليرموك، دعاهم (هرقل) ((فاقبل اليه من الجموع ما لاتحمله الارض. . وسخا عليهم فامر لهم بالجوائز، فاعطى (باهان) مائتي الف درهم، كما اعطى كل امير مائة الف. .)) [1] وكيف تكون فارس واهنة ايضاً، وقد استمرت في حربها ومقاومتها للفاتحين اكثر من عشر سنين، وحشدت في القادسية وحدها اكثر من مائة وعشرين الف مقاتل معهم افضل سلاح ومنه سلاح الفيلة الرهيب ؟ [2]

٢- وفي هذا الشأن ذاته، يكتب (حتي) عن اسباب الظفر التي تهيأت للفاتحين العرب المسلمين، فيقول : ((على ان نصيباً وافراً من الفوز الذي حازوه، يرجع الى اعتمادهم اساليب حربية تلائم فلوات آسيا الغربية وصحارى افريقيا الشمالية -منها استعمال الخيل والابل - ولم تكن الروم تحسن استعمالها))[3]

ولا نعلم السبب الذي منع الروم من حسن استعمال الخيل، وهم قد استعمروا بلاد الشام ودام حكمهم سبعة قرون ! [4] فضلاً عن ان الخيل -كما ذكر (حتي) - ((ادخلت قبل العصر المسيحي من سورية الى الجزيرة العربية ؛ومن سورية ايضاً ادخلت الى مصر في عصر الهكسوس (الرعاة). وان الجمل هو كذلك كالحصان حيوان اميركي الاصل، ادخل من شمال الجزيرة العربية الغربي الى فلسطين وسورية في القرن الحادي عشر ق. م [5] فهذه الوسائط كما بينها (حتي) كانت

---

[1] الازدي ،محمد بن عبد الله الازدي (ت ، ٢٣١هـ) تاريخ فتوح الشام ،طبعة مؤسسة سجل العرب (القاهرة ، ١٩٧٠م) ص١٥٢-١٥٣ ،نقلاً عن : كمال ، احمد عادل ،الطريق الى دمشق ،ط٢ ،دار النفائس (بيروت ، ١٤٠٢ هـ/١٩٨٢م) ص٤٠٤ و ٤٠٨ .

[2] الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٥٠٥/٣ .

[3] تاريخ العرب -مطول ، ١٩٥/١ .

[4] علي ،محمد كرد ،خطط الشام ، ط٢ ،دار العلم للملايين ،ج١ (بيروت ، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م) ص٦٩ .

[5] م . ن ، ٢٤/١-٢٧ .

مالوفة في الشام، فكيف غفل عنها الروم ؟ واذا فات الروم ذلك، فهل فات ذلك ايضاً العرب المتنصرة الذين كانوا يشاركون في الحروب الى جانب الروم النصارى، وكان منهم على المقدمة فقط اثنا عشر الف يقودهم جبلة بن الايهم الغساني يوم اليرموك (١٥ هـ) ؟ [1]

ويناقض (حتي) نفسة مرة اخرى حين يقول : ((في القرن السابق لمجيء الاسلام . تسربت فنون الحرب الفارسية الى العرب من الجنوب، وكذلك من الشمال عن طريق بلاد العرب الفارسية وعاصمتها الحيرة))[2] فاذا كانت فنون الحرب واحدة عند الطرفين، فكيف يوعز اليها ترجيح كفة على اخرى، وتعد سبباً لفوز العرب دون الفرس ؟!

على ان ميزان القوى المادية في معارك الفتح الاسلامي كان على الدوام في صالح فارس والروم. فالارض التي كانت ميداناً للحرب، هي الارض التي حكموها وخبروها وهي قريبة من قواعد الامداد، ومن مراكز قياداتهم العليا. في حين كان العرب المجاهدون يحاربون في ارض عدوهم بعيداً عن قواعد امدادهم وعن مراكز القيادة، فضلاً عن ((انهم كانوا حديثي الشأن بالحرب، فهم قبل الفتوحات خاضوا فعلاً غمار معارك ولكن ضد اقوام لا يتميزون عنهم في هذا الفن. .فهم قاتلوا القبائل العربية التي لم تكن تختلف عنهم في فن المعركة او السلاح المستخدم فيها. ولكنهم في قتالهم الفرس (والروم) يواجهون عدواً فاقهم في كل نواحي المعركة عدة وعدداً وممارسة سابقة على مستوى لم يعهده المسلمون من قبل. . ورغم هذا الفارق الكبير انتصر المسلمون.))[3].

---

[1] البلاذري ،فتوح البلدان ، ١٤٠ ؛ احمد عادل كمال ،الطريق الى دمشق ، ٤٦٦ .

[2] تاريخ العرب -مطول ، ١٤٩/١ .

[3] فرج ، محمد ،الفتح العربي للعراق وفارس ، طبعة دار الفكر العربي (القاهرة ، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م) ص٢٦٠ .

٣- وعندما يتكلم (حتي) عن معارك الفتح الفاصلة، يعمد الى اختزال عدد المقاتلين -وخاصـة فـي جند المعسكر الصليبي والفارسي. ويرفض ان يستند في ذلك علـى المصـادر. فيذكر معركة اليرموك (١٥هـ/٦٣٦م) وتجهيز هرقل لها ((جيشـاً بلغ زهاء خمسين الفاً. .واسرع خالد وحشد خمسة وعشرين الفاً..)) ويضـيف في اسفل الصفحة ان ((الاخبار العربية قدرت عدد جيش الروم بين مائة الف ومئتين واربعين الفاً، وجعلت جيش المسلمين نحو اربعين الفاً. ولا يعـتد بالارقام التي وصلتنا سواء منها ما روته المصادر العربية او المصادر اليونانية))![1]

ولـم يبين لم ؟ ومن اين اذن استقى الارقام التي اعتمدها ! كما انه اغفل ذكر عدد الفرس في القادسية (١٥هـ/٦٣٦م).

٤- ومـن الاسباب التي يسرت الفتح العربي الاسلامي -بزعم (حتي)- ((استيطان القـبائل العربية في سورية وارض الفراتين، وفي المناطق الواقعة على حدود الهـلال الخصيب. وكان سكان الشام وفلسطين وهم ساميون، وسكان مصر وهم حاميون، يعتبرون العرب الفاتحين قوماً من بني جنسهم، يربطهم بهم مالا يربطهم باولئك الحكام الاجانب الغاصبين)) [2].

وينسى (حتي) ما ذكره عن غزوة مؤتة (٨ هـ) حيث قال : ((انتصر فيها عرب الشام على جيش ارسله الرسول عليهم (ايلول سنة ٦٢٩م). .))[3] ونحن نعلم ان هـؤلاء العـرب كانوا نصارى وقاتلوا مع الروم وساندوهم ضد الجيش العربي

---

[1] تاريخ العرب -مطول، ٢٠٤/١ .ويقول الاستاذ محمد كرد علي ان ((تقدير مؤرخي العرب للجيش الاسلامي بستة وثلاثـين الفاً ، ولجيش الروم بزهاء مائتي الف اقرب إلى الصحة ،وهو تقدير معقول لاسيما اذا عرف انه كان سكان الشام اذ ذاك نحو سبعة ملايين ..)) انظر كتابه : خطط الشام ، المصدر السابق ، ٧٧/١ ؛ والى هذا التقدير مال الاستاذ احمد عادل كمال في كتابه :الطريق الى دمشق ، ٤٠٦-٤٠٧ .

[2] تاريخ العرب ، مطول ، ١٩٤/١ .

[3] نفس المصدر والصفحة .

الاســـلامي. وفي ذلك يقول الطبري [1] : ((لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم مـــن خيـــبر. .بعث بعثة إلى الشام الذين اصيبوا بمؤتة. .فتجهز الناس وهم ثلاثة الاف..فبلغ الناس ان هرقل قد نزل مآب من ارض البلقاء في مائة الف من الروم، وانضمت اليه المستعربة من لخم وجذام وبلقين وبهرا وبلي في مائة الف منهم..)) عل ان هذه المعركة لم تكن بحال نصراً لعرب الشام.

وانمـــا الـــذي كان ان الجيش الاسلامي بعدما فقد قواده الثلاثة الذين عينهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تسلم خالد بن الوليد رضي الله عنه الراية ((فطاعن بهـــا حـــتى فتح الله له. . وان الرسول صلى الله عليه وسلم جعل ينعاهم وهو في المدينة رجلاً رجلاً، ثم اخبرهم انه قد فتح الله على اصحابكم – على يدي خالد بن الوليـــد، وسماه يومئذ سيف الله)) [2] وقال خالد رضي الله عنه ((اندقت في يدي يوم مؤتة تسعة اسياف، وما ثبت في يدي الا صفحة يمانية)) [3] قال ابن كثير [4] : ((وهذا يقتضي انهم اثخنوا فيهم قتلاً، ولو لم يكن كذلك لما قدروا على التخلص منهم))

ويتكرر الموقف المعادي لهذه القبائل تجاه العرب المسلمين، في غزوة تبوك (٩هـــ) يقول البلاذري (٢٧٩هـــ) [5] : ((لما توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تـــبوك من ارض الشام لغزو من انتهى اليه ان قد تجمع له من الروم وعاملة ولخـــم وجـــذام وغيرهم وذلك في سنة تسع من الهجرة، لم يلق كيداً، فاقام بتبوك ايامـــاً..)) ولم نر ابان انطلاقة الفتوحات تحولاً ايجابياً في موقف هذه القبائل تجاه الفـــاتحين العرب. قال البلاذري [6] : ((جمع هرقل جموعاً كثيرة من الروم، واهل

---

[1] تاريخ الرسل والملوك ، ٣/٣٦-٣٧

[2] الواقدي ،مغازي رسول الله ، ٣٢٢ .

[3] ابن كثير ،البداية والنهاية ، ٤/٢٤٩ .

[4] نفس المصدر والصفحة .

[5] فتوح البلدان ، ٧١ ؛ محمد كرد علي ، خطط الشام ، ١/٧٤ .

[6] فتوح البلدان ، ١٤٠-١٤١ .

الشام واهل الجزيرة وارمينية، تكون زهاء مائتي الف. .وبعث على مقدمته جبلة بن الايهم الغساني في مستعربة الشام من لخم وجذام وغيرهم. واجتمع المسلمون فاقتتلوا على اليرموك اشد قتال وابرحه)). ومن اخبار المفاوضات في اليرموك بين خالد وباهان، ماقاله خالد رضي الله عنه : ((اما بعد. فان كل ماذكرت من انعامكم على جيرانكم منا فقد عرفناه، وذلك لامر كنتم تصلحون به دنياكم واصلاحكم كان اليهم واحسانكم اليهم، كان ذلك زيادة في ملككم وعزاً لكم، الا ترون ان ثلثيهم او شطرهم دخلوا معكم في دينكم، فهم يقاتلوننا معكم ؟. .ونحن ندعوكم الى ما دعا اليه نبينا صلى الله عليه وسلم والى ما امرنا به ان ندعو الناس اليه..)) [١]

وفي فتح قنسرين وكانت منازل قبيلة تنوخ، فلما نزلها خالد قاتلوه، وزحف اليه الروم بقيادة ميناس – وهو رأس الروم واعظمهم بعد هرقل – فقتل ميناس ومن معه مقتلة لم يقتلوا مثلها، فاما الروم فماتوا على دمه ولم يبق منهم احد، واما العرب فارسلوا الى خالد انهم عرب وانهم انما حشروا، ولم يكن من رأيهم حربه، فقبل منهم وتركهم، ودعاهم ابو عبيدة الى الاسلام فاسلم بعضهم واقام البعض على النصرانية حتى خلافة المهدي العباسي (١٦٨هـ) فاسلموا [٢]. ويضيف محمد كرد علي[٣]: ((ووجه ابو عبيدة ميسرة بن مسروق العبسي الى درب بغراس (بيلان) فلقي جمعاً للروم، ومعهم مستعربة من غسان وتنوخ يريدون اللحاق بهرقل، فاوقع بهم وقتل منهم مقتلة عظيمة. .وبلغ ابو عبيدة الفرات، واشترط على اهل رعبان ودلوك ان يبحثوا عن اخبار الروم ويكاتبوا بها المسلمين.))

واما فتوح السواد –العراق، فانها ابتدأت على يد المثنى بن حارثة الشيباني، حين قدم على ابي بكر الصديق رضي الله عنه وقال له : يا خليفة رسول الله استعملني على من اسلم من قومي اقاتل هذه الاعاجم من اهل فارس، فكتب له ابو

---

[١] الأزدي ، تاريخ فتوح الشام ، ٢٠٤-٢٠٦ ؛ كمال ، الطريق الى دمشق ،٤٦١ .

[٢] البلاذري ، ١٥٠ ؛الطبري ،الرسل والملوك ، ٦٠١/٣ ؛محمد كرد علي ،خطط الشام ، ٨٨/١ .

[٣] م . ن ، ٨٨/١ -٨٩

بكر في ذلك عهداً، فسار حتى نزل خفان ودعا قومه الى الاسلام فاسلموا. [1]غير ان الطبري [2] روى عن معركة البويب (١٣ هـ) رواية هي الوحيدة، قال: ((وقدم انس بـن هـلال النمري ممداً للمثنى في اناس من النمر نصارى، وجلاب جلبوا خيلاً، وقـدم ابن مِردى الفهري التغلبي في اناس من بني تغلب نصارى، وجلاب جلبوا خيـلاً - وهـو عبد الله بن كليب بن خالد، وقالوا حين رأوا نزول العرب بالعجم: نقـاتل مـع قومنا))ولم نجد فيما بحثنا تكراراً ثانياً لمثل هذا الموقف فيما تلا هذه المعركة ولا فيما سبقها في حملات خالد المتعددة او حملة ابي عبيدة في الجسر، او سعد في القادسية [3] .

بل ان هناك شهادات واقعية وروايات عديدة تدل على عكس ذلك فالطبري[4] يـروي خبر معركة (أُلّيس ١٢ هـ) وهي على صلب الفرات، قال : ((لما اصاب خالد يوم الولجه من اصاب من بكر بن وائل من نصاراهم الذين اعانوا اهل فارس، غضـب لهـم نصـارى قومهم، فكاتبوا الاعاجم وكاتبتهم الاعاجم، فاجتمعوا إلى اليـس.. وكتب اردشير الى بهمن جاذويه :ان سر حتى تقدم ألّيس بجيشك الى من اجـتمع بها من فارس ونصارى العرب - بني عجل وتيم اللات وضبيعة وعرب الضـاحية مـن اهل الحيرة - وقد كان خالد بلغه تجمع عبد الاسود وجابر وزهير فيمـن تاشـب اليهـم، فـنهد لهم. .وليست لخالد همة الا من تجمع له من عرب الضـاحية ونصاراهم. .فاقتتلوا قتالاً شديداً. .ثم ان الله عز وجل كشفهم للمسلمين ومـنحهم اكـتافهم. .فاقبلت الخيول بهم افواجاً مستاسرين يساقون سوقاً)). وحين

[1] البلاذري ، ٢٤٢

[2] المصدر السابق ، ٣/٤٦٤ .

[3] واضـح من الرواية ان هؤلاء العرب جاءوا يتاجرون بالخيول ولما حضرهم القتال قاتلوا نخوة . ولاتصلح هذه الحادثة دليـلاً مقـبولاً يسـتند عليه في دعوى (حتي) ان الفتح العربي الاسلامي يسرته القبائل التي استوطنت سوريا والعراق .فالوقائع التي تخالف هذه الدعوى كثيرة .انظر : كمال ،احمد عادل ، الطريق الى المدائن ،ط١ ،دار النفائس (بيروت ، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م) ص٤٣٠ .

[4] الرسل والملوك ،٣، /٣٥٥ .

حاصر خالد رضي الله عنه الحيرة سنة (١٢ هـ) تحصن اهلها في حصونهم وكانت اربعة. فقسم خالد قواته لحصارها وقتال اهلها وهم من نصارى العرب الموالين للعجم. وامر خالد كل امير من امرائه ان يدعو اهل الحصن الذي يحاصره الى واحدة من ثلاث : الاسلام او الجزية او القتال، فان قبلوا، قبلوا منهم، وان ابوا ان يؤجلوهم يوماً. فابى اهل الحيرة ولجوا، فناوشهم المسلمون.. ثم ادرك اهل الحصون ان لاجدوى من استمرار القتال، فنادوا بالامان وطلبوا الصلح.. ثم خلا خالد باهل كل قصر منهم دون الاخرين، وخاطبهم :ويحكم ! ما انتم أُعرب ؟ فما تنقمون من العرب ! او عجم ؟ فما تنقمون من الانصاف والعدل ! فقال له عدي (من رؤساء الحيرة) :بل عرب عاربة واخرى متعربة، فقال خالد :لو كنتم كما تقولون لم تحادونا وتكرهوا امرنا، فقال له عدي : ليدلك على مانقول انه ليس لنا لسان الا بالعربية، فقال : صدقت. وقال :اختاروا واحدة من ثلاث :ان تدخلوا في ديننا فلكم مالنا، وعليكم ما علينا، ان نهضتم وهاجرتم وان اقمتم في دياركم ؛ او الجزية، او المنابذة والمناجزة ؛فقد والله اتيتكم بقوم هم على الموت احرص منكم على الحياة. فقال :بل نعطيك الجزية. فقال خالد : تباً لكم ! ويحكم ! ان الكفر فلاة مَضَلَّة، فاحمق العرب من سلكها، فلقيه دليلان :احدهما عربي فتركه، واستدل الاعجمي. ثم صالحوه على الجزية [1].

ومما يجب الا يفوتنا ذكره، ان جبهات القتال سواءً كانت في فارس او في الروم، كانتا قد تعرضتا لازمات شديدة بسبب من كثافة الجند لدى فارس والروم، على حين قلة عدده لدى الجانب العربي الاسلامي فكانت الطلبات ترد تباعاً الى المدينة المنورة من القادة المسلمين طلباً للمدد والعون. وكان في وصية ابي بكر رضي الله عنه -وهو يحتضر- لعمر بن الخطاب رضي الله عنه : ((اسمع يا عمر ما اقول لك ثم اعمل به. اني لارجو ان اموت من يومي هذا، فان انا مت فلا تمسين حتى تندب الناس مع المثنى. وان تاخرت الى الليل فلا تصبحن حتى تندب

[1] الطبري ،الرسل والملوك ، ٣/٣٦٠-٣٦٢ .

الناس مع المثنى، ولايشغلنكم مصيبة وان عظمت عن امر دينكم ووصية ربكم..))[1]. وكتب جند الشام الى ابي بكر يستمدونه واعلموه بشدة وحراجة الموقف، فكتب ابو بكر رضي الله عنه الى خالد بن الوليد رضي الله عنه ان سر بنصف الناس حتى تاتي جموع المسلمين باليرموك، فانهم قد شجوا واشجوا. .واستخلف على العراق المثنى بن حارثة في النصف الباقي. .فاذا فتح الله عليكم فارددهم الى العراق، وقال ابو بكر :والله لأنسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد [2].

وفي معظم الاحيان، كانت الامداد المرسلة بضع مئات او آلاف يسيرة، فلو امكن توفيرها او زيادتها بالاستعانة بالقبائل غير المسلمة، لكان ذلك ايسر بكثير واسرع في نجدة الجبهات المحتاجة. كما لايفوتنا ايضاً ذكر ما كان من راي ابي بكر رضي الله عنه في القبائل التي ارتدت ثم عادت الى الاسلام، اذ لم يكن يسمح لها في الجهاد، حتى في هذا الوقت الذي يفتقر فيه الى اعداد من الجند. فقد كتب الى خالد وعياض بن غنم وهما في العراق : ((ان استنفرا من قاتل اهل الردة ومن ثبت على الاسلام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولايغزون معكم احد ارتد حتى ارى رايي. فلم يشهد الايام مرتد [3]. فهذا فيمن تاب من ردته، ليعلموا بذلك ان الجهاد شرف وعبادة لاتصلح الا لذوي الايمان الراسخ ؛فكيف يستعان بغيرهم ممن لم يسلم ابتداءً ؟ [4]

فهل بعد هذا البيان تبقى ثمة صحة او ثقة بما يقول (حتي) ويسطر ؟! على ان قوله بان ((سكان الشام وفلسطين وهم ساميون، وسكان مصر وهم حاميون

---

[1] م .ن ، ٣/٤١٤ .

[2] م . ن ، ٣/٤٠٧-٤٠٨ .وقوله :شجوا واشجوا أي تعبوا واتعبوا .

[3] الطبري ،الرسل والملوك ، ٣/٣٤٧ .

[4] وفي فتح طخارستان والجوزجان والطالقان والفرياب (٣٢هـ) عرض اهل مرو على الاحنف بن قيس ان يقاتلوا معه؛ فقال : اني اكره ان استنصر بالمشركين ؛فاقيموا على ماعطيناكم (عهد الصلح) ،فان ظفرنا فنحن على ماجعلنا لكم، وان ظفروا بنا وقاتلوكم ،فقاتلوا عن انفسكم .انظر :الطبري ،المصدر السابق ، ٤/٣١٢ .

يعتـــبرون العـــرب الفاتحين قوماً من بني جنسهم، يربطهم بهم مالايربطهم باولئك الحكـــام الغاصبين)) ان هذا القول مما لادليل عليه البتة. فهلا بسط لنا رواية واحدة عن اهل الشام ادعوا فيها بالسامية، او عن اهل مصر قالوا فيها بالحامية !

ان هذه الشعوب وغيرها كانت ترزح تحت ثقل الظلم الاجتماعي والسياسي والاقتصـــادي فـــي ظل الرومان والفرس، لذا رحب السكان بالفاتحين، فقد عدوهم مـــنقذين لهم مما هم فيه من سيء الاحوال . ومن ذلك ماذكره البلاذري [1] عن اهل حمـــص، قـــال : ((لما جمع هرقل للمسلمين الجموع، وبلغ المسلمين اقبالهم اليهم لوقعة اليرموك، ردوا على اهل حمص ماكانوا اخذوا منهم من الخراج، وقالوا :قد شـــغلنا عـــن نصـــرتكم والدفع عنكم فانتم على امركم، فقال اهل حمص :لولايتكم وعدلكـــم احب الينا مما كنا فيه من الظلم والغشم. .)) فكان الناس اذن يسألون عن العدل لا عن (السامية) او (الحامية). على ان هؤلاء كانوا من السكان والفلاحين، ومـــن الطـــبيعي الا يشتركوا هم وامثالهم من المدنيين في القتال. وقد جاء رؤساء الســـواد الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالوا (انا قوم من اهل السواد، وكان اهـــل فارس قد ظهروا علينا واضروا بنا، ففعلوا وفعلوا حتى ذكروا النساء، فلما ســـمعنا بكـــم فرحنا بكم، واعجبنا ذلك، فلم نرد كفكم عن شيء حتى اخرجتموهم عنا..))[2]. فترحيب هؤلاء وغيرهم بالفاتحين المسلمين، كان بعد ان ازال الفاتحون قوى الظلم والقهر.

ويمضي (حتي) في تحليلاته القيمة لوقائع الفتوحات ـــفيقول عن اليرموك : ((كـــانت المركة الفاصلة في العشرين من اب سنة ٦٣٦م في يوم حار انعقدت فيه ســـحب الغـــبار الذي اذرته الرياح. .ولانشك في ان القيادة العربية فد تخيرت ذلك اليوم وتلك البقعة للايقاع بالعدو. .)) [3].

---

[1] فتوح البلدان ، ١٤٣ .

[2] القرشي ،يحيى بن ادم ،الخراج ،تعليق احمد محمد شاكر ،المطبعة السلفية (القاهرة ، ١٣٤٧هـــ) ص٥٠ .

[3] تاريخ العرب –مطول ،١ /٢٠٤ .

وصـــواب ذلـــك ان الروم هم الذين بدأوا المعركة، وليست القيادة العربية. فـــالازدي (٢٣١هـــ) يذكر ان ((باهان اخرج جيشه في عشرين صفاً في يوم ذي ضباب. . ثم زحف الى المسلمين مثل الليل والسيل)) [١] ؛ والطبري يؤيد هذا بقوله: ((وحمـــلت الـــروم فازالوا المسلمين عن مواقفهم الا المحامية. .وركب خالد ومعه (جرجة) والروم خلال المسلمين. .)) [٢]

ومـــا قاله (حتي) عن معركة اليرموك، يحكيه ايضاً عن معركة القادسية، فيقـــول : ((فاشـــتبك الجيشـــان في القادسية على مقربة من الحيرة. وكان يوم تلك المعركة (اخر ايار او اول حزيران ٦٣٧م) شديد الحر حالك الجو من الغبار الذي اثارتـــه الـــرياح وهـــو يـــوم اشبه بيوم اليرموك، تخيره العرب كما تخيروا يوم اليرموك..))[٣].

والصواب ان يوم القادسية لم يكن يوم بدء القتال، بل سبقته ايام ثلاثة هي: ايـــام ارماث واغواث وعماس، ثم دخلت المعركة يومها الرابع، ((وكانت الرياح نشطة في اتجاه يحمل غبار المعركة ويلقي به فوق المجوس، ثم اشتدت. .ولم يكن هذا عن تعمد له واختيار. .ولكنه ((عنصر الحظ)) وهو ضرب من القضاء والقدر كان من نصيب المسلمين)) [٤] وكان ذلك ((حوالي ضحى اليوم الرابع)) [٥]

---

[١] تاريخ فتوح الشام، ٢١٧، نقلاً عن احمد عادل كمال ،الطريق الى دمشق ،٤٧١، ويقول ايضاً : ((وضع خالد خطته ان يثبت المسلمون امام هجمة الروم حتى تتضعضع هذه الهجمة ،وتتصدع صفوف الروم ..وهنا يكون الوقت المناسب لهجومه المضاد)) م . ن ، ٤٧٥ .

[٢] تاريخ الرسل والملوك، ٣٩٩/٣-٤٠٠ .

[٣] تاريخ العرب -مطول ، ٢٠٩/١ .

[٤] كمال ، احمد عادل ،القادسية ، ط٦ ،دار النفائس (بيروت ، ١٤٠١هـــ/١٩٨١م) ص٢٣٧ .

[٥] ابـــن الوردي ،زين الدين عمر بن مظفر (ت ٧٤٩هـــ) تاريخ ابن الوردي ،ط٢ ،المطبعة الحيدرية ،ج١ (النجف ، ١٣٨٩هـــ/١٩٦٩م) ص١٩٤ ؛ رامز ،شاكر محمود ،القادسية ،طبعة المطابع العسكرية (بغداد ، ١٤٠٤هـــ/١٩٨٤م) ص٣٢١ .

المبحث الثالث

اهداف الفتوحات في نظر المفترين

فـــي بحثه عن اهداف الفتوحات الاسلامية، يقدم (حتي) [1] وجهة نظره في ثلاث نقاط :

الاولى : وجهـــة النظر التي ((مال اليها بعض الباحثين في الحركة الاسلامية وهي الـــنظرية الديـــنية التي كررتها المصادر العربية، ففسروا التوسع الاسلامي كنتيجة لعامل الدين))

الـــثانية : وجهـــة النظر التي تمسك بها بعض كتاب النصرانية وهي ((ان المسلم العربي انما اكتسح البلدان رافعاً القرآن في يد والسيف في الاخرى ولا صحة لهذا الزعم، فان العرب في حروبهم خارج الجزيرة كانوا يعرضون على اهل الكتاب من يهود ونصارى امراً ثالثاً غير القرآن والسيف. . الجزية))

الثالـــثة : وهـــي التي تبناها هو نفسه وافصح عنها بقوله : ((فليست الاثرة الدينية والتعصـــب ماحدا بالعرب الى تدويخ الدول وفتح الامصار، انما هي الحاجة المادية. .وابتغاء الكثيرين حياة الهناء والبذخ في احضان المدنية التي ازدهر بهـــا الهـــلال الخصـــيب..)) ويقول ايضاً : ((فاذا تحرينا التوسع الاسلامي، واحطنا بالاحوال الحقيقية التي احدقت به، اتضح لنا انه كان الشوط الاخير في عملية النزوح المتواصل على مدى الدهر من البادية القاحلة)) او ((تنفيساً للروح الحربية المتاججة في قلوب ابناء القبائل، وخلقاً للمجال الحيوي خارج الجزيرة المكتظة بالسكان))

[1] تاريخ العرب -مطول ، ١/١٩٥-١٩٧ ؛خمسة الاف سنة ، ٢٥٤ ، صانعو التاريخ العربي ، ٥٨ .

وفـــي سبيل التدليل على ماذهب اليه (حتي)، ساق ثلاثة امثلة فقط يؤيد بها نظرية الدافع الاقتصادي، وهي : ان ابا بكر اذ رأى توجيه الجيوش الى الشام كتب الى اهـــل مكـــة والطـــائف واليمن وجميع العرب بنجد والحجاز، يستنفرهم للجهاد ويرغبهم فيه وفي غنائم الروم [١]. والمثال الثاني ان رستم ارسل الى سعد بن ابي وقـــاص يسأله توجيه احد اصحابه اليه يتفاوض مه، فوجه المغيرة بن شعبة فكلمه رســـتم بكلام كثير، ثم قال له : قد علمت انه لم يحملكم على ما انتم فيه الا ضيق المعاش، وشدة الجهد، ونحن نعطيكم ما تشبعون به ونصرفكم ببعض ما تحبون [٢] والثالث بيت شعر يقول :

فما جنة الفردوس هاجرت تبغي ولكن دعاك الخبز احسب والتمر [٣]

هـــذا كـــل ماقدمه من دلائل لتفسير دوافع حركة عالمية، قال عنها : انها احدى اخطر (كذا:) حادثتين في اواخر العصور القديمة [٤] ! والحق ان ما قدمه ليس بنافع له على مدعاه، ولاتنهض به حجة لما ذهب اليه ونواه. وذلك للبراهين الاتية:

اولاً : ان مانقله عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه في البداية حض للعرب على الجهاد الاسلامي وترغيبهم فيه، ثم بعد ذلك الغنيمة التي هي جائزة وانعام. فانـــتزاع بعـــض القول عن بعضه وبناء تصور وحكم عليه، انما هو تغافل مقصود ؛وهذا ماصنعه (حتي) !

---

[١] البلاذري ،فتوح البلدان ، ١١٥ .

[٢] م . ن ، ٢٥٧ .

[٣] التـــبريزي، ابـــو يحيى بن علي الخطيب (ت، ٥٠٢هــ) شرح ديوان الحماسة لابي تمام ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية، ج٤ (مصر، بلا) ص٣٢١ باب الهجاء. وهذا البيت من عدة ابيات قالها حكيم بن قبيصة بن ضرار لابنه بشر وقد هاجر البدو إلى الامصار في وقت حاجة ابيه اليه ، واولها :

لعمر ابي بشر لقد خانه بشر على ساعة فيها إلى صاحب فقر

[٤] تاريخ العرب -مطول ، ١٩٣/١ .

ثـم ان الطبري [1] يذكر وصول المستنفرين من مكة واليمن وتهامة وعمان والبحرين وغيرها، فقام ابو بكر فيهم خطيباً، فقال بعد حمد الله : ((الا ان لكل امر جوامـع، فمن بلغها فهي حسبه ؛ومن عمل لله كفاه الله. عليكم بالجد والقصد ؛ فان القصـد ابلغ ؛الا انه لا دين لاحد لا ايمان له، ولا اجر لمن لا حسبة له، ولا عمل لمـن لانية له. الا وان في كتاب الله من الثواب على الجهاد في سبيل الله لما ينبغي للمسـلم ان يحـب ان يخص به ؛وهي التجارة التي دل الله عليها، ونجى بها من الخـزي ؛والحـق بهـا الكرامة في الدنيا والاخرة)) فهذا نص الخطاب في توديع المجاهدين الى الشام.

ثانيـاً : كما قدم (حتي) بصورة ساخرة ماجاء عن رستم القائد الفارسي، ولم يكمل مـارد بـه المغيرة بن شعبة عليه، والذي يتضح منه ان الجهاد هو الهدف المطلوب لا الغنيمة [2].

وقـد ذكر البلاذري [3] تفاصيل اللقاء هذا، فقال : ((وارسل رستم الى سعد يسأله توجيه بعض اصحابه اليه، فوجه المغيرة بن شعبة فقصد سريره ليجلس معه وعليه، فمنعته الاساورة من ذلك، وكلمه رستم بكلام كثير، ثم قال له :قد علمت انه لـم يحمـلكم على ما انتم عليه، الا ضيق المعاش وشدة الجهد، ونحن نعطيكم ما تتشبعون به ونصرفكم ببعض ما تحبون. فقال المغيرة :ان الله بعث الينا نبيه صلى الله عـليه وسلم فسعدنا باجابته واتباعه، وامرنا بجهاد من خالف ديننا (حتى يعطوا الجـزية عن يد وهم صاغرون) ونحن ندعوك الى عبادة الله وحده، والايمان بنبيه صـلى الله عليه وسلم فان فعلت، والا فالسيف بيننا وبينكم. فنخر رستم غضباً، ثم قـال: والشـمس والقمر ! لايرتفع الضحى غداً حتى نقتلكم اجمعين. فقال المغيرة:

---

[1] الرسل والملوك ، ٣/٣٨٩-٣٩٠ .

[2] صديقي ،الهجمات المغرضة ، ١١٦ .

[3] فتوح البلدان ،٢٥٧ ؛وقوله سيف معلوب :اي حزم مقبضه بعلباء البعير ،وهو عنقه .

لاحـــول ولاقوة الا بالله، وانصرف عنه، وكان على فرس له مهزول، وعليه سيف معلوب ملفوف عليه الخرق)).

وعقب هذه الرواية مباشرة، ذكر البلاذري رواية اخرى تغافل عنها (حتي) لانهـــا لا تتفق وما قصد اليه. قال البلاذري [1] : ((وكتب عمر الى سعد يامره بان يـــبعث الى عظيـــم الفرس قوماً يدعونه الى الاسلام، فوجه عمرو بن معدي كرب الزبيدي، والاشعث بن قيس الكندي، في جماعة، فمروا برستم فاتى بهم، فقال :اين تـــريدون؟ قالوا : صاحبكم. فجرى بينهم كلام كثير حتى قالوا ان نبينا قد وعدنا ان نغلب على ارضكم. فدعا بزبيل من تراب، فقال :هذا لكم من ارضنا. فقام عمرو بن معدي كرب مبادراً فبسط رداءه واخذ من ذلك التراب فيه وانصرف. فقيل له : مادعاك إلى ماصنعت ؟ قال :تفاءلت بان ارضهم تصير الينا ونغلب عليها. ثم اتوا المـــلك ودعـــوه الى الاسلام. فغضب وامرهم بالانصراف، وقال :لولا انكم رسل لقتلتكم، وكتب الى رستم يعنفه على انفاذهم اليه))

ولمـــا استبطأ الخليفة عمر رضي الله عنه فتح مصر، كتب الى عمرو بن العـــاص رضي الله عنه رسالة جاء فيها : ((اما بعد. فقد عجبت لابطائكم عن فتح مصـــر، انكم تقاتلون منذ سنتين، وما ذلك الا لما احدثتم واحببتم من الدنيا ما احب عدوكـــم ؛وان الله تـــبارك وتعال لا ينصر قوماً الا بصدق نياتهم. .فاذا اتاك كتابي هذا، فاخطب الناس وحضهم على قتال عدوهم، ورغبهم في الصبر والنية. . وليكن ذلك عند زوال يوم الجمعة، فانها ساعة تنزل الرحمة ووقت الاجابة، وليعج الناس الى الله ويسألونه النصر. .)) [2] .

---

[1] م. ن ، ٢٥٧ .

[2] ابـــن عـــبد الحكم ، ابو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت ، ٢٥٧ هـــ) فتوح مصر والمغرب، تحقيق : عبد المنعم عامر، لجنة البيان العربي (مصر، بلا) ٩٨-١٠٣

((وكان اول كتاب كتبه عثمان رضي الله عنه الى عماله :اما بعد. فان الله امر الائمة ان يكونوا رعاةً، ولم يتقدم اليهم ان يكونوا جباةً ؛ وان صدر هذه الامة خـلقوا رعاة، لم يخلقوا جباة، وليوشكن ائمتكم ان يصيروا جباة ولايكونوا رعاة؛ فاذا عادوا كذلك انقطع الحياء والامانة والوفاء.

الا وان اعـدل السيرة ان تنظروا في امور المسلمين فيما عليهم :فتعطوهم ما لهم، وتاخذوهم بما عليهم ؛ ثم تثنوا بالذمة، فتعطوهم الذي لهم، وتاخذوهم بالذي عليهم. ثم العدو الذي تنتابون ؛ فاستفتحوا عليهم بالوفاء)) [1] .

فهـذا الـذي ذكرناه، انما هو سيرة الخلفاء الراشدين، وهم –ولاشك– قادة الدولة الاسلامية الذين يرسمون سياساتها الداخلية والخارجية. ولنا بعد ذلك ان ننظر في سيرة القادة الميدانيين الذين كانوا يقودون المعارك، ويباشرون تصريف الامور عـلى الصعيد العسكري والدبلوماسي إلى حد كبير. فقد اورد الطبري [2] كتاب خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى ملوك فارس، ونصه : ((بسم الله الرحمن الرحيم. من خـالد بـن الوليد إلى ملوك فارس ؛اما بعد. فالحمد لله الذي حل نظامكم، ووهن كيدكم، وفرق كلمتكم، ولو لم يفعل ذلك بكم كان شراً لكم ؛ فادخلوا في امرنا ندعكم وارضـكم، ونجوزكـم الى غيركم نوالا كان ذلك وانتم كارهون على غلبٍ، على ايدي قوم يحبون الموت كما تحبون الحياة)). وكانت هناك مفاوضات بين المسلمين وفـارس قـبيل معركة القادسية. وكان مما قاله وفد المسلمين لرستم : ((ثم اتيناكم بامـر ربنا نجاهد في سبيله، وننفذ لامره، وننتجز موعوده، وندعوكم الى الاسلام وحكمه ؛فان اجبتمونا تركناكم ورجعنا، وخلفنا فيكم كتاب الله ؛ وان ابيتم لم يحل لنا الا ان نعـاطيكم القتال او تفتدوا بالجزى ؛فان فعلتم والا فان الله قد اورثنا ارضكم وابناءكم واموالكم فاقبلوا نصيحتنا ؛فوالله لاسلامكم احب الينا من غنائمكم، ولقتالكم

---

[1] الطبري ، ٣/٢٤٤-٢٤٥ .

[2] الرسل والملوك ، ٣/٣٧٠ .

بعد احب من صلحكم..)) [1]. وفي جبهة الشام، ارسل الروم مفاوضاً الى ابي عبيدة رضـــي الله عنه فقال الرومي، وقد راى ابا عبيدة جالساً على الارض: ((أنت امير هؤلاء القوم : قال : نعم. قال : فما يجلسك على الارض ؟ قال ابو عبيدة : ان الله لايستحي من الحق، ولاصدقنك عما قلت. ما اصبحت املك ديناراً ولا درهماً، وما امـــلك الا فرسي وسلاحي وسيفي، ولقد احتجت امس إلى نفقة فلم يكن عندي حتى استقرضت من اخي هذا نفقة كانت عنده – يعني معاذاً– فاقرضنيها. ولو كان عندي ايضـــاً بساط او وسادة ماكنت لاجلس عليه دون اخواني واصحابي. .هات حاجتك التي جئت بها. قال الرومي : انا اعرض عليكم امراً لكم فيه حظ ان قبلتموه. نحن نعطيكـــم دينارين وثوباً ونعطيك انت الف دينار، ونعطي الامير الذي فوقك (يعني عمـــر) الفـــي دينار وتنصرفون عنا، وان شئتم اعطيناكم ارض البلقاء وما إلى ارضكم من سواد الاردن، وخرجتم من مدائننا وكتبنا فيما بيننا وبينكم كتاباً. . فقال ابـــو عـــبيدة : ان نبيـــنا امـــرنا ان اذا اتيتم المشركين فادعوهم إلى الايمان بالله وبرســـوله، فمن امن وصدق فهو اخوكم في دينكم له مالكم وعليه ماعليكم، ومن ابى فاعرضـــوا عـــليه الجزية. زفان ابوا فاقتلوهم وقاتلوهم، فان قتيلكم المحتسب بنفســـه شـــهيد عند الله وهو في جنات النعيم، وقتيل عدوكم في النار. فان قبلتم ما ســـمعتم مني فهو لكم، وان ابيتم ذلك فابرزوا الينا حتى يحكم الله بيننا، وهو خير الحاكمين)).

وجـــاء من انباء فتوح مصر ان ((المقوقس)) ارسل الى عمرو بن العاص رضـــي الله عـــنه وفداً للتفاوض فخيرهم عمرو احدى ثلاث :الاسلام او الجزية او القـــتال. وارسل عمرو من جهته وفداً لمقابلة ((المقوقس)) ، فعرض المقوقس على عـــبادة بـــن الصامت (ت، ٣٤هـــ) رئيس الوفد اموالاً وقال: ((نفرض لكل رجل مـــنكم ديـــنارين دينارين، ولاميركم مائة دينار، ولخليفتكم الف دينار، فتقبضونها، وتنصـــرفون إلى بلادكم. .فقال عبادة : يا هذا لا تغرن نفسك. .))ثم عرض عليه

---

[1] م . ن ، ٥٢٨/٣ .

الخيارات الثلاثة، وكان مما قال له عبادة بن الصامت رضي الله عنه ((وليس غزونا عدواً ممن حارب الله لرغبة في الدنيا، ولا حاجة للاستكثار منها، الا ان الله عز وجل احل ذلك لنا، وجعل ماغنمنا من ذلك حلالاً..)) [1].

وكذلك ماكان من شان فتح افريقية (٢٧ هـ) وكان الذي تولى فتحها عبد الله بن سعد بن ابي سرح (ت ٣٦هـ) عن امر عثمان رضي الله عنه. فلما فتحها الله تعالى على المسلمين، اسرع عبد الله ببشرى الفتح الى دار الخلافة، فاوفد بها عبد الله بن الزبير (ت، ٧٣هـ) فقام الى جانب المنبر وخطب الناس فقال بعد حمد الله والصلاة على نبيه صلى الله عليه وسلم: ((ايها الناس، رحمكم الله، انا خرجنا للوجه الذي علمتم، فكنا مع والٍ حافظ. فلم نزل على احسن حال نعرفها من ربنا، حتى انتهينا الى عدونا، فنزلنا منهم حيث يسمعون صهيل الخيل ورغاء الابل وقعقعة السلاح. .ثم دعوناهم الى الاسلام والدخول فيه، فابعدوا منه، فسألناهم الجزية عن صغار او الصلح، فكانت هذه ابعد، ، فلما يئس (الامير) منهم. . نهضنا الى عدونا وقاتلناهم اشد القتال يومنا ذلك، وصبر الفريقان فكانت بيننا وبينهم قتلى كثيرة، واستشهد الله فيهم رجالاً من المسلمين، فبتنا وباتوا، وللمسلمين دوي بالقرآن كدوي النحل، وبات المشركون في خمورهم وملاعبهم، فلما اصبحنا اخذنا مصافنا التي كانت بالامس، فزحف بعضنا الى بعض فافرغ الله علينا صبره، وانزل علينا نصره. . فاحمدوا الله عباد الله على آلائه، وما احل باعدائه من بأسه الذي لايرد عن القوم المجرمين. ولما سكت عبد الله، فنهض ابوه الزبير، فقبل بين عينيه، وتلا : ((ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم))آل عمران، ٣٤. ثم قال : ((يابني مازلت تنطق بلسان ابي بكر حتى صمت)) [2] ان هذه الخيارات الثلاثة -الاسلام، الجزية، القتال - لهي مما اتفق عليه شرعاً وواقعاً، او ديانة وسياسةً.

---

[1] ابن تغرى بردى ، جمال الدين ابو المحاسن يوسف الاتابكي (ت ، ٨٧٤ هـ) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، طبعة المؤسسة المصرية العامة، ج١، (مصر، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م) ص١٤ و ٣ .

[2] ابن عبد الحكم ،فتح مصر والمغرب ٢٤٦-٢٤٩ ،البلاذري ،٢٢٧-٢٢٩ ،ابن الاثير ،الكامل ، ٣/٢٣-٣٥ .

ولــن يعد الفتح جهاداً في نظر الشريعة الاسلامية الا بعد ابلاغ تلك الخيارات الى المخاطبين، وخلاف ذلك يكون امراً باطلاً. وليس ادل على ذلك مما رواه الطبري[1] في تاريخه عن سيرة عمر بن عبد العزيز (ت، ١٠١هـ) قال: ((قال اهل سمرقند لســليمان بــن ابي السري – عامل عمر بن عبد العزيز عليها : ان قتيبة بن مسلم غدر بنا، وظلمنا، واخذ بلادنا، وقد اظهر الله العدل والانصاف، فائذن لنا، فليفِد منا وفــد الى امير المؤمنين يشكو ظلامتنا، فان كان لنا حق اعطيناه، فان بنا الى ذلك حاجــة. فــاذن لهــم. فوجهوا منهم قوماً، فقدموا على عمر، فكتب لهم عمر الى ســليمان بن ابي السري :ان اهل سمرقند قد شكوا الي ظلماً اصابهم، وتحاملاً من قتيــبة عليهم، حتى اخرجهم من ارضهم، فاذا اتاك كتابي هذا، فاجلس لهم القاضي، فلينظر في امرهم، فان قضى لهم، فاخرجهم (اي اخرج المسلمين) الى معسكرهم، كمــا كــانوا وكنــتم قبل ان يظهر عليهم قتيبة. قال :فاجلس لهم سليمان جميع بن حاضر القاضي الناجي، فقضى ان يخرج عرب سمرقند الى معسكرهم، وينابذوهم عــلى سواء، فيكون صلحاً جديداً، او ظفراً عنوة. فقال اهل السند :بل نرضى بما كــان، ولا نجــدد حــرباً، وتراضوا بذلك. فقال اهل الرأي –من السمرقنديين : قد خالطــنا هؤلاء القوم واقمنا معهم، وامنونا وامناهم، فان حكم لنا عدنا الى الحرب ولا نــدري لمــن يكون الظفر، وان لم يكن لنا كنا قد اجتلبنا عداوة في المنازعة. فتركوا الامر على ما كان، ورضوا ولم ينازعوا)).

وهكــذا حكــم القاضي ببطلان الفتح لانه وقع بصورة مخالفة لحكم الشرية الاســلامية. فــلا عجب بعد ذلك اذا عرفنا ان اهل سمرقند قد دخلوا في الإسلام طائعين، ومازالوا عليه حتى اليوم. واين هذا مما وقع ويقع في التاريخ المعاصر[2]، ومازالت فلسطين شاهداً قائماً على جور (النظام العالمي الجديد) – وفشل القرارات الدولية، في ان تعيد ارضاً مغتصبة الى اهلها، وشعباً مشرداً الى دياره.

---

[1] الرسل والملوك ، ٥٦٧/٦ .

[2] القاسمي ، نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الاسلامي ،مصدر سابق ، ٤٠٧ .

خلاصة ماسبق، اننا نستطيع ان نتبين دوافع اعلان الجهاد في عصر صدر الاسـلام، من واقع ماصدر من تصريحات رسمية، وما جرى من مفاوضات وما عقد من معاهدات مع دول المواجهة، ويمكننا ان نقرر الحقائق الاتية :[1]

١- الحقيقــة الاولى :ثـبت من المقتطفات التي نقلناها من المصادر التاريخية :ان الصــحابة كـانوا يعرضون على الشعوب كلها في جميع الجبهات ، الخيارات الـثلاثة- الخيار الاسلامي – ثم خيار الانضمام الى الدولة الاسلامية بعقد الذمة واداء الجزية – ثم الخيار العسكري الذي لايلجأ اليه الا بعد رفض ما قبله. وهذا يدل على ان الدافع الاول وراء حركة الجهاد هو دعوة الناس جميعاً الى الدخول في الاسلام، وتطبيق النظام الاسلامي عليهم.

٢- الحقيقــة الـثانية :ان النشــاط الذي تقوم به الدولة، انما يكون الدافع اليه هو الغرض الذي تتوخاه هي من ورائه. فاذا استخدمت الدولة عناصر من الناس، او هـم تطوعـوا للقيام بذلك النشاط، وكان دافعهم للمشاركة فيه يغاير الدافع الذي حمل الدولة على القيام به، فان من الحق ان نقرر ان الدافع الى ذلك النشاط هو دافع الدولة نفسها، وليس دافع اولئك الافراد من الناس.

٣- الحقيقــة الثالثة : هناك فرق بين الدافع نحو شيء ما، وبين الاستفادة من هذا الشــيء الــذي اوجده ذلك الدافع، في سبيل تحقيق اغراض اخرى. فالدافع الى الجهــاد عند المسلم هو تبليغ دعوة الله للناس كافة. والثمرات التي تترتب على الجهــاد كـثيرة. مــنها تحرير البلاد من المستعمرين، وتحقيق كرامة الانسان، والقضاء على الظلم، ودفع العدوان، وبصورة عامة تحقيق مصالح الناس المادية والمعــنوية. فهــذه وغيرها ثمرات ونتائج تستفاد من الجهاد. الا ترى ما قاله الامــام علي رضي الله عنه : ((ماترك قوم الجهاد الا وغزوا في عقر دارهم))

[1] هيكل ،د. محمد خير ، الجهاد والقتال في السياسة الشرعية ،ط١ ، دار البيارق ،ج١ (بيروت ، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م) ص٥٦١-٥٦٤ .

وبعـــد، ((فكـــم منيت هذه الامة بالمفترين، يغضون من اقدارها، ويهونون من مآثـــرها، قالوا - فضلّوا وأضلّوا - : طلب القوت والطمع في الغنائم هو الذي نشـــر هـــؤلاء العرب في ارجاء الارض. قاس هؤلاء الدعوة الاسلامية على الاســـتغلال الذي يسمى الاستعمار في حضارة هذا العصر، وعلى المستعمرين الذي كل شيء عندهم قهر وتسليط، واستغلال ونهب، وشره وحرص، وتفريق بيـــن الناس، وعبادة للمال من دون الله. فقل لهؤلاء :ان الانسان ربما يحارب على الخبز، ولكنه لايطلب الشهادة في سبيله، ان الانسان يريد ان يظفر بالطعام ليعيش به، لا ان يموت في طلبه ؛ فما بال هؤلاء العرب المسلمين طلبوا الموت حيثما ذهبوا، وحقروا العيش اينما توجهوا. مابالهم وقد فتحت لهم مصر ورأوا الخصب في ارضها، ورغد العيش على ضفاف نيلها، جاوزوها الى صحارى النوبة [1] وسهوب افريقية ؟

مابـــالهم وقـــد فـــتحت لهـــم الاندلـــس ورأوا النعيم المقيم، جاوزوا جبال البرانس ليستشهدوا في بلاط الشهداء (١١٤هـــ).

مابالهم وقد دانت لهم فارس، جابوا صحارى مكران [2] إلى السند، وعبروا نهـــر جيحـــون إلى ما وراء النهر ؟ ما بالهم يتركون النعيم والخير العميم ؟ والعز المقيـــم فـــي الارض الـــتي فتحوها، ليجوزوا فيافي قاحلة، ويحاربوا اقواماً غلاظاً شداداً، في بلاد تنتظرها فيها قبورهم ؟

ان الامر لاعظم مما توهموا، واسمى مما قالوا.

---

[1] يقر (حتي) ((ان بلاد النوبة تحاكي جزيرة العرب واكثر ملاءمة لطبيعة الحياة البدوية)) تاريخ العرب -مطول ٢٢/١.
فاين اذن مواطن الخصب التي ادعى ان الفتح كان بسببها ؟ .

[2] فتحها الحكم بن عمرو التغلبي على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وصفها صحار العبدي - رسول الحكم الى عمـــر فقال :ياامير المؤمنين ،ارض سهلها جبل ،وماؤها وشل ،وتمرها دقل ،وعدوها بطل ،وخيرها قليل وشرها طويل والكـــثير بها قليل ،والقليل بها ضائع ،وماوراءها شر منها ! فقال : اسجّاع انت ام مخبر ؟! قال بل مخبر .انظر الطبري ، الرسل والملوك ، ١٨١/٤-١٨٢ .

وبعـد : فالحرب هي الحرب في كل ارض وعصر، فيها قتل وفيها اسر وفيهـا غـلب وسلب. وليس عجباً ان يفرح المجاهد الذي شرى نفسه في سبيل الله بغـنيمة يـنالها، وليس بعيداً ان يكون في سواد الجند من تكون الغنيمة همه، ولكن جيـوش المسـلمين سارت داعية الى الاسلام مجاهدة في الله، ترجو الشهادة قبل الغنيمة، وتتهيأ للموت قبل الطعام. .))

واخيراً، فان للخبراء العسكريين رأياً له وجاهته، وفيه تفسير للسرعة التي تتطلبها طبيعة الحروب. يقول احمد عادل كمال [١] : ((حسب (ليدل هارت) تكاليف حملة حربية من مائة الف مقاتل للحروب القديمة، وانتهى الى انها كانت تتكلف الف قطعـة ذهبية في اليوم الواحد. .فعندما يسير الجيش الى ميدان القتال تصبح خزينة الدولة خالية. .ان افضل السياسات العسكرية هي التي تتوخى ضرب العدو بسرعة سـاحقة، واتعس تلك السياسات هي التي تنزلق في حرب طويلة مرهقة. .ويضيف ايضـاً : ان جيـش المسلمين لم يكن يكلف الخليفة شيئاً ! كان يقتات مقاتلوه وابله وخيولـه، بل ونساؤه الذين جاءوا معه، مما كانوا يغنمون من ارض العدو، وعلى ذلـك لانعدو الواقع اذا قلنا ان الدولة البيزنطية [٢] كانت تتحمل نفقات جيشها وايضاً نفقـات جيـوش المسلمين ! وهذا هو الذي اوقع بعض المستشرقين في الزعم ان حـركة الفتوح كان باعثها السلب والنهب والجوع، ولقد كفانا (ليدل هارت) مؤونة الـرد عـلى ذلك فقال :ان على القيادة العسكرية الحكيمة ان تحاول ماستطاعت، تحقيق النصر السريع، او سد حاجات الجيش من غنائم يظفر بها بنفسه فوق ارض العـدو، ويعيش على مواردها ابان زحفه ومعاركه لتحقيق النصر الكامل. ان طناً واحـداً من القمح يظفر به الجيش الزاحف من ارض العدو يعادل عشرين طناً من قمح الوطن في مجموع النفقات. .ان الجندي يود النصر لنفسه والمجد القومي لامته وهدم طاقات العدو وموارده، لئلا يهدد مرة اخرى سلامة الوطن. ويجب الا تكون

[١] الطريق الى دمشق ، ٥٤٠-٥٤٢ .

[٢] وكذلك فارس .

الغـــنائم المادية هدف النصر او الحرب. .ويعلق كمال اخيراً فيقول : اذا قاله ليدل هـــارت قـــالوا : عـــلماً وفعلوه به واذا فعله المسلمون بكل زهد وعفة قالوا : سلباً ونهباً، وتناسوا انها الحرب !!))

ثانياً : دافع زيادة السكان وتصريف الروح الحربية

وصـــف (حــتي) الجزيرة العربية بانها اصبحت مكتظة بالسكان ابان عهد الخلافـــة الراشـــدة، فلزم الخلفاء التفكير في خلق المجال الحيوي خارج الجزيرة، فكانت حركة الفتح. ولم يشأ (حتي) ان يقدم دليلاً واحداً على ماقال ؛ ولكنه بدلاً عن ذلك، انبأنا ثانية ان الجن كذلك ازدادت اعدادهم [1] !! ونعود الى الروايات التي نقلت تفاصيل المفاوضات بين زعماء فارس والروم من جهة وبين امراء الجند الفاتحين من العرب المسلمين. فمن خلالها تتضح حقيقة انسياح المجاهدين في ارض الله.

١- ذكر الطبري [2] ان رستم راسل زهرة بن الحوية التميمي قبيل القادسية، فخرج اليه زهرة حتى وقف معه، فحدثه رستم فجعل يقول فيما يقول : ((انتم جيراننا وقـــد كـــانت طائفة منكم في سلطاننا، فكنا نحسن جوارهم ونكف الاذى عنهم ونوليهم المرافق الكثيرة، ونحفظهم في اهل باديتهم، فنرعيهم مراعينا، ونميرهم من بلادنا، ولا نمنعهم من التجارة في شيء من ارضنا، وقد كان لهم في ذلك معاش..)) ثم انصرف رستم.

ان كلام رستم هذا، يدلنا على انه كان على معرفة وصلة جيدة باخبار جيرانه.

٢- وارسل رستم الى سعد ان ابعث الي رجلاً منكم جليداً اكلمه، فبعث اليه المغيرة بـــن شـــعبة، فكلمه رستم، فقال : ((انكم معشر العرب كنتم اهل شقاء وجهد،

[1] تـــاريخ العرب -مطول ، ١٣٧/١ ،وفيه ((وبمجيء الاسلام ازداد عدد الجن ،لان اصنام الجاهلية واوثانها ومعبوداتها حشرت في صعيد واحد ،هي والجن)) !!

[2] الرسل والملوك ، ٥١٧/٣ .

وكنـــتم تاتوننا من بين تاجر واجير ووافد. .وقد اعلم ان الذي حملكم على هذا (المجيء)، الجهد الذي قد اصابكم فارجعوا عنا عامكم هذا، فانكم قد شغلتمونا عن عمارة بلادنا، وعن عدونا، ونحن نوقر لكم ركائبكم قمحاً وتمراً، ونامر لكـم بكســوة. .فقال المغيرة (فيما قال) فاما الذي ذكرت فينا من سوء الحال وضيق المعيشة، واختلاف القلوب، فنحن نعرفه، ولسنا ننكره. .ولكن[1] الشأن غيــر مـــا تذهبون اليه ؛ او كنتم تعرفوننا به ؛ ان الله تبارك وتعالى بعث فينا رسولاً..)).

فهـــذه المفاوضــــات الـــتي ذكرناها وغيرها ايضاً ؛لم نجد فيها ذكر لزيادة السكان لاتـــلميحاً ولاتصـــريحاً. وما كان هذا الامر الذي يغيب عن قادة دولة عظمى كفـــارس لو كان. وقد راينا في كلام رستم وصفاً دقيقاً للحالة التي كان عليها جيرانه في جزيرة العرب ؛وقد شافه المغيرة بذلك، فما انكر المغيرة مما قال رستم شيئاً ؛انما اقر له بصدق ما قاله. ولم يرد في كلام الاثنين ما ينبيء عن ازدحام في السكان وازدياد في الاعداد.

٣- من المعروف ان الامر قد استقر منذ عهد عمر رضي الله عنه على جعل ملكية الاراضـــي المفـــتوحة للدولة، وعلى ان تبقى بايدي من كانوا عليها من قبل الفتح، شرط ان يؤدوا الخراج عنها، والجزية عن انفسهم. قال ابو يوسف[2] رحمـــه الله : ((والـــذي راى عمر -من الامتناع من قسمة الارضين على من افتتحها عندما عرفه الله ما كان في كتابه من بيان ذلك- توفيقاً من الله كان له فيما صنع، وفيه كانت الخيرة لجميع المسلمين)). وكان بعض الفاتحين يرى -باجتهاده- ان صنيع عمر رضي الله عنه هذا، يعد حرماناً لهم من حق مقرر، فاعلموه بما يرون وبما يريدون، فابى عمر ذلك عليهم وقال لهم : ((لو قسمته

---

[1] م . ن ، ٥٢٣/٣ .

[2] الخراج ، ٧٢ .

لـــم يبق لمن بعدكم شيء. فاكثروا عليه وقالوا :تقف ما افاء الله علينا باسيافنا على قوم لم يحضروا ولم يشهدوا، ولابناء قوم ولابناء ابنائهم ولم يحضروا . فكـــان عمر لا يزيد على ان يقول :هذا رأيي. ثم استشار المهاجرين فاختلفوا فامـــا عـــبد الرحمن بن عوف فكان رايه ان يقسم لهم حقوقهم، ورأى عثمان وعلي وطلحة راي عمر، فارسل الى الانصار من كبرائهم وشرفائهم. .فقالوا جميعاً :نعم ماقلت وما رايت))[١] فأمضى عمر رايه[٢].

والذي نفهمه من رأي عمر رضي الله عنه ووافقه فيه معظم المهاجرين والانصار، انه كان تخطيطاً للاجيال القادمة من المسلمين، وليس لمعالجة وضع قائم. فلو كانت هناك زيادة حاصلة في السكان، لتطلب من عمر رضي الله عنه ان يحتج اولا بها على المخالفين، ثم يفكر ثانياً مع الاخرين في ايجاد حلول مناسبة لها. وهذا ما لم يكن له ذكر في حجج الموافقين ولا المخالفين على حد سواء.

٤- ومن المعاصرين من ابطل هذه النظرية وسخر منها، وفي ذلك يقول (صديقي)[٣] ((ولقـــد تـــرك بعـــض المؤرخيـــن الـــنظرية القائلة بالاهداف الاقتصادية الخالصـــة.. لانها مبنية على مزاعم عديدة وغير مقبولة. .وقد ابطل المؤرخ (فرانسســـكو جـــبرائيل) النظرية القائلة بالضغط السكاني الذي نتج عنه هجرة اقتصادية لانه لايوجد اثبات يدل على الزيادة في السكان منذ ذلك التاريخ، وبعد مجـــيء الاسلام، . .ثم حتى زمان خلافة عمر ظلت سياسة الحكومة الا تسمح للعرب بالاقامة في البلاد المفتوحة. .))

٥- وامـــا تفسير حركة الفتوحات بانها كانت من اجل توجيه القوة الحربية للقبائل العـــربية الى خـــارج الجزيرة العربية بدلاً من ان تتصرف الى الفتن والشقاق

---

[١] م . ن ،٦٧-٧٠ .

[٢] ولم ينقل عن احد من المخالفين لرأي عمر انه ترك الجهاد لمنعه حقه في الارض المفتوحة .

[٣] الهجمات المغرضة ، ١١٥ .

الداخـــلي، فـــان هذا التفسير ((رغم انه يبين جانباً ايجابياً ويكشف عن بعض الحكمـــة من تشريع الجهاد، الا انه لايمكن ان تفسر به حركة الفتح الاسلامي، فـــان اكثر الشقاق والفتن كان يقوم بها الاعراب المرتدون في خلافة ابي بكر الصـــديق رضي الله عنه وقد منعهم ابو بكر بعد اخضاعهم لسلطان الدولة من المشـــاركة فـــي الفتوح وجردهم من السلاح تاديباً، ولعدم الوثوق باخلاصهم، ولانهـــم لايصلحون ان يمثلوا طلائع الفتح لعدم استكمالهم لمقومات الشخصية الاســـلامية تصـــوراً وســـلوكاً، مما لايعطي سكان المناطق المفتوحة صورة صحيحة عن الاسلام، فكان الاعتماد على سكان المدن التي استقرت في انفسهم معـــاني العقيـــدة وآثارهـــا التربوية العميقة، وكان سائر القادة من الصحابة رضوان الله عليهم)) [1].

---

[1] اكرم العمري ،السيرة النبوية الصحيحة ،مصدر سابق ، ٣٤١ .

الفصل الثالث

الحضارة الاسلامية العربية

المبحث الاول

تحديد المصطلح

مــن المفــاهيم التي تأرجحت دلالاتها، وتداخلت مضامينها، مصطلحات[1] ((الحضــارة)) و ((الثقافة)) و ((المدنية))، وذلك بسبب من المصادر المعرفية التي يســتقي الباحث منها، وطبقاً للتصور الذي يتم البحث في ضوئه. وعلى الرغم من اهميــة هــذه المفــاهيم ومحوريتها في حركة التاريخ البشري، وانها من المفاهيم الاساســية لكثير من العلوم الاجتماعية والانسانية الا انها بقيت تدور في تعريفات مــتعددة وربمــا متباينة. وقد تكون الترجمة وعملية نقل المصطلحات من لغة الى اخــرى، سبباً في تفتيت المفهوم بحيث لانكاد نجد له معنى محدداً او تعريفاً واحداً. فمفهــوم ((الحضــارة)) مثلاً يستقى عند الترجمة من كلمة ((Culture)) احياناً، واخــرى من ((Civil(zation)) وثالثة على انه يشملهما معاً. ومفهوم ((الثقافة)) احصــى لــه (كوبيــر) و (كلوكهون) سنة (١٩٥٢م) مايزيد عن (١٦٤)تعريفاً[2]! وكذلــك ساد اضطراب واضح في استخدام لفظ ((المدنية))، خصوصاً وان اللغات الاوربيــة لم تعرف سوى مفهومي (((Civilization)(و((Cu(eurlt)(دون الثالث وهو ((الثقافة))؛ ومن ثم حدث تداخل شديد.

---

[1] الحضارة لغة: من الحضور نقيض المغيب، وحضر جاء او قَدِمَ؛ وايضاً: شَهِدَ؛ والحضارة: الاقامة في الحضر. والثقافة من ثقف تثقيفاً: أي سوّاه – في الحسيات، وتستعمل في المعنويات من ثقفت الشيء حذقته وظفرت به، وثقف الرجل ثقافة أي صــار حاذقــاً خفيفاً فطناً، والمراد انه ثابت المعرفة بما يُحتاج اليه. وعليه فالثقافة هي: التسوية والتهذيب والتقويم والحــذق والظفر والفطنة وسرعة اخذ العلم وفهمه، وثبات المعرفة بما يحتاج اليه. واما المدنية فهي من مَدَنَ أي اقام في المكــان وتمدن متصلة بالمدينة والعيش فيها. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ١٩٦/٤ مادة حضر؛ ١٩/٩ مادة ثقف؛ ٤٠٢/١٣ مادة مدن.

[2] ابتداءاً من كونها سلوكاً متعلماً، وحتى كونها افكاراً في العقل، او تشييداً منطقياً، او رواية احصائية، او ميكنة الدفاع عن النفس، او تجريداً من السلوك، او ديناً بديلاً من حيث دورها في تحسين الحياة، او طوباوية تعد بتحقيق الذات واقامة الــتفاهم بين الجماعات. نقلاً عن: محمد عارف، نصر، الحضارة –الثقافة – المدنية (دراسة المصطلح والمفهوم)، ط٢، المعهد العالمي للفكر الاسلامي (عمان، ١٤١٥هــ/١٩٩٤م) ص٢٢.

فهناك من يرى ان المدنية هي نسق وسيط بين الثقافات والثقافة الحضارية الـــتي تغذيهـــا جميعاً، ولا تتحرك هذه الثقافات بدونها، ويستمر الصراع داخل هذه المدنيـــة بيـــن الـــثقافات اذا ما وجدت ثقافة قوية. وهناك من يقصرها على العلوم الطـــبيعية دون العلوم الاجتماعية. وهناك من يطلقها كلفظ جذاب سحري او كصفة جيـــدة توصـــف بهـــا الاشياء مثلها تماماً مثل كلمة جميل وحسن، وذلك دون فهم لابعادها او مضمونها [١]. فبالنسبة للحضارة يصفها ابن خلدون (ت، ٨٠٨هـ) هي خـــلاف ما عليه البدو ويقول: ((وهؤلاء الحضر ومعناه الحاضرون اهل الامصار والبـــلدان، مـــن هـــؤلاء من ينتحل في معاشه الصنائع، ومنهم من ينتحل التجارة، وتكـــون مكاســـبهم انمى وارفه من اهل البدو، لأن احوالهم زائدة عن الضروري ومعاشهم على نسبة وجدهم..)) [٢] ويراها ايضاً هي: ((نهاية العمران وخروجه إلى الفساد ونهاية الشر والبعد عن الخير)) [٣] ومن المعاصرين من يعرفها بأن الحضارة هـــي: ((ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والاعتقاد والفن والاخلاق والقوانين والاعـــراف، وكل القدرات والعادات التي يكتسبها الانسان كعضو في المجتمع)) [٤] وهذا التعريف ((يعد حتى اليوم من اوفى التعريفات واشملها بحيث لا يزال يستخدم فـــي معظـــم الكـــتابات الانثروبولوجية)) [٥] ومثل هذا ما يراه (ول ديوارنت) حيث يقـــول [٦]: ((الحضـــارة نظام اجتماعي يعين الانسان على الزيادة من انتاجه الثقافي، وانمـــا تـــتألف الحضارة من عناصر اربعة: الموارد الاقتصادية والنظم السياسية، والتقاليد الخلقية، ومتابعة العلوم والفنون))

---

[١] محمد عارف، دراسة المصطلح والمفهوم، ٤٥-٤٦.

[٢] ابن خلدون، عبد الرحمن (ت،٨٠٨هـ) المقدمة، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر، (القاهرة، ١٩٨١م) ص ٥٧٨-٥٧٩.

[٣] م.ن.، ٥٨٥.

[٤] تايلور في كتابه ((الحضارة البدائية)) ص١؛ نقلاً عن: محمد عارف، المصدر السابق، ٢٠.

[٥] محمد عارف، المصدر السابق، ٢٠.

[٦] قصة الحضارة، ١/٣.

وقريباً من هذا الراي، يرى الدكتور محمد المبارك ان الحضارة يقصد بها: ((مجمـوع المعارف العلمية والتشاريع والنظم والعادات والاداب التي تمثل الحالة الفكـرية والاقتصـادية والخـلقية والسياسية والفنية، وسائر مظاهر الحياة المادية والمعنوية، في مرحلة من مراحل التاريخ، وفي بقعة من بقاع الارض، سواء شملت شـعباً او اكـثر)) [1]، ويمكن ان يقال ان مفهوم الحضارة بمعناها العام هو مطلق الحضـور، والحضـور مرحـلة مـتقدمة في تجربة أي مجتمع، اذ ان كثيراً من المجـتمعات الانسـانية تقتصر على مجرد الوجود دون الحضور، ومن ثم لايمكن اطـلاق مفهوم الحضارة عليها مهما كان نتاجها الذهني والمادي، طالما وقفت فقط عـند مجرد الوجود. وبيان ذلك: ان قيام المجتمع يستلزم نمطاً من القيم والمعايير والمعـتقدات والافكار والسلوكيات، ويستلزم ايضاً نمطاً من المبتكرات في الادوات ووسـائل الانـتاج وطرائق المعيشة. وبهذين الامرين معاً يحقق المجتمع نوعاً من العمران، ولكن هل ان مجرد قيام العمران فقط يعني الحضارة ؟

ان قيـام العمـران مجـرداً في المجتمع لايعني اكثر من الوجود؛ ذلك ان الحضـارة او الحضور يستلزم زيادة على العمران، تقديم نموذج للانسانية للاقتداء بـه، أي طـرح نمط من العلاقات مع بني البشر الاخرين، ومع الكون الذي حول الانسان، او مع مسخرات الله في الكون، وفهم مركز الانسان في هذا الوجود، وما هـي غاية وجوده. ومن ثم يمكننا تعريف التجارب البشرية وتقويمها طالما حققت مفهوم الحضور لا مجرد الوجود [2].

ومن ثم فان هذا المعنى لمفهوم الحضارة يعطي كل تجربة خصوصيتها ولا يعلي احداها على الاخرى الا طبقاً لما تقدمه من نموذج يتسق مع الفطرة الانسانية، ويحقـق الغايـة من وجود الانسان. ولا يمكن لذلك اعتبار كل حضارة انها تحمل

---

[1] في كـتابه: الفكر الاسلامي الحديث في مواجهة الافكار الغربية، ط٢، دار الفكر (بيروت، ١٣٨٩هـ/١٩٧٠م) ص ٢٧.

[2] محمد عارف، المصدر السابق، ٦٠.

نموذجاً راقياً للانسان، فلفظ الحضارة لا يعني قيمة حسنة في ذاته او صفة توصف بهـا الاشـياء والافكـار، وانمـا هو لفظ محايد يختلف باختلاف نموذج الحضور ومكوناته [1]

[1] محمد عارف، دراسة المصطلح والمفهوم، ٦٢

المبحث الثاني

مقاييس الحضارة

من البدهي ان تكون هناك مقاييس او موازين يرجع اليها في تقويم الحضارة للوقوف على صلاحها او فسادها، وخيرها او شرها، ونتائجها السعيدة او المشؤومة. ولربما يقع الخلاف في المقاييس، كما هو واقع في تعريف الحضارة. ولكن مثل هذا الخلاف غالباً ما يحصل –فيما نراه– في المدى والدرجة التي يُغلَّب فيها عنصر على آخر، او تقديم جانب على غيره.

فما هي اذن مقاييس الحضارة ؟ [1]

اولاً: فيما يخص غاية الحضارة: طالما ان غاية الحضارة هي الارتفاع بالحياة الانسانية، فان من العسير بل من الخطأ ان نقيس من جانب واحد وبمقياس واحد؛ وذلك لان الحياة الانسانية معقدة كثيرة الجوانب، فان فيها حياة فكرية عقلية،وحياة مادية عملية معاشية، وحياة نفسية خلقية، وحياة اجتماعية، الى جانب الحياة الفردية.

فالحضارة الصالحة الخيرة هي التي ترتفع بهذه الجوانب كلها، وتوازن بينها في تناسق وتناغم بحيث لا يطغى جانب على جانب، ولا ينمو واحد ويضمر آخر.

فبالنسبة للعقل فانه يجد في الحضارة الصالحة المجال فسحاً لنموه وتفتحه واكتشافه آفاق الكون المحيط بالانسان، فيزداد علماً نافعاً ومعرفة، فتنطلق قدرة

[1] محمد المبارك، الفكر الاسلامي الحديث، ٢٨-٣٠.

الانســـان في استثمار الطبيعة لترفع من مستوى حياته ولتسهل امر معاشه وتحقق الكثير من رغباته.

وتجــد النفس فيها كذلك المجال مفتوحاً لترتقي الى افاق اسمى، ولتغير من ابتدائيــتها وحيوانيتها، فينمو فيها الايثار والبذل مكان الاثرة والشح، وتجعل هدف الانسان حصول الخير لنفسه ولغيره.

وعــلى المســتوى الاجــتماعي: نجد اعضاء المجتمع في تماسك وارتباط وتضـــامن وتكـــافل سواء من الوجهة المادية او المعنوية. وذلك لقيام المساواة في الفرص، والعدل في التوزيع، وشيوع الرحمة في نيل الضعفاء من حق الحياة ما لا ينالونه بقوتهم وجهدهم. فلا يقتصر تحقيق الخير والرفاه لطائفة دون غيرها

ثانيــا: وتقـــاس الحضـــارات بالنسبة لاهدافها فالحضارات تختلف كذلك باختلاف الاهـــداف المنشودة التي تريد بلوغها، وما تؤمن به من مثل ومعتقدات، فان الاهداف والمثل والمعتقدات قد تكون فاسدة، فتتجه بالحضارة نحو الفساد أي نحو الانحطاط الفكري او الاخلاقي او الاجتماعي.

ثالــثاً: كما وان للحضارة دوافع محركة تدفع بالناس الى بلوغ الاهداف ويمكن ان تقـــاس الحضارة بصحة تلك الدوافع من عدمها. ومثال ذلك ان يكون الناس مدفوعيـــن الى التعليم بدافع الحصول على المال، او لتوظيف العلم في سبل الـــتحكم بمصائر البشر، او ان يندفع الناس الى الحرب بدافع الاستيلاء على ارض الغيـــر واموالهم وبدافع قهر الشعوب وتدمير قواهم. وبعكس ذلك ان يكونوا مدفوعين الى ذلك بدافع حب العلم وتسخيره في طرق الخير، او ازالة الظلم والعدوان او ارضاء الله سبحانه.

تــلك هــي مقــاييس الحضــارة: رفــع مستوى العقل والنفس والتضامن الاجــتماعي وســمو الاهداف وصحة العقائد وسلامة الدوافع وتحسين سبل العيش الكريم للانسان.

المبحث الثالث

خصائص الحضارة العربية الاسلامية

شـــهد تاريخ البشرية الطويل، حضارات عدة، سادت ثم بادت، منها ما كان مقتصـــراً عـــلى اقـــليم من الاقاليم، او جنس من الاجناس البشرية كحضارة قدماء المصريين مثلاً. وقد تكون نتيجة جهود اجناس مختلفة وتشمل بقاعاً واسعة، كما هو حاصـــل اليوم في حضارة الغرب، والتي مازالت قائمة. ولكن لا يعرف على وجه التحديد، كيف بدأت هذه الحضارات المتنوعة، وليس سهلاً ان يضبط تاريخ مولدها، والظـــروف التي صاحبت وجودها ونشأتها. لان أي حضارة من الحضارات تتبدى لـــنظر المؤرخين عند قيامها، كائناً حياً سوي الخلقة، وهي بذلك قد خلفت وراءها بعـــض مـــراحل تطورها في ظلال ظروف ماضية يصعب التعرف الدقيق عليها؛ وهذا يعود بدوره إلى ان الحضارات لا يمكن ان تولد كما يولد الافراد، وان كانت مـــن ناحيـــة اخـــرى تشبه الكائنات العضوية في تأثرها بمؤثرات البيئة في نموها ونضجها [1]. ((فنحن لا نستطيع ان نحدد مثلاً بدء الحضارة الغربية الحديثة، فان كل ماندريـــه عـــنها انها تطورت شيئاً فشيئاً من حطام الحضارة الرومانية، وامتزجت بدين شرقي هو المسيحية، بعد ان عدلته وحورته طبقاً لحاجات الغرب واستعداداته وظـــروف حياتـــه. ولكـــنا لا نســـتطيع ان نحدد على وجه دقيق متى اتخذت هذه الحضارة الجديدة المركبة طابعها المحدد المتميز. وكل ما نستطيع ان نقوله في هذا الصـــدد ان ذلـــك لابد ان يكون قد تم في اوائل العصور الوسطى في مدى اربعة قرون او خمسة على وجه التقريب. .والواقع اذن هو ان الحضارة الغربية بدت في الوجـــود وابـــرزتها فـــي مواكـــب الزمان تطورات استطالت احقاباً طويلة فكانت مقوماتهـــا الاساسية التي تتمثل في نظرتها الى الحياة الانسانية والاخلاق وفضائل

---

[1] اســـد، محمـــد، اصـــول حضارة الاسلام، بحث من كتاب ((الاسلام والتحدي الحضاري)) باقلام عشرة من علماء الاسلام، دار الكتاب العربي، (بيروت، بلا) ص١٥-١٦

الـنفس، وفي ثرائها وعاداتها وقوانينها الاجتماعية، نتاج امتزاج بطيء لخليط من المؤثـرات الفكـرية مختـلفة اشد الاختلاف ولعناصر من الحضارات متباينة اشد التـباين. .وليست حضارة الرومان ذاتها اكثر وضوحاً او تحديداً من سابقتها. .ولا كذلـك حضارة الهندوس او الصين. .ولا تخرج حضارات بابل وآشور عما سبقت الاشـارة اليـه، بل ان القول لينطبق على كل ما شاهد البشر من حضارات. . اننا مهمـا اوغلـنا في التنقيب والبحث فيما سلف من حضارات البشر، فلن نجد توقيتاً معيـناً نسـتطيع ان نحدده بدءاً لحضارة ما، او تاريخاً لمولدها، ولا ان نعين حداً فاصلاً يميز بين حضارة ولت واخرى اشرق عليها النور وتبدت للوجود))[1]

((ولكـن هـناك استثناءً واحداً لكل ما اسلفنا من قول، استثناء تكاد لغرابته تذهل العقول وتنعقد الالسنة، فلم يذكر تاريخ البشر فيما عرفه الناس من حضارات سـوى حضـارة واحـدة، بـرزت للوجود من عالم الغيب دفعة واحدة، واستوت للـناظرين قائمـة على اصولها في فترة محدودة من تاريخ البشر - تلك ولا شك حضـارة فذة من نوع فريد، وانها لحضارة الاسلام. .لقد انفردت وحدها بانبجاسها الى الحيـاة دون سابق عهد او انتظار. وقد جمعت هذه الحضارة، من فجر نشأتها، كل المقومات الاساسية لحضارة مكتملة شاملة. فقامت في مجتمع واضح المعالم، له نظرته الخاصة الى الحياة، وله نظامه التشريعي الكامل، وله نهجه المحدد للعلاقات بين الافراد، بعضهم ببعض داخل هذا المجتمع. ولم يكن قيامها ثمرة تقاليد زخر بها الماضـي، ولا وليد تيارات فكرية متوارثة ولكن هذه الحضارة، كانت وليدة حدث تاريخي فريد، وهو تنزيل القرآن الكريم. وكان مردها الى رجل فذ في التاريخ هو محمـد رسـول الله صـلى الله عليه وسلم. فلقد ادرك الذين امنوا بالاسلام واتبعوا محمـداً صـلى الله عـليه وسلم وصدقوا بالقران، فاتخذوه قاعدة حياتهم، ان الدين الجديـد الذي جاء به القران يتطلب منهم هجرة بائنة الى ما جاءهم به عما توارثوه من عقائد في الحياة، وما الفوه من مناهج السير فيها. . انهم ادركوا ان الاسلام وقد

[1] محمد اسد، اصول حضارة الاسلام، ١٦-١٩ باختصار

جاء نظاماً شاملا للحياة، قد افتتح حقاً حضارة جديدة وما كان دوره ليقتصر على التمهيد لغيره من الحضارات او الارهاص بها. فتبينوا كما تبين من جاء بعدهم من المؤمنين، ان مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ايذاناً ببدء عهد جديد بكل ما ينطوي عليه هذا البدء من حقائق ومعان. لقد بدأت حضارة الاسلام اذن كائناً حياً متكاملاً متمايزاً، انبثق نجمها فكان ظهورها في توقيت تاريخي محدد امتد زهاء ثلاثة وعشرين عاماً، هي الحقبة التاريخية التي قضاها رسول الله صلى الله عليه وسلم على ظهر الحياة من يوم بعثته حتى لقي الرفيق الاعلى. وليس هناك في التاريخ البشري كله من حضارة في القديم او الحديث، نستطيع ان نحدد تاريخ مولدها والظروف والعوامل التي صاحبت وجودها ونشأتها، سوى حضارة الاسلام))[1]

ويمكن ان نوجز خصائص الحضارة العربية الاسلامية بنقاط، هي:

اولاً: انها كانت للعالم حضارة جديدة تقوم على عقيدة التوحيد في اسمى صورها، وهي العقيدة التي تنبع من وحي رسالة سماوية، وتمد الحضارة بالروح والقوة والتماسك، وتوجهها الى الموازنة الدقيقة بين مقاصد الروح ومطالب الجسد، والبعد عن الزهد المعطل للحياة، وعن المادية الجامحة المفسدة لانسانية الحياة. لقد كان الفرد المسلم ((انساناً صالحاً)) وكانت الامة امة فريدة في توحدها على عقيدة التوحيد.

وفي ظل حضارة الاسلام انعقدت الصلة بين الارض والسماء، وبين الحياة الدنيا والآخرة. بين النشاط الملي والقيم الاخلاقية؛ وهذا اعظم ما يصل اليه الانسان في الارض، وبهذا يكون متحضراً.

---

[1] محمد اسد، اصول حضارة الاسلام، ١٩-٢٤؛ قطب، سيد، المستقبل لهذا الدين، ط٦، دار الشروق (القاهرة، ١٤٠٣ هـ/١٩٨٣م) ص ١٧

ثانياً: الحضارة الاسلامية عالمية التوجه والمحتوى، انشأت مجتمعاً جديداً يقوم على التعاون والتسامح والانفتاح على الاخرين، والتعايش السلمي مع الجميع سواء كانوا افراداً او جماعات او دولاً. وللفقهاء كلام صريح في هذا الباب، حيث يؤكـــدون عـــلى انسانية الاسلام وعالميته. فالفرد في نظرهم اما: مسلم واما ذمـــي وامـــا معاهد او واما محايد واما محارب. وينسحب هذا التقسيم على الـــدول ايضاً، في معاملة الدولة الاسلامية لها، فيقال: دولة معاهدة او محايدة او محاربة [1].

ثالثاً: انقذت الحضارة العربية الاسلامية العالم القديم مما كان يعيش فيه من فوضى واضطراب، وانقذت الانسان من الاستعباد والظلم الاجتماعي، واشاعت المثل الاخلاقيـــة الـــرفيعة، فـــي عصر كانت تسوده شريعة الغاب ((ففي القرنين الخامس والسادس -الميلاديين- كان العالم المتمدن على شفا جرف هار من الفوضـــى. .وكـــان يبدو اذ ذاك ان المدنية الكبرى التي تكلف بناؤها جهود اربعة آلاف سنة مشرفة على التفكك والانحلال. .)) [2].

رابعـــاً: وصـــلت الحضـــارة العربية الاسلامية بين قديم الحضارات وجديدها، بما حفظـــت من تراث الاقدمين وما اضافت اليه من صنع عبقريتها المبدعة في ميـــدان العـــلوم الطـــبيعية فضلاً عن اشاعة روح البحث العلمي، والنهوض بالآداب. وهذا موضوع مهم ويستلزم زيادة بيان وافراد الحديث عنه بمبحث مستقل.

---

[1] ينظر محمد رجب الكبيسي، السلام الدولي في الاسلام، ٢٣٨-٢٣٩

[2] دينسون، العواطف كأساس للحضارة، نقلاً عن محمد قطب، واقعنا المعاصر، ٥٤٤.

المبحث الرابع

خصائص الحركة العلمية الاسلامية

ان ما تتميز به الحركة العلمية الاسلامية ليس فيما قدمته من مفردات العلوم نقلاً عن غيرهم وتطويراً لها او ابداعاً وابتكاراً

وهناك جملة حقائق ترد امام الناظرين في تقويم الحركة العلمية في الحضارة العربية الاسلامية. يجدر بالباحثين ان يقفوا عندها ملياً، فانه لا يغفل عنها منصف، ولا يتغافل عنها الا مجحف. ولعل من ابرز هذه الحقائق هي:

اولاً: ان المسلمين هم الذين انشأوا المنهج التجريبي في البحث العلمي [1] فلم تكن حالة العرب قبل الاسلام تعنى بالبحث العلمي واستخلاص الحقائق العلمية ولم يكن العلم الاغريقي الذي وجده المسلمون علماً تجريبياً يقوم على الملاحظة والاستنباط واجراء التجارب، وانما كان علماً نظرياً فلسفياً قائماً على استخلاص الكليات النظرية، وكان اليونان يعتمدون في تثبيت معارفهم على الفكر والمنطق، ويؤمنون بصدق النظريات دون ان يهتموا بتحقيق واقعيتها علمياً [2]. وفي ذلك يقول (بريفولت) [3]: ((ان ما يدين به علمنا للعرب، ليس فيما قدموه الينا من كشوف مدهشة لنظريات مبتكرة بل يدين

---

[1] البحث العلمي: هو اجراء التجارب للوصول الى حقائق جديدة وتفسير سليم لها. ويعتمد البحث على الاختبار والملاحظة، والتسجيل والمقارنة والتحليل والتصنيف للظواهر، من اجل الوصول الى نتيجة معينة. انظر: الزبيدي، د.طارق صالح، مفهوم البحث العلمي عند العرب، بحث منشور ضمن كتاب ((بحوث الندوة القطرية الثالثة لتاريخ العلوم عند العرب)) من اصدارات بيت الحكمة (بغداد، ١٩٨٩م) ص٧٨.

[2] م. ن، ٨٣.

[3] في كتابه ((بناء الانسانية)) ((The making of humanity)) نقلاً عن: محمد قطب، واقعنا المعاصر ٩٠-٩١

لهم بوجوده نفسه. فالعالم القديم – كما رأينا– لم يكن للعلم فيه وجود. . وقد نظم اليونان المذاهب، وعمموا الاحكام، ووضعوا النظريات.

ولكن اساليب البحث في دأب واناة، وجمع المعلومات الايجابية وتركيزها، والمناهج التفصيلية للعلم، والملاحظة الدقيقة المستمرة، والبحث التجريبي ، كل ذلك كـــان غريباً تماماً عن المزاج اليوناني. .اما ما ندعوه ((العلم)) فقد ظهر في اوربا نـــتيجة لـــروح من البحث جديدة، ولطرق من الاستقصاء مستحدثة . وهذه الروح وتلك المناهج، اوصلها العرب الى العالم الاوربي)) ويورد الاستاذ فؤاد سزكين [1] طـــريقة ابن الهيثم في البحث العلمي، ((فيذكر ان ابن الهيثم قال في مقدمته لكتابه ((في الشكوك على بطليموس)) ما يلي: . . فطالب الحق ليس هو الناظر في كتب المـــتقدمين، المسترسل فيهم، بل المتوقف فيما يفهمه عنهم، المتبع الحجة والبرهان لاقـــول القـــائل الذي هو انسان، المخصوص في جبلته بضروب الخلل والنقصان. والواجـــب عـــلى الناظر في كتب العلوم، اذا كان غرضه معرفة الحقائق ان يجعل خصـــماً لكل ما ينظر فيه، ويجيل فكره في متنه وفي جميع حواشيه، ويخصمه من جميـــع جهاتـــه ونواحيه، ويتهم ايضاً نفسه ند خصامه، فلا يتحامل ليه ولا يتسامح فيـــه. فانه اذا سلك هذه الطريقة انكشفت له الحقائق وظهر ما عساه، وقع في كلام مـــن تقدمه من التقصير والشبه)). ويذكر سزكين [2] عن جابر بن حيان قوله: ((ان اســـتطعنا ان نعـــلل خواص الاشياء عددياً، فاننا نكون قد ارسينا الاساس الصحيح لعلمـــنا في العالم الكيميائي. .وعن البيروني قوله: ((وانما فعلت ما هو واجب على كل انسان ان يعلمه في صناعته في تقبل اجتهاد من تقدمه بالمنة، وتصحيح خلل ان عـــثر عليه بلا حشمة. .وتخليد ما يلوح له فيها تذكرة لمن تأخر عنه بالزمان واتى بعده)).

---

[1] محاضرة له بعنوان ((حول قضية اسباب ركود الحضارة الاسلامية)) المطابع الاهلية (الرياض، ١٤٠٣هـــ /١٩٨٣م) ص١٢

[2] م. ن، ١١-١٣.

ويقرر (روجر بيكون) الانكليزي بانه ليس هو صاحب المذهب التجريبي، بـــل انه نقله من اساتذته المسلمين الى تلامذته، وقد صرح هو نفسه دون ملل بان الــلغة العــربية وحضارتها الاسلامية هو الطريق الوحيد، بالنسبة لكل معاصريه، لــلمعرفة الحقة. وكان بيكون وهو احد تلامذة المسلمين، يعرف جيداً اللغة العربية والثقافة الاسلامية.[1]

ثانياً: ان الحركة العلمية الاوربية تستمد اصولها من الحركة العلمية الاسلامية، فقد افـــاد الغرب فيما يسمى بـــ (عصر الاحياء والنهضة) من الذخيرة الضخمة من المعارف والعلوم التي جادت بها الحضارة الاسلامية على العالم الحديث. ((ان العـــلوم العـــربية والاسلامية بدأت تنتقل الى العالم الغربي منذ اواسط القرن الرابع الهجري، وقد تم ذلك بعدما تهيأ المناخ هناك بالاحتكاك البشري الضـــروري. واســـتمر انـــتقال العلوم العربية الاسلامية الى العالم الغربي المسيحي حتى اوائل القرن التاسع الهجري. ومعنى هذا الواقع هو ان العلوم العـــربية والاســـلامية قبل منتصف مرحلتها البناءة المبتكرة، قد وجدت نمواً اخـــر لتطورها في بيئة اجنبية، وانها استمرت في تزويد اكتشافاتها الاخرى لهذه البيئة الجديدة الى ان اصبحت هذه بناءة مبتكرة بعد قرون))[2].

وتقـــول (زيغريد هونكة): ((كل موجة علم او معرفة قدمت لاوربا في ذلك العصر، كان مصدرها بلدان اسلامية))[3] واننا لندهش حينما نرى في مؤلفات علماء المسلمين من الآراء العلمية ما كنا نظنه من ثمرات العلم في هذا العصر.

[1] لوبـــون، حضـــارة العرب، ٥٢٨-٥٣٠؛ الحجي، د.عبد الرحمن علي، الحضارة الاسلامية في الاندلس، دار الارشاد (بيروت، بلا) ص٦٣-٦٤.

[2] سزكين، اسباب ركود الحضارة الاسلامية، ١٥.

[3] شمـــس العرب تسطع على الغرب، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي، ط٣، المكتب التجاري (بيروت، ١٩٧٩م) ص ٥٤١

على ان هذا التأثير والسبق العربي الاسلامي (لا ينفي ان اوربا بذلت جهداً علمياً فائقاً، توصلت به الى آفاق لم يكن يحلم بها الانسان من قبل، وان الجلد والمثابرة وعبقرية التنظيم، كانت لها مؤهلات ايجابية عند اوربا، مكنتها من الوصول الى تلك الافاق. ولكن الذي ينبغي تسجيله انه بمثل هذا الجهد، تفوق المسلمون في وقتهم، ووصلوا الى افاق من العلم، كانت تعد في زمنهم فتوحاً عظيمة؛ مع فارق لحساب المسلمين يجب التنويه اليه: ان اوربا حين بدأت نهضتها العلمية وجدت رصيداً جاهزاً استمدت منه وبنت عليه، سواء في منهج البحث او في العلوم ذاتها، بينما المسلمون حين بدأوا لم يكن لديهم مثل هذا الرصيد في منهج البحث، وانما انشأوه انشاءً من عند انفسهم بتوجيه دينهم، كما انشأوا علوماً جديدة لم تكن لها اصول سابقة كعلم الجبر مثلاً، وعلم الخرائط الجغرافية. وهذا بالاضافة إلى علومهم الدينية الخاصة التي لا مثيل لها بطبيعة الحال عند غيرهم من الامم، كعلوم القرآن وعلوم الحديث والفقه والاصول. .))[1].

ثالثاً: ان الحركة العلمية الاسلامية نشأت في ظل العقيدة الصحيحة، فلم يحدث قط بينها وبينه خصام ((فالعبقرية العلمية التي حقق بها المسلمون الاولون هذه العجائب والانجازات في شتى ميادين البحث والانتاج، كانت تصدر من افق مشرق، يتسم بايمان عميق بالله وبمثل الاسلام العليا. وكان السلف رضوان الله عليهم يبتغون بالعلم والانتاج وخدمتهما رضى الله، وكانت هذه الامور جزءاً من العقيدة لديهم))[2] وكان من الشائع ان ترى رجلاً عالماً بالشريعة وهو ايضاً عالم بالطب او الفلك او سائر اصناف العلم، ولا يجد هو من نفسه صراعاً مع ما تعلم ولا اضطهاداً من خليفة او هيئة. ((ومما يستوقف النظر ولاشك ان يجد الانسان الحسن بن الهيثم يكتب في موضوع علمي يعتبر جافاً اشد الجفاف، وهو علم ((البصريات)) فيبدأ حديثه باسم الله ويحمده ويثني

---

[1] محمد قطب، كيف نكتب التاريخ الاسلامي، ١٥٩.

[2] الحجي، الحضارة الاسلامية، ١٤-١٥.

عليه بما هو اهله، ويستمد منه التوفيق، بينما نجد دارون يكتب في موضوع مـــن طبيعته ان يثير الوجدان البشري ويبعث القلب البشري خاشعاً لله، وهو عـــلم الحياة، وخروج الحي من الميت، وتنوع الكائنات الحية..فلا يذكر اسم الله مـــرة واحدة، بل يقول ان الطبيعة تخلق كل شيء، ولا حد لقدرتها على الخلق، ثم يقول بعد ذلك ان الطبيعة تخبط خبط عشواء))[1].

ان هذه المزية -العلم في ظل العقيدة- التي تفردت بها الحركة الاسلامية؛ قـــد وجهـــت العلوم وجهة نافعة، ومنعتها من ان تنحرف في اتجاه غير سليم فسمة العلم الاسلامي نفعه للناس لا الاضرار بهم، لذا كان علماء المسلمين يستعيذون بالله ((من علم لا ينفع)) وهذا هو المنهج الصحيح اذ يكون الدافع والغاية من طلب العلم تحقيـــق صـــلاح الناس ونفعهم. ولو كانت الذرة قد اكتشفت من قبل المسلمين، لما وسعهم ان يستخدموها في تدمير بني الانسان كما حصل في العلم الغربي في القرن العشرين [2] ذلك لان المسلمين لا ينقصهم المنهج الصحيح للحياة، المنهج الذي ياخذ الانسان في الجوانب كلها، ويطلق الطاقات البشرية تعمل في توازن دقيق مبارك.

---

[1] محمد قطب، واقعنا المعاصر، ٩٩.

[2] القت الولايات المتحدة عام ١٩٤٥م قنبلتي ذرة محت كل اثار الحياة في كل من هيروشيما وناغازاكي في اليابان، وتعد هـــذه القنبـــلة بالنسبة لقوى التدمير الحالية كمسدس الاطفال ازاء المدفع الثقيل ! كما القت قوات التواطؤ الدولي عام ١٩٩١م مـــا يـــزن مائة وواحداً واربعين الف طن من المتفجرات بما فيها اليورانيوم المنضب على مدن العراق بما يعادل سبعة قنابل ذرية من النوع الذي القي على المدينتين اليابانيتين المذكورتين اعلاه.

المبحث الخامس

الحضارة الحديثة

ان الحضـــارة الغربية الحديثة هي ثمرة جميع الحضارات التي سبقتها فقد ورثـــت عن اليونان فلسفتهم المستندة الى العقل والمادة والادب اليوناني بما فيه من عناصر الصراع والحروب والتنافس على الملذات. واخذت عن الحضارة الاسلامية اصول الحركة العلمية وافادت من علوم المسلمين الكثير واكملت في هذا الجانب ما بـــدأت بـــه الحضارة العربية الاسلامية. ويضاف الى ما تقدم، ما اخذه الغرب عن المســـيحية وان كـــانت لاتمثل الا مزيجاً من فلسفة اليونان وشعائر الرومان، فهي مسيحية تكيفت حسبما اريد منها [1] .

ولهذه الحضارة خصائص راقية تكمن فيها نقائص قاتلة، ويمكن ان نوجزها فيما يلي:

اولا: لقد بلغ العقل البشري في ارتقائه مستوى عالياً، توصل به الى افاق واسعة من الاكتشافات في مجال الطبيعة ونواحي الكون. ووصل الى درجة من المعرفة الاختصاصية في مجالات عديدة، لاتقارن بما كانت عليه في الماضي. ولكن الـــناحية الســـلبية التي تولدت عن مثل هذا التقدم الفكري، ان العقل الاوربي داخله الغرور بنفسه، وانتقل الناس من ظلم العقل وكبته في العصور الوسطى

[1] لقـــد نـــبذت الحضارة الغربية منذ نشأتها الديانة المسيحية بسبب العداء بين العلم والكنيسة. وحين يزعم الغرب ان حضارته ذات صلة بالدين، فهي كما يسميها ((الحضارة المسيحية)) وليس هناك ما هو اكذب من هذا الواقع ! فالمسيح عليه السلام دعا للترفع عن متاع الارض من اجل خلاص الروح وقال ((من ضربك على خدك الايمن فادر له الايسر)) ومـــا ابعد الواقع الغربي عن دعوة المسيح. فالغرب يضرب وينهب ويغتصب برغبة عدوانية خالصة دون ان يمسه احد. فـــليس هو وريث دعوة المسيح، انما هو وريث الجاهلية الرومانية التي تسعى الى القوة لاستعباد الاخرين. فاي صلة لمثل هذا السعي بمسعى السيد المسيح ؟! انظر: عبد الوهاب، احمد، الحضارة الاسلامية، ط١، دار الصحيفة (القاهرة، ١٤١٩ هـــ/١٩٩٩م) ص١٢٤ وايضاً محمد قطب، كيف نكتب التاريخ الاسلامي، ١٦١-١٦٢.

الى تقديســه وتأليهه، على حساب القيم الروحية والاخلاقية، بل قاد ذلك الى ((اســاطير اشد خطراً من كل الاساطير الماضية، لانها اساطير تدعمها الالة والمادة، ولهذا ربما قضت على كل شيء بطريقة علمية، فتلقي قنابلها الذرية على البلاد والشعوب)).

((وقــد عــبر (رينان) عن الاسطورة الاوربية ((افضلية عنصر الاسياد)) فقــال: ((ان العنصــر الاوربــي هو عنصر الاسياد والجنود. ولهذا فان حمل هذا العنصر النبيل على العمل كما يعمل العبيد والصينيون، يدفعه الى الثورة. وذلك لان كل ثائر عندنا، انما هو جندي لم يؤد رسالته، لانه مخلوق اوجد ليحيا حياة البطولة، فاذا به يجبر على القيام بمهمة لا تتفق وعنصره، فهو عامل فاشل، وان كان جندياً فاشلاً. غير ان الحياة التي يثور عليها عمالنا تجعل الصيني والفلاح سعيدين، وهما كائــنان لــم يخلقا للحرب، فليقم كل منا بما خلق له، فتسير الامور عندئذ على اتم وجــه)). انها الاسطورة الدامية التي تولد عنها الاستعمار، الذي تئن منه الانسانية، كما تولدت عنها النازية التي أنَّتْ منها اوربا . ومازالت هذه الاسطورة تملأ قلوب الاوربييــن، وتسيطر على افكارهم. .بل ان الطفل يولد فيهم ويشعر انه مقدر عليه استعمار الآخرين. فاذا ما فشل في رسالته لم يكف عن تغذية ذهنه بالاستعمار، كما يغذي جسمه بمحاصيل البلاد المستعمرة))[1].

ثانيــاً: ومن خصائص الحضارة الغربية هذا التقدم الصناعي الهائل الذي ادى الى الازدهــار الاقتصادي في كافة نواحيه، والى ارتفاع مستوى المعيشة وتوفير وســائل الراحة والترفيه. ولكن هذا الوجه الحسن والجانب اللامع، شابه في الوقت نفسه صراع بين الطبقات من اجل الثروة، وسيطرة حب الرفاهية ولذة العيش على افراد المجتمع، والى التنافس بين الدول على كسب مناطق النفوذ والاستيلاء على ثروات الشعوب الاخرى، وفتح الاسواق الخارجية لتصريف

[1] ابن بني، مالك، مستقبل الاسلام، المكتبة العصرية (بيروت، بلا) ص١٠٠-١٠٣ .

المنتوج، فكان ذلك دافعاً من دوافع حركة الاستعمار (بل الاستدمار) العالمي، بحروبه ومآسيه ومخازيه، وقاد الى الاستهانة بمباديء الاخلاق والمثل العليا، وسيادة المبدأ الميكافيللي ((الغاية تبرر الوسيلة))، وان ((كل شيء نسبي)) فلم يعــد هناك معنى ((المطلق))، كما مات معنى العدالة حتى قيل ذات يوم في اوربــا ان ((تصــفية ظالمــة خير من قضية عادلة)) وان ((التجارة سرقة مــباحة)) وهكذا قضت اوربا بنزعاتها الكمية والنسبية على عدد من المفاهيم الاخلاقية وسلبتها ما فيها من نبل واخذت (الحياة تسير على وتيرة الكم. فقد اصــبح الــرقم ملكاً في المجتمع الصناعي الآلي. .كما ان حكم الاحصاء لا يــرد. فليس للطبيعة الانسانية- أي الضمير الانساني- اية قيمة، اذ ليس من شــان الآلات الاهتمام بالاخلاق او ما وراء الطبيعة [1]. انه عصر الآلة التي ابــتدعها الانســان ولــم يستطع السيطرة عليها، فراحت تقوده بذهنها الآلي وكــادت تقضــي عليه. فاصبح الواقع عبارة عن حروف وارقام، واصبحت السعادة تقاس بالوحدات الحرارية والهرمونات، وكأن لسان الحال يقول:

((يا لروعة الآلة ! فهي تدور بينما المستعمرات تمدها بالمواد الاولية، كما تمدها باليد العاملة بثمن بخس. فتقوم الآلات بتحويل هذه المواد ويقوم المستهلكون القــادرون عــلى الدفع باستهلاك ما تنتج تحسب الآلات مستوى الانتاج كما تحدد الارباح والاجور وساعات العمل.

وهكذا تبدو روعة الآلة على شرط ان لا توجد حبة من الرمل في المحرك. ولكــن في الالة الحديثة اكثر من حبة، ولهذا صدر عن الآلات عام ١٩١٤م ازيز مخيف ولما كانت مصادر المواد الاولية لا تكفي، كان لابد لعدد من المحركات ان تــدور فــي الفراغ، وان لا تعمل حسب مستواها العادي أي حسب نهمها الذي لا يشبع. فنشأ النزاع بين اصحاب الآلات. وبعد اربع سنوات من التهديم مات خلالها

[1] مالك بن نبي، مستقبل الاسلام، ٩٥-٩٦.

الملايين، انتهى العالم لاقرار الاوضاع الحاضرة وعادت المحركات الى الدوران. ولم تترك الحرب العالمية الاولى (١٩١٤-١٩١٨م) أي ذكر في الضمائر التي اسكرها المال والشمبانيا. واذا بالرخاء الظاهري يخفي مؤقتاً حقيقة الحال.

وقد تعالى منذ عام ١٩٣٠ ازيز جديد في الآلات فكشفت الازمة هذه المرة عن الداء الاخلاقي الذي ينهش جسم المدنية، ودلت على عجز الآلة لوحدها عن حل المشكلة الانسانية بواسطة الرسوم والمعادلات. فتوقفت الآلات عن الدوران والعد وحساب اوقات العمل والارباح، واخذت جموع العمال تزدحم امام خزائن التعويض عن البطالة وخيم البؤس على العائلات.

وقد اتسم هذا البؤس بسخرية حزينة، وذلك لان سبب هذا البؤس كان للمرة الاولى وفرة الانتاج وليست قلته. ولهذا تمتاز عبقرية القرن العشرين في انها جعلت بواسطة الطرق العلمية من اسباب النعيم اسباب شقاء.

فاين هو الداء ؟ هل الداء في ازدياد الانتاج على الاستهلاك ؟ ياللسخرية ! فالحل بسيط اذن بالنسبة للفنيين الذين يعرفون كيف يصححون الحسابات واعادة المنحنيات الى مستويات معينة، وبذلك يقضون على هذه الزيادة. وليس هناك من عملية ابسط من هذه العملية. ولهذا احرقت كميات من القمح والقطن والقهوة بينما كانت بعض الشعوب في اشد الحاجة لمثل هذه المواد.

ثم يندلع حريق الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ فاذا باوربا تجعل من مدنيتها مشعلاً للحريق فاذا بنا على ضوء النار التي اشعلتها في عالم الاستعمار والتي امتدت الى اراضيها -امام نفس الفوضى التي نشرتها في سائر انحاء العالم فخيم فيها كما يخيم الاضطراب والاستسلام امام قوى الشر التي انبعثت من الاساطير[١].

[١] مالك بن نبي، المصدر السابق، ٩٥-٩٧.

ثالثاً: ومن مظاهر الحضارة الحديثة تحرر الشعوب من الاستبداد واقامة النظم التي تكفل الحرية والمساواة، فأمن الناس بذلك على حياتهم سياسياً بالديمقراطية وعلى حياتهم معيشياً بالضمان الاجتماعي.

ولكن هذا كله انما كان -وبسبب من الانانية- نصيب المجتمع الغربي وحده. في حين كانت الحروب الاستعمارية في الخارج وظلم الشعوب الضعيفة واغتصاب بلادها وثرواتها واستعباد اهلها، ظاهرة طاغية في شعوب ودول العالم غير الغربي. بل اصبح للحق والحرية والمساواة مكيالان: احدهما للغرب والاخر للغرباء. ففي المجتمع الانكليزي مثلاً نجد ان الحق يضمن الى حد كبير، بينما نجد الانكليزي نفسه ينتهك هذا الحق ولا يقره في مجتمع اخر يعده دونه، فلا مساواة ولا حرية للآخرين امام الاوربي. وهذا يذكرنا بما كان عليه اسلافهم الرومان من غطرسة وغرور، حتى كان التقاضي بين الخصوم على درجتين قانون يحاكم به الرومان، والاخر تحاكم به الشعوب المغلوبة. لقد فشلت هذه الحضارة في ان تمنح الضمير البشري معنىً انسانياً، فلم تستطع ان تحرره من الانانية وشهوة الجاه وحب الاستعلاء وغير ذلك من الاهواء والانفعالات التي تعيق نمو الحضارة.

رابعاً: ومن اعراض هذه الحضارة ايضاً تزعزع الاسس الاعتقادية والقيم الاخلاقية في المجتمع. اذ اتجه المنهج الاوربي في النهضة العلمية الى الابتعاد عن الله والى قطع صلة الارض بالسماء، وذلك بسبب الملابسات النكدة التي قامت في التاريخ الاوربي خاصة بين المشتغلين بالعلم ودين الكنيسة الغاشمة. ثم ترك اثاره العميقة في مناهج الفكر الاوربي كلها، معادياً لاصل التصور الديني عامة -وليس فقط لاصل التصور الكنسي- في كل ماانتجه من فلسفة ميتافيزيقية ومن بحوث علمية بحتة [1].

[1] قطب، سيد، المستقبل لهذا الدين ، ٤٤-٤٥

((ان المسـيحية، التي كانت سائدة في الغرب بشكلها وصيغتها التي انتهت اليهـا، لـم يكن بامكانها ولا من طبيعتها، ان تتلاءم مع الحضارة الجديدة، لا من الوجهـة العقـلية، ولا من الوجهة الاخلاقية السلوكية. كما انها لم تستطع أن تقدم حـلولاً للمشكلات الفكرية والاقتصادية والسياسية التي عرضت للمجتمع)) [1] فكانت النـتيجة انهيار العقائد والاخلاق وضمور الروح الانسانية ((فانتقلت اوربا من دين بـلا حضارة الى حضارة بلا دين ! ومن دين بلا علم الى علم بلا دين، ومن دين يقتل حيوية الناس بالرهبانية السلبية واهمال عمارة الارض، الى حيوية عارمة تقتل الديـن ! ومن فكر يعتقد الثبات في كل شيء، ويرفض احداث أي تغيير في جانب مـن الحياة، لانه يخالف سنة الثبات، الى فكر يعتقد التطور في كل شيء، ولا يقر الثبات في شيء على الاطلاق)) [2] .

خامسـاً: ((ان دوافع هذه الحضارة ليست دوافع سليمة مبرأة، بل هي في كثير من الاحيـان دوافع غير اخلاقية. انها كلها دوافع مادية للحصول على علم اكثر وللحصـول على انتاج اكثر، ورفع الحياة المادية الى مستوى اعلى، وتامين اكـبر عـدد من الرغبات التي اكثرها مادي. . وهكذا ارتقت ببعض جوانب الحياة الانسانية، واغفلت جوانب اخرى في غاية الخطورة والقيمة، فادى ذلك الى اضـطراب شديد في حياة الانسان. . وقد عجزت هذه الحضارة الحديثة عـن تهذيـب النفس الانسانية، وتحقيق الرابطة الاخوية بين البشر، وتعميم مباديء الحق والعدل في العالم. .كل ذلك لسبب اساسي هو ان هذه الحضارة لا ترتكـز عـلى تصور صحيح لحقيقة الكون والانسان والحياة. فتهمل في الانسـان مواهـبه الـروحية وطرق المعرفة المتصلة بها، كما تهمل صلة

---

[1] محمد المبارك، الفكر الاسلامي الحديث، ٤٣-٤٤.

[2] محمد قطب، كيف نكتب التاريخ الاسلامي، ٢٥٥.

الانســان بخــالق الكــون، فتنســى الله بل تجحده، وتنكر مسؤولية الانسان امامه))[1].

سادســاً: والخلاصــة، ان البشرية اليوم تقف على حافة الهاوية، ليس بسبب الفناء المعلق على رأسها - فهذا عرض للمرض لا المرض- ولكن بسبب افلاسها فــي عالم القيم، ولربما اوجدت القنبلة الذرية فناً في العمار جديداً - هو فن عهــد الحيــاة فــي باطن الارض- فيعيش في داخل اعشاش ضخمة اناس استعاضوا بالآلة عن اذهانهم، وبالاعداد عن مفاهيمهم الاخلاقية، وبالاساطير عن الله. لكن الحقيقة تبقى ماثلة امام كل ذي عينين وهو عليم: تلك هي ان العــالم الغربي يشرف على نهاية تجربة استمرت عدة قرون؛ وباختصار ان دور الرجل الابيض قد انتهى، وذلك لعجزه ان يصنع زاداً صالحاً للحياة.. [2]

ويحق لنا ان نتساءل عن البديل، ماهو ؟

ويــاتي الجــواب على لسان مفكري الغرب المتحضر او المحتضر يقول توينبي[3]: ((ان الاسلام عرضة لان يصحو من جديد، ويتسلم قيادة الامم المستضعفة الخاضــعة للــنفوذ الغربي في الوقت الحاضر. وانه قد انتصر من قبل انتصارات حاسمة، واثبت وجوده مرتين في صراعه مع الغرب: مرة في صدر الاسلام حين اكتســح الامــبراطورية الــرومانية، ومرة اخرى في الحروب الصليبية حين رد الصــليبيين عــلى اعقــابهم مدحورين...)). ثم يقول: ((ان الاسلام اليوم في غفوة طويــلة تشــبه غفوة اهل الكهف، ولكن الظروف العالمية يمكن ان توقظه ليتولى القيادة من جديد. وختم محاضرته بقوله: ونرجو الا يحدث ذلك)) واذا كان توينبي قد

---

[1] محمد المبارك، المصدر السابق، ٣٣ و ٤٥.

[2] مالك بن نبي، مستقبل الاسلام، ٥٠؛ سيد قطب، معالم في الطريق، ط١، مكتبة وهبة (القاهرة، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م) ص٣؛ محمد قطب، واقعنا المعاصر، ٥٤٩.

[3] محاضرة له في كتاب ((الاسلام والغرب والمستقبل)) ترجمة د. نبيل صبحي نقلاً عن محمد قطب، كيف نكتب التاريخ الاسلامي، ٢٥٩.

قال ذلك بدافع الحقد الصليبي الانكليزي، فان روجيه دي باسكيه السويسري [1] يقول: ((لقد جاء الاسلام الى الناس لمساعدتهم على عبور هذه المرحلة الاخيرة من التاريخ العالمي دون ان يتعرضوا للضياع. وباعتباره الوحي الاخير في سلسلة النبوات، فانه يقدم وسائل لمقاومة الفوضى التي تسود العالم حالياً، واقرار النظام والنقاء في داخل الانسان، وايجاد التآلف والانسجام في العلاقات الانسانية وتحقيق الهدف الاسمى الذي من اجله دعانا الخالق الى هذه الحياة.

ان الاسلام يخاطب الانسان الذي يعرفه معرفة عميقة ودقيقة، محدداً بالضبط وضعه بين المخلوقات وموقفه امام الله. ان الاسلام بابعاده الافقية والرأسية قادر على عمل توافق قوي بين الانسان والكون المحيط به، وكذلك بين الانسان والإله خالق كل شيء ومبدعه. ان الاسلام عالمي بكل معنى الكلمة. وان الغرب المسيحي، او الذي فقد مسيحيته، لم يعرف الاسلام ابداً)).

[1] درس الاسلام واعتنقه وكذلك زوجته الهولندية. انظر: احمد عبد الوهاب، الحضارة الاسلامية ٦٣، ٦٥، وهو ينقل عن باسكيه في كتابه ((اكتشاف الاسلام)).

المبحث السادس

مناقشة مفتريات (حتي) على الحضارة العربية الاسلامية

يـــروي (حتي) فرية طالما تواصى المستشرقون باذاعتها وترويجها. وهو يؤكد في اكثر من موضع ان العرب المسلمين لم تكن لهم حضارة خاصة من نسج افكـــارهم وعمـــل مواهـــبهم. فهم عالة على غيرهم وتلاميذ لحضارات الامم التي غلـــبوها ((لقـــد غَلَبوا فغُلبوا، غلبوا امماً لها حضارتها العريقة وخضعوا بدورهم لحضـــارة الامم نفسها التي غلبوها، وظهر للعالم كيف يستطيع المغلوب ان يصبح غالـــباً. . فهـــذه المدنية التي ندعوها المدنية العربية لم تكن عربية في اصولها او اركانها ولا بجنسية اربابها))[1] ويمضي هذا المستشرق في شططه الغريب وكأنما هـــو يؤدي وظيفة مرسومة مكلف بالقيام بها، فيتحدث عن مظاهر الحياة العقلية في عهـــد الامويـيـــن فيقول: ((لم يحمل الغزاة من الصحراء معهم الى البلاد المفتوحة تراثاً ثقافياً ولا تقاليد علمية، ولقد جلسوا في كل من الشام ومصر والعراق وفارس مجـــلس التلاميذ عند اقدام الشعوب التي اخضعوها..)). وعن ايام العباسيين يقول: ((ان الـــذي جعلها زاهية في تاريخ العالم اجمع هو تلك اليقظة الفكرية الهائلة التي شـــهدها الاسلام، والتي تعد اهم فترات تاريخ الفكر في الثقافة في العالم. .ويرجع الســـبب في هذه اليقظة -الى حد كبير- الى التأثير الاجنبي، ذلك التأثير الذي يقوم فـــي بعض اجزائه على عناصر هندية وفارسية وسورية، ولكنه جملته يعتمد على الاغريق))[2].

ويمكن ان نلخص مآرب (حتي) في هذا الصدد بما يأتي:

---

[1] تاريخ العرب، ٢٣٢/١.

[2] م. ن

اولاً: لـــم يحمل العرب معهم حضارة عندما خرجوا من الجزيرة العربية ينشرون الاسلام.

ثانياً: اذا كانت هناك نهضة اقترنت بالاسلام فإن مصدرها مواريث الامم في البلدان المفتوحة.

ثالـــثا: ان الرومان والفرس الذي انهاروا امام جيوش الفتح العربي الاسلامي كانوا ارقى من العرب الفاتحين. ولذلك كانوا الاساتذة، وكان العرب هم التلاميذ.

ان هـــذه الافكار الخاطئة لا تقوم على اساس من صحة، ولا اسناد لها من عـــلم ولا دليل عليها من برهان. وانما هي آراء وافكار تعد مسبقاً، ثم تسقط على الوقـــائع والاحـــداث، وهذا هو الهدم المتعمد لتاريخ امة قدمت للعالم اعظم الفضل فكوفئت –وياللأسف – بالجحود والنكران.

فـــاولاً: اما ان العرب لم يحملوا معهم حضارة تعلم الناس، فهذا غلط فادح وتجاهل مقصود. ان اعظم ما اهدته هذه الامة للناس هو العقيدة – عقيدة التوحيد بكل ما يحمل من معان وقيم واخلاق. ومن ثم فان نشر الاسلام على نطاق واسع من الارض كان هو اعظم انجازات هذه الامة، وفاءً بالمهمة التي انيطت بها مـــن الله سبحانه واذا كانت المدنية في القرنين الخامس والسادس الميلاديين مشـــرفة على التفكك والانحلال، كما يقول (دينسون) [1] ((وان البشرية توشك ان ترجع ثانية الى ما كانت عليه من الهمجية، اذ القبائل تتحارب وتتناحر، لا قـــانون ولا نظـــام. اما النظم التي خلقتها المسيحية فكانت تعمل على الفرقة والانهيـــار بدلاً من الاتحاد والنظام. وكانت المدنية كشجرة ضخمة متفرعة امـــتد ظلها الى العالم كله، واقفة تترنح وقد تسرب اليها العطب حتى اللباب. وبين مظاهر هذا الفساد الشامل ولد الرجل الذي وحد العالم جميعه)) ففي مثل

---

[1] العواطف كاساس للحضارة، نقلاً عن محمد قطب، واقعنا المعاصر، ٥٤٤–٥٤٥.

هـذا الوضـع الحرج، بعث العرب برسالة التوحيد فكانوا الطبيب النطاسي لادواء البشـرية، فجاءوا الناس بالاسلام لمساعدتهم على عبور هذه المرحلة من التاريخ العالمي دون ان يتعرضوا للضياع.

واذا كنا لانجد في المراجع الاوربية أي صدى لهذا الانجاز الضخم في حياة البشـرية، فذلـك لان اوربا نفسها لم تعرف التوحيد في عقيدتها المزيفة، ولايمكن بداهـة ان تعـترف بقيمة شيء هي له فاقدة. بل استقر في ذهنيتها انها لم تتحرر وتـتطور الا بعد ان فرت من الكنيسة وطغيانها فلا تريد -والحالة هذه- ان تتذكر ذلك الشبح المفزع والغول المخوف. واذا اضفنا الى التوحيد انجازاً مهماً هو الاخر ممـا جـاد به اولئك العرب الفاتحون الذي لم ير العالم فاتحاً ارحم منهم، هو ذلك التسـامح الانسـاني الـذي عومل به اهل البلاد المفتوحة، ادركنا كم كانت النقلة الحضارية التي ارتقى اليها العالم آنذاك على ايدي حملة الاسلام الاولين.

فـاذا كـانت عقيدة التوحيد وانقاذ كرامة الانسان، ونشر روح التسامح في العـالم لا تسـتحق ان تذكـر بأنها شيء قدمه العرب المسلمون للناس، فاي شيء غيرها يستحق الذكر في تاريخ البشرية الطويل ؟!

اذا حمـل العـرب دعوة التوحيد فانقذوا البشرية من جهالة الشرك ووهدة الضـلال، واذا حمـل العـرب راية العدل لتخليص الانسان من جور الاديان واذا اخرجوا الانسان من ضيق العالم المادي الذي كان يعيش بين جدرانه إلى فسيح عالم الروح ، وارتفعوا بالانسان مادة وروحاً. . اذا ادى الفاتحون كل هذه المهام الكبيرة، ومع كل ذلك فانهم في نظر (حتي) وامثاله لم يحملوا معهم ثقافة ولا حضارة !!

ثانيـاً: ويعـزو (حـتي) النهضة التي اقترنت بانتشار الاسلام الى مواريث الامم المغـلوبة، وان فضل العرب لايعدو الاحتفاظ بالتراث الاغريقي او الاطلاع عليه تلامذة بين يدي استاذ. وهذه الفرية كثيراً ما يوحي بها كتاب الغرب من

ان المســلمين تحضــروا من اثر الاحتكاك بما كان عند البلاد المفتوحة من الحضــارات. ومنشــأ هذه المغالطة ياتي من الخلط بين الارادة الدافعة الى التحضــر، وبين الادوات المستخدمة في عملية التحضر. والاولى هي التي تصنع الحضارة وليست الثانية.

ان التراث الاجنبي -في وقت انسياح الاسلام- كان راكداً في مواطنه فاقداً لــتأثيره في بلدانه. وليس وجوده على هذه الحال مدعاة للتطور والا فما الذي حال بيــنه وبيــن النهوض به في مستقره وبين اهله ؟! فلما ان جاء العرب تحرك هذا التراث الهامد ودبت فيه الحياة. وكان ذلك -بلا شك- من فعل الرسالة الهادية التي حملها العرب.

ان القــرآن الكــريم الــذي اثبت العرب ثباتاً جديداً في امة هي خير الامم ((تضمن من بواعث الازدهار الفكري والنفسي، واصول الحقوق الخاصة والعامة، ما جعل العالم ينتقل به من طور الى طور. ان هذا القرآن ليس كتاباً من تلك الكتب التي تحمل نعت القداسة، فاذا اجلت النظر في صحائفها طويتها على عجل، احتراماً لعقلك وخلقك، كلا، انه كتاب يستثير اقصى ما في العقل الانساني من طاقة، ويهز اخــر مــا في الضمير الانساني من شعور. وهو يخلق جو البحث والتفكير خلقاً، ويدفــع بقــوة الى النظر والتدبر. .وهو الذي حطم الخرافات وقام باوسع نقلة في مــدارج الــرقي البشري، عندما حول العرب الاميين الى رجال فكر، وائمة هدى. وعــندما جعلهم يتصلون بالعالم اتصال المعلم الواعي بالتلامذة الهمل. وعندما فتق اذهــانهم وامكنهم من تناول التراث الفكري للعالم، تناول الناقد البصير، يمحو منه ويثــبت، ويصــوب مــنه ويخطيء. اجل لقد نظر العرب في كتب الاقدمين نظرة الاســتاذ الى كراسات الطلاب التي تتضمن من الحقائق ما يقره، ومن الجهالات ما ينكره. .)) [1].

---

[1] محمد الغزالي، مع الله دراسات في الدعوة، ٣٦٧.

ثالثاً: ويزعم (حتي) ان الشعوب الشرقية والغربية (الفرس والروم) حول المسلمين كانت ارفع منهم قدراً وارجح كفة من العرب الفاتحين.

((والحقيقة ان الشعوب الاوربية والافريقية والاسيوية كانت الى ثلاثة قرون تقريباً انزل من الامة الاسلامية في كل شيء مادي وادبي وانها كانت فرية لجملة من جراثيم الجهل والتعصب والجمود، تزري بقدرها اشد الزراية. ولا ندري كيف ان المسلمين الفاتحين تتلمذوا على شعوب جاءوا اليها ليفكوا عنها اغلال التقليد، وغشاوات العمى ؟! لقد كانت روما، وبيزنطة، والقاهرة، ودمشق، والمدائن، وسائر العواصم. . التي طرق الاسلام ابوابها، تعيش في سجن من الاراء الدينية الضيقة، بعضها وثني، والاخر قريب منه. فكيف يظن ان اهلها كانوا افضل من المسلمين يومئذ ؟))[١]

ان رستم الفرس لم يرد على ما بينه ربعي بن عامر رضي الله عنه من احوال كانت سائدة في فارس بان الانسان كان مظلوماً مستعبداً لطبقة الاسياد. قال رستم لربعي: ما الذي جاء بكم ؟ فقال ربعي: الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد الى عبادة الله وحده، ومن جور الاديان الى عدل الاسلام، ومن ضيق الدنيا الى سعتها.[٢]

ان رستم لم يعترض على شيء مما قاله ربعي، فدل هذا على صحة تقييم ربعي لحالة العالم آنذاك، كما يدل على أي نوع من الرجال كان اصحاب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وجند الاسلام ! لقد كانوا يفهمون مرامي الرسالة الاسلامية العالمية التي اختيروا لها، كما كانوا ايضاً على وعي تام بالمحيط الدولي وحاجة العالم الى التصحيح

[١] م. ن، ٣٧٠.

[٢] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٣/ ٥٢٠

وشاهد عيان اخر من الجانب الغربي (الرومي): جاء منهزمة الروم هرقل وهو في حمص ينتظر انباء معركة اليرموك (١٥هـ/٦٣٦م) فاخبروه بالهزيمة، فدهش لهول المصاب وقام يسأل المنهزمين عن السبب فاجابه شيخ منهم ان العرب انتصروا بسبب من ((انهم يقومون الليل ويصومون النهار، ويوفون بالعهد، ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويتناصفون بينهم)) [١]

ثم فسر لهرقل ايضاً سبب هزيمتهم فقال: ((ومن اجل أنا نشرب الخمر ونزني، ونركب الحرام، وننقض العهود، ونظلم. .)) [٢] فحين ينطلق الفاتحون في مجتمع طاهر يقوم على نظم العدل والاخلاق ورعاية المسؤولية الاجتماعية، صعب على المستشرقين ان يصفوا العرب المسلمين بانهم حملة حضارة !! واذا قام مجتمعهم على الموبقات والمظالم وصفهم المستشرقون بانهم انشأوا حضارة !!

نعم ان العرب لم يخرجوا من الجزيرة ليعلموا فارس او الروم فنون الطبخ والازياء والبناء. ولكنهم علموهم كرامة الانسان وعدل الاديان ((كان المسلمون انظف ابداناً، وانضر افكاراً، وارق قلوباً، وارقى آداباً، وان عصر الاحياء جاء من العرب وحدهم، ونضح عن حضارتهم المتفوقة.

نعم ان العرب ترجموا كتب الاولين من يونان وفرس، ولاننكر ذلك، . . بيد ان من الانصاف ان نتساءل: ماذا كانت احوال البلاد التي استقدمت منها هذه الكتب؟ لقد غبرت دهراً، وهي لاتعي منها شيئا. لقد كانت في نوم عميق..)) [٣]

وخلاصة القول فيما يبغيه (حتي) وغيره في الكلام عن الحضارة العربية الاسلامية: ان الاسلام لم يؤسس حضارة ما، وان المسلمين مجرد نقلة لتراث

---

[١] محمد علي كرد، خطط الشام، ٩٣/١

[٢] م. ن ٩٤/١

[٣] الغزالي، مع الله، ٣٧٠.

غيـــرهم، وربمـــا زادوا فيـــه شيئاً. بحيث يخرج القاريء بانطباع ان امة الاسلام جماعـــة زحفت على الامم المجاورة بلا علم واذا كانت هناك ثمة مدنية فانما هي مدنية الشعوب المغلوبة ليس الا. ((والواقع ان المتامل في الكتاب –تاريخ العرب– يحـــس ان المؤلـــف كـــثيراً مـــا ينجرف مع تيار الحقيقة الغالب، فيحسن الوصف والتعـــليل، حـــتى اذا شعر – بايحاء خفي– ان ذلك ربما كان شهادة حسنة للاسلام واهلـــه، عـــاد إلى تعصبه يتهم المسلمين بانهم نقلة فحسب، وانهم تلامذة للاغريق والهـــنود والفرس، . .)) [1] وما الحضارة العربية الاسلامية –في نظره– الا كقطع الغيـــار المســـتوردة من مناشيء عديدة، ركبت باتقان وليس للعرب من فضل الا التركيب والتطعيم !

---

[1] م. ن.

الخاتمة

الخاتمة

مــن خلال ما تم بحثه من مفتريات المستشرقين ومنهم حتي ومناقشتهم في ما اثاروه نخلص إلى النتائج الآتية :

١. ان الاستشراق هو الجناح الفكري للاستعمار الحديث ويمثل ايضا عقلية الغــرب وحساسيته تجاه الشرق ولا سيما العرب والاسلام. والمستشرق هو من تخصص في معرفة الشرق ولغاته وآدابه وحضارته.

٢. نشــأ الاستشراق في بدايته نتيجة احتكاك المسلمين باوروبا عن طريق الاندلس في نهاية القرن العاشر الميلادي، كان الاسلام يمثل فيها الجانب الاقــوى ديــنا وآدابا وحضارة، في حين كان الغرب فيها يمثل المنبهر المتــلقي. ولكن الامر لم يلبث ان تحول هذا اللقاء السلمي الحضاري إلى صراع عدائي دموي في الحروب الصليبية في الشرق العربي الاسلامي (مصــر والشــام) وفي الغرب العربي الاسلامي (الاندلس). فاستحكمت بسبب ذلك عقد العداء في العلاقات ما بين الطرفين ... الغرب المسيحي والشرق الاسلامي.

٣. اهــداف الاستشراق دينية اولا، اذ لا يخفى ان رواد ميدان الاستشراق كانوا من رجال اللاهوت (جربرت) على سبيل المثال الذي عين فيما بعد (بابا) وسمي بــ(سلفستر) ٩٩٩-١٠٠٣م وكانت البابوية تطمح ان تتوجه إلى الشــرق من اجل تنصير (الضالين) أي المسلمين !! ورأت الكنيسة ايضا ان تحذر المسيحين ضعيفي الايمان ان يتأثروا بالاسلام . ولا يمكن قصــر اهداف الاستشراق على هدف واحد، وانما هناك اسباب اخرى لا يمكن اغفالها منها : **العامل الاقتصادي** : اذ لعبت التجارة دوراً مهما في علاقات الشرق بالغرب، وهذا مسلك مهم في نقل الافكار ومعرفة الواحد بالآخــر. وهــناك **العامل الاستعماري**: الذي كان وما يزال يتخذ اساليب شتى من اجل الابقاء على غرب قوي مهيمن وشرق تابع مستضعف.

٤. لم يستطع الاستشراق المعاصر ان يتحرر من الخلفية الدينية التي انبثق منها اساسا ، ولا سيما فيما يتعلق بالموقف الثابت ضد الاسلام كعقيدة وشريعة وحضارة في حين يتغير الموقف عندما يكون الحديث والكتابة عن ديانات اخرى كالبوذية والهندوكية وغيرهما وان كانتا ديانات شرقية. فالاسلام كان يمثل لاوروبا صدمة مستمرة، فالحذر منه هو القاعدة والخوف من نهوضه وامتداده مرة ثانية كابوس مرعب. ويشارك الاعلام الغربي الاستشراق في هذا الشأن، فتراهم يصفون حملة الاسلام بأنهم متطرفون ارهابيون . وما زلنا نسمع الكثير من اذاهم اتجاه رسول الاسلام محمد صلى الله عليه وسلم على صفحات الجرائد وفي بطون الكتب وفي تشجيع العناصر المتمردة على الاسلام ونشر مؤلفاتهم وحمايتهم.

٥. ان موازين البحث الاستشراقي ليست نزيهة ولا موضوعية ، وترى كل واحد منهم يقرر ما نقضه غيره، او ينقض ما قرره، فأين هي الحقيقة يا ترى؟! ان المستشرق يضع في ذهنه فكرة معينة يريد تصيد الادلة لاثباتها وحين يبحث عن الادلة لا تهمه صحتها بمقدار ما يهمه امكان الاستفادة منها لدعم رأيه الشخصي ، وكثيرا ما يستنبط الامر الكلي من حادثة جزئية وليس هذا بالمنهج العلمي الذي يتحدث عنه المستشرقون وليست الاخطاء التاريخية بقليلة في كتاباتهم ، ولا الاغلاط اللغوية هينة، ولها سمة مشتركة في المبالغة في الشك والافتراض والنفي الكيفي. وهذه كلها ثغرات منهجية تنأى بالبحث عن الموضوعية والتجرد العلمي.

٦. وقد يختلف مستشرق عن آخر في طريقة البحث او النتائج ، ولكن مع كل ذلك فان هذا الامر لا يعدو كونه اختلافا في الدرجة وليس في النوع. فالمستشرقون عموما يفيئون إلى ثوابت مشتركة، منها : **تحريف مفاهيم الاسلام، واثارة الشبهات حول حقائقه، وحول الوحي الالهي والقرآن**

،**وحــول النــبوة والرسول، ثم انتقاص دور العرب الحضاري** ولهذا كله هــدف مرسوم هو خلق شعور بالنقص في نفوس المسلمين يحقق قبول ثقافة الغرب والتبعية له.

٧. وفيليب حتي في ضوء ما ذكرناه آنفا لا يبعد عن دائرة الاستشراق سواء في توظيف خدماته لدى الدوائر الاستعمارية اذ **انه مستشار غير رسمي لــوزارة الخارجيــة الامــريكية لشؤون الشرق الاوسط**، او في جهوده الــتأليفية الــتي ظلت رهينة مناهج الذهنية الغربية فهو يحاول دائما ان ينــتقص دور الاســلام فــي بناء الثقافة الانسانية ويكره ان ينسب إلى المسلمين أي فضل.

٨. وهو يردد افتراءات المستشرقين ذاتها على الدين الاسلامي : في الوحي والقــرآن والرسول ، وعلى التاريخ الاسلامي في الفتوحات ودوافعها ، وعــلى الحضــارة الاسلامية في اسسها وابتكاراتها. وقد بينا من خلال الدراسة ان (حتي) مسبوق بافتراءاته، فهو يلخص ما قاله آخرون ويلقي به بين يدي القاريء ويذكر احيانا بعض الشخصيات الاستشراقية وينسب اليها بعض الاقوال.

٩. لا يشــفع لــــ(حتي) كونه لبناني الاصل ، الا يعد ضمن المفترين من المستشــرقين ، طالما ان الاستشراق منظومة فكرية يعتمد الفكر هوية ، فمــن حمــل افكارهــا ودعا اليها فهو منها، وان كان المأمول من رجل شرقي له منزلة علمية في الغرب ، ان لا ينسلخ من تاريخه وحضارته ، ويرضــى لنفسه ان يكون تابعا يتقرب إلى اهداف متبوعة بأباطيل يروج لهــا ان في الغرب الاوروبي الامريكي او في الشرق العربي الاسلامي. لقد تم استهواؤه تماما بثقافة الغرب فتجنس بجنسية اجنبية واحترف حرفة الاستشراق واصبح عاملا في هيئة (التشويه المهني).

١٠. ومـــا يلحظه الباحث ان مؤلفات حتي ليست على درجة واحدة من عدم الموضـــوعية والتجرد ففي مؤلفه الشهير (تاريخ العرب – مطول) الذي كتـــبه باللغة الانكليزية عام ١٩٣٧م، نراه يبث معظم المفتريات باسلوب خفـــي ولا ســـيما فيمـــا له علاقة بالعقيدة الاسلامية (التوحيد) وبالرسالة والرسول ويخفف من ذكر هذه المفتريات فيما كتبه في (صانعو التاريخ العـــربي ١٩٦٩م) و (الاسلام منهج حياة ١٩٧٢م) وان كان المصدر لهما في الغالب (تاريخ العرب). وقد يفسر هذا بأنه نوع اعتراف بالخطأ او ممارســـة ضـــمنية للنقد الذاتي او انه اكتشف آلية الحضارة الغربية وفقـــرها الـــروحي فعدل عن بعض مقولاته ضد هذا الدين المتفرد على ســـائر المذاهـــب والاديـــان، ولكـــن هذا لا يبعد من أن يكون تغيراً في الاسلوب والمظهر وليس تبديلاً في المضمون والجوهر ، ولا سيما وان الكـــتابين الآخرين كانا موجهين لجمهور القراء العرب الذين فقدوا ثقتهم بالغـــرب والمستغربين نتيجة لحرب فاجعة هي (نكبة حزيران ١٩٦٧م) فكـــان لـــزاما عـــلى الجـــناح الفكري للغرب وهو منظومة الاستشراق والمستشـــرقين ان يـــنهج مســـلكا في الظاهر على الاقل – حتى لا يفقد مواقعـــه عـــلى التمام في المنطقة العربية. ان انحسار سطوة الاستشراق والفكرالغـــربي الوافد يرجع في واحد من اهم اسبابه إلى تلك النكبة التي جـــرحت الامـــة العربية في كرامتها وسلخت منها اعز اجزائها ووجدت الامة نفسها يومذاك على مفرق طريق ولم يكن لها من ملجأ إلا ان تعود إلى جذورها، وترجع إلى اصولها في محاسبة للذات وفي عودة للوعي ، يعتمد الاسلام منهجا وسلوكا ، ويبتعد عن التأثير الغربي ومنطلقاته. وفي مـــثل هذه اللحظة ينزل الاستشراق على المسرح بعناوين جديدة تتكيف والحالة القائمة وليس بعد هذا من زيف ونفاق.

Abstract

Praise be to Allah, the Cherisher and Sustainer of the worlds.

And peace and blessings be upon the seal of the Prophets, Mohammed, his family and all his companions.

This study (Orientalism Influence upon Philip Hitti – Prophethood and Caliphate periods) is suggested by the Arabic History Institute for Higher Studies) to discuss such forged thoughts against Islam, the mis-understood religion and history.

The study comprises an introduction, an entry part, two main, other parts and a conclusion as usual.

The introduction shows the significance of the sudy, the reaasons for choosing it and the procedure followed.

The entry part handles the Orientalism movement in general: causes, stages and its research style. Philip Hitti was taken as a case study. His life, books & researches and his research style was studied.

The second part surveys the period of Islam – the message and the messenger. For Hitti had a very wrong thoughts toward the prophethood of Mohammed (Peace be upon him), the Holy Quran ((influenced by Jewess and Christianity as Hitti claimed)); moreover, the Islamic Law (Shariat) is but the Roman law. All these and such other thoughts have been discussed and rejected.

The third part deals with the Caliphate period. Some intended injustice attitudes adopted by Orientalists – in majority – ((Hitti joined them)) toward: the election of Abu-Bakr a Caliph, Islamic conquests and the Islamic Arabian Civilization.

A conclusion with some recommendations end this critical study.

Researcher

Fadil M. Al-Kubaisi

التوصيات

التوصيات

في سبيل مقاومة الغزو الفكري الغربي يلزمنا ان ننبه إلى :

١. وجوب نشر تاريخ الامة وفق تصور صحيح للمهمة التي انيطت بها لأن هذه الامة بمقوماتها العقيدية والحضارية هي صاحبة الدور الاول في تاريخ البشرية ، فهي الامة الوسط والامة الشاهدة، كما قال تعالى : ((وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا)) البقرة ١٤٣. وليس في هذا استعلاء او نظرة فوقية وانما هو وضع للشيء في نصابه ورجوع بالحق إلى اصحابه. وقد قادت هذه الامة العالم حقبة من التاريخ ، فكانت قيادتها ربانية اضاءت العالم عدلا وعلما وخيراً وقاد غيرها العالم فاذا الظلم والنهب والفجور.

٢. ان التراث العربي الاسلامي يمثل الهوية التاريخية والخلفية الفكرية للعرب والمسلمين عموماً . والواجب يحتم الاهتمام بهذا التراث نشراً وتحقيقاً وتوثيقاً ، وان ذلك مهمة ابناء الامة انفسهم ، وان لا يوكل ذلك إلى الغرباء الذين عز ان يوجد من بينهم عالم متجرد متبحر فضلا عن ان ما نشره هؤلاء الغرباء يدور في اغلبه على اخراج نصوص غير اصيلة ولا تفيد قراءاتنا لتراثنا اليوم بل ان منها ما يقع في اثارة التفرقة المذهبية والعنصرية والفكرية، ومنها ايضا ما لا يستحق القراءة النشر. ولا يعني الاهتمام بالتراث من جانبنا مجرد التغني بالامجاد او اغماض العين عما شابه من اوهام واسرائيليات واخبار واهية. بل الامر يقتضي العمل على تنقيته وغربلته حتى يكون غذاءً فكرياً صحيحاً صالحاً يمد الامة باسباب النهوض والعزم الاكيد. وفي ذلك ايضا قطع الطريق على من يتصيد الاخطاء ويبني عليها الافتراءات.

٣. ابراز خطورة الغزو الفكري الغربي الموجه ضد العرب والمسلمين عموماً وتنقية المناهج الدراسية والمؤلفات الادبية والتاريخية مما دسه المفترون،

والكشف عن مقاصد هؤلاء والرد على افتراءاتهم بموضوعية ودقة. ولن يُهْزَمْ الاســـلام في معترك فكري ان احسن اهله حمله وفهمه. ويجب الانتباه في هذا المجـــال إلى المعاييــر المستخدمة في تقويم هذا التراث ، والحذر الشديد من الاخذ بها والركون إلى مصطلحاتها، فمن ذلك مثلا استخدام كلمة (اسلامي) في وصف عصر النبوة والخلافة الراشدة مما يعطي انطباعا ان ما تلا ذلك العصر الوضـــاء ليس اسلاميا . والذي ندين به ونقوله ان العصور كلها اسلامية من حيث العقيدة والتشريع والفكر وان تباين عصر عن آخر في مدى الالتزام التام والجديـــة والتطبيق الفاعل . ويمكن ان يكون العنوان الدال على كل عصر ان نقول : عصر النبوة، تاريخ الاسلام على عهد الخلافة الراشدة، تاريخ الاسلام على عهد الخلافة الاموية، تاريخ الاسلام على عهد الخلافة العباسية وهكذا ...

٤. انشاء معاهد واقسام متخصصة لدراسة الاستشراق ووسائله وطرق مواجهته، وخطوة اخرى فوق ذلك تخصيص اقسام لدراسة الفكر الغربي ورصد اتجاهاته وبيـــان افلاســـه فالملاحظ ندرة الدراسات الراصدة للفكر الغربي ولا سيما من قـــبل الباحثين المسلمين، وان اغلب ما نحصل عليه في هذا الباب، انما باقلام الغـــربيين انفســـهم، وهي وان كانت ذات اهمية بالغة ، لكنها قد لا تصل إلى النـــتائج الصـــحيحة فـــي التحليل ، فضلا عن تحديد طرق الاصلاح والحلول الصائبة.

٥. الحضور العرب الاسلامي في المؤسسات العلمية الغربية وذلك بارسال اساتذة اكفـــاء إلى معاقل الاستشراق للتدريس فيها وانشاء مراكز بحوث اسلامية في الدول ذات الصلة المباشرة بمنظومة الاستشراق اولاً ، ثم إلى بقية دول العالم للتعريف بالاسلام وحضارته ودوره العالمي في السابق الماضي وفي المستقبل المـــرتقب. كما يجب التأكيد على الحضور المستمر في وسائل الاعلام الغربية وامـــتلاك القـــنوات الفضـــائية للبث الاعلامي ثم نشر الكتب المبسطة وتنظيم

المعـــارض واقامة المهرجانات، وكل ما يساهم بالتعريف بالاسلام دينا ومنهج حياة، وبالتراث العربي الاسلامي حضارة ومدنية .

وبعد

فإن الحضارة الغربية قد استنفذت اغراضـها وتتسارع اليوم نحو الانـهيار ، وان المجتمعات الغربية حطمتها الانفرادية، وانموذج النمو الكمي (الانتاج من اجل الانتاج) والافلاس في عالم القيم مما ينذر بمستقبل بئيس فضلاً عن حاضر تعيس. فهلا تقدم من بأيديهم قارورة الدواء لينقذوا البشرية من عضال الادواء ، وقد كانوا هم الطبيب النطاسي دهرا ما ، فهل يعودوا الرحيم الآسي يوما ما ؟

ويا ايها الناس : ((قد جاءكم من الله نورٌ وكتابٌ مبين يهدي به الله من اتبع رضـوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم)) المائدة ١٥-١٦.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

المصادر

١. ابـــن الاثير ،عز الدين ابو الحسن علي بن ابي الكرم الشيباني (ت،٦٣٠هــ) الكامل في التاريخ، ط٣، دار الكتاب العربي، (بيروت، ١٤٠٠هــ/١٩٨٠م)

٢. الازدي، محمد بن عبد الله (ت،٢٣١هــ) تاريخ فتوح الشام، ط

٣. الازرقـــي ، محمد بن عبد الله بن احمد ،ابو الوليد (ت ، ٢٤٤هــ /٨٥٨م) اخبار مكة ،تحقيق رشدي الصالح ملحس ،ط٢ ،دار الاندلس (مكة المكرمة ، ١٣٨٥هــ-١٩٦٥م)

٤. الآلوســـي ،شهاب الدين محمود بن عبد الله (ت ، ١٢٧٠هــ) روح المعاني، طبعة دار الفكر (بيروت ، ١٤٠٨هــ/١٩٨٧م)

٥. البخاري، محمد بن اسماعيل الجعفي (ت، ٢٥٦هــ) الجامع الصحيح، طبعة دار الشعب (مصر، بلا)

٦. الـــبلاذري ،احمـــد بـــن يحي ،ابو الحسن البغدادي (ت ، ٢٧٩ هــ) فتوح البلدان، بعناية رضوان محمد رضوان ،دار الكتب العلمية (بيروت ، ١٣٩٨ هــ/١٩٧٨م)

٧. الـــترمذي ، محمـــد بـــن عيسى بن سورة (ت، ٢٩٧هــ) الجامع الصحيح بـــتحقيق: احمد محمد شاكر و كمال يوسف الحوت، ط١، دار الكتب العلمية (بيروت، ١٤٠٨هــ/١٩٨٧م).

٨. ابـــن تغـــري بردي ، جمال الدين ابو المحاسن يوسف الاتابكي (ت ، ٨٧٤ هـــ) الـــنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، طبعة المؤسسة المصرية العامة، (مصر، ١٣٨٣هــ/١٩٦٣م)

٩. ابـــن تيميـــة، احمـــد بن عبد الحليم (ت ، ٧٢٨ هــ) السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية ،مراجعة محمد عبد الله السمان ،طبعة مكتبة المثنى (بغداد ، بلا)

١٠. ابـــن تيمية ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ،طبعة المدني (القاهرة ، بلا).

١١. ابن تيمية، العبودية،

١٢. ابن تيمية ، موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ١٩٥١م.

١٣. ابـــن جماعـــة ،نور الدين ابو عبد الله محمد بن ابراهيم بن عبد الله الكناني الشـــافعي، المختصر الكبير في سيرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق آسيا كليبان علي الزهيري ،ط١ ،مكتبة النهضة (بغداد ، ١٩٩٠م)

١٤. ابن الجوزي ، تاريخ عمر بن الخطاب ،ط٢ ،دار الرائد العربي (بيروت ، ١٤٠٥هــ/١٩٨٥م)

١٥. ابن الجوزي، الموضوعات ، ط٢، دار الفكر (بيروت، ١٤٠٣هــ/١٩٨٣م).

١٦. ابن الجوزي، جمال الدين عبد الرحمن بن علي، ابو الفرج (ت ، ٥٩٧هــ) المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، الدار الوطنية (بغداد ، ١٩٩٠م)

١٧. ابـــن حـــبان ، محمـــد بن حبان بن احمد (ت، ٣٥٤هــ) المجروحين من المحدثيـــن والمـــتروكين ، تحقيق : محمود ابراهيم زايد، ط١، دار الوعي، (حلب ١٣٩٦هــ/١٩٧٦م)

١٨. ابـــن حجـــر ، ابو الفضل احمد بن علي بن محمد العسقلاني (ت، ٨٥٢هــ) الاصابة في تمييز الصحابة (مصر ، ١٣٢٨هــ)

١٩. ابن حجر ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ط١، مطبعة بولاق، (مصر، ١٣٠٠هــ)

٢٠. ابن حجر، تفسير غريب الحديث، دار المعرفة، (بيروت، بلا)

٢١. ابــن حجــر، لســان الميزان، ط٢، مؤسسة الاعلمي، (بيروت ١٣٩٠هــ / ١٩٧١م)

٢٢. ابــن حــزم ،علي بن محمد بن سعيد (ت ، ٤٥٦هــ) المحلى ، تحقيق لجنة احياء التراث العربي ،طبعة دار الجيل (بيروت ، بلا)

٢٣. الحلــبي ،علي بن برهان الدين الشافعي (ت ، هــ) السيرة الحلبية المسماة انســان العيــون فــي سيرة الامين والمأمون،طبعة المكتبة التجارية الكبرى (مصر ، بلا)

٢٤. ابو حيان، الاندلسي (ت ، ٧٥٤ هــ) التفسير الكبير المسمى البحر المحيط، ط٢، دار الفكر، (بيروت، ١٣٩٨هــ/١٩٧٨م)

٢٥. الخطيب البغدادي، علي بن محمد بن ثابت (ت، ٤٦٣هــ) تاريخ بغداد ،دار الكتاب العربي (بيروت ، بلا)

٢٦. الدارقطــني ،علــي بن عمر (ت ، ٣٨٥هــ) سنن الدارقطني بتعليق شمس الحق العظيم ،تحقيق عبد الله هاشم يماني دار المحاسن (القاهرة ، ١٣٨٦هــ/ ١٩٦٦م)

٢٧. الدهلوي ، احمد بن عبد الرحيم (ت ، ١١٧٦ هــ) حجة الله البالغة ، تحقيق سيد سابق، دار الكتب الحديثة (القاهرة، بلا)

٢٨. ابــو داود ، ســليمان بن الاشعث السجستاني (ت، ٢٧٥هــ) سنن ابي داود، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية (بيروت، بلا)

٢٩. الذهــبي ،شــمس الدين محمد بن احمد بن عثمان ،(ت ، ٧٤٨هــ) السيرة النبوية، الدار العلمية (بيروت ، بلا)

٣٠. الذهــبي ، ميزان الاعتدال ، تحقيق : علي محمد البجاوي، ط١، دار الفكر، (بيروت ١٣٨٠هــ/١٩٦١م)

٣١. الرازي ، محمد بن ابي بكر بن عبد القادر (ت، ٦٦١هــ) مختار الصحاح، بعناية سميرة خلف الموالي ،المركز العربي (بيروت ، بلا)

٣٢. الرازي، محمد بن عمر بن حسين الفخر (ت، ٦٠٦هـ) التفسير الكبير، ط٢، دار الكتب العلمية (طهران ،بلا)
٣٣. ابن سعد ،محمد بن منيع (ت ، ٢٣٠هـ) الطبقات الكبرى ،دار صادر (بيروت ،بلا)
٣٤. السيوطي ،عبد الرحمن جلال الدين (ت ، ٩١١هـ) ،الاتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ،ط١ ، مطبعة المشهد الحسيني (القاهرة، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م)
٣٥. الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم، ط٥، طبعة دار المعارف ، (مصر ، بلا) ؛ وايضا ط١، مؤسسة عز الدين، (بيروت ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) طبعت بعنوان تاريخ الامم والملوك.
٣٦. الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط١، مطبعة بولاق (مصر، ١٣٢٣هـ)
٣٧. ابن عبد البر ،ابو عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي (ت ، ٤٦٣هـ) الاستيعاب في معرفة الاصحاب مطبوع بحاشية الاصابة لابن حجر، الطبعة المصرية (مصر ، ١٣٢٨هـ).
٣٨. ابن عبد الحكم ،عبد الله بن عبد الحكم بن اعين (ت ، ٢١٤هـ) سيرة عمر بن عبد العزيز ،تصحيح احمد عبيد ،ط٢، مكتبة وهبة (القاهرة ، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م).
٣٩. ابن عبد الحكم ، ابو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت ، ٢٥٧ هـ) فتوح مصر والمغرب، تحقيق : عبد المنعم عامر، لجنة البيان العربي (مصر، بلا)
٤٠. ابو عبيد ،القاسم بن سلام (ت ٢٢٤) كتاب الاموال ، تحقيق محمد خليل هراس ،ط١ ،مكتبة الكليات الازهرية (القاهرة ، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م)
٤١. الغزالي ، محمد بن محمد، ابو حامد (ت، ٥٠٥هـ) احياء علوم الدين بتخريج الحافظ العراقي، ط٣، دار القلم ، ج٥ (بيروت، بلا).

٤٢. الغزالي ، الاقتصاد في الاعتقاد، ط٢، مطبعة السعادة (مصر، ١٣٢٧هـ)

٤٣. الغزالي، المقصد الاسنى شرح اسماء الله الحسنى ،ط٢ ، مطبعة السعادة (القاهرة ، ١٣٢٤هـ).

٤٤. الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت، ٨١٧هـ) القاموس المحيط، شرح الهوريني، طبعة دار الفكر (بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).

٤٥. ابن قدامة ،موفق الدين عبد الله بن احمد بن محمود (ت ، ٦٣٠هـ) المغني ، طبعة دار الكتب العلمية (بيروت ،بلا).

٤٦. القرشي ،يحيى بن ادم ،الخراج ،تعليق احمد محمد شاكر ،المطبعة السلفية (القاهرة ، ١٣٤٧هـ).

٤٧. القرطبي ،محمد بن احمد الانصاري (ت،٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتاب العربي (القاهرة ، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م) .

٤٨. ابن قيم الجوزية ، زاد المعاد في هدي خير العباد ، طبعة المؤسسة العربية، (بيروت، بلا).

٤٩. ابن قيم الجوزية، تحفة المودود باحكام المولود ،تحقيق عبد القادر الارناؤوط ،ط١ ،دار البيان، (دمشق ، ١٣٩١هـ/١٩٧١م) .

٥٠. ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن بكر بن ايوب الزرعي (ت، ٧٥١ هـ) ارشاد الحيارى في اجوبة اليهود والنصارى ،دار الكتب العلمية (بيروت، بلا).

٥١. ابن كثير اسماعيل بن عمر ابو الفدا ،(ت ، ٧٧٤هـ) تفسير القرآن العظيم ، طبعة عيسى البابي الحلبي ،ج١ (مصر ، بلا).

٥٢. ابن كثير، ابو الفدا اسماعيل بن عمر بن كثير (ت، ٧٧٤هـ) البداية والنهاية، تحقيق د. احمد ابو ملحم وجماعته، ط٥، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٨٩).

٥٣. الكيـــرانوي ،رحمة الله بن خليل الرحمن العثماني، اظهار الحق ،طبعة ادارة احياء التراث الاسلامي (قطر ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)

٥٤. ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني (ت، ٢٧٥هـ) سنن ابن ماجة، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الكتب العلمية (بيروت، بلا).

٥٥. المـــاوردي ،علي بن محمد بن حبيب ،ابو الحسن (ت ، ٤٥٧ هـ) الاحكام السلطانية والولايات الدينية ،دار الكتب العلمية (بيروت ، بلا).

٥٦. المـــبرد ،محمـــد بن يزيد ابو العباس (ت ، هـ) الكامل ،تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ،مطبعة النهضة (القاهرة ،بلا).

٥٧. المتطـــبب ،نصـــر بن يحيى بن عيسى بن سعيد (ت ، هـ) النصيحة الايمانية في فضيحة الملة النصرانية ،تحقيق محمد عبد الله الشرقاوي ،طبعة دار الصحوة (القاهرة ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م).

٥٨. مسلم ، الامام مسلم بن الحجاج القشيري (ت ، ٢٦١هـ) صحيح مسلم ،دار الكتب العلمية ، ج٢ (بيروت ،بلا).

٥٩. ابـــن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي المصري (ت،٧١١هـ) لسان العرب ، دار صادر (بيروت، بلا).

٦٠. النسائي، احمد بن شعيب (ت،٣٠٣هـ) السنن، شرح السيوطي، دار الحديث (القاهرة ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).

٦١. الـــنووي ، محـــي الديـــن ابو زكريا يحيى بن شرف (ت ، ٦٧٦هـ) شرح النووي على صحيح مسلم ،ط١ ،دار احياء التراث العربي (بيروت، ١٣٩٢ هـ/١٩٧٢م).

٦٢. ابـــن هشام ،عبد الملك بن محمد (ت ، ٢١٨هـ) السيرة النبوية ،تحقيق ، محمـــد محيـــي الدين عبد الحميد ،دار الفكر العربي (القاهرة ، بلا) وايضاً بتحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم.

٦٣. الواحــدي ،عــلي بن احمد ،ابو الحسن النيسابوري (ت ، ٤٦٨هــ) اسباب الــنزول ،نشــر عالم الكتب ،مصورة عن الطبعة المصرية (مصر، ١٣١٦ هــ).

٦٤. الواقدي ، محمد بن عمر (ت ، ٢٠٧ هــ) مغازي رسول الله، ط١، مطبعة السعادة (القاهرة ، ١٣٦٧هــ/١٩٤٨م) وايضا بتحقيق : د. مارسدن جونس ، عالم الكتب، (بيروت، بلا).

٦٥. ابــن الوردي ،زين الدين عمر بن مظفر (ت ،٧٤٩هــ) تاريخ ابن الوردي، ط٢ ،المطبعة الحيدرية ، (النجف ، ١٣٨٩هــ/١٩٦٩م).

٦٦. ابــو يوســف ،يعقــوب بن ابراهيم الكوفي قاضي القضاة (ت ، ١٨٢ هــ) الخراج، دار الاصلاح (القاهرة،١٩٨١م).

المراجع الحديثة

١. اســد ، محمد ،اصول حضارة الاسلام ، بحث من كتاب ((الاسلام والتحدي الحضــاري)) باقلام عشرة من علماء الاسلام ،دار الكتاب العربي (بيروت، بلا)

٢. اســد ، محمد ،الاسلام على مفترق الطرق ،ترجمة ، د.عمر فروخ ،ط١ ، دار العلم للملايين (بيروت ، ١٩٤٦م)

٣. الاصــمعي ،محمــد عبد الجواد ،ابو الفرج الاصبهاني وكتابه الاغاني ،دار المعارف (مصر ، بلا)

٤. الاعظمــي، وليــد ،الســيف اليمــاني في نحر الاصفهاني ،ط١ ،دار الوفاء (المنصورة ، ١٤٠٨هــ/١٩٨٨م)

٥. الالباني ،محمد ناصر الدين ، سلسلة الاحاديث الضعيفة والموضوعة ، ط١، المكتب الاسلامي (دمشق، ١٣٩٩هــ)

٦. الالباني ،محمد ناصر الدين ،نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق ،ط، نشر المكتب الاسلامي (بيروت ، ١٤٠٩هــ/١٩٨٩م)

٧. انيس، د. ابراهيم وجماعة ، المعجم الوسيط، ط ، دار الامواج (بيروت،

٨. بـــارت، رودي، الدراســـات العربية في المانيا ،تطورها التاريخي ووضعها الحالي (جوتنجن ١٩٦٢م)

٩. باز ، عبد الكريم علي ،افتراءات فيليب حتي وكارل بروكلمان على التاريخ الاسلامي ،ط١ ،مكتبة تهامة (جدة ، ١٤٠٣هــ/١٩٨٣م)

١٠. الـــبزاز ،عـــبد الـــرحمن ،الموجز في تاريخ القانون ، ط١ ، مطبعة الرشيد (بغداد، ١٣٦٨هــ/١٩٤٩م)

١١. بسيوني زغلول، محمد السعيد ابو هاجر ، موسوعة اطراف الحديث النبوي الشريف، ط١، عالم التراث ، (بيروت، ١٤١٠هــ/١٩٨٩م)

١٢. البنداق ،محمد صالح ،المستشرقون وترجمة القرآن الكريم ،ط١ ، دار الافاق الجديدة (بيروت ، ١٤٠٠هــ/١٩٨٠م)

١٣. الـــبهي ، محمـــد ،الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ،ط٤، مكتبة وهبة (القاهرة ١٩٦٤)

١٤. البوطي ،محمد سعيد رمضان ،فقه السيرة ،ط٧ ،دار الفكر (بيروت ، ١٣٩٨ هــ/١٩٧٨م)

١٥. بوكـــاي ، موريس ،القرآن والتوراة والانجيل والعلم ،اصدار جمعية الدعوة الاسلامية في ليبيا ،(طرابلس ، بلا)

١٦. الـــبياتي ، د.مـــنير حميد ،الدولة القانونية والنظام السياسي الاسلامي ،ط١، الدار العربية (بغداد ،١٣٩٩هــ/١٩٧٩م)

١٧. التـــنير ،محمد طاهر ، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ،نشره محمد بن ابراهيم الشيباني ، مكتبة ابن تيمية (الكويت ، ١٤٠٨هــ/١٩٨٧م)

١٨. الجبري ،عبد المتعال محمد ،السيرة النبوية واوهام المستشرقين ،ط١ ،مكتبة وهبة (القاهرة ، ١٤٠٨هــ/١٩٨٨م)

١٩. جلال ،د.ألفت محمد ،العقيدة الدينية والنظم التشريعية عند اليهود ،مكتبة سعيد رأفت (مصر ، ١٩٧٤م)

٢٠. جمـــال الديـــن ،د.محســـن ،المستشرقون والاماكن المقدسة ،ط٢ دار الثقافة الاسلامية (بغداد ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م)

٢١. الجـــندي ، انـــور ، من التبعية إلى الاصالة ،طبعة دار الاعتصام (القاهرة ، بلا)

٢٢. الجندي ، انور ،الموسوعة الاسلامية العربية ، اخطاء المنهج الغربي الوافد، ط١ ، دار الكتاب اللبناني (بيروت ، ١٩٧٤م)

٢٣. الجندي ،انور ،الاسلام والثقافة الغربية ،مطبعة الرسالة (مصر ،بلا)

٢٤. جولـــد زيهـــر، اغناطيوس، العقيدة والشريعة في الاسلام ،ط٢ ،دار الكتاب العربي بمصر

٢٥. حـــتي، فيليب، الاسلام منهج حياة ،ترجمة د.عمر فروخ ، دار العلم للملايين (بيروت، ١٩٧٢م)

٢٦. حـــتي، فيليب ، تاريخ العرب (مطول) ،ترجمه الى العربية الدكتور ادوارد جـــرجي، ط٤ ،دار الكشـــاف (بيـــروت ، ١٩٦٥) . وايضاً بترجمة محمد مبروك نافع، ط١، مطبعة التفيض (بغداد ، ١٣٦٥هـ-١٩٤٦م)

٢٧. حتي ، فيليب خوري ،خمسة آلاف سنة من تاريخ الشرق الادنى ،ط١ ، الدار المتحدة (بيروت ، ١٩٧٥م)

٢٨. حتي، فيليب، صانعو التاريخ العربي ،ط١ ، دار الثقافة ،(بيروت، ١٩٦٩م)

٢٩. حـــتي، فيـــليب، لبنان في التاريخ :منذ اقدم العصور التاريخية الى عصرنا الحاضر . ترجمة الدكتور انيس فريحة ، الطبعة الانكليزية صادرة عن دار مـــاكميلان ،لـــندن ١٩٥٧ ، الطـــبعة العربية عن دار الثقافة بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين ، بيرون –نيويورك ، ١٩٥٩ .

٣٠. الحجي ، د.عبد الرحمن علي ،الحضارة الاسلامية في الاندلس ،دار الارشاد (بيروت ، بلا)

٣١. حسن ، سعد محمد ،المهدية في الاسلام ،ط١ ،دار الكتاب العربي (القاهرة ، ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م)

٣٢. الحسني ،عبد الرزاق ،تاريخ الوزارات العراقية ط٤ دار الكتب ،ج٣ (بيروت ١٩٧٤م)

٣٣. الحسيني ،اسحق موسى ،الاستشراق نشأته وتطوره واهدافه ،مطبعة الازهر (القاهرة ١٣٨٧هـ /١٩٦٧م)

٣٤. حسين، سيد محمد علي، المقارنات التشريعية بين القانون الفرنسي ومذهب الامام مالك ،ط١ ،دار احياء الكتب العربية (القاهرة ، ١٣٦٦هـ/١٩٤٦م)

٣٥. حمدان، د. نذير ،الرسول في كتابات المستشرقين ،ط٢ ،دار المنارة (جدة ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)

٣٦. حميش ، سالم ،الاستشراق في افق انسداده ،ط١ منشورات المجلس القومي للثقافة العربية (الرباط، ١٩٩١م)

٣٧. الخالدي ، د.محمود ،الاصول الفكرية للثقافة الاسلامية ،ط١ ،دار الفكر (عمان ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)

٣٨. الخالدي ،مصطفى ؛وعمر فروخ ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، ط ٤ بيروت (١٩٧٠م)

٣٩. ابو خليل، شوقي ، موضوعية فيليب حتي في كتابه تاريخ العرب المطول ،ط ١ ،دار الفكر (بيروت ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م)

٤٠. داغر، يوسف اسعد ،مصادر الدراسة الادبية ، اعلام النهضة :القرنان التاسع عشر والعشرون ،منشورات الجامعة اللبنانية ،بيروت ، ١٩٨٣

٤١. داود، عبد الاحد، الانجيل والصليب ،مترجم عن التركية ،ترجمة مسلم عراقي ،طبعة (القاهرة ١٣٥١هـ)

٤٢. الدعمـــي، د. محمد عبد الحسين، المتغير الغربي، ط ١، دار الشؤون الثقافية العامة (بغداد، ١٩٨٧م)

٤٣. ديورانـــت ،قصة الحضارة ،ترجمة د.زكي نجيب محمود ،طبعة دار الجيل (بيروت ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)

٤٤. رامز ،شاكر محمود ،القادسية ،طبعة المطابع العسكرية (بغداد ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).

٤٥. رضـــا ، محمد رشيد (ت ، ١٣٥٤هـ) تفسير المنار (تفسير القرآن الحكيم) دار المعرفة (بيروت، بلا)

٤٦. رودنسون ،مكسيم ،جاذبية الاسلام ، ترجمة الياس مرقص، ط١، دار التنوير (بيروت، ١٩٨٢م).

٤٧. روســو، جان جاك، في العقد الاجتماعي ،ترجمة ذوقان قرقوط ،ط١ ،مكتبة النهضة (بغداد ، ١٩٨٣م)

٤٨. الزرقاني ،محمد عبد العظيم (الشيخ..)، مناهل العرفان في علوم القرآن، ط، دار احياء الكتب العربية (القاهرة ١٣٧٢هـ)

٤٩. زقــزوق ، د. محمــود حمــدي، الاستشــراق والخــلفية الفكرية للصراع الحضاري، طبعة رئاسة المحاكم الشرعية (قطر ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)

٥٠. الــزلمي ،مصطفى ابراهيم ،اصول الفقه الاسلامي في نسيجه الجديد ،ط٥، شركة الخنساء (بغداد، ١٩٩٩م)

٥١. ابــو زهــرة ،محمــد (الشيخ) ، محاضرات في النصرانية ،ط٣ ،دار الفكر العربي (القاهرة ، ١٣٨١هـ/١٩٦٦م)

٥٢. زيـــادة وفـــريجي ،فـــرحات وابراهيم ،حياة الشعب الامريكي طبعة جامعة برنستون (بيروت ، ١٩٤٦م)

٥٣. زيـــدان ، د.عـــبد الكريم ،المدخل لدراسة الشريعة الاسلامية ،دار عمر بن الخطاب (الاسكندرية ، بلا)

٥٤. زيدان ،عبد الكريم ،اصول الدعوة ،ط٢ ،مؤسسة الرسالة (بيروت ، ١٤٠٧ هـ/١٩٨٧م)
٥٥. سابق ، سيد ،فقه السنة ،ط٣،دار الكتاب العربي (بيروت ، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م)
٥٦. السامرائي ،د.فاضل صالح ،نبوة محمد من الشك إلى اليقين ،ط١ ،مكتبة القدس (بغداد، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م)
٥٧. السامرائي، د. قاسم، الاستشراق بين الافتعالية والموضوعية،
٥٨. الساموك ،د.سعدون، والعاني ،د.عبد القهار ،مناهج المستشرقين ،طبعة دار الحكمة ،(بغداد ،١٩٨٩)
٥٩. السباعي ، د.مصطفى ،السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي ،الدار القومية للطباعة (مصر ، بلا)
٦٠. سعيد ،د. ادوارد ،الاستشراق :المعرفة ،السلطة ،الانشاء ،ترجمة كمال ابو ديب ،ط١ ،مؤسسة الابحاث العربية (بيروت ، ١٩٨١م)
٦١. سلطان ،د.محمد هشام ،العقيدة والفكر الاسلامي ،ط١ ،دار الامان (الرباط ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)
٦٢. سوسة ، د.احمد ،العرب واليهود في التاريخ ، طبعة وزارة الاعلام العراقية، (بغداد ، ١٩٧٢م)
٦٣. شاخت ، وبوزورث ،تراث الاسلام ،ترجمة حسين مؤنس والعمد ،سلسلة عالم المعرفة (الكويت ، ١٩٧٨م)
٦٤. بنت الشاطيء، د. عائشة عبد الرحمن ، تراثنا بين ماضٍ وحاضر ،معهد البحوث والدراسات العربية (القاهرة، ١٩٦٨م)
٦٥. شلبي، احمد ، الحروب الصليبية، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة،بلا)
٦٦. شلبي ،احمد ،مقارنة الاديان والاستشراق ،مطبوعات معهد الدراسات الاسلامية (مصر ،بلا)

٦٧. ابــو شهبة ،محمد محمد، الاسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير،ط٤، مكتبة السنة (القاهرة ، ١٤٠٨هــ/١٩٨٨م)

٦٨. الصـــالح ، صـــبحي ،الـــنظم الاسلامية ،ط٣ ،دار العلم للملايين (بيروت ، ١٣٩٦هــ/١٩٧٦م)

٦٩. صـــديقي ،محمد ياسين مظهر ، الهجمات المغرضة على التاريخ الاسلامي، تــرجمة د. ســمير عبد الحميد ابراهيم ،ط١ ،رابطة الجامعات الاسلاميــة (١٤٠٨هــ/١٩٨٨م)

٧٠. طـــنطاوي ، د.محمد سيد ، بنو اسرائيل في القرآن والسنة ،دار حراء ،ج١ (القاهرة ، ١٣٨٨هــ/١٩٦٩م)

٧١. الطيـــار ، د. عبد الله بن محمد ،الزكاة ،طبعة مركز البحوث بجامعة محمد بن سعود الاسلامية (الرياض ، ١٤٠٧هــ/١٩٨٧م)

٧٢. الطيـــباوي ،عبد اللطيف ،المستشرقون الناطقون بالانجليزية ،دراسة نشرت بعدد يوليو سنة ١٩٦٣ م بمجلة Muslem World وهو ملحق بكتاب الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي للدكتور محمد البهي.

٧٣. ظاهر، د. مسعود ، مؤرخون اعلام من لبنان، دار النفل (بيروت، ١٩٩٧م)

٧٤. عاقل ،د.فاخر ،معجم علم النفس ،ط٣ ،دار العلم للملايين (بيروت ١٩٧٩م)

٧٥. عبد الباقي ،محمد فؤاد ،المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم ،طبعة الشعب (القاهرة ، ١٣٧٨هــ)

٧٦. عـــبد الحميد ،د.عرفان ،دراسات في الفكر العربي الاسلامي المعاصر ،ط١ دار عمار (عمان ١٤١٢هــ/١٩٩١م)

٧٧. عبد الحميد ،عرفان ،المستشرقون والاسلام ، (بغداد ، ١٩٦٩).

٧٨. عـــبد الحميد ،د.محسن ،حركة الاسلام ومفكر والغرب ،طبعة الدار العربية (بغداد ، ١٣٩٤هــ/١٩٧٦م)

٧٩. عبد الرحيم ،عبد الغفار ،الامام محمد عبده ومنهجه في التفسير ،المركز العربي للثقافة (القاهرة ، بلا)
٨٠. عبد الهادي ،د. جمال و وفاء محمد رفعت ، منهج كتابة التاريخ الاسلامي لماذا ؟ وكيف ، ط١ ،دار الوفاء (المنصورة ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)
٨١. عبد الوهاب ،احمد ،الحضارة الاسلامية ،ط١ ،دار الصحيفة (القاهرة ، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م)
٨٢. العقاد ، عباس محمود ،حقائق الاسلام واباطيل خصومه ،المكتبة العصرية (بيروت ، بلا)
٨٣. العقاد ،عباس محمود ،الفلسفة القرآنية ،ط٢ ،دار الكتاب العربي (بيروت ، ١٩٦٩م)
٨٤. العقاد، عباس محمود، ما يقال عن الاسلام ،مطبوعات مجلة الهلال (مصر ، بلا)
٨٥. العقيقي ،نجيب ،المستشرقون ،ط٣، دار المعارف (القاهرة ١٩٦٤)
٨٦. علي ، د.جواد ،المفصل في تاريخ الادب العربي ، ١٩٣٦
٨٧. علي ،محمد كرد ،خطط الشام ، ط٢ ،دار العلم للملايين (بيروت ، ١٣٨٩ هـ/١٩٦٩م)
٨٨. العمري .
٨٩. ابن الاثير ،عز الدين ابو الحسن علي بن ابي الكرم الشيباني (ت،٦٣٠هـ) الكامل في التاريخ ،ط٣ ، دار الكتاب العربي، (بيروت ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠ م)
٩٠. الآلوسي ،شهاب الدين محمود بن عبد الله (ت ، ١٢٧٠هـ) روح المعاني، طبعة دار الفكر (بيروت ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م)

٩١. ابــن تغري بردي ، جمال الدين ابو المحاسن يوسف الاتابكي (ت ، ٨٧٤ هـــ) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، طبعة المؤسسة المصرية العامة، (مصر، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م)

٩٢. ابــن تيميــة، احمــد بن عبد الحليم (ت ، ٧٢٨ هـ) السياسة الشرعية في اصـــلاح الـــراعي والـــرعية ،مراجعة محمد عبد الله السمان ،طبعة مكتبة المثنى (بغداد ، بلا)

٩٣. ابن تيمية ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ،طبعة المدني (القاهرة ، بلا)

٩٤. ابن تيمية، العبودية،

٩٥. ابــن تيميــة ، موافقــة صــحيح المنقول لصريح المعقول، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ١٩٥١م.

٩٦. ابــن جماعــة ،نور الدين ابو عبد الله محمد بن ابراهيم بن عبد الله الكناني الشافعي، المختصر الكبير في سيرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق آسيا كليبان علي الزهيري ،ط١ ،مكتبة النهضة (بغداد ، ١٩٩٠م)

٩٧. ابن الجوزي ، تاريخ عمر بن الخطاب ،ط٢ ،دار الرائد العربي (بيروت ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)

٩٨. ابن الجوزي، الموضوعات ، ط٢، دار الفكر (بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)

٩٩. ابن الجوزي، جمال الدين عبد الرحمن بن علي، ابو الفرج (ت ، ٥٩٧هـ) المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، الدار الوطنية (بغداد ، ١٩٩٠م)

١٠٠. ابــن حــبان ، محمــد بن حبان بن احمد (ت، ٣٥٤هـ) المجروحين من المحدثين وال

١٠١. الكبيســي ،د.محمــد عيــاش ،العقيدة الاسلامية في القرآن الكريم ومناهج المتكلمين ،ط١ ،مطبعة الحسام (بغداد ١٤١٦هـ/١٩٩٥م)

١٠٢. كمــال ، احمــد عــادل ،الطريق الى دمشق ،ط٢ ،دار النفائس (بيروت ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)

١٠٣. كمــال ، احمــد عادل ،القادسية ، ط٦ ،دار النفائس (بيروت ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م)

١٠٤. كمــال ،احمــد عادل ، الطريق إلى المدائن ،ط١ ،دار النفائس (بيروت ، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م)

١٠٥. كيــنث و مورغــان ، الاسلام الصراط المستقيم، ط٢ ،مؤسسة فرانكلين (١٩٦٦)

١٠٦. لوبون ، غوستاف، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، ط٢، دار احياء الكتب العربية (القاهرة، بلا)

١٠٧. لــورا فيشيا فاغليري، دفاع عن الاسلام ،ترجمة منير البعلبكي ،ط٤ ،دار العلم للملايين (بيروت ، ١٩٧٩م)

١٠٨. المبارك، محمد، الفكر الاسلامي الحديث في مواجهة الافكار الغربية ،ط٢ ، دار الفكر (بيروت ، ١٣٨٩هـ/١٩٧٠م)

١٠٩. المباركفوري ،صفي الرحمن ، الرحيق المختوم ،ط٢ ،دار القلم (بيروت ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)

١١٠. مجموعــة مؤلفيــن ،اثر العرب والاسلام في النهضة الاوربية ،اليونسكو (الهيئة المصرية للتأليف والنشر ،(القاهرة ، ١٩٧٠م)

١١١. محمــد عــارف ،نصــر ، الحضارة –الثقافة – المدنية (دراسة المصطلح والمفهوم) ،ط٢ ، المعهد العالي للفكر الاسلامي (عمان،١٤١٥هـ/١٩٩٤م)

١١٢. محمصــاني ، د.صبحي ،فلسفة التشريع في الاسلام ،طبعة مكتبة الكشاف (بيروت ، ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م)

١١٣. محمصــاني ،صبحي ،فلسفة التشريع في الاسلام ،ط٣ ،دار العلم للملايين (بيروت، ١٩٦١م)

١١٤. محمــود ، د. عــبد الحــليم ،اوربا والاسلام ،طبعة دار الشعب (القاهرة ، ١٩٧١م)

١١٥. المــنظمة العــربية للــتربية والثقافة والعلوم، مناهج المستشرقين (تونس ، ١٩٨٥م)

١١٦. مونتســكيو، روح القوانيــن، تــرجمة عادل زعيتر، دار المعارف، ج١، (القاهرة، ١٩٥٣م)

١١٧. نــاجي ، د.عبد الجبار ،تطور الاستشراق في دراسة التراث العربي ،دار الجاحظ (بغداد ؛ ١٩٨١م)

١١٨. ابن نبي ، مالك ، مستقبل الاسلام ،المكتبة العصرية (بيروت ، بلا).

١١٩. الــنحوي ،عدنان علي رضا ،ملامح الشورى في الدعوة الاسلامية ، ط٢ ، مطابع الفرزدق (الرياض ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)

١٢٠. الــندوي، ســليمان، الرسالة المحمدية ،تعريب محمد ناظم الندوي ، ط٢، المكتبة السلفية، (مصر، ١٣٨٥هـ)

١٢١. الندوي ،ابو الحسن علي الحسني (ت ،١٤٢٠هـ) السير النبوية ،ط٨ ،دار الشروق (جدة ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)

١٢٢. الــندوي، ابــو الحســن عــلي الحسني، الاركان الاربعة ،ط٣، دار القلم (الكويت، ١٣٨٩هـ)

١٢٣. النشمي ، د. عجيل جاسم ،المستشرقون ومصادر التشريع الاسلامي ،ط١، المجلس الوطني للثقافة (الكويت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)

١٢٤. هــارث ،د.مــايكل ،الاوائل في التاريخ ،ترجمة خالد اسعد عيسى واحمد غسان ،دار قتيبة (بلا)

١٢٥. هونكة، زيغريد ، شمس العرب تسطع على الغرب ، ترجمة فاروق بيضون وكمال شوقي ، (بيروت ، ١٩٦٤م)

١٢٦. هيكل ،د. محمد خير ، الجهاد والقتال في السياسة الشرعية ،ط١ ، دار البيارق (بيروت ، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م)
١٢٧. وجدي ، محمد فريد (ت ١٩٥٤م) دائرة معارف القرن العشرين ،ط٣ ،دار المعرفة (بيروت ، ١٩٧١م)
١٢٨. ويلز، هـ. ج. ،معالم تاريخ الانسانية ،ترجمة عبد العزيز توفيق ،ط٢ ، لجنة التأليف والترجمة والنشر (القاهرة ، ١٩٦٥م)

الرسائل الجامعية

١. ابو آدم سلطان ،الموازنة في التشريع الاسلامي بين المرونة والحزم ،رسالة ماجستير غير منشورة ،جامعة صدام للعلوم الاسلامية ، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م
٢. اعشيش، د. مزاحم علي اعشيش البعاج، كتاب الاغاني لابي الفرج الاصبهاني، دراسة تحليلية نقدية للمرويات التاريخية ، اطروحة دكتوراه، معهد التاريخ العربي للدراسات العليا (بغداد ١٤١٦هـ/١٩٩٥م) وهي غير منشورة .
٣. الشاوي ، عبد الباسط عبد الصمد ،الغزو الاوربي للفكر العربي الاسلامي، رسالة ماجستير غير منشورة ،جامعة بغداد – كلية الشريعة (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) وهي غير منشورة
٤. العيساوي ،د.محمود خلف جراد ،افتراءات بروكلمان على التاريخ العربي الاسلامي ،اطروحة دكتوراه ،معهد التاريخ العربي بغداد (١٤١٨هـ/١٩٩٧م) وهي غير منشورة
٥. الفهداوي ،د.محمد محمود الطيف،عدالة الصحابة ، اطروحة دكتوراه ،كلية العلوم الاسلامية (بغداد ، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م) وهي غير منشورة
٦. كاظم ،سلامة حسين ،التبشير في العراق وسائله واهدافه ،رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الشريعة بجامعة بغداد (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) وهي غير منشورة

٧. الكبيسي، اسماعيل محمد عواد، العقل في الفكر الاسلامي، رسالة ماجستير، جامعـــة صدام للعلوم الاسلامية، بغداد (١٤١٦هــ/١٩٩٦م) وهي غير منشورة

٨. الكبيســـي ،خليل رجب حمدان ،السلام الدولي في الاسلام ،رسالة ماجستير ،كلية الشريعة بجامعة بغداد ، (١٤٠٧هــ/١٩٨٧م) وهي غير منشورة

٩. الكبيســـي، عـــبد الحـــافظ محمد عبد ، المجتمع المكي من الفتح إلى نهاية الخلافة الراشدة، رسالة ماجستير، معهد التاريخ العربي للدراسات العليا، بغداد (١٤٢٠هــ/٢٠٠٠م) وهي غير منشورة

١٠. الموحـــي ، عبد الرزاق رحيم صلال ،العبادة في الاديان السماوية ،رسالة ماجســتير ،كــلية العلوم الاسلامية ،بجامعة بغداد (١٤١٧هــ/١٩٩٦م) وهي غير منشورة

١١. يزدين ،حميد عادل ،تدوين الكتب المقدسة ،رسالة ماجستير، كلية الشريعة بجامعة بغداد لسنة ١٤٠٥هــ-١٩٨٥م وهي غير منشورة

البحوث والمقالات

١. الاعســـم ،د.عـــبد الامير ،الاستشراق من منظور فلسفي عربي معاصر ،مجلة آفاق عربية ،كتاب الاستشراق (بغداد ، ١٩٨٦م)

٢. الـــبيض، سالم، من الاستشراق الى نهاية التاريخ :الفكر الغربي والاخر ، مقال في مجلة المستقبل العربي ،العدد ٩ لسنة ١٩٩٦م

٣. الدوري ،د.عبد العزيز ،مقال في مجلة الابحاث ،بيروت ١٩٦٠م ، م١٣

٤. الزبيدي ، د.طارق صالح ،مفهوم البحث العلمي عند العرب ، بحث منشور ضـــمن كتاب ((بحوث الندوة القطرية الثالثة لتاريخ لعلوم عند العرب)) من اصدارات بيت الحكمة (بغداد ، ١٩٨٩م)

٥. الصقار ،د.سامي ،الجوانب الايجابية من نشاط المستشرقين البريطانيين ، بحث في مجلة كلية الآداب ،جامعة الملك سعود، م٢ ، ١٩٨٢م.

٦. الفراجي ،د .عدنان علي ،الاستشراق والسيرة النبوية ،بحث في مجلة جامعة صدام للعلوم الاسلامية ،العدد الثالث لسنة ١٤١٧هـ/١٩٩٦م

٧. اللبان، د. ابراهيم، المستشرقون والاسلام ،ملحق بمجلة الازهر ،صفر ١٣٩٠هـ/نيسان ١٩٧٠م

٨. انور الجندي، الخنجر المسموم الذي طعن به المسلمون، مقال له في ندوة المحاضرات ١٣٩٣هـ-١٣٩٥هـ، رابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة

٩. حسن ، محمد ابراهيم ،الاستشراق واثره على الثقافة العربية ،مقال في مجلة رسالة الخليج العربي ،العدد ٢٦ ،السنة الثامنة ،الرياض ١٤٠٨ هـ/١٩٨٨م

١٠. رنكلرن ، هلمر ،الاسلام في منهج البحث الغربي ،مقال في مجلة (المسلمون) لسنة ١٣٨١هـ/١٩٦٢م ،العدد الخامس

١١. سلامة ، غسان ، عصب الاستشراق ،مقال له ،مجلة المستقبل العربي العدد (٢٣) مجلد ٣ لسنة ١٩٨١

١٢. عبد الحميد ،د.علي عبد المنعم ،العقيدة الاسلامية ،بحث في كتاب الثقافة الاسلامية ،ط١ ، مطبوعات جامعة الكويت (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)

١٣. عبد الحميد، د. محسن ، تحقيق قصة بحيرا، بحث في مجلة الجامعة، الموصل ، العراق، العدد ٤ السنة التاسعة، ك٢/ ١٩٧٩.

١٤. مجلة ((حضارة الاسلام)) الدمشقية ، العدد الرابع -ربيع الثاني ،١٣٨٠ هـ، تشرين اول / ١٩٦٠م

١٥. المطيعي ،محمد نجيب ،تعليق له على :المجموع شرح المهذب للنووي ، كتاب العتق ،مطبعة الامام ، ج١٥ (مصر ،بلا)

ملحق التعريف

باعلام المستشرقين

ملحق التعريف بأعلام المستشرقين [1]

ت	المستشرق	الجزء والصفحة
١	اربانيوس (١٥٤٨-١٦٢٤م) هولندي، عالم لاهوت، اول استاذ للعربية في ليدن انشأ مطبعة (دار بريل)	٦٥٣/٢
٢	اربري، أ. ج. (المولود عام ١٩٠٥م) انجليزي استاذ اللغة الفارسية في مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية ويتقن العربية. وعمل رئيساً لقسم الدراسات القديمة بالجامعة المصرية. واختير وزيراً للانباء وهو عضو المجمع العلمي العربي في دمشق له كتب كثيرة عن التصوف الاسلامي وله تفسير القران في جزئين (ط٢ لندن ١٩٥٩م).	٥٥٦/٢
٣	ارنولد، السير توماس (١٨٦٤-١٩٣٠م) انجليزي، استاذ الفلسفة في لاهور وعليجرة، وهو اول من جلس على كرسي الاستاذية في الدراسات العربية في مدرسة اللغات الشرقية بلندن ثم عميداً لها. ويعد من المنصفين في ابحاثه الى حد ما من آثاره :الدعوة الى الاسلام ترجم الى عدة لغات. والف عن الفن الاسلامي	٥٠٤/٢
٤	اوكلي، سيمون (١٦٧٨-١٧٢٠م) انجليزي درس العبرية والعربية وعين رئيساً للقساوسة في سوانسي واستاذاً للعربية في كمبريدج. سجن لدين كان عليه ومات بعد الافراج عنه من آثاره : تاريخ اليهود المعاصرين في جميع انحاء العالم	٤٦٩/٢

[1] رجعنا في هذا الباب الى : العقيقي، د.نجيب، المستشرقون (٣ اجزاء) ط٣، دار المعارف (مصر، ١٩٦٤م) واشرنا عند الترجمة الى الجزء والصفحة.

ت	المستشرق	الجزء والصفحة
٥	اوليـــري. د. ل. انجليزي، له كتاب الجزيرة العربية قبل محمد صـــلى الله ليـــه وسلم (لندن ١٩٢٧م) والفكر العربي ومكانه في الـــتاريخ، ترجم الى العربية، وانتقال الثقافة اليونانية الى العرب (طبع في العراق)، واثر جالينوس في الفلسفة العربية.	٥٢٣/٢
٦	بارت، رودي، الماني من محرري دائرة المعارف	
٧	بارتولد (١٨٦٩-١٩٣٠م) روسي استاذ تاريخ الشرق الاسلامي، عضو مجمع العلوم الروسي ورئيس لجنة المستشرقين فيه، اثاره تربو على الاربعمائة.	٩٤٣/٣
٨	باسكال انجليزي، مترجم نفح الطيب للمقري (لندن، ١٨٤٣م)	٤٧٩/٢
٩	بالكـــريف، وليم (١٨٢٦-١٨٨٨م) انجليزي، عمل في الرهبانية اليسوعية في لبنان.وطوف بالمشرق متنكراًبزي طبيب سوري ثم تـــرك مســـوح الرهبان الى السلك الدبلوماسي فعمل في الحبشة وجورجيا والفرات. من اثاره: رحلتي الىاواسط وشرقي الجزيرة العربية (١٨٦٢-١٨٦٣م)(ط لندن١٨٦٥و١٨٨٣م).	٤٨٤/٢
١٠	بتلر. أ. ج انجليزي :صنف كتاباً عن فتح العرب مصر نقلاً عن الطبري (ط اكسفورد ١٩٢٣م)	٤٩٦/٢
١١	بـــراون، لورنس، انجليزي :من اثاره :الدين في تركيا، وانتشار الاسلام، وادراك الوحدة في الاسلام، والعلم الحديث.	٥٣٥/٢
١٢	بروكـــلمان، كـــارل (١٨٦٨-١٩٥٦م) المـــاني مشهور، استاذ الادب العـــربي وعضـــو مجامع عديدة من اثاره : العلاقة بين كتاب الكامل لابـــن الاثيـــر وبين كتاب اخبار الرسل والملوك للطبري وهي رسالة الدكـــتوراه (١٨٩٠م)، وتـــاريخ الاداب العـــربية وتـــاريخ الشعوب الاسلامية وله انتاج وافر	٧٧٧/١

ت	المستشرق	الجزء والصفحة
١٣	بكـــر، كـــارل هـــنريخ (١٨٧٦-١٩٣٣م) الماني، استاذ اللغات الشرقية في هامبورج وبون. انشأ مجلة الاسلام (١٩١٠م) وزير معارف (١٩٢١م) نشر مناقب عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي وســـيرته لابن عبد الحكيم، وله ايضاً :دراسات عن الفتح العربي (كمـــبريدج ١٩١٢م)، ومصـــر في عهد الاسلام، والنصرانية والاسلام وغيرها كثير.	٧٤٥/١
١٤	بلـــنت، ويـــلفرد (١٨٤٠-١٩٢٢م) انجـــليزي عمل في السلك الدبلوماســـي طـــوف فـــي بلاد الشرق الاوسط وشمالي افريقيا، عـــارض اســـتعمار الهـــند ومصر وايرلندا. من اثاره : مستقبل الاسلام (لندن، ١٨٨٢) والتاريخ السري لاحتلال انجلترا مصر (١٩٠٧ وهو مترجم).	٤٩٨/٢
١٥	بودلي، ر. ف. انجليزي من اثاره :الرسول، حياة محمد (لندن ١٩٤٦م) فيـــه تفسيرات خاطئة عن الكاة والجنة والنار والقضاء والقدر	٥٢٩/٢
١٦	بوســـتل . ج (١٥٠٥-١٥٨١م) فرنسي، عمل خادماً في مدرسة القديسة بربارة، ثم تعلم اللغات العديدة، والحق بالسفارة الفرنسية بـــتركيا، وفيهـــا جمـــع مخطوطات كثيرة، واقيم استاذاً للعربية والعـــبرية واليونانيـــة ثم استاذاً للرياضيات في جامعة باريس (١٥٥١م) ومن اثاره :قواعد اللغة العربية، توافق القرآن والانجيل وغيرها.	١٧١/١
١٧	بوسكه، ج. هـــ. فرنسي، استاذ الحقوق بجامعة الجزائر، له ابحاث كـــثيرة حـــول الفقه الاسلامي وترجم كثيراً منها إلى الفرنسية، وانكر على جولدتسيهر تأثر الفقه الاسلامي بالقانون الروماني	٣١١/١

ت	المستشرق	الجزء والصفحة
١٨	بوكوك، ادوارد (١٦٠٤-١٦٩١م) انجليزي، قسيس كان جماعاً للمخطوطات العربية ترك منها عند وفاته ٤٢٠ مخطوطاً، وله : المختار من تاريخ العرب – وهو مجتزيء من تاريخ ابن العبري وغير ذلك.	٤٦٧/٢
١٩	بيكر، صمويل (١٨٢١-١٨٩٣م) انجليزي، عين حاكماً لمنطقة حوض النيل الاستوائية واقام مستعمرة انجليزية وكان يحمل رتبة لواء في الجيش العثماني (١٨٦٩م) من اثاره : حوض النيل الكبير، والاسماعيلية.	٤٨٨/٢
٢٠	بيكر، كارل هنريش (٨٧٦-١٩٣٣م) الماني، استاذ اللغات الشرقية في هامبورج وبون انشأ مجلة (الاسلام ١٩١٠م) وزير معارف، كتب في التاريخ الاسلامي ونشر عدداً من الكتب.	٧٤٤/٢
٢١	ترتون، ارثر ستانلي (المولود عام ١٨٨١م) انجليزي، درس في مدرسة الاصدقاء في برمانا بلبنان وكان استاذاً للعربية في ادنبرا (١٩١١م) وعليجرة ومدرسة اللغات الشرقية بلندن. اكثر تاليفه عن الفقه الاسلامي ومنها : ائمة الزيدية بصنعاء اليمن، الخلفاء ورعاياهم، وعلم نفسك العربية وغيرها .	٥٣٨/٢
٢٢	جب، السير هاملتون (المولود عام ١٨٩٥م) انجليزي من مواليد الاسكندرية في مصر. استاذ اللغة العربية بجامعات لندن واكسفورد وهارفارد، ومدير مركز دراسات الشرق الاوسط. كان من الداعين الى الجامعة العربية. له مؤلفات كثيرة منها : ما هو الاسلام ؟، والاتجاهات الحديثة في الاسلام، والديانة المحمدية، والمجتمع الاسلامي والغرب.	٥٥١/٢

ت	المستشرق	الجزء والصفحة
٢٣	جبرائيـلي، فرانسسكو (المولود عام ١٩٠٤م) كبير اساتذة اللغة العــربية وادابها في جامعة روما. برز في دراسة الشعر العربي مــن الجاهـلية حتى اخر تطوراته الحديثة، وفي تحقيق التاريخ الاســلامي. انــتخب عضواً مراسلاً في المجمع العلمي العربي بدمشق (١٩٤٨م).	١/ ٣٩٤
٢٤	جروســه (١٨٨٥-١٩٥٢م) مستشــرق واديب ومؤرخ، انتخب عضــواً في المجمع اللغوي الفرنسي ومن اثاره تاريخ اسيا (ط٢ باريس ١٩٢٢م) وحضارة الشرق (باريس ٢٩-١٩٣٠م).	٢٧١/١
٢٥	جولــد زيهر(١٨٥٠-١٩٢١م)مجري،يكتب بالالمانية والفرنسية والانجــليزية،واثاره غزيرة،يعد في زمرة الحاقدين على الاسلام وعقيدته، ولاسيما في كتابه العقيدة والشريعة في الاسلام.	٩٠٦/٣
٢٦	جيج، الدكتور طبيب تخرج من جامعة باريس، وعين استاذاً في جامعــة القديس يوسف في بيروت له دراسات وفيرة عن الطب، منها : معجم تاريخي للمفردات المنقولة عن العربية وهي رسالته للدكتوراه في الصيدلة من جامعة باريس (بيروت، ١٩٠٣م)	٢٣٨/١
٢٧	جيــوم، الفرد (المولود ١٨٨٨م) انجليزي، تخرج من جامعة اكسفورد وعمــل في فرنسا ومصر خلال الحرب العالمية الاولى عين محاضراً فــي المعهــد الملكي بلندن واستاذاً للغات الشرقية في درهام، واستاذاً زائــراً لــلغة العربية في الجامعة الامريكية ببيروت واستاذاً في عدة جامعات. انتخب عضواً في المجمع العلمي العربي في دمشق (١٩٤٨ م) والمجمــع العــراقي (١٩٤٩) لـــه : تراث الاسلام بمعاونة غيره، والاسلام، واليهود والعرب، واثر اليهودية في الاسلام. .	٥٤٣/٢

ت	المستشرق	الجزء والصفحة
٢٨	درمنجم، ي، فرنسي، مدير مكتبة الجزائر. له :حياة محمد صلى الله عليه وسلم (ط٢ باريس ١٩٥٠م) واروع النصوص العربية، ومحمد صلى الله عليه وسلم والسنة الاسلامية وغيرها	٢٩٧/١
٢٩	دي ساسي (١٧٥٨-١٨٣٨م)، فرنسي مستشار للخارجية والحربية وهو استاذ العربية في مدرسة اللغات الشرقية، ومؤسس الجمعية الاسيوية ومصدر مجلتها وقد نشر كتباً تراثية كثيرة كما له بعض الاثار في الاوزان والمكاييل والنقود ومختارات من ادب العربية.	١٧٩/١
٣٠	ديتريش، البرت، الماني، من اثاره :الكتابات العربية في مصر (١٩٥٢م) والايوبيون. ونشر كتاب الجليس والانيس للهزواني (١٩٥٥م) وهو من محرري دائرة المعارف	٧٩٧/٢
٣١	دينيه، ايتين (٨٦-١٩٢٩م) فرنسي تعلم في فرنسا ثم قصد الجزائر واشهر اسلامه وتسمى بـ ((ناصر الدين)) (١٩٢٧م) وحج بيت الله الحرام ودفن بالجزائر حسب وصيته من اثاره :محمد رسول الله بمعاونة سليمان بن ابراهيم وترجمه إلى العربية عبد الحليم محمود ومحمد عبد الحليم محمود، وله بالفرنسية :حياة العرب وحياة الصحراء، واشعة من نور الاسلام، والشرق في نظر الغرب ترجمة عمر فاخوري، والحج إلى بيت الله الحرام نشرت ترجمته مجلة الشبان المسلمين.	٢٣٥/١
٣٢	رايسكه (١٧١٦-١٧٧٤م) الماني، وضع فهارس لمكتبة ليدن، ودرس الطب فنال الدكتوراه(١٧٤٦م)ولم يمارسه، له :تاريخ الاسلام في ثلاثة مجلدات، ونقد قواعد اربانيوس نقداً عنيفاً احدث ضجة كبرى، مات مسلولاً ولم تمد له يد المساعدة.	٦٩٢/٢

ت	المستشرق	الجزء والصفحة
٣٣	رودنســون، مكسيم (المولود عام ٩١٥م) فرنسي، مدير مدرسة الدراسات العليا بباريس ركز في ابحاثه على الجانب الاقتصادي في الاسلام وله كتاب : جاذبية الاسلام (مترجم)	٣٢٨/١
٣٤	روس، السير دينسون (١٨٧١-١٩٤٠م) استاذ الفارسية بجامعة لـندن، ومديــر جامعة كلكتا في الهند (١٩٠١-١٩١١م) وضع فهــارس المخطوطــات الفارسية والعربية بجامعة كلكتا ومكتبة ديــوان الهــند بلندن، ونشر بعض الكتب العربية والف كتاباً في الفن الفارسي واخر في تاريخ فارس وبمعاونة توينبي نشر بحث الجديد في الشرق الاوسط.	٥٢٠/٢
٣٥	ســبيتا، وســلهلم (١٨٥٣-١٨٨٣م) المــاني مديــر دار الكتب المصرية، ابعد عن مصر عند قيام ثورة عرابي مات بالسل.	٧٠٥/٢
٣٦	سكاليجر، جوزيف (١٥٠٤-١٦٠٩م) هولندي، رحل الى الاندلس وبلنســية فتضــلع مــن العــربية ونقــد ترجمة التوراة، وله : التصحيحات المعاصرة. وله صورة امام مخطوط عربي في قاعة مجلس الشيوخ في ليدن.	٦٥٢/٢
٣٧	سكوت، ميخائيل (١١٧٥-١٢٣٦م) اسكتلندي، راهب رحل الى طليطــلة واتقن العربية والعبرية وصنف ((خلاصة الفلسفة لابن ســينا)) وكان يشرف على الترجمة في بلاط فردريك الثاني في صقلية، وهو الذي اذاع فلسفة ابن رشد في اوربا.	١٢٧/١
٣٨	ســمث، ولفــرد كانتول، امريكي، تخرج من جامعة برنستون ونزل الباكستان، له :الاسلام في التاريخ الحديث (١٩٦٢م).	١٠٢٤/٣

ت	المستشرق	الجزء والصفحة
٣٩	سيدبو،جان جاك(١٧٧٧-١٨٣٢)فرنسي،استاذ بمدرسة اللغات الشرقية بباريس،واختصاص ايضاً بعلم الفلك. له كتاب :الجبر عند العرب (١٨٥٢م) ونشر كتب ابن يونس وابي الوفاء في العلوم الرياضية، ونبذة في الهندسة لابن الهيثم وغير ذلك.	١٧٧/١
٤٠	سيل، جورج (١٦٩٧-٧٣٦م) انجليزي، محام درس العربية في اوقات فراغه، ترجم القران الى الانجليزية في ٤٧٠ صفحة وكتب لها مقدمة حشاها بالافك واللغو نقلها الى العربية ابن الهاشم العربي (القاهرة ١٩١٣م).	٤٧١/٢
٤١	شاخت، جوزيف (المولود، ١٩٠٣م) الماني، استاذ في عدة جامعات وعضو مجامع علمية، اختص بدراسة التشريع الاسلامي، الف ونشر وحقق الكثير، وليس هو بالمنصف للاسلام وشريعته.	٨٠٣/٢
٤٢	فولليرس، كارل (١٨٥٧-١٩٠٩م) من النمسا. مدير المكتبة الخديوية بمصر، واستاذ اللغات الشرقية بجامعة فيينا. نشر سيرة ابن طولون (برلين ١٨٩٤) والمغرب في حلى المغرب (١٨٩٨) وله دراسة : اللهجة العربية العامية.	٦٣٣/٢
٤٣	كارا دي فو، البارون (المولود عام ١٨٦٧م) فرنسي، عني بالرياضيات والفلسفة والتاريخ، من اثاره :الرياضيات وعلم الفلسفة، محاضرات في العربية وصنف كتاباً في الاسلام والعبقرية السامية الارية، وكتاب اخر عنوانه مفكرو الاسلام في خمسة اجزاء (٩٢١-٩٢٦) وغير ذلك كثير.	٢٦٣/١

ت	المستشرق	الجزء والصفحة
٤٤	كاستل، ادموند (١٦٠٦-١٦٨٥م) انجليزي، تخرج من كمبريدج عين كاهناً خاصاً للملك (١٦٦٦م)وراعياً لكاتدرائية كانتربري واستاذاً للغة العربية في كمبريدج (١٦٦٧م).	٤٦٧/٢
٤٥	كارليل، توماس (١٧٩٥-١٨٨١م) انجليزي، من اهم اثاره : الابطال ترجمة علي ادهم، وفيه فصل عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم : فيه كثير من الانصاف.	٤٨١/٢
٤٦	كاهن، كلود (المولود عام ١٩٠٩م) فرنسي، استاذ تاريخ الاسلام في كلية الاداب بجامعة ستراسبورج (١٩٤٥م) وفي جامعة باريس - له ابحاث كثيرة حول تاريخ الشرق الاسلامي الاجتماعي والاقتصادي والسياسي.	٣٢٣/١
٤٧	لامنس، هنري (١٨٦٢-١٩٣٧م) بلجيكي المولد فرنسي الجنسية، راهب استاذ في جامعة القديس يوسف ببيروت وتولى ادارة التبشير في لبنان، واثاره كثيرة، متحيز وحاقد على الاسلام.	١٠٦٨/٣
٤٨	لوبون، الدكتور غوستاف. (المولود، ١٨٤١م) فرنسي طبيب ومؤرخ عنى بالحضارة الشرقية. ومن اثاره :الحضارة المصرية، وحضارة العرب ترجمة الاستاذ عادل زعيتر وفيه انصاف كبير لدور العرب الحضاري في العالم.	٢٢٦/١
٤٩	لين، ادوارد (١٨٠-١٨٧٦م) انجليزي، سافر الى مصر واقام فيها متزيياً بالزي العربي ودرس شؤون مصر والف عنها : اخلاق وعادات المصريين المعاصرين طبع مراراً وترجم الف ليلة وليلة الى الانجليزية واصدر معجماً عربياً شاملاً اسماه ((مد القاموس)).	٤٨٠/٢

ت	المستشرق	الجزء والصفحة
٥٠	ماسينيون، لوي (١٨٨٣-١٩٦٢م) فرنسي مشهور كان يعمل في الادارة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر، صنف كثيراً في التصوف وكان رسالته للدكتوراه آلام الحلاج في جزأين اكثر من الف صفحة (باريس ١٩٢٢م) وله مايربو على (٦٥٠) من الاثار بين مصنف ومحقق ومترجم وبين مقال ومحاضرة وتقرير ونقد.	٢٨٧/١
٥١	مرجليوث (١٨٥٨-١٩٤٠م) انجليزي، استاذ العربية في اكسفورد، راس تحرير مجلة الجمعية الملكية الاسيوية، عضو المجمع العلمي في دمشق. رد عليه قوله بوضع الشعر الجاهلي. نشر والف وترجم الكثير.	٥١٨/٢
٥٢	مونتيه، ادوارد (١٨٥٦-١٩٢٧م) فرنسي من اصل سويسري، دكتوراه في اللاهوت واستاذ العبرية في جامعة جنيف واضيفت اليه العربية وتاريخ الاسلام ترجم القرآن الى الفرنسية (١٩٢٩ م).	٢٢٩/١
٥٣	موير، وليم (١٨١٩-١٩٠٥م) اسكتلندي، تعلم الحقوق في جلاسجو وادنبرا، ارسل الى البنغال ثم عين اميناً لحكومة الهند (١٨٦٥-١٨٦٨)ثم رئيساً لجامعة ادنبرا. ومن اثاره سيرة النبي صلى الله عليه وسلم والتاريخ الاسلامي في اربعة اجزاء، وحوليات الخلافة.	٤٩٢/٢
٥٤	نللينو، كارلو الفونسو (١٨٧٢-١٩٣٨م) ايطالي، استاذ العربية في المعهد العلمي الشرقي بنابولي، واستاذ كرسي الدراسات الاسلامية في روما. حاضر بمصر في موضوعات علم الفلك والادب العربي. كان عضواً في المجامع العلمية في ايطاليا ودمشق والقاهرة واشرف على مجلة الدراسات الشرقية. صنف كتاباً في قواعد ومفردات العربية العامية في مصر (ط٢ ميلانو ١٩١٣م)، وتاريخ علم الفلك عند العرب في القرون الوسطى (وهو محاضراته في مصر).	٣٧٧/١

ت	المستشرق	الجزء والصفحة
٥٥	نولدكـــه (١٨٣٦-١٩٣٠م) الماني، استاذ بروكلمان، له :تاريخ القرآن وسيرة محمد ودراسات في العربية والسريانية.	٧٣٨/٢
٥٦	هرجونجة، سنوك (١٨٥٧-١٩٣٦م) هولندي، خدم حكومته في اســتعمار جــاوة ســبع عشرة سنة، وزار مكة متنكراً باسم عبد الغفـــار (١٨٨٤م) وهـــو استاذ العربية بجامعة ليدن له مؤلفات عديدة في الفقه الاسلامي والجغرافية وغيرها.	٦٦٦/٢
٥٧	وات، مونـــتجمري، انجليزي عميد قسم الدراسات العربية في جامعـــة ادنبرة. من اثاره :محمد في مكة (لندن ١٩٥٨م)، محمد في المدينة.	٥٥٤/٢
٥٨	ولفنســون، اســرائيل، المـــاني اســتاذ اللغات السامية بالجامعة المصـــرية. من اثاره :تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصـــدر الاســـلام (بالعربية –القاهرة ١٩٢٧م) وكعب الاحبار وتاريخ اللغات السامية.	٧٦٢/٢

المحتويات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة